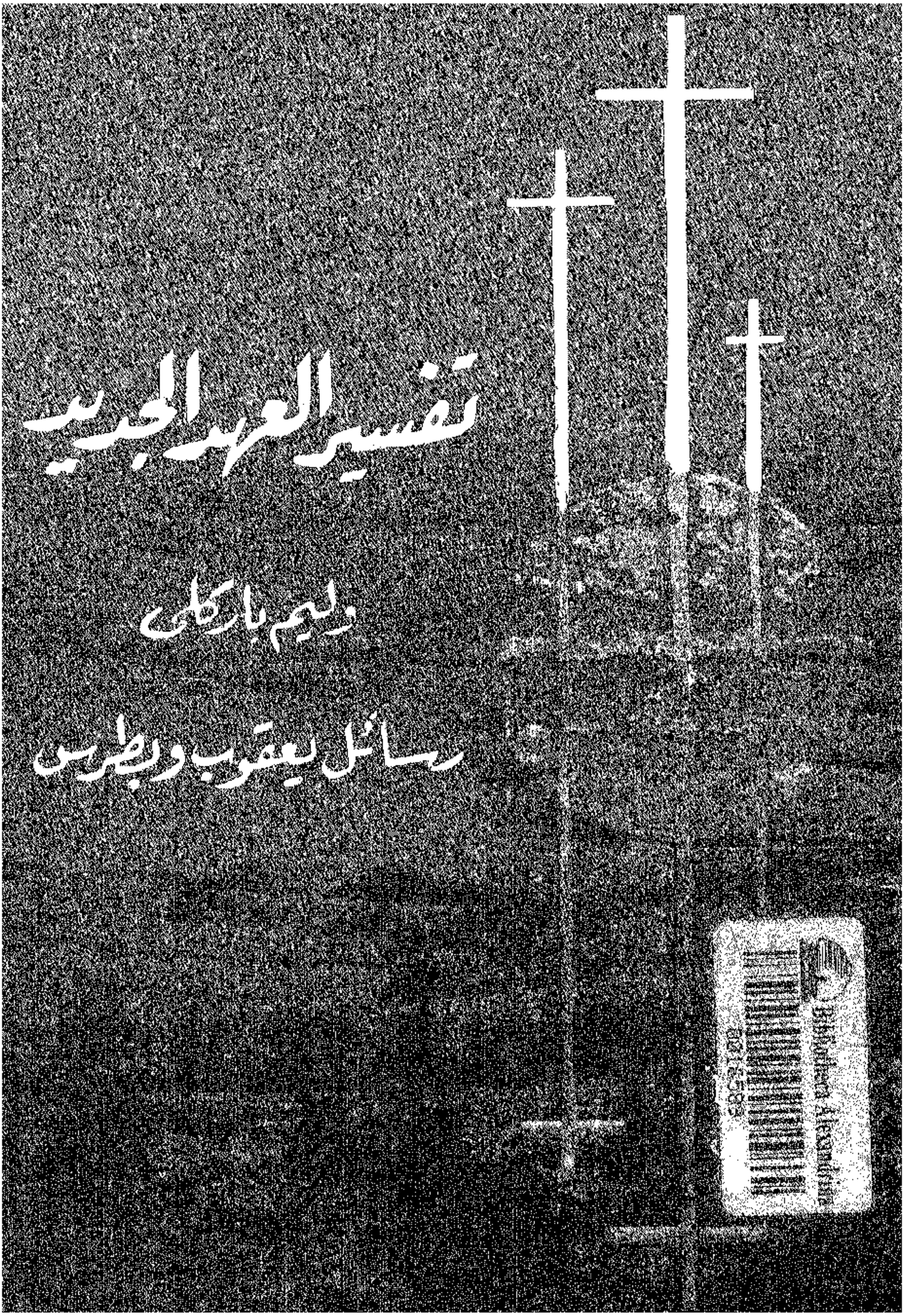

تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

رسائل يعقوب وبطرس

Bibliotheca Alexandrina

رسائل

يعقوب وبطرس

نقلها الى العربية

إدوارد وديع عبد المسيح

(طبعة ثانية)

صـــدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ـــ القاهرة

جميع حقـــوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يســتخدم
اقتباس أو اعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو اى جزء منه
بدون اذن الناشر ، وللناشر وحده حق أعادة الطبع) ١٠/٢٤٤

ط ٢/ [redacted]

رقم الايداع بدار الكتب : ٤١٧٤ [redacted]

طبع بمطبعه : **دار الطباعة القومية بالفجالة .**

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

دكتور بطرس عبد الملك — الأستاذ حبيب سعيد

القس صموئيل حبيب — القس فايز فارس

القس فهيم عزيز

● يشترك عــدد كبير من المترجمين فى اصــدار هذه السلسلة .

● وتقوم بنشرها :

— دار الثقافة المسيحية .

— ودار التاليف والنشر الأسقفية .

تمهيد :

تعرضت رسالة يعقوب لهجوم شـديد من مارتن لوثر ، فنحن لم ننس مادعاها به من أنها « رسالة مملوء بالقش » ، ثم اعلانه بانه لم يجد المسيح فيها (فى المقدمة التى كتبها عن رسالة يعقوب المتضمنة فى «كتابات الاصلاح» لمارتن لوثر ، فى المجلد الثانى الذى ترجمة برترام لى وولف) .

وقد يظن من يقرأ هذه الرسالة أنها ليست بذات شأن كبير فى العهـد الجديد . ولكن كلما أكثرت من قراءتها أحسست بقيمة تلك الرسالة القصيرة يقتبس ى . س بلاكمان قول (مارتى) بخصوص الرسـالة فيقول : « ان الرسالة تحفة فى البساطة التى تضفى احتراما ومهابة » قد يبـدأ القارىء دراسة رسالة يعقوب كنوع من القيام بالواجب ، ولكنه بعـد أن ينتهى من الدراسة يجد انها نوع من المتعة .

ان رسالة يعقوب حظيت بتفسيرات قيمة . منها التفسيرات على النص اليونانى ، ومنها التعليق الذى كتبه ج . ب مايور والذى يعـد من أعظم التعليقات فى اللغة الانجليزية ، وما كتبه ج. هـ. روس الذى يعتبر نموذجا للدراسة الدقيقة الوفية . ثم تعليق اوسترلى وهو خير معين لفهم الفـكر والعقيدة اليهودية الكامنة وراء الحرف . ثم تعليق (أ . كار) الذى وان فى دائرة أضيق من سابقية ، الا أنه مفيد للغاية .

ثم التعليقات التى كتبت على النص الانجليزى . ففى تعليق « موفات » كتب جيمس موفات بحثه عن الرسائل العامة ، ونعتبر رسالة يعقوب احداها انه مفيد ولكنه مبسط جدا .

ومن التعليقات الحديثة ماكتبه (ر . ف . ج تاسكر) باسم « تعليقات تندل » ، وهى نوع من الدراسة المحافظة التى نعتبر خير معين فى البحث ، وكتاب ا . س بلاكمان من الكتب البارزة ايضا فى هـذا السبيل . وتعليق ب . س ايستون كذلك خير حافز ومنير لطريق الدراسة .

أما عن نفسى فانى أعتقد ان رسالة يعقوب كانت بالنسبة لى اكتشافا جديدا ، وانى لآمل ان يعين هذا التعليق الآخرين لا كتشاف هذه الرسالة .

أما رسالتا بطرس الأولى والثانية فمختلفان تماما .

فرسالة بطرس الأولى أحب رسائل العهد الجديد ، ولكننا كثيرا ما نهمل رسالة بطرس الثانية (مع رسـالة يهوذا التى ترتبط بهـا ارتباط وثيقـا) ولا نعيطهما حقهما من الدراسة . فرسالة بطرس الثانية ورسـالة يهوذا تتحدثان عن عالم غريب بالنسبة لنا ، وغريب ايضا على طالب اللاهوت الذى يدرس الكتاب المقدس ، فالصور والأفكار والايضاحات المتضمنة فيهما ليست من العهد القديم ، بل من الأدب الذى كتب فى الفترة ما بين العهدين القـديم والجديد ، وهو غير معروف لنا كله ولكنه كان شائعا فى عصره . ولهـذا السبب نجد أن تفسير رسالة بطرس الثانية يطول الى حد ما ، وانى أعلم أن دراستها تحتاج لبذل جهد أكثر ، ولكنى أعلم ايضا أن ذلك الجهد سوف يكون مجزيا ومفيدا فى النهاية .

ان رسالتى بطرس الأولى والثانية ورسالة يهوذا عادة تدرج جميعها سويا فى معظم التعليقات ، كما فى تعليق س . يج ، ويعتبر هذا التعليق نتاج الدراسة المنصفة السليمة ، وكذلك تعليق (أ . ه بلمبتر) الذى كان قديما ،

الا انه منير لسبيل الدراسة المستفيضة .

وقد جمع هذه الرسالات الثلاثة معا كذلك «جيمس موفات» فى كتابه من « الرسائل العامة » فى (تعليق موفات) .

. .

وهنـاك تعليقان بارزان على رسـالة بطرس الأولى ، أولهما المؤلف الضخم الذى كتبه ا . ج سلوين فى سلسلة « تعليقات ما كميلان » وهى من أعظم التعليقات فى اللغة الانجليزية ، ثم تعليق ف . و . بيير الذى يحتل مكانة بارزة .

وانى لمدين بالشكر لتفسير س . ا . ب كار نفيلد الذى وان كان صغيرا الا انه تحفة فى الشرح المختصر الوافى ، وان كل صـفحة من صفحات كتابى هذا تشهد بفضل ذلك الكتاب على .

ويعتبر تفسيرا . م هنتر مفيدا بصفة خاصة ، ويقدم ج . و بلنكن فى تفسيره لرسالة بطرس الأولى خير عون يفيد الدارسين فى الأمور الدينية .

ولكن ماكتب عن رسالة بطرس الثانية اقل من ذلك ، ففى « تعليقات ما كميلان » هناك المؤلف الذى كتبه ج . ب مايور على رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا ايضا ، وهو يعد اثرا خالدا وتحفة رائعة فى الدراسة والبحث فى العهد الجديد وهو مساو لما كتبه نفس المؤلف عن رسالة يعقوب . ثم نجد أيضا كتابا ممتازا كتبه م . ر جيمس بهذا الخصوص .

ليس هناك ما يقلل من أهمية رسالة بطرس الأولى ، وقد يحق لنا أن نقول أن رسالة بطرس الثانية لاتحمل نفس الأهمية ، ولكن تلك الرسـالة تنفرد دون غيرها من كتب العهد الجديد بانها ترينا الهجوم الذى شن فى أيام الكنيسة الأولى على التعليم المسيحى والآداب المسيحية ، والذى تصدى له كتاب العهد الجديد ، ولهذا السبب فان الرسالة تعد غاية فى الأهمية .

وانى لآمل واطلب من الله ان يكون هذا التفسير معوانا للقراء حتى يقدروا تلك الرسائل حق قدرها ويحبوها أكثر .

وليم باركلى
كلية الثالوث
جلاسجو

محتويات الكتاب

رسالة يعقوب

	صفحة
مقدمة الرسالة	١٧
الأصحاح الأول :	
التحية	٥٥
اليهود فى العالم	٥٧
لمن كتبت الرسالة	٦٢
الذين جازوا الامتحان بنجاح	٦٣
نتيجة الامتحان	٦٤
عطية الله وطلب الانسان	٦٦
حاجة كل انسان	٦٨
اكليل الحياة	٧٠
لا تلم الله	٧٢
التهرب من المسئولية	٧٤
عدم تغير الله	٧٦
متى نسرع ومتى نبطىء	٧٧
قبول التعليم بوداعة	٧٩
سماع الكلمة والعمل بها	٨٢

	صفحة
الناموس الكامل	٨٣
الديانة الحقة	٨٤

الأصحاح الثانى :

محاباة الوجوه	٨٧
خطر التعالى على الفقراء داخل الكنيسة	٨٨
غنى الفقراء وفقر الاغنياء	٩١
الناموس الملوكى	٩٣
ناموس الحرية وحياة الرحمة	٩٥
الايمان والأعمال	٩٦
الأقول والأعمال	١٠١
ضرورة اقتران الايمان بالأعمال	١٠٢
دليل الايمان	١٠٤

الأصحاح الثالث :

مشكلة المعلمين	١٠٧
خطر شامل	١٠٩
معظم النار من مستصغر الشرر	١١٢
نار مدمرة	١١٢
الفساد الداخلى	١١٥
عدم خضوع اللسان	١١٧
البركة واللعنة	١١٨
شخص لا يصح أن يكون معلما	١٢٠
الحكمة الخاطئة	١٢٢
الحكمة الحقة (١)	١٢٣
الحكمة الحقة (٢)	١٢٦

صفحة

الأصحاح الرابع :

اتمام مسرة الانسان أم ارادة الله ؟ !	١٣٩
نتائج اشباع شهوة الانسان	١٣١
خيانة أمام الله	١٣٢
محبة للعالم وعداوة لله	١٣٤
الله المحب غيور	١٣٥
فخر الاتضاع ومأساة الكبرياء	١٣٧
النقاوة الالهية	١٣٩
الحزن الالهية	١٤٠
الاتضاع امام الله	١٤٢
خطية ادانة الآخرين	١٤٣
اتكال كاذب	١٤٥

الأصحاح الخامس :

عدم جدوى الغنى	١٤٨
التعاطف الاجتماعى فى الكتاب	١٤٩
طريق الأنانية ونهايته	١٥١
انتظار مجىء الرب	١٥٤
مجىء الملك	١٥٦
انتصار الصابرين	١٥٨
سخافة وعدم لزوم الاقسام	١٦٠
كنيسة مهللة	١٦١
الشفاء الالهى فى الكنيسة	١٦٣
كنيسة مصلية	١٦٤
الحق الذى يجب أن يعمل	١٦٧
أسمى عمل انسانى	١٦٩

رسالة بطرس الأولى

صفحة

مقدمة الرسالة ١٧٣

الأصحاح الأول :

الميراث العظيم ٢٠٥
المختارون من الله والمتغربون عن الأبدية ٢٠٧
ثلاث حقائق عظمى فى الحياة المسيحية ٢٠٩
الميلاد الثانى ٢١١
الميراث العظيم ٢١٤
ضمان فى الحاضر والمستقبل ٢١٥
سر الاحتمال ٢١٧
لم نره ولكن نعرفه ٢١٩
التبيؤ بالمجد ٢٢٣
رسالة المبشر ٢٢٤
البسالة الضرورية للايمان المسيحى ٢٢٥
حياة بلا مسيح وحياة ملؤها المسيح ٢٢٦

الأصحاح الثانى :

ما ينبغى تركه وما ينبغى اشتهاؤه ٢٣٤
ما ينبغى اشتهاؤه ٢٣٦
طبيعة ووظيفة الكنيسة ٢٣٨
أسباب السيرة الحسنة ٢٤٥
أعظم رد وأعظم دفاع ٢٤٧
واجب المسيحى (١) ٢٥٠
واجب المسيحى (٢) ٢٥٣
تلخيص واجهات المسيحى ٢٥٤

صفحة

واجب الخدم	٢٥٥
مشكلات الوضع الجديد	٢٥٨
نظرة جديدة الى العمل	٢٥٩
اسمان عظيمان من اسماء الله	٢٦١

الاصحاح الثالث :

الأثر الطيب للسيرة الطاهرة	٢٦٤
الزينة الحقيقية	٢٦٦
واجبات الزوج	٢٦٩
علامات الحياة المسيحية	٢٧١
أمان المسيحى وسط تهديد العالم	٢٧٦
الدفاع عن المسيح	٢٧٨
عمل نعمة المسيح المخلصة	٢٧٩
النزول الى الجحيم	٢٨٣
معموديةالمسيحى	٢٩١

الاصحاح الرابع :

واجبات المسيحى	٢٩٤
الفرصة الأخيرة	٢٩٧
اقتراب النهاية	٢٩٨
الحياة فى ظل الأبدية	٣٠٠
قوة المحبة	٣٠٣
المسؤلية المسيحية	٣٠٤
مصدر وغاية كل كفاح مسيحى	٣٠٦
حتمية الاضطهاد	٣٠٨

صفحة

بركات الآلام من اجل المسيح	٣٠٩
تسليم كل الحياة لله	٣١١

الأصحاح الخامس :

شيوخ الكنيسة	٣١٤
وظيفة الشيخ فى المسيحية	٣١٥
تبعات وامتيازات الشيوخ	٣١٦
المثال الطيب الذى يقدمه الشيوخ	٣١٨
ذكريات من المسيح	٣٢٠
ثوب المتواضع	٣٢٢
قوانين الحياة المسيحية (١)	٣٢٣
الأخ الأمين	٣٢٧
التحية	٣٢٩
سلام المحبة	٣٣٢

رسالة بطرس الثانية

مقدمة الرسالة	٣٣٧

الأصحاح الأول :

الشخص الذى فتح الأبواب	٣٤٥
الخدمة المجيدة	٣٤٧
المعرفة الثمينة	٣٤٩
قدرة المسيح الالهية	٣٥١
الاستعداد للسير فى الطريق	٣٥٤
سلم الفضائل	٣٥٦

صفحة

فى الطريق	٣٦٠
اهتمام الراعى	٣٦٤
الرسالة الالهية والحق الالهى	٣٦٦
اقوال الانبياء	٣٦٨

الأصحاح الثانى :

الانبياء الكذبة	٣٧٢
خطايا الأنبياء الكذبة ونهايتهم	٣٧٤
عمل الضلال	٣٧٧
هلاك الأشرار ونجاة الأبرار	٣٧٩
صورة الشرير	٣٨٨
خداع النفس وخداع الآخرين	٣٩٠
طريق الضلال	٣٩٣
خطر الارتداد	٣٩٤

الأصحاح الثالث :

مبادىء الوعظ	٣٩٨
انكار المجىء الثانى	٤٠٠
الهلاك بالطوفان	٤٠٢
الهلاك بالنار	٤٠٣
مراحم امهال الله	٤٠٥
اليوم المريع	٤٠٦
الحافز الأخلاقى	٤٠٨
سرعة مجىء يوم الرب	٤١٠
تحريف الكتب المقدسة	٤١١
أساس متين ونمو مستمر	٤١٣

رسالة يعقوب

مقدمة الرسالة

ثار جدل عنيف حول ادراج رسالة يعقوب ضمن أسفار العهد الجديد ، وحتى بعد أن أعتبرت من الكتب الموحى بها ، تحدث عنها كثيرون بنوع من التحفظ وعدم اليقين بوحيها ، فحتى القرن السادس عشر كان لوثر على استعداد أن يقصيها من العهد الجديد كلية .

شكوك الآباء :

فلم تبرز رسالة يعقوب فى كتابات الآباء فى الكنيسة اللاتينية حتى منتصف القرن الرابع ولم يدرج اسم الرسالة فى أول قائمة بكتب العهد الجديد التى صدر بها مرسوم كنسى يعرف باسم « مرسوم موراتوريان » ، والذى يرجع تاريخه الى سنة ١٧٠ م ، ويعتبر ترتليان من أشهر الكتاب فى منتصف القرن الثالث ، وقد اقتبس من الكتاب المقدس مايربو على الـ ٧٢٥٨ اقتباسا كلها من العهد الجديد ، ولكن لم يرد منها نص واحد من رسالة يعقوب،وقد ظهرت رسالة يعقوب أول ماظهرت فى اللاتينية فى مخطوطة لاتينية للكتاب المقدس تسمى « مخطوط كوربينيس » « Codex Corbiensis » ، ويرجع تاريخها الى حوالى ٣٥٠ م .

وهذه المخطوطة تنسب رسالة يعقوب الى يعقوب بن زبدى وتدرجها ليس مع كتب العهد الجديد المعروفة على نطاق واسع آنئذاك ، بل مع مجموعة من كتابات دينية دونها الآباء الأوائل .

(م ٢ ــ تفسير العهد الجديد)

لقد برزت رسالة يعقوب ، كما رأينا ، واكن بشيء من التحفظ .

ان أول كاتب لاتينى يقتبس رسالة يعقوب مستعملا نفس كلمات الرسالة هو هيلرى من (بويترز) فى مؤلف له عن التثليث ، وقد كتب حوالى سنة ٣٥٧ م .

فان كانت رسالة يعقوب قد تأخر ظهورها فى الكنيسة اللاتينية ، وعندما ظهرت عوملت بشيء من التحفظ وعدم اليقين التام بها ، فكيف أدرجت اذن فى العهد الجديد .

ان الفضل الأكبر فى ذلك يرجع « لجيروم » الذى أدخلها دون تردد فى طبعته عن العهد الجديد . ومع ذلك فهناك ظل من الشك . فقد كتب جيروم فى كتابه عن « مشاهير الرجال » قائلا : « ان يعقوب الذى يدعى أخا الرب ... كتب رسالة واحدة فقط ، وهى احدى الرسائل السبع العامة ، والتى يقول بعض الناس عنها انها كتبت بيد شخص آخر غير يعقوب ولكن تحت أسم يعقوب » .

أن جيروم كان يعتقد بصحة وحى الرسالة تماما ، ولكنه كان يشك فى نسبة الرسالة الى يعقوب .

كيف اذن قضى على هذا الشك فى الكنيسة اللاتينية ؟

قضى على الشك تماما عندما أعلن اغسطينوس عن قبوله لها ، وأنه لم يكن فى شك من أن يعقوب هذا هو أخو الرب .

لقد تأخر ظهور رسالة يعقوب فى الكنيسة اللاتينية ، وكانت هناك علامة استفهام كبيرة حيالها ، ولكن الكنيسة اعترفت بها اعترافا صريحا وسوى الأمر نهائيا عندما أدخلها جيروم فى طبعة العهد الجديد اللاتينية المسماة بالفولجات « Vulgate » ، وعندما اعترف بها اغسطينوس .

الكنيسة السورية :

قد يظن أن الكنيسة السورية هى أول من قبلت رسالة يعقوب ان كانت

كتبت حقــا في فلسطين وان كان كاتبها هو يعقوب اخو الرب ولكن ما حدث في الكنائس الأخرى بخصوص الرسالة حدث أيضا في كنيسة سوريا .

أن طبعة العهد الجديد في الكنيسة تسمـــى « بيشيتو » Peshitto وأهميتها بالنسبة للكنيسة السورية كأهمية « الفولجات » بالنسبة للكنيسة اللاتينية . وقد قام بتلك الطبعـــة للـــكتاب المقدس في السريانية (رابيولا) أسقف اديسه حوالى سنة ٤١٢ ،حيث ترجمت رسالة يعقوب لأول مرة الى السريانية ، فلم تكن هنـــاك طبعة سريانية لرســـالة يعقوب حتى في ذلك التاريخ ، وليس هناك اى اثر لرسالة يعقوب في الأدب الديني في السريانية حتى سنة ٤٥١ م . أما بعـــد ذلك التاريخ فقد عرفت الرســـالة على نطاق واسع ، ولكن حتى سنة ٥٤٥ م . كان بولس الذى من (نيسيبس) يشك في الرسالة ويتساءل عما اذا كانت تستحق أن تدرج ضمن اسفار العهـــد الجديد أم لا ، وكان يعتبرها ضمن الـــكتب المتنازع عليها ، ولكن ما قام به اغسطينوس في الكنيســة اللاتينية ، قام به كـــذلك حجة الكنيســة الســـورية يوحنا الدمشقى في منتصف القرن الثامن .

الكنيسة اليونانية :

مع أن رسالة يعقوب ظهرت في الكنيسة اليونانية بأسرع مما ظهرت في الكنيستين اللاتينية والسورية ، الا انهـــا مع ذلك برزت متأخرة وكان أول كاتب استشهد برسالة يعقوب هو اوريجانوس « Origen » ذلك الباحث العظيم ومؤسس مدرسة الاسكندرية ، والذى كان يكتب كتاباته الشهيرة في منتصف القرن الثالث تقريبا وهو يقول : « ان كان الايمان يمكن أن يوجد بدون أعمال فهـــو ايمان ميت ، كما قرأنا في الرسالة التى ينسبها الـــكثيرون الى يعقوب»وان كان في مؤلفات أخرى لذلك الكاتب نجد أنه يقتبس من الرسالة مع نسبتها بلا أدنى شك الى يعقوب ويبين أنه يؤمن أن يعقوب هـــو أخو الرب الا أننا أحيانا أخرى نلحظ لهجة الشك في كتاباته .

ويكتب ايوسيبس ، الباحث العظيم من قيصرية في معرض بحثـه عن اهمية مختلف كتب العهد الجديد في العصر الذى عاش فيه في منتصف القرن الرابع ، معتبرا رسالة يعقوب من الـــكتب المتنازع عليهـــا اذ يقول : « ان

اولى الرسائل المدعوة بالعامة يقال انها رسالة يعقوب ، ولكننا يجب أن نذكر ان البعض لا يؤمن بوحى تلك الرسالة ، وانه لمن الحقائق المؤكدة أن عددا قليلا جدا من الكتاب القدامى استشهد بها » وهنا نلحظ أيضا لهجة الشك، ان يوسيبوس نفسه اعترف بالرسالة،ولكنه كان يدرك جيدا أنه كان يوجد من ينكرها . ولكن نقطة التحول بخصوص الرسالة حدثت فى الكنيسة اليونانية سنة ٣٦٧ م ، ففى تلك السنة أصدر أثناسيوس رسالته الشهيرة فى عيد القيامة فى مصر ، وكان الهدف من هذه الرسالة أن يخبر الناس بالكتب الموحى بها ، لأنه قد كثرت فى ذاك الوقت الكتب التى آمن كثيرون بوحيها . وفى رسالة أثناسيوس هذه نجد رسالة يعقوب ضمن الكتب المقدسة ، وبهذا دعم مركزها .

ومع انه لم ينكر احد فى الكنيسة الأولى قيمة وأهمية رسالة يعقوب ، الا انه فى كل انحاء الكنيسة ظهرت الرسالة متأخرة ، ومرت بفترة كان التساؤل فيما عما اذا كانت تستحق أن تدرج ضمن كتب العهد الجديد أم لا .

ونستطيع أيضا أن نعرف تاريخ رسالة يعقوب من الموقف الذى اتخذته الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ازاها . ففى سنة ١٩٤٦ أقر مجمع (ترنت) بصورة نهائية الكتاب المقدس الذى تسير بموجبه الكنيسة الرومانية اذ اقر المجمع قائمة بأسماء الاسفار التى لا يمكن أن يضاف اليها أو يحذف منها شىء.وهذه القائمة موجودة فى الطبعة اللاتينية فقط (الفولجات) وقد قسمت تلك الكتب الى طائفتين ، طائفة منها لا يدور حولها أى جدل وقد قبلت من البداية دون أى نقاش وهى المسماة باسم الكتب القانونية الاولى « proto - canonical » والطائفة الاخرى ادرجت ضمن أسفار العهد الجديد بالتدريج وسميت باسم الكتب القانونية الثانية deutro canonical ومع أن الكنيسة الرومانية لم تبد أى شك حيال رسالة يعقوب الا أنها أدرجتها ضمن الطائفة الثانية من الاسفار المقدسة .

لوثر ويعقوب :

وقد يحق لنا أن نقول فى هذا العصر كذلك ، أن رسالة يعقوب لا تحتل المكانة الاولى فى العهد الجديد فى نظر الكثيرين .

فقليلون من يضعونها فى نفس مرتبة انجيل يوحنا أو الرسالة الى اهل رومية أو انجيل لوقا أو الرسالة الى أهل غلاطية مثلا .

وكثيرون يتحدثون عنها بشيء من التحفظ أو كانه يعوزها الادلة الكافية لتدرج ضمن كتب العهد الجديد . لماذا هذا اذن ؟

لا يمكن أن يكون ذلك مرتبطا بما ساور الكنيسة الاولى من شك فى الرسالة ، لان تاريخ كتب العهد الجديد فى تلك الايام الغابرة غير معروف لكثير من الناس فى كنيسة العصر الحديث ، بل أن سبب ذلك يتضح فيما يلى : ان موقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من رسالة يعقوب قد تقرر نهائيا فى قرار مجمع ترنت ، ولكن تاريخ الرسالة فى الكنيسة البروتستانتية قد مر بفترة اضطراب زادت على مر الايام ،وذلك لان لوثر هاجم الرسالة ، وكان يفضل ألا يدرجها ضمن كتب العهد الجديد كلية . وفى الطبعة الالمانية التى عملها للعهد الجديد ، كان يدون كتب العهد الجديد فى صفحة المحتويات مع وضع رقم مسلسل أمام كتاب ، ولكن فى آخر القائمة وضع مجموعة صغيرة منعزلة عن بقية الكتب وبدون أرقام مسلسلة أمامها ، وتلك المجموعة تحوى رسائل يعقوب ويهوذا والرسالة الى العبرانيين وسفر الرؤيا ، فتلك الكتب كان يعتبرها لوثر اقل شأنا من بقية كتب العهد الجديد .

كان لوثر قاس بصفة خاصة على رسالة يعقوب ، وحكم قاس كهذا يصدر من شخص عظيم على اى كتاب يعد بمثابة حكم بالاعدام على ذلك الكتاب وانتا نجد حكم لوثر على رسالة يعقوب فى ختام مقدمته للعهد الجديد اذ يقول :

وبالاجمال ، فان الانجيل ورسالة يوحنا الرسول الاولى ورسائل القديس بولس وخاصة الرسائل الى أهل رومية وغلاطية وافسس ، ورسالة القديس بطرس الاولى ، هى الكتب التى تقدم لكم المسيح ، وهى تعلمكم كل ما يختص بخلاصكم حتى ولو لم تقع عيونكم أو تسمع آذانكم اى كتاب آخر أو تعليم آخر . وأما رسالة يعقوب فهى رسالة « مملوءة بالقش » ، لانها لا تحوى التعاليم الانجيلية ، وسوف اوضح ذلك اكثر فى مقدمات أخرى .

وقد بر لوثر بوعده ، ففصل ذلك الاتهام فى مقدمة لرســالتى يعقوب ويهوذا فقال : « انى أقدر رسالة يعقوب وأحترمها واعتبرها عظيمة القــدر بالرغم من عدم اعتراف الآباء بها . انها لا تقدم تعاليم بشرية ، ولكنها تهتم اهتماما كبيرا بالناموس ، ولكى أعلن رأيى بصراحة بدون تحيز ، فانى لا أعتبرها ذات أصل رسولى » .

ويستمر لوثر بعد ذلك فى تقديم الاسباب التى تؤيد موقفه من الرسالة.

أولا : ان الرسالة بخلاف رسائل بولس وباقى الكتاب المقدس تعزو التبرير الى الاعمال مع الاستشهاد بابراهيم كالشخص الذى تبرر بالاعمال . وهذا فى حد ذاته يعد دليلا على أن الرسالة ليست ذات أصل رسولى .

ثانيا : انها لا تقدم للمسيحيين اى تعليم عن آلام المسيح أو قيامته أو من روح المسيح . انها تذكر المسيح مرتين فقط . ثم يستمر لوثر فى تقديم المبدأ الذى يمتحن به أى كتاب « ان المحك الحقيقى لاختبار أى كتاب هــو تقديم المسيح بصورة بارزة . فأى كتاب لا يعلم بالمسيح فهو ليس رسولى ، حتى ولو كان كاتبه بطرس أو بولس . ومن الناحية الاخرى فان أى كتاب يقدم المسيح يعتبر رسوليا حتى ولو كان كاتبه يهوذا الاسخريوطى أو حنانيا أوبيلاطس أو هيرودس » وقد فشلت رسالة يعقوب فى أن تجتاز ذلك الامتحان بنجاح .

ويستمر لوثر قائلا : « ان رسالة يعقوب ترجــع بنا الى الناموس وأعماله ، وأن كاتبها يأتى بشىء من هنا وهناك لدرجة أنى اشك فى أن يكون كاتب الرسالة هو احد الاتقياء الذى قد جمع بعض الاقوال التى فاه بها بعض تلاميذ الرسل ثم دونها على القرطاس ، او أن يكون كاتب الرسالة شخصا كان يدون بعض الملاحظات على عظة من عظاته ، فهو يسمى الناموس ناموس الحرية (يعقوب ١ : ٢٥ ، ٢ : ١٢) مع أن الرسول بولس يدعوه ناموس العبودية والغضب والموت والخطية » (غلاطية ٣ : ٢٣ ، رومية ٤ : ١٥ ، ٧ : ١٠) . ويختم لوثر حديثه بالقول : « وبالاختصار ، فاننا نجد أن كاتب الرسالة يريد أن يهاجم الذين يعتمدون على الايمان بدون الاعمال ، ولكنه لا يمتلك القوة أو الفكر أو البلاغة التى تمكنه من القيــام بتلك المهمــة . انه يتحدى الكتب المقدسة ، ولذا نراه يعارض بولس والباقين . انه بتأكيداهمية الناموس يريد أنيبرز ما قدمه الرسل،ولكن بطريق آخر اذ أنهم أكدوا عنصر

المحبة كاساس لجذب الانسان . ولهذا فانى أرفض ان افسح له مكانا بين كتاب الوحى ، ولكنى مع ذلك لا أعارض أى انسان يود أن يرفعه او يضعه فى أى مكان يريد لان الرسالة تحوى فقرات ممتازة . ان شخصا واحدا لا يعدله قيمة أمام بقية أهل العالم ، فكم وكم اذا كان هذا الشخص يقف وحيدا ككاتب تلك الرسالة — معارضا بولس وباقى كتاب الكتاب المقدس اجمعين ؟ ! » .

والحق يقال ان لوثر كان قاسيا بلا هوادة على رسالة يعقوب ، وانه اذا نحن درسنا الرسالة جيدا ، فاننا سنرى كيف أن الهوى الشخصى قد تغلب على الحكم الصحيح لدى لوثر على الرسالة .

هذا هو اذن تاريخ رسالة يعقوب المملوء بعدم الاستقرار ، والآن سنحاول الاجابة على الاسئلة المتعلقة بكاتب الرسالة وتاريخ كتابتها .

شخصية يعقوب :

لنتأمل اولا فى كاتب الرسالة ، انه لا يقدم لنا اى معلومات عن نفسه ، فهو يدعو نفسه ببساطة « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » (يعقوب ١ : ١) فمن هو يعقوب اذن ؟

يوجد فى العهد الجديد ، على الاقل ، خمسة اشخاص يحملون نفس الاسم .

١ — فهناك يعقوب والد أحد الاثنى عشر وهو يهوذا ليس الاسخريوطى (لوقا ٦ : ١٦) ولا يمكن أن يكون له صلة بالرسالة اللهم الا تشابه الاسماء .

٢ — ويعقوب بن حلفى أحد الاثنى عشر (متى ١٠ : ٣ ، مرقس ٣ : ١٨ ، لوقا ٦ : ١٥ ، اعمال ١ : ١٣) وبمقارنة متى (٩ : ٩) ، ومرقس (٢ : ١٤) نجد ان متى ولاوى اسمان لشخصية واحدة ، ولاوى هو أيضا ابن حلفى ، ولذلك فان متى ويعقوب هذا لابد أن يكونا أخوين ونحن لانعرف

شيئا عن يعقوب بن حلفى ، ولذلك فهو أيضا لا علاقة له بالرسالة التى نحن بصددها .

٣ — ثم يوجد أيضا يعقوب الصغير الذى ورد ذكره فى مرقس (١٥ : ٤٠) انظر (متى ٣٧ : ٥٦ ، يوحنا ١٩ : ٢٥) وهذا لايعرف عنه شيء ايضا ولا يمكن أن تربطه بالرسالة صلة .

٤ — ثم يعقوب أخو يوحنا بن زبدى ، وهو أحد الاثنى عشر (متى ١٠ : ٢ ، مرقس ٣ : ١٧ ، لوقا ٦ : ١٤ ، أعمال ١ : ١٣) .

ولم يرد ذكر يعقوب هذا بمعزل عن يوحنا اخيه فى البشائر الاربع (متى ٤ : ٢١ ، ١٧ : ١ ، مرقس ١ : ١٩ و ٢٩ ، ٥ : ٣٧ ، ٩ : ٢ ، ١٠ : ٣٥و٤١ ، ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٣٣ ، لوقا ٥ : ١٠ ، ٨ : ٥١ ، ٩ : ٢٨ و٥٤) . ان يعقوب هذا كان أول جماعة الرسل الذين استشهدوا اذ قطعت رأسه بناء على أوامر هيرودس أغريباس الاول فى سنة ٤٤ م . انه ذو صلة بالرسالة ، ففى المخطوطة اللاتينية للكتاب المقدس « مخطوطة كوربينيسس» cobex corbeiensis التى وجدت فى القرن الرابع ، وفى نهاية رسالة يعقوب توجد ملحوظة تنسب فيها الرسالة صراحة الى يعقوب بن زبدى . وقد كانت الكنيسة الاسبانية تعتقد بصحة نسبة الرسالة الى يعقوب بن زبدى حتى نهاية القرن السابع . وهذا نسبة الى أن القديس يعقوب من مدينة (كومبوستيلا) compostella بأسبانية كان ذا مكانة عظيمة فى أسبانيا وهو يمثل هناك يعقوب بن زبدى ، فمن الطبيعى اذن أن ترغب الكنيسة الاسبانية فى أن يكون قديسها رمزا لكاتب احدى رسائل العهد الجديد ، ولكن استشهاد يعقوب المبكر لم يسمح له بكتابة الرسالة ولايوجد أى مصدر آخر غير مخطوطة كوربينيسس ينسب الرسالة الى يعقوب هذا .

٥— وأخيرا يوجد يعقوب المدعو أخا يسوع ، ان اوريجانوس فى النصف الاول من القرن الثالث هو أول من نسب الرسالة الى يعقوب هذا ، ومع ذلك فالرسالة دائما تنسب اليه . والكنيسة الرومانية الكاثوليكية أيضا تنسب الرسالة اليه ، لان مجمع ترنت سنة ١٥٤٦ قرر أن رسالة يعقوب موحى بها وقد كتبها يعقوب الرسول الذى نحن بصدده الآن .

ولنتأمل الآن فى شخصية يعقوب هذا لنجمع الأدلة بخصوصه .

اننا نعرف من العهد الجديد أنه واحد من أخوة يسوع (مرقس ٦ : ٣، متى ١٣ : ٥٨) وسوف نبحث فيما بعد المقصود بكلمة اخ . يتضح لنا ايضا ، انه خلال خدمة يسوع ، كان أهله ضده ، فلم يقدروا رسالته أو يعطفوا عليه وكان بودهم لو منعوه من تأدية رسالته (متى ١٢ : ٤٦ ـــ ٥٠ ، مرقس ٣ : ٢١ و ٣١ ـــ ٣٥ ، يوحنا ٧ : ٣ ـــ ٩) . ويقول يوحنا بوضوح « لان اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به » (يوحنا ٧ : ٥) . وهكذا ، فانه أثناء خدمة يسوع على الارض ، كان يعقوب يعد من ضمن معارضيه ، ولكن فى سفر الاعمال نجد تغييرا فجائيا دون مقدمات ، ففى بداية السفر نجد أن مريم أم يسوع واخوته يواظبون على الصلاة مع نفر قليل من المسيحيين (أعمال ١ : ١٤) .

ثم يتضح بعدئذ ان يعقوب قد أصبح قائدا لكنيسة أورشليم . كيف حدث هذا ؟ اننا لا نجد جوابا على ذلك ، ولكن مركز يعقوب فى كنيسة أورشليم كقائد لها يبدو واضحا . فبطرس يرسل الى يعقوب خبر خروجه من السجن (أعمال ١٢ : ١٧) . وقد ترأس يعقوب مجمع أورشليم الذى وافق على دخول الامميين الى الكنيسة المسيحية (اعمال ١٥) . وقد قابل بولس يعقوب وبطرس عندما ذهب لأورشليم لاول مرة ، وقد تناقش بولس مع بطرس ويعقوب ويوحنا اعمدة الكنيسة فى اختصاصات ودائرة عمله (غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩) . وجاء أيضا بولس مع رفقائه من كنائس الامم الى يعقوب فى زيارته الاخيرة الى أورشليم والتى ادت به الى السجن (أعمال ٢١ : ١٨ ـــ ٢٥) والحادثة الاخيرة فى هذا الجزء هامة لانها ترينا عطف يعقوب على اليهود الذين كانوا لا يزالون يحفظون الناموس واهتمامهم البالغ بالا تمس عوائدهم بسوء ، ثم تحريضهم لبولس بأن يظهر ولاء للناموس بأن ينفق على الاربعة الرجال اليهود الذين كانوا يتممون النذر . ويبدو واضحا من ذلك ان يعقوب كان يشغل منصب رئيس كنيسة أورشليم ، وهذا ماتناقلته الروايات ، فيقول هيجسيبوس المؤرخ القديم ان يعقوب كان أول أسقف على كنيسة أورشليم ،ويقول اكليمندس الاسكندرى ان بطرس ويوحنا قد اختاراه لهذا المنصب .

ويقول جيروم فى كتابه عن « مشـــاهير الرجال » : « بعد موت الرب نصب الرسل يعقوب أسقفا على أورشليم .. واستمر أسقفا على الكنيسة لمدة ثلاثين عاما حتى السنة السابعة منحكم نيرون » .

وفى كتاب « اعترافات أكليمندس » نجد خطوة أخرى فى تعزيز القصة لان ذلك الكتاب يقول بأن يسوع نفسه هو الذى رسم يعقوب أسقفا على أورشليم . ويدون أكليمندس الاسكندرى حادثة غريبة فيقول : « ان الرب يسوع بعد القيامة قد أسر ببعض المعلومات الى يعقوب ويوحنا وبطرس وهم بدورهم قد أبلغوها لباقى الرسل ثم ابلغ الرسل ايضا هذه المعلومـــات الى السبعين رسولا » .

ويبدو أن الاحاديث والاساطير المتداولة عن مركز يعقوب فى كنيســـة أورشليم كثرت وتنوعت ، ولا حاجة بنـــا لقبولها جميعـــا ، ولكن الحقيقـــة الاساسية وهى أن يعقوب كان دون جدال يشغل المنصب الذى لم يجرؤ على منافسته فيه أحد ، وهو رياسـة كنيسة أورشليم .

يعقوب ويسوع :

أن تغييرا كهذا حدث فى حياة يعقوب يتطلب تفسيرا . فما الذى غير يعقوب خصم المسيح الى يعقوب رئيس كنيسة أورشليم ؟ وفى النهاية شهيد المسيح ؟ ! (١) قد نجد تفسيرا لذلك التغيير فى عبارة وجيزة وردت فى العهد الجديد ذاته ، ففى كورنثوس الاولى والاصحاح الخامس عشر يعدد بولس الاشخاص الذين ظهر لهم المســـيح بعد القيامة ، ثم نجد هــــذه الكلمات : « وبعد ذلك ظهر ليعقوب » (١ كورنثوس ١٥ : ٧) . وهناك ايضا اشارة غريبة عن يعقوب وردت فى (انجيل العبرانيين) الذى يعد من أقدم الاناجيل والذى لم يدرج ضمن كتب العهد الجديد ، وأننا نستطيع أن نحكم مما تبقى منه أنه ذو قيمة عظيمة .

فى ذلك الانجيل وردت الفقرة التالية ، وقد وصـــلت الينا عن طريق جيروم : « وعندما أعطى الرب قطعة الكتان الى عبد رئيس الكهنة ذهب فى الحال الى يعقوب وظهر له (لان يعقوب كان قد حلف أن لا يأكل خبزا مـــن

تلك الساعة ــ حيث انه قد شرب من كأس الرب ــ حتى يرى يسوع المقام من الاموات) ، وبعد قليل قال الرب « أحضروا لى منضدة وخبزا » وبعد أن أحضروهما « اخذ خبزا وبارك وكسر واعطى ليعقوب العادل وقال له : « أخى ، خذ كل خبزى لان ابن الانسان قد قام من بين الراقدين » .

وبالرغم مما فى هذه الفترة من صعوبات ، الا أن بدايتها تظهر بأن يسوع بعد أن قام من الاموات وخرج من القبر اعطى الكتان الذى كان قد كفن به الى عبد رئيس الكهنة ، وذهب لمقابلة أخية يعقوب . وهى تتضمن ايضا أن يعقوب كان حاضرا فى العشاء الاخير . ومع أن الفقرة غامضة بعض الشىء الا أن هناك شيئا واضحا بها ، وهو أن شيئا ما ، فى حياة يسوع وخاصة فى الايام والساعات الاخيرة من حياته على الارض . قد أثر فى قلب يعقوب حتى أن يعقوب قد اقسم أن لا يأكل خبزا حتى يقوم يسوع ، ولذا فان يسوع جاء اليه ليؤكد له قيامته التى كان يعقوب يتوقعها . فاجتماع المسيح المقام ويعقوب شىء مؤكد ، وان كنا لا نعرف ما دار فى تلك المقابلة الشخصية . ولكننا نعرف بعدها أن يعقوب تحول من شخص معارض ومعاند ليسوع الى يعقوب الخادم للمسيح طوال حياته وشهيد المسيح .

يعقوب شهيد المسيح :

ان التقليد يؤكد لنا باستمرار استشهاد يعقوب ، ولكن بالرغم من أن روايات ظروف موته تختلف ، الا أن حقيقة استشهاده تظل ثابتة .

ان رواية يوسيفوس المؤرخ اليهودى مختصرة جدا وهى تقول : « واذ كان حنانيا يظن انه قد واتته الفرصة الملائمة ، لان فستوس كان قد مات ، والبينوس لم يكن قد وصل بعد ، عقد مجلسا قضائيا أحضر فيه أخا يسوع الذى يدعى المسيح ــ وكان اسمه يعقوب ، وأحضر معه آخرين وذلك بتهمة كسر الناموس ،وقد سلموا جميعا للرجم بالحجارة » .

كان حنانيا رئيس كهنة يهودى ، وكان كلٌ من فستوس والبينوس والبين على فلسطين . ومغزى الرواية أن حنانيا قد انتهز الفترة القصيرة ، ما بين موت احدهما ومجىء الثانى ليخلفه ، لكى يقضى على يعقوب وبعض القادة

الآخرين للكنيسة المسيحية .

وهذه حقيقة تتفق مع ما نعرفه عن شخصية حنانيا . وهذا يعنى أن استشهاد يعقوب قد حدث سنة ٦٢ م .

ولكن هناك رواية أخرى وردت فى التاريخ الذى دونه هيجيسيبوس أن الحوادث التاريخية التى دونها هيجيسبيوس نفسه قد فقدت ، ولكن روايته عن موت يعقوب قد حفظها لنا ايوسيبيس (التاريخ الجامعى ٢ : ٢٣) ، ومع انها مطولة ، الا اننا يجب أن ننقلها بنصها للحوادث المثيرة التى تحتوى عليها. الى الكنيسة والرسل الذين خلفوا أخا الرب ، يعقوب . والذى يلقب من وقت الرب الى يومنا هذا ، « بيعقوب العادل » ، حيث أن كثيرين كانوا يلقبون بهذا الاسم (يعقوب) . لقد كان مقدسا من بطن أمه ، وخمرا ومسكرا لم يشرب ، ولا أكل لحما ، ولم يعل موسى رأسه ، ولم يدهن نفسه بزيت . وقد سمح له بدخول القدس لانه لم يلبس صوفا بل كتانا . ودخل الهيكل وحده وكان يركع على ركبتيه ليطلب الغفران للشعب حتى أن ركبتيه من طـــول الركوع أمام الله وطلب الغفران للشعب قد تورمتا . وبسبب حياة البرارة التى سلكها لقب بالعادل والبار وحامى حمى الشعب .

ولذلك فقد سأله فريق من الشعب من بين السبعة مذاهب قائلين له : « من هو يسوع ؟ » فأجاب بأنه المخلص فقبل بعضهم الايمان بأن يســـوع هو المسيح . وأما السبعة مذاهب السابق ذكرها فلم يكن أحد من أتباعها يؤمن بالقيامة أو بأى شخص آخر يعطى كل واحد كما يكون عمله ، لكن ان كان أحد قد آمن بيسوع فذلك يرجع الى كرازة يعقوب . وبسبب ايمان كثير من الحكام سرت شبه ثورة بين اليهود والكتبة والفرنسيين لانهم قالوا انـــه يوجد خطر متزايد من قبول الشعب من الانسياق وراء يســـوع مؤمنا بأنه المسيح ، فنرجوك أن تحرضهم ضد يسوع عندما يأتون فى يوم الفصح ، لان كلمتك مسموعة ، ونحن نشهد لك بأنك عادل ولا تحابى بالوجوه ، قف على جناح الهيكل حتى تكون ظاهرا للجميع ويمكن لهم أن يسمعوك بوضوح ، لان الجميع قادمون بسبب الفصح » ولذلك فان الكتبة والـــفريسيين قد وضعوا يعقوب على جنـــاح الهيكل وقالوا له : يا يعقوب العـــادل ، يامن يجب أن نسمع له ، حيث أن الشعب قد ضل وراء يسوع المصلوب ، اخبرنا من هـــو

يسوع ؟ » ، فأجاب يعقوب بصوت عال : « لم تسالونني عن ابن الانسان ؟ انه جالس فى السماء عن يمين العظمة ، وسوف يأتى فى سحب السماء » .

وعندما اقتنع كثيرون ، وأعطوا مجدا لله من أجل شهادة يعقوب ، وقالوا « أوصانا بن داود » قال الكتبة والفريسيون بعضهم لبعض : « لقد اخطأنا فى ان نجعل شخصا كهذا يقدم هذه الشهادة للمسيح ، ولكن لنذهب ونلقيه الى أسفل حتى يخاف الشعب ولا يؤمنوا بيسوع » وصاحوا قائلين : « آه . . حتى العادل قد ضل » ، وبذلك تمت فيهم نبوة اشعياء « قولوا للصديق خير ، لانهم يأكلون ثمر افعالهم » (اشعياء ٣ : ١٠) « وقاموا والقوا به الى الارض ، وقال بعضهم لبعض « لنرجم يعقوب العادل » ، واخذوا يرجمونه ، لانه لم يكن قد مات بسبب القائه ولكنه قام وركع وصلى قائلا : « اطلب اليك يا الله الآب أن تغفر لهم لأنهم لايدرون ماذا يفعلون» ، وبينما كانوا يرجمونه صاح احد الكهنة — هو من أبناء راحاب ابن راحابيم المذكور فى نبوة ارميا — صاح قائلا : « كفوا . . ماذا تعملون . . أن العادل يصلى من أجلكم » .

ثم اخذ الواقفين عصاه وضرب بها يعقوب على راسه ، فأسلم الروح ، ثم دفنوه هناك فى نفس البقعة بجوار الهيكل . لقد كان شاهدا أمينا للمسيح أمام اليهود واليونانيين . وبعد استشهاده جاء حصار فاسباسيان » .

ان الجملة الأخيرة من حديث هيجسيبوس ترينا أن تاريخ موت يعقوب حسب روايته تختلف عن رواية يوسيفوس ، فيوسيفوس يقول ان يعقوب استشهد سنة ٦٢ م ، ولكن اذا كان استشهاد يعقوب قبل حصار فاسباسيان فتاريخ استشهاده يكون حوالى سنة ٦٦ م .

قد تكون كثيرا من الحوادث التى تلاها هيجيسيبوس خرافية ، ولكننا نستخلص منها شيئين هامين . أولهما ، أن الرواية نفسها تعد دليلا على استشهاد يعقوب . وثانيهما ، أنه حتى بعد أن أصبح يعقوب مسيحيا ، فانه ظل فى ولاء تام للناموس حتى أن اليهود اعتبروه واحدا منهم .

والحق ، ان يعقوب كان كذلك ، واننا نلاحظ ذلك عندما جاء بولس

الى اورشليم مع رفقائه الى الكنيسة هنـــاك (اعمال ٢١ : ١٨ ـــ ٢٥) . لأننا رأينا كيف أن يعقوب قد حث بولس الا يتحـدى الناموس بل ينفق على الرجال الذين كان عليهم النذر .

اخو الرب :

قبل الانتهاء من دراسة شخصية يعقوب ، يبقى لنا سؤالا يجدر الاجابة عليه . ففى غلاطية (١ : ١٩) يتكلم بولس عن يعقوب كأخى الرب ، وفى متى (١٣ : ٥٥) ومرقس (٦ : ٣) نجـد يعقوب ضمن اخوة يسوع ، وفى اعمال (١ : ١٤) لم يذكر اى أسماء الا أنه مكتوب أن اخوة يسوع كانوا من اتباع المسيح فى الكنيسة الاولى . والسؤال المطـــروح للبحث الآن هو : ما المقصود بكلمة اخ ؟ .

ان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تعلق اهميـة كبرى على الاجابة عن هذا السؤال . وكذلك القسم الكاثوليكى من الكنيسة الانجيلكانية .

فقد كان هذا السؤال مثار جدل فى الكنيسة منذ وقت جيروم .

هناك ثلاثة نظـــريات بخصوص صلة هؤلاء الاخوة بيسوع ، سوف نستعرضها هنا جميعها .

نظرية هيرونيميان :

ان نظرية هيرونيميان تستمد أسمها من جـيروم الذى يعنى فى اليونانية (هيرنيموس) ، فهـو صاحب هذه النظرية اذ أنهـا لم تظهر من قبـــل جيروم . ان هذه النظرية تعلن أن اخوة يسوع فى الواقع أبناء خالته ، وترجع اهمية النظرية فى أن الكنيسة الرومانية الـكاثوليكية تعتبرها مادة من مواد الايمان ، وتأخذ بها . قدم جيروم هذه النظرية سنة ٣٨٣ ، ولكى يسهل علينا فهمها سنفصلها فى نقاط متتابعة .

١ ـــ ان يعقوب أخا ربنا مذكور ضـمن الرسل . فبـولس يقول : « ولكننى لم أر غيره من الرسل الا يعقـوب أخا الرب » (غلاطية ١ : ١٩) فهنا نجد الدليل على أن يعقوب رسول .

٢ — يصر جيروم على أن كلمة رسول لا تطلق الا على الاثنى عشر وأن لقب رسول يقتصر عليهم وعليهم وحدهم .

فان كان الأمر كذلك فيجب أن يكون يعقوب من بين الاثنى عشر . ولا يمكن أن يكون يعقوب اخا يوحنا وابن زبدى الذى بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، كان قد استشهد وقت كتابة بولس لما ورد فى (غلاطية ١ : ١٩) وبمقارنة (أعمال ١٢ : ٢) بذلك نجد أنه لابد اذن أن يكون هو يعقوب بن حلفى ، واذا فيعقوب أخو الرب ويعقوب بن حلفى هما اسمان لشخصية واحدة .

٣ — ويستمر جيروم فى عرض نظريته نيخبرنا بأن (مرقس ٦ : ٣) يقول : « أليس هذا هو ابن النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسى » ، وفى (مرقس ١٥ : ٤٠) نجد بجوار الصليب مريم أم يعقوب الصغير ويوسى . فيعقوب الصغير اذن أخو يوسى وابن مريم ،ويجب أن يكون لذلك هو نفس يعقوب المذكور فى مرقس (٦ : ٣) . ويعقوب المذكور فى مرقس (٦ : ٣) هو يعقوب أخو ربنا ، ولذلك فجيروم ينادى بأن يعقوب أخا ربنا ويعقوب ابن حلفى ويعقوب الصغير أسماء مختلفة لشخصية واحدة .

٤ — ويأتى جيروم الى نهاية جدله فيعمل تعديلا فى قائمة السيدات اللاتى كن عند صلب المسيح وسنذكر الآن قائمة بهؤلاء السيدات حسب كتاب الأناجيل الذين ذكروهن ، ففى (مرقس ١٥ : ٤٠) يذكر أن تلك القائمة هى :

مريم المجدلية أم يعقوب ويوسى وسالومة .

ويذكر (متى ٢٧ : ٥٦) القائمة كما يلى :

مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وأم ابنى زبدى .

وأما فى (يوحنا ١٩ : ٢٥) فالقائمة كما يأتى :

أم يسوع واخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية .

والآن نجد بالتأمل فى تلك القوائم أن مريم المجــدلية مذكورة فى جميع القوائم بالاسم وأيضا ســـــالومه وأم ابنى زبدى . ولكن قائمة يوحنا تثير جدلا ، فكم من النساء مذكور فى تلك القائمة ثلاث أم أربع ؟ هل يمكن قراءة القائمة هكذا :

(١) أم يسوع
(٢) أخت أم يسوع
(٣) مريم زوجة كلوبا
(٤) مريم المجدلية . أم نقرأ القائمة هكذا :

(١) أم يسوع (٢) أخت أم يسوع مريم زوجة كلوبا «٣» مريم المجدلية . ان جيروم يصر على أن القراءة الثانية صحيحة ، وأن هناك ثلاث نساء فقط ، وان أخت أم يسوع هى نفسها مريم زوجة كلوبا . فان كان الأمر كذلك ، فتكون أخت أم يسوع هى نفسها مريم أم يعقوب ويوسى المذكورة فى باقى البشائر . ويعقوب هذا هو نفسه يعقوب الصغير ، ويعقوب بن حلفى ويعقوب الرسول أخو ربنا أو هكذا اشتهر .

وهذا يعنى أن يعقوب هو ابن أخت مريم أى ابن خالة يسوع .

هذا هو رأى جيروم ، ويمكن أن يوجه اليه أربعة انتقادات :

أ — أن يعقوب يذكر مرارا وتكرارا على انه أخو يسوع أو أنه يعد دائما من أخوة يسوع . وكلمة أخ تعنى دائما فى اليونانية « adelphos » ، صحيح أنه يمكن اطلاق كلمة « adelphis » على من يعيشون فى رابطة متينة معا كأخوة كما يسمى المسيحيون الواحد منهم الآخر بكلمة أخ وصحيح أن الكلمة يمكن أن تكون تعبيرا عن المودة ، فقــد ندعو شخصا تربطنا به رابطة قوية بكلمة أخ . ولكن عندما تستعمل الــكلمة عن علاقة جسدية أى صلة قرابة دم ، فمن غير المحتمل أن يكون التعبير القصد به «ابن خالة» أو « ابن عم » ، فلو كان يعقوب ابن خالة يسوع ، فمن غير المحتمل بل من المستحيل أن يدعى أخا يسوع .

٢ ـــ ان جيروم كان مخطئا فى ادعائه بأن كلمة « رسول » لا تطلق الا على الاثنى عشر فقد كان بولس رسولا (روميه ١ : ١ ، ١ كورنثوس ١ : ١ ، ٢ كورنثوس ١ : ١ ، غلاطية ١ : ١) وكان برنابا رسولا (أعمال ١٤: ١٤ ، ١ كورنثوس ٩ : ٦) ، وسيلا كان رسولا (أعمال ١٥ : ٢٢) ، وكذلك كان اندرونكوس ويونياس رسولين (روميه ١٦ : ٧) فمن الخطأ اطلاق كلمـــة « رسول » على الاثنى عشر فقط ، وحيث ان الامر كذلك فلا داع لأن يكون يعقـــوب أخو الرب ضمن الاثنى عشر ، وهـــذا وحـــده كفيل بدحض نظرية جيروم .

٣ ـــ ان قائمة النســاء المذكورة فى (يوحنا ١٩ : ٢٥) أكثر احتمالا أن تكون أربع نســاء من ان تكون ثلاث فقط ، لأنه اذا كانت مريم زوجة كلوبا هى حقا أخت مريم أم يسوع ، فهذا يعنى ان أختين فى عائلة واحدة تحملان نفس الاسم ، وهذا أمر بعيد الاحتمال .

٤ ـــ ثم ان الكنيســة لم تعرف شيئا عن هذه النظـــرية حتى أبرزها جيروم سنة ٣٨٣ م ، وانها لم تظهر الا لتدعيم الاعتقاد بدوام عذراوية مريم ، فالنظرية أساسها أن مريم لم يكن لهـــا أطفال سوى يسوع .

وبالرغم من أن هذه النظرية هى العقيـــدة الرسمية للكنيســة الرومانية الكاثوليكية ، وبالرغم من أن بعض البروتستانت يتمسكون بها ، الا انهـــا لا تقوم على حقائق ثابتة .

نظرية ابيفانس :

ان النظرية الثانية الخاصة بالعلاقة بين يسوع واخوته تسمى نظرية (ابيفانس) وهى تنادى بأن أولئك الذين يدعون « أخوة يسوع » ليسوا سوى أخوة غير أشقاء، وانهم أبناء يوسف من زواج سابق . وهى تنسب لأبيفانس الذى اكدها سنة ٣٧٠ م . ان أبيفانس ليس واضع هذه النظرية التى تحمل اسمه ، انها قد وجدت من قبل ، بل يمكن القول انها تمثل الرأى السائد فى الكنيســة الأولى .

وأساس هذه النظرية يوجد فى كتاب من كتب الابوكريفا أى الاسفار الغير قانونية ، وهو « سفر يعقوب » أو كما يسمونه Protevangelium ويرجع تاريخه الى منتصف القرن الثانى . وقد ذكر فى هذا السفر أنه كان يوجد زوجان مكرسان لله هما يهوياقيم وحنه ، وكان حزنهما عظيما لأنهما لم يرزقا أطفالا ، ولكنهما سرا سرورا عظيما عندما ولد لهما طفل فى مقتبل العمر ، وكما يبدو من القصة ، ولد هذا الطفل ميلادا عذراويا . وكان هذا الطفل بنتا سميت باسم مريم التى اصبحت فيما بعد أم يسوع .

ولقد نذر يهوياقيم وحنه بنتها للرب ، فلما وصلت الثالثة من العمر اخذاها الى الهيكل وتركاها هناك فى رعاية الكهنة ، ونمت البنت فى الهيكل ، ولما وصلت سن الثانية عشرة فكر الكهنة فى تزويجها فدعوا الرجال الذين سبق لهم الزواج ، واخبروا كل رجل منهم ان يحضر عصاه معه ، وكان بينهم يوسف النجار ، فأخذ رئيس الكهنة العصى وكانت عصا يوسف هى الأخيرة ، ولم يحدث شيء لباقى العصى ، أما عصا يوسف فقد طارت منها حمامة واستقرت على رأس يوسف . وهكذا عرف أن يوسف سيأخذ مريم كزوجة . كان يوسف فى أول الأمر غير راض من هذا قائلا : « أن لى أبناء وأنا رجل كبير ولكنها بنت صغيرة ، ولئلا أصبح مادة لسخرية فى عيون بنى اسرائيل » (سفر يعقوب ٩ : ٨) ، ولكنه أخذها فى نهاية الأمر اتماما لارادة الله ، وفى الوقت المناسب ولد يسوع . ان ما جاء فى هذا السفر خرافى طبعا ، ولكنه فى منتصف القرن الثانى أصبح نظرية شائعة تحمل اسم ابيفانس .

انا نقول عن تلك النظرية لأول وهلة ، انه ليس ثمة دليل مباشر لتدعيمها ، فاذا ما أيدت يكون ذلك من طريق غير مباشر .

فما هى اذن الأدلة الغير مباشرة من الوحى والتى يمكن أن تذكر لتدعيمها ؟ .

١ ـ قد يسأل احدهم هذا السؤال : هل كان يسوع يسلم أمه لرعاية يوحنا عند الصلب لو أن لها أبناء آخرين غيره (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧)

ويمكن اجابة على هذا السؤال ان نقول أن اخوة يسوع لم يكونوا على وفاق معه ولم يظهروا اى عطف عليه ، فلم يكن ممكنا والحالة هذه أن يسلم امه لرعايتهم .

٢ — يقولون ان تصرف أخوة يسوع معه كان بمثابة تصرف اخوة كبار نحو اخيهم الأصغر ، فقد قالوا انه مختل العقل وارادوا أن يأخذوه للمنزل (مرقس ٣ : ٢١ ، ٣١ — ٣٥) ولم يكن أخوته يؤمنون به بل كانوا فى عداء معه (يوحنا ٧ : ١ — ٥) . ولكن يمكن القول ان سلوكهم هذا نحوه يرجع لأنهم وجدوه مضايقا لعائلتهم ، بغض النظر عن فارق السن .

٣ — ثم يقول مؤيدو هذه النظرية ان يوسف كان أكبر من مريم ، ولذلك فلا نجد ذكره فى رواية الأناجيل بعدئذ ، فلابد اذن أنه مات قبل بداية كرازة يسوع . وقد ورد ذكر مريم فى عرس قانا الجليل مع عدم ذكر يوسف (يوحنا ٢ : ١) ، ويذكر يسوع أحيانا على أنه ابن مريم ، وهذا يوحى بأن يوسف مات ، وأن مريم اصبحت أرملة (مرقس ٦ : ٣) وقارن أيضا (متى ١٣ : ٥٥) . ثم أن اقامة يسوع الدائمة فى الناصرة حتى بلوغه الثلاثين من العمر (لوقا ٣ : ٢٢) يمكن تفسيره على أساس أن يوسف مات وأن يسوع اصبح مسئولا عن رعاية الأسرة ، ولكن حقيقة أن يوسف اكبر من مريم لا يمكن أن تتخذ برهانا على أنه لم يرزق بأطفال من مريم ، وحقيقة أن يسوع مكث فى الناصرة ، وعمل فيها كنجار ليعول العائلة تبين ان يسوع كان أكبر الأبناء وليس أصغرهم . ويضيف لايتفوت Lightfoot الى ذلك رأيين ، أولهما أن هذه النظرية هى نظرية التقليد المسيحى وثانيهما انه يدعى أن اى شىء بخلاف ذلك يعد متناقضا مع الفكر المسيحى .

ولكن هذه النظرية ونظرية هيرونيميان لهما أصل واحد . والغرض منهما تدعيم الاعتقاد بدوام عذراوية مريم . انهما من ميل الكنيسة لتمجيد حياة التبتل والرهبنة والاقلال من قيمة الحياة الزوجية . ليس ثمة دليل مباشر على صحة نظرية ابيفانس ولم يكن احد ليفكر فى نظرية كهذه لولا وجود فكرة دوام عذراوية مريم أم ربنا .

نظرية هلفيدس :

النظرية الثالثة بهذا الصـــدد تسمى النظرية الهيلفيديانية ، انها تقرر بكل بساطة ان اخوة يسوع واخواته هم كذلك بكل معنى الكلمة،انهم «اخوة رحم» حسب الاصطلاح المعروف اى انهم يشتركون فى نفس الرحم مع اختلاف الأب . ولا يعرف شيء عن هلفيدس هذا الذى تنسب اليه النظرية ، وكـل ما يعرف، عنه انه دون بحثا لتأييد هذه النظـــرية التى عارضها جـيروم بقـــوة .

فما هى اذن الأدلة التى تستند عليها ؟

١ ـــ يحق لنا القول ان اى شخص يقرأ العهـــد الجديد دون أن يكون مؤمنا بأفكار لاهوتية معينة ، لابد له أن يؤمن بصحة هذه النظرية ، فرواية العهـــد الجديد لا تشتمل على أى آراء أخرى بخصوص اخوة المسيح غـــير انهم أخوته وأخواته بكل معنى الكلمة .

٢ ـــ ان رواية الميـــلاد فى (متى) و (لوقا) توحى بأن مريم رزقت بأطفال آخرين . ففى متى نقرأ القول « فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنهـا البـــكر » (متى ١ : ٢٤ و ٢٥) فهذا ايحاء تام بأن يوسف بدأ علاقته الزوجية العادية مع مريم بعد ميـلاد يسوع . وقد استغل ترتليان هذه الفقرة ليثبت أن كـــلا من حياة التبتل والحياة الزوجية مقدسة فى المسيح على أساس أن مريم كانت عذراء فى البداية ثم أصبحت زوجة بكل معنى الكلمة . وقـــد استعمل لوقا فى حديثه عن ميلاد يسوع نفس العبارة . فولدت ابنها البكر .. (لوقا ٢ : ٧) فتسمية يســـوع بالابن البكر يوضح أنه كان هناك أطفال آخـرين بعـــده . فرواية الميلاد اذن فى متى ولوقا لا تؤيد الا الراى القائل ان أخـوة يسوع وأخواته هم أبناء يوسف ومريم .

٣ ـــ وكما ذكرنا سابقا ، ان بقـــاء يسوع فى الناصرة كنجـــــــــار القرية حتى بلوغه الثلاثين من العمر على الأقل يوضح ان لم يكن يثبت انه

كان الابن الأكبر الذى اخذ على عاتقـــــه مسئولية رعاية الاسرة بعد موت يوسف .«

نحن نؤمن أن اخوة يسوع وأخواته هم فى حقيقة الأمر أخوته وأخواته .» وأى نظرية أخرى خلاف ذلك منشؤها تمجيـــد التبتل واعتبار مريم عــذراء الى الأبد . ولكن من الافضل أن نؤمن بطهـــــارة الحياة العائلية من أن نؤمن بأن حياة العزوبة أحسن من الحيـــاة الزوجية القائمة على الحب المتبادل . ولذا ، فان يعقوب المدعو أخا ربنا ، هو فى الواقع أخو يسوع .

يعقـــوب كاتب الرسالة :

هل يعقوب أخو ربنا هو أيضا كاتب الرسالة ؟

كلما ازددنا بحثـــا فى كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها ، كلما وجدنا أنفسنا نجابه صعوبات جمة ، لأننا سنجد أن الآراء المؤيدة أن يعقوب أخا ربنا هو كاتب الرسالة تكاد تساوى الآراء المعارضة لأن يكون هو كاتبها . ولنحاول الآن أن تجمع الأدلة المؤيدة .

١ ــ لو أن يعقوب هذا كتب الرسالة فلابد أن تكون الرسالة عامة ، وهذا هو الحال بالنسبة للرسالة . ان يعقـــوب لم يكن كبولس رجل أسفار ومحافل مختلفة فقد كان يعقوب يترأس القسم اليهودى من الكنيسة ، ولابد اذن أن تكون الرسالة التى كتبها رسالة عامة لانهـــــا موجهة بنوع خاص لجميع اليهـــود المسيحيين .

٢ ــ كل ما فى الرسالة تقريبا مقبول لدى أى يهـــودى ارثوذكسى ، حتى أن كثيرين اعتقدوا بأن الرسالة من الآثار الأدبية اليهودية التى أفسح لهـــــا مكان فى العهد الجديد . يقول أ . هـ ماكنيل انه كثيرا ما تصادفنا فى الرسالة عبارات يمكن تأويلها لتناسب الفكر اليهودى ، كمـــا يمكن تفسيرها لتناسب العقيدة المسيحية .

فمثلا عبارة « الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » (١ : ١) يمكن أن يفهمها أى يهودى على أنها تخص اليهـــــود المشتتين فى العالم ، ويمكن أن

ان الصيغة اليهودية المضفاة على الرسالة تتفق تماما مع شخصية يعقوب .

٣ — هناك شيئان متشابهان فى كل من رسالة يعقوب ، وكتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم الى كنائس الامم . فكلاهما يبدأ « باهداء السلام » (يعقوب ١ : ١ ، أعمال ١٥ : ٢٣) ، والكلمة المستعملة هى «Chairein» وهى كلمة التحية المألوفة فى اليونانية التى يبدأ بها أى خطاب . ولكنها مع ذلك لم ترد فى اى مكان آخر من كتب العهد الجديد سوى فى بداية كتاب الامير الشاب (كلوديوس ليسياس) الى حاكم الولاية (أعمال ٢٣ : ٢٦) ، فهى حقيقة غريبة نوعا ما أن نجد أن وثيقتين فقط من وثائق العهد الجديد هما اللتان تستعملان نفس البداية وكلاهما ترتبط باسم يعقوب والتشابه بينهما هو انه فى (أعمال ١٥ : ١٧) توجد عبارة وردت فى كتاب الرسل والمشايخ يتكلم فيها عن الاميين « الذين دعى اسمى عليهم » . ولا تتكرر هذه العبارة مرة أخرى فى العهد الجديد سوى فى ايعقوب ٢ : ٧) حيث وردت عبارة « الاسم .. الذى دعى به عليكم » ، ومع اختلاف العبارتين فى الطبعة الامريكية الا ان العبارة الواردة فى اليونانية فى كلتا الحالتين واحدة . فمن الغريب أن نجد فى كتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم عبارتين لم تردا سوى فى رسالة يعقوب ، وأن هذا الدليل بأن كتاب أورشليم قد كتبه يعقوب، وبالتالى فهو دليل أيضا على أن رسالة يعقوب قد كتبها يعقوب أخو ربنا ورئيس كنيسة أورشليم

ولكن هناك أدلة أخرى معارضة لفكرة كتابة يعقوب أخو ربنا للرسالة وهى :

١ — ان كان كاتب الرسالة هو أخو ربنا ، فاننا كنا ننتظر منه أن يشير الى تلك الحقيقة ، ولكن كل ما يدعو به نفسه هو « عبد الله والرب يسوع المسيح » (١ : ١) ، فلو أشار يعقوب الى أنه أخو ربنا لكان فى ذلك ، تدعيم للرسالة وليس لمجده الشخصى على الاطلاق . لو أشار يعقوب الى ذلك لكان فى تلك الاشارة تأكيد لاهمية الرسالة خارج فلسطين ، فى بلاد لا

رسالة يعقوب تمثل مسيحيـــة كانت فى بداية عهدها ، وهـــذا هو السبب فيما يأتى :

(أولا) نجد تكرار تعاليم العظة على الجبل فى الرسالة فيمكننا مرات كثيرة أن نقـــارن بين ما جاء فى (يعقـــوب ٢ : ١٢ ، متى ٦ : ١٤ و ١٥ ، يعقوب ٣ : ١١ ـــ ١٣ ، متى ٧ : ١٦ ـــ ٢٠ ، يعقـــوب ٥ : ١٢ ، متى ٥ : ٣٤ ـــ ٣٧) .

ان أى معتنق للمسيحية من اليهود يجد متعة كبيرة فى دراسة التعاليم الأدبية المتضمنة فى الايمان المسيحى .

(ثانيا) التناقض الظاهرى بين هذه الرسالة وبين تعاليم بولس .

فعند قراءة (يعقوب ٢ : ١٤ ـــ ٢٦) لأول وهلة يظهر لنا وكأن هـــذا الجزء هجوم صريح على المبادىء البولسية . فالرسالة تنادى انه « بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده » ، يظن لأول وهلة أن ذلك يناقض التعاليم التى ينادى بها بولس عن التبرير بالايمان . ولكن ما يهـــاجمه يعقوب هو الايمان الذى ليست له ثمار ادبية ، وأن أى شخص يتهم بولس بانه ينادى بايمان كهذا لا يمكن أن يكون قد قرأ رسائل بولس ، فرسائله مملوءة بالمطالبة بمثل هذه الثمار ، فيكفى أن تقرأ أصحاحا واحدا كرومية (١٢) مثـــلا لترى كيف أن بولس كان ينادى بايمـــان له الثمار المتكاملة . ان يعقوب قد مات سنة ٦٢ م . فلم يكن قد قرأ لذلك رسائل بولس ، لان تلك الرسائل لم تكن تقرأ على نطاق واسع فى كل أنحاء الكنيسة حتى سنة ٩٠ م على الأقل ، ولذا فهى لم تكن منتشرة وشائعة ، وقتئذ . ولذا فيبدو ان هجوم يعقوب هذا اما أن يكون موجهـــا ضد من أساءوا فهم قصـــد بولس او ضد تحريف ما قاله بولس . وليس هناك مكان يمكن أن يساء فيه فهم بولس أو تحريف ما قاله كاورشليم ، حيث اكد بولس مرارا وتكرارا أهمية الايمان والنعمة . هذا وان هجوم بولس على الناموس فى أورشليم ، كان لابد أن يثير كثـــيرا من سوء الفهم والشكوك أكثر من أى مكان آخر أيضا . فمن الأمور البعيدة الاحتمال أن يهـــاجم يعقوب بولس ، اذ ان ما يهاجمه يعقوب هو التفسير الخاطىء لأقوال بولس ، وليس هناك مكان آخر يلائم جو الرسالة أكثر من أورشليم .

ان الصيغة اليهودية المضفاة على الرسالة تتفق تماما مع شخصية يعقوب .

٣ ــ هناك شيئان متشابهان فى كل من رسالة يعقوب ، وكتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم الى كنائس الامم . فكلاهما يبدأ « باهداء السلام » (يعقوب ١ : ١ ، أعمال ١٥ : ٢٣) ، والكلمة المستعملة هى «Chairein» وهى كلمة التحية المألوفة فى اليونانية التى يبدأ بها أى خطاب . ولكنها مع ذلك لم ترد فى أى مكان آخر من كتب العهد الجديد سوى فى بداية كتاب الامير الشاب (كلوديوس ليسياس) الى حاكم الولاية (أعمال ٢٣ : ٢٦) ، فهى حقيقة غريبة نوعا ما أن نجد أن وثيقتين فقط من وثائق العهد الجديد هما اللتان تستعملان نفس البداية وكلاهما ترتبط باسم يعقوب والتشابه بينهما هو انه فى (أعمال ١٥ : ١٧) توجد عبارة وردت فى كتاب الرسل والمشايخ يتكلم فيها عن الاميين « الذين دعى اسمى عليهم » . ولا تتكرر هذه العبارة مرة أخرى فى العهد الجديد سوى فى ايعقوب ٢ : ٧) حيث وردت عبارة « الاسم .. الذى دعى به عليكم » ، ومع اختلاف العبارتين فى الطبعة الامريكية الا ان العبارة الواردة فى اليونانية فى كلتا الحالتين واحدة . فمن الغريب أن نجد فى كتاب الرسل والمشايخ فى أورشليم عبارتين لم تردا سوى فى رسالة يعقوب ، وأن هذا الدليل بأن كتاب أورشليم قد كتبه يعقوب، وبالتالى فهو دليل أيضا على أن رسالة يعقوب قد كتبها يعقوب أخو ربنا ورئيس كنيسة أورشليم

ولكن هناك أدلة أخرى معارضة لفكرة كتابة يعقوب أخو ربنا للرسالة وهى :

١ ــ ان كان كاتب الرسالة هو أخو ربنا ، فاننا كنا ننتظر منه أن يشير الى تلك الحقيقة ، ولكن كل ما يدعو به نفسه هو « عبد الله والرب يسوع المسيح » (١ : ١) ، فلو أشار يعقوب الى أنه أخو ربنا لكان فى ذلك ، تدعيم للرسالة وليس لمجده الشخصى على الاطلاق . لو أشار يعقوب الى ذلك لكان فى تلك الاشارة تأكيد لاهمية الرسالة خارج فلسطين ، فى بلاد لا

تعرف عن يعقوب شيئا يذكر . ان كان يعقـوب هذا هو أخو ربنا فمن المستغرب الا يشير الى هذه الحقيقة من طريق مباشر أو غير مباشر .

٢ — كنا ننتظر أيضا ان نجد فى الرسالة اشارة من يعقوب الى أنه رسول ، ان كان يعقوب أخو ربنا هو كاتب الرسالة . فليس من شك فى انه رسول . لقد كانت من عادة بولس ان يبدأ رسائله بالاشارة الى ذلك ؛ لان ذلك ليس مجدا شخصيا ، ولكنه تأكيد لاهمية ما يكتب وضمان لصحته . فان كان يعقوب هذا حقا هو أخو الرب ورئيس كنيسة اورشليم وواحد من الرسل، فاننا ننتظر منه اشارة على الاقل فى بداية الرسالة الى هذه الحقيقة .

٣ — ولكن اغرب من هذا كله ، والشىء الذى جعل لوثر يشك حيال ادراج الرسالة ضمن كتب العهد الجديد ، خلو الرسالة من اية اشارة الى يسوع المسيح ، فلم يرد ذكر المسيح فيها سوى مرتين مع عدم ذكر أية حوادث متعلقة بذلك (١ : ١ ، ٢ : ١) .

وليس فى الرسالة اشارة الى قيامة المسيح ، ونحن نعرف جيد المعرفة أن الكنيسة الاولى قد بنيت على أساس الايمان بالمسيح المقام . لو أن يعقوب هو كاتب الرسالة تكون الرسالة معاصرة للاحداث التى ذكرت فى سفر الاعمال ، وقد ذكرت القيامة فى سفر الاعمال بمسا لايقل عن ٢٥ مرة ، ومـا يزيد الامر دهشة هو أن يعقوب قد ظهر له الرب بعد القيامة وأن ذلك كان السبب فى تغيير اتجاه حياته . لابد ان يعقوب لم يكتب عن ظهور المسيح له لسبب خاص وشخصى . من المستغرب أن يكتب أى شخص شيئا فى ذلك الوقت عن تاريخ الكنيسة دون اشارة الى قيامة يسوع ، والاغرب من ذلك أن يكون ذلك الشخص هو يعقوب أخو ربنا .

ثم أن الرسالة لم تشر الى يسوع كالمسيا ان كان يعقوب رئيس القسم اليهودى من الكنيسة يكتب الى مسيحيين كانوا يهودا ، فاننا نعتقد أن غرضه لابد أن يكون تقديم المسيح لهم كالمسيا أو أن يبرز ايمانه بتلك الحقيقة على الاقل ، ومع ذلك فالرسالة خلو من كل هذا .

٤ — واضح أن كاتب الرسالة ملم المـاما تاما بالعهد القديـم ، ومن

المعروفة أيضا أنه يعرف « أدب الحكمة » جيد المعرفة ، وهذا ما لا غرابة فيه بالنسبة ليعقوب . ثم ان الرسالة تحوى ٢٣ اقتباسا من العظـــة على الجبل ، وهذا أمر عادى أيضا لانه حتى قبل كتابة الاناجيل كانت هناك أجزاء من العظة على الجبل متداولة بين الناس . قال بعضهم انه لابد أن يعقوب قد اطلع على رسائل بولس الى اهل رومية وغلاطية حتى انه استطاع أن يكتب ما كتب عن الايمان والاعمال ، وقيل ايضا وهذا حق ان اليهودى الذى لم يخرج عن نطاق فلسطين والذى قد مات سنة ٦٢ م لا يمكن أن يكون قد قرأ تلك الرسائل ، ولكن كما رأينا فانتقاد يعقوب لتعاليم بولس لا يمكن أن يصدر الا عن شخص لم يقرأ رسائل بولس ثم أنه من ناحية اخرى يعالج اما سوء فهم أو تحريف للرسائل البولسية ، ولكن ما ورد فى (١ : ١٧) « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة » مقتبس من قصيدة يونانية وواضح أنها اقتباس من احد شعراء اليونان ،والعبـــارة الواردة فى (٣ : ٦) « دائرة الكون » مأخوذة أيضا من الاساطير القديمة . فكيف استطاع يعقوب الذى لم يخرج عن نطاق فلسطين أن يقتبس اقتباسات كهذه ؟

فهناك اذن أشياء يصعب فهمها اذا كنا نريد ان نقتنع بأن يعقوب أخا ربنا هو الكاتب لتلك الرسالة .

وقلنا قبل ذلك انه عند فحص الادلة بخصوص كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها ، نجد أنفسنا أمام وجهتى نظر متباينتين ، وكل وجهة لها أدلتها التى تدعمها ، ولذا فاننا سنترك الموضوع قليلا ، لنحـــاول الاجابة على اسئـــلة أخرى بخصوص الرسالة .

تاريخ كتابة الرسالة :

عندما نتجه للكتابة عن تاريخ الرسالة نجد نفس هذا التباين ، فمـــن الممكن أن يقال ان الرسالة قديمة الاصل ومن الممكن ان يقال أيضا انها ظهرت مؤخرا . فلنفحص الادلة اذن بخصوص الرأيين .

١ ـــ فى وقت كتابة يعقوب للرسالة ، كان توقـــع مجىء الرب الثانى على أشده (٥ : ٧ ـــ ٩) ، حقا أن انتظار المجىء الثانى لم يفارق الكنيسة أبدا ، ولكنه ضعف الى حد ما بعد ذلك حتى انه لم يصبح الفكر الشاغل

للكنيسة كما كان من قبل . ولذا فعلى هـذا الاساس يمكن أن يقـال ان الرسالة ظهرت فى وقت مبكر من تاريخ الكنيسة .

٢ ــ فى الاصحاحات الاولى من سفر الاعمال وفى رسائل بولس نجد مادار من نزاع وجدل حول قبول الامم فى الـكنيسة على أساس أن الايمان والنعمة وحدهما لايكفيان لقبول الأمم فى الكنيسة ، ولكن بعد مضى الـوقت لم يعد قبول الامم بالامر الذى يحتاج الى معركة حاميـة الوطيس ، وكان اليهود يتبعون بولس اينما سار . ولكننا لا نجد فى رسالة يعقوب ظلا لهذا النزاع بين الامم واليهود ، وهذا شىء مستغرب عندما نتذكر أن يعقوب أخا ربنا قام بدور هام فى تصفية النزاع بين الامم واليهود فى مجمع أورشـليم (أعمال ١٥) ، ومن هنا نستنتج أنه اما أن تكون الرسالة قد كتبت فى وقت مبكر جدا قبل ظهور هذا النزاع أو فى وقت متأخر بعد اخماد جذوة النزاع ، وبعد أن صار دخول الامم الى الكنيسة أمرا عاديا ان عدم ذكر اى شىء عن هذا الجدل بين الامم واليهود ممكن أن يؤخذ على محملين ، فهذا يعنى أن الرسالة قد كتبت اما فى وقت مبكر أو متأخر .

٣ ــ هناك دليل مأخوذ من نظام الكنيسة الوارد بين ثنايا السطور فى الرسالة . فمكان اجتماع الكنيسة كان يسمى بالمجمع « Sunagogé » (٢ : ٢) ؛ وهذا يشير الى وقت مبكر فى تاريخ الكنيسة ، لان اجتمـــاع المسيحيين بعد ذلك كان يسمى « الكنيسـة » « ekklésia » ، لان التعبير اليهودى كان قد أبطل . « وشيوخ الكنيسة » مذكورين فى الرسالة (٥ : ١٤) ، ولكن لم يرد ذكر شمامسة أو أساقفة ، وهذا أيضا يعنى وقتا مبكرا لان اقامة الشيوخ كان نظاما يهوديا قبل أن يصبح طقسا مسيحيا . وقد أظهر يعقوب استياءه لوجود معلمين كثيرين (٣ : ١) .

وهذا يدل على وقت مبكر قبل أن تنظم الكنيسة طرق الخدمة المختلفة ، أو قد تعنى بالمثل وقت متأخر حين كثر المعلمون الكذبة المضلين فى الكنيسة ولكن هناك حقيقتان أساسيتان ممكن أن تعنيا أن رســالة يعقوب قد كتبت فى وقت متأخر . فالرسالة كما رأينا تكاد تخلو من ذكر اسم المسيح . اذ أن موضوع الرسالة ينصب فى الواقع على أخطاء وعثرات وضعفات ونقص أعضاء الكنيسة .

وهذا يبين بوضوح أنها كتبت فى وقت متأخر . فقد كان التبشير فى أول عهد الكنيسة مليئا بالحماسة عن قوة ومجد المسيح المقام ، ولكنه بعد ذلك — كما هو الحال اليوم — يهاجم نقصات وعثرات اعضاء الكنيسة .

والحقيقة الثانية هى مهاجمة الاغنياء (٢ : ١ — ٣ ، ٥ : ١ — ٦) فظاهر من الرسالة أنه من ضمن المشاكل البارزة فى الكنيسة وقتئذ مشكلة زهو الاغنياء وتعاليهم على الفقراء . وفى بداية عهد الكنيسة لم يكن هناك اغنياء أو قل قلة منهم (١ كورنثوس ١ : ٢٦ و ٢٧) .

ورسالة يعقوب كما يبدو تتعامل مع كنيسة تهددها الروح العالمية بين اعضائها ،وذلك حدث فى وقت متأخر منتاريخ الكنيسة ، وهذا يرجح أن تكون الرسالة قد كتبت فى وقت متأخر من تاريخ الكنيسة .

مبشرو العالم قديما :

أين مكان تلك الرسالة ومكانة كاتبها بالنسبة للعالم وقت كتابتها ؟ تنسب العظات غالبا للكنائس المسيحية ، ولكن العظات لم تظهر فى بادىء الامر فى الكنيسة المسيحية . فتاريخ العظة يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ الهلينى (اليونانى القديم) واليهودى . وعند مقارنة رسالة يعقوب بعظات الهلينيين واليهود نجد تشابها بينهما .

١ — لنتأمل أولا فى معلمى اليونان وعظاتهم . فالفيلسوف اليونانى المتجول كان شيئا مألوفا لديهم .قد يكون الفيلسوف رواقيا أو من المنادين بضرورة حرمان النفس من اللذات الحسية . وقد كان هؤلاء الفلاسفة أو المعلمون يذهبون الى حيث يتجمع الناس ليدعونهم للفضيلة .

ويمكن أن تجدهم على نواصى الشوارع أو فى الميادين العامة أو فى حلبات السباق أو المصارعة ، وأحيانا يخاطب الواحد منهم الامبراطور ،ويبخا اياه على تنعمه وعلى طغيانه داعيا اياه للفضيلة والعدالة . فقد كان الواعظ القديم ، الفيلسوف المرسل ، ظاهرة مألوفة فى ذلك العهد الغابر . لقد كان

هناك وقت كانت الفلسفة فيه قاصرة على مدارس معينة ، ولكن صـوت الفلسفة صار بعدئذ يسمع يوميا وسط زحمة الناس وضجيجهم وفى مكان البيع والشراء . وقد كانت عظات هؤلاء الفلاسفة تمتاز بصفات معينة . فقد كانت طريقة عرض العظات دائما واحدة وهى الطريقة التى اثرت على بولس فى تقديمه للانجيل ، وعلى يعقوب أيضا . هناك بعض الصفات التى تميز عظات هؤلاء المبشرين القدامى لنرى كيف أنها تشـابه ما ورد فى رسـالة يعقوب ثم لنفكر أيضا فى الطريقة التى يكتب بها بولس للكنائس . ان الغرض الرئيسى لمعلمى الاغريق القدامى لم يكن اكتشاف حقائق جديدة ، بل تنبيه الخطاة ليعرفوا خطأ طرقهم التى يسلكونها ولتذكيرهم بالحقائق التى يعرفونها ولكنهم قد أهملوها عمدا أو نسوها . لقد كان هدفهم تعريف الناس بالحياة الفضلى برغم الانحلال الذى يعيشون فيه ونسيانهم للآلهة .

١ ــ كانوا كثيرا ما يعقدون محادثات وهمية مع خصوم وهميين . فقد كانوا يتحدثون بشكل حوار مقتضب ، ويستخدم يعقـوب أيضا هـذه الطريقة فى (٢ : ١٨ ، ٥ : ١٣) .

٢ ــ كانوا ينتقلون عادة من جزء من العظة الى جزء آخـر أو من موضوع الى آخر عن طريق تقديم سؤال يمهد للموضوع الجديد . ويعقوب يفعل ذلك أيضا كما فى (٢ : ١٤ ، ٤ : ١) .

٣ ــ كانوا يحبون القاء الاوامر التى يطلبون فيها من سامعيهم تجنب الاخطاء واتباع طريق الصواب . توجد فى رسالة يعقوب ١٠٨ أعداد . منها ما يقرب من ٦٠ أمر .

٤ ــ كانوا أيضا مغرمين بالقاء الاسئلة الايحائية الى سـامعيهم . ويعقوب يستخدم تلك الاسئلة (٢ : ٤ و ٥ ، ٢ : ١٤ ــ ١٦ ، ٣ : ١١و١٢، ٤ : ٢٤) .

٥ ــ كانوا يوجهون كلامهم الى نفر من السامعين . وهكذا وجـه يعقوب كلامه الى التجار لتكالبهم على الربح ، وكـذلك للاغنيـاء المتكبرين

(٤ : ١٣ ، ٥ : ٦) .

٦ — كانوا أحيانا يجسمون الفضائل والرذائل ، كالخطية والنعمة ، كما نجد فى يعقوب حيث يجسم الخطية (١ : ١٥) والرحمة (٢ : ١٣) ، والغنى (٥ : ٣) .

٧ — كانوا يثيرون التفات السامعين بصياغة صور وتشبيهات من واقع الحياة كصورة اللجام والدفة والنار التى تشتعل فى الغابة (٣ : ٣ — ٦) ثم يستخدم يعقوب ايضا التشبيه المستمد من الفلاح الذى يكدح بصبر(٥:٧)

٨ — كانوا يقدمون للسامعين أمثلة حية عن رجال ونساء مشهورين كمثل أعلى . وهكذا ايضا يعقوب يقدم مثل ابراهيم (٢ : ٢١ — ٢٣) ، وراحاب (٢ : ٢٥) ، وأيوب (٥ : ١١) ، وايليا (٥ : ١٧) .

٩ — لقد كانت عادة قدماء الوعاظ أن يبدأوا عظاتهم ببعض المتناقضات التى تجذب التفات السامعين ، وذلك بعبارة غريبة تجعلهم يصيخون السمع وكان يعقوب يعمل كذلك ، حين قال اننا يجب أن نحسبه كل فرح حين نقع فى تجارب متنوعة (١ : ٢) ، وبالمثل كان قدامى المبشرين يشيرون الى الصلاح الحقيقى بعبارات غير مألوفة فى عصرهم . وهكذا فان يعقوب يصر على وجوب اتضاع الاغنياء حتى يكونوا سعداء (١ : ١٠) ، وقد استخدموا أيضا سلاح التهكم كما استخدمه يعقوب أيضا (٢ : ١٤ — ١٩ ، ٥ : ١ — ٦) .

١٠ — كان المبشرون فى العهود الغابرة يتكلمون الى السامعين بقسوة وغلظة ، وهكذا يخاطب يعقوب قارئه بالقول : « ايها الانسان الباطل » ويدعو مستمعيه بالزنا والزوانى (٢ : ٢٠ ، ٤ : ٤) . لقد استخدم الوعاظ القدامى سياط الاسلوب الجارح ، وهكذا يعقوب أيضا .

١١ — كان للمبشرين القدامى أنماط معينة يبنون على اساسها عظاتهم.

(أ) فكانوا ينهون حديثهم بنوع من المقارنة بين الخطأ والصواب ، ونجد أن يعقوب يتبع تلك الطريقة (٢ : ١٣ ، ٢ : ٢٦) .

(ب) كانوا يصلون الى الهدف عن طريق سؤال فاحص يوجه للسامعين

وهكذا يعقوب أيضا (٤ : ١٢) .

(ج) كانوا يقتبسون بعض الاقوال فى عظاتهم ، وينهون النقاش بسرد اقتباس أخير ، وهذا ما كان يفعله يعقوب أيضا (٥ : ٢٠ ، ١ : ١١ و ١٧ ، ٤ : ٦ ، ٥ : ١١) .

حقا اننا لا نجد فى رسالة يعقوب التوبيخ العنيف أو القسوة المرة أو المرح الزائد الذى استخدمه مبشرو الاغريق ، ولكن يعقوب استخدم معظم الأساليب التى كان يستخدمها وعاظ اليونان الاقدمين ليؤثروا فى نفوس وعقول السامعين .

١٢ ـ وقد كان لليهود ايضا تقليدهم الخاص فى الوعظ . فكان الوعظ على أيدى المعلمين فى المجامع ، وكان يشبه الى حد كبير وعظ فلاسفة الاغريق المتجولين . فقد كان فيه نفس الاسئلة البديهية ونفس القاء الاوامر ونفس الاستعارات والصور ونفس الاقتباسات وضرب الامثلة بأبطال الايمان . ولكن الوعظ اليهودى كان يمتاز بخاصة غريبة ، فقد كان هذا الوعظ غير متماسك أى انه لم يكن وحدة متصلة ، وقد كان ذلك بقصد فمعلمو اليهود كانوا يلقنون تلاميذهم الا يطيلوا التحدث فى أى موضوع ، بل ينتقلوا من موضوع الى آخر بسرعة حتى يضمنوا عدم تشتت فكر السامعين . ومن هنا كانوا يسمون الوعظ Charaz التى تعنى حرفيا (حبات المسبحة) ، فقد كانت العظة اليهودية عبارة عن سلسلة من الفضائل تترى الواحدة تلو الاخرى .

وهذا هو بالضبط ما نلمسه فى رسالة يعقوب ، فيصعب بل يستحيل ان تستخرج من الرسالة وحدة متماسكة متصلة ، فأجزاء الرسالة يعوزها الارتباط الذى يوحد بينها ويقول « جود سبيد » بهذا الصدد : « لقد شبه بعضهم الرسالة بسلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة ترتبط بما قبلها وبما بعدها وشبهها البعض الآخر بمسبحة . . . وقد لا تكون الرسالة سلسلة من الافكار المتصلة أو كحبات المسبحة المتتابعة بقدر ما هى حفنة من اللآلىء يتأملها القارىء واحدة فواحدة » .

ولذلك فلو تأملنا رسالة يعقوب من وجهة النظر الهلينية أو اليهودية ، فانها خير مثل للعظة القديمة . ومن هنا قد نجد المفتاح الذى تحتاج اليه لمعرفة كاتبها . لنتجة الآن للتساؤل عن كاتب الرسالة .

من هو كاتب رسالة يعقوب :

هناك خمسة احتمالات بخصوص ذلك .

١ — نبدأ اولا بنظرية (ميير) meyer التى أوضحها بالتفصيل منذ أربعين سنة تقريبا ، وقد أحياها « ايستون » فى مؤلفه « مفسر الكتاب المقدس » Interpreter's Bible تقول النظرية : انه قد جرت العادة قديما أن تنشر كتب كثيرة تحت أسماء مستعارة لعظماء الرجال فى الماضى ، فالأدب اليهودى فى الفترة ما بين العهد القديم والجديد حافل بكتب كهذه فهناك كتب تحمل أسماء مختلفة كموسى ، والاسباط الاثنى عشر وباروخ وأخنوخ واشعياء وكثيرين غيرهم . لقد أراد كثير من المؤمنين تشجيع وتقوية ايمان الناس فى ذلك الوقت ، فاودعوا ما يريدون أن يقولوه فى كتاب تحت أسماء أبطال الايمان ، وقد كان ذلك تقليدا معترفا به لدى اليهود ، ومن كتب الابو كريفا المشهورة كتاب « حكمة سليمان » الذى ينسب فيه كاتبه بعض الحكمة المستحدثة الى احكم الملوك ولنذكر ثلاثة أشياء عن رسالة يعقوب :

(أ) ليس فى الرسالة شىء يرفضه اليهودى الارثوذكسى اذا ما حذفنا ما ورد فيها عن يسوع فى (١ : ١) ، (٢ : ١) .

(ب) ان يعقوب James تعنى باليونانية lakobos وهى مترجمة James ، ولكنها فى العهد القديم « Jacob »

(جـ) ان الرسالة موجهة الى « الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات » فهذه النظرية تنادى بان رسالة يعقوب ليست الا مؤلفا يهوديا كتب تحت اسم يعقوب Jacob وقد كان الهدف منه تقوية وتشجيع اليهود الذين تشتتوا من فلسطين الى اقصى الارض ، كان القصد تقويتهم فى الايمان وسط التجارب التى مروا فيها فى أرض غريبة ،ويستمر عرض النظرية كما يلى : فى سفر التكوين (٤٩) نجد حديث يعقوب الاخير مع أبنائه وخطابه اليهم يتكون من

فقرات تحوى وصفا مبسطا عن شخصية كل واحد منهم . ويقول (مير) انه يمكنه ان يستخرج من رسالة يعقوب بعض الأجزاء والرموز التى تعـود بذاكرتنا الى خطاب يعقوب الذى يصف فيه ابناءه أى الأسباط الاثنى عشر . وهاك بعض تلك الاوصاف مع الاشـارة الى رسالة يعقوب ، ومكان تلك الاوصاف من سفر التـكوين .

اشير يمثل الرجل الغنى البعيد عن الله .
(يع ۱ : ۹ ــ ۱۱ ، تك ٤٩ : ۲۰)

يساكر يشير الى فاعل الخير المحتمل للتجربة .
(يع ۱ : تك ٤٩ : ١٤ و ١٥)

راوبين يعنى باكورة (يع ۱ : ۱۸ ، تك ٤٩ : ۳)

سمعان يمثل الغضب (يع ۱ : ۱۹ ، و ۲۰ تك ٤٩ : ٥ ــ ۷)

لاوى هو السبط الوثيق الصلة بالدين والمشار اليه فى
(يعقوب ۱ : ٢٦ و ٢٧)

نفتالى يمثل السلام (يع ۳ : ۱۸ ، تك ٤٩ : ۲۱)

جاد يمثل الحرب والنزاع (يع ٤ : ۱ و ۲ ، تك ٤٩ : ۱۹)

دان يشير الى انتظار الخلاص (يع ٤ : ۱ و ۲ ، تك ٤٩ : ۱۸)

يوسف يشير الى الصلاة
(يع ٥ : ١٤ ــ ۱۸ ، تك ٤٩ : ۲۲ ــ ٢٦)

بنيامين يمثل الميلاد والوفاة
(يع ٥ : ۲۰ ، تك ٤٩ : ۱۷)

ان هذه النظرية تاتى بأشياء مبتكرة ، ولا يمكن لاحد أن يثبت أو يبطل صحتها . انها تفسر ما ورد عن الأسـباط الاثنى عشر للمشتتين فى (۱ : ۱) تفسيرا مقبولا . انها تنادى بأن احد المسيحيين وجد ذلك المؤلف اليهـودى

المكتوب تحت اسم يعقوب والموجه الى جميع اليهود فى الشتات ، وبعــد ان اقتنع بفائدته الروحية والأخلاقية ، عمل فيه بعض التعــديلات واضاف اليه بعض الاشياء ثم اصدر كتراث مسيحى . انها فى الواقع نظرية جذابة ، ولكن قد يكون فيها من الابتكار الكثير ما اشتط بها عن الحقيقة .

٢ ــ وكما فعل اليهود ، هكذا كتب المسيحيون أيضا كتبا تحت أسماء ابطال الايمان المسيحى ، فهناك اناجيل بأسماء بطرس وتوما ويعقوب نفسه وهناك رسالة تحمل اسم برنابا ، واناجيل بأسماء نيقوديموس وبرتولماوس ، ثم يوجد أيضا اعمال يوحنـــا وبولس واندراوس وبطرس وتوما وفيلبس وآخرين غيرهم .

فقد كان من المألوف أن يكتب المسيحي كتبا تحمل أسماء عظماء رجالات الكنيسة والاصطلاح الفنى لهذه الكتب هو Pseudonymous اى الكتب المدونة تحت أسماء غير حقيقية . فقيل ان هذه الرســالة بالمثل كتبت تحت اسم يعقوب أخى ربنا . ويبدو أن هذا هو ما كان جيروم يعنيه حين قال « ان الرسالة اصدرها شخص تحت اسم يعقوب » ، ولكن لا يمكن أن يكون هــذا الراى صحيحا ، لأنه ان قام أحد بعمل ذلك ، فلا بد أنه كان يوضح شخصية ذلك الذى استعار اسمه ، كان من الاولى أن يظهر حقيقـــة هذه الشخصية جيدا . فلو كانت الرسالة مكتوبة تحت اسم وهمى ، لأزال كاتبها كل شك بأنه يعقوب (أخو ربنا) ، كان الأجدر حينذاك أن يؤكــد تلك الحقيقة المزعومة ، ولكن الواقع على خلاف ذلك ، اذ أن كاتب الرسالة لم يفعل شيئا من ذلك ، ولذا فان هذه النظرية لا أساس لها .

٣ ــ يميل « موفات » الى الأخذ بالنظرية القــائلة : ان كاتب الرسالة شخص يدعى يعقوب ، ونحن لا نعرف عنه شيئا . فيعقوب هذا ليس هــو يعقوب أخو ربنا أو اى يعقوب آخر نعــرفه ، ولكنه بكل بساطة معلم يدعى يعقوب ، لم تصل الينا عن حياته أو قصته أية معلومات .

وهذا شىء يستحيل حدوثه لأن اسم يعوب كان شائعــا وقتئذ ، كمــا هو الحـــال اليوم ، فكيف اذن يدرج ضمن أسفار العهــد الجديد ، وكيف يرتبط اسمه بلقب أخى الرب ؟ .

٤ ــ الاعتقاد الشائع بأن تلك الرسالة كتبها يعقوب أخو الرب . قد رأينا من قبل أنه يبدو غريبا أن يكون يعقوب هو كاتب الرسالة مع عدم الاشارة الى يسوع أكثر من مرتين فقط ومع عدم الاشارة الى القيامة أو الى يسوع كالمسيا المنتظر ، هناك ما هو أغرب من ذلك . فالرسالة قد كتبت باليونانية وبلغة يونانية سليمة . يقول « روبز » انه لابد أن تكون اللغة اليونانية هى اللغة الأصلية لكاتب الرسالة . ويقول « مايور » وهو من أعظم علماء اليونان : « انى أعتقد أن الرسالة كتبت بلغة يونانية سليمة تقرب من درجة الكمال ، لا تدانيها فيها سوى الرسالة الى العبرانيين من أسفار العهد الجديد » .

ومن المؤكد أن لغة يعقوب الأصلية هى اللغة الآرامية وليست اليونانية، فلو كتب الرسالة كان من شبه المؤكد أن يكتبها بالآرامية ، ثم أنه لا يمكن أن يكون قد أتقن اللغة اليونانية القديمة هذا الاتقان الذى كتبت به الرسالة . هذا وأن نشأته اليهودية الصميمة تحتم عليه أن يحتقر ويتجنب اللغة اليونانية ، كلغة أممية ملعونة . فيكاد من المستحيل اذن ان نعتقد أن يعقوب هو حقا كاتب الرسالة .

٥ ــ وهذا يأتى بنا الى الاحتمال الخامس . ولنذكر أن الرسالة تشبه العظة الى حد كبير ، فهناك احتمال اذن أن تكون الرسالة فى مضمونها عبارة عن عظة ليعقوب ، ثم دونها شخص آخر ، وترجمها لليونانية ، وأضاف اليها قليلا من التحلية اللفظية ، ثم وزعها على الكنائس حتى يستفيد منها أكبر عدد من الناس . وهذا يفسر لنا الشكل الذى كتبت به الرسالة ، وكيف أنها نسبت ليعقوب ، وقلة الاشارات الواردة فى الرسالة عن المسيح وعن القيامة وعن المسيح كالمسيا . لأنه لا يمكن ليعقوب أن يجمع كل الحقائق اللاهوتية فى عظة واحدة ، لأن همه الشاغل فى العظة كان أن يلفت نظر السامعين الى الواجبات الروحية المفروضة عليهم ، لا أن يتحدث عن حقائق لاهوتية .

يبدو لنا أن هذه النظرية تفسر لنا الحقيقة بكاملها ، فالرسالة عبــارة عن عظة ليعقوب دونها شخص ما . وأحب ما جاء فيهــا ولم تبرح ذاكرته ، ثم حررها بعناية تامة ، وأضاف اليها قليلا ثم أصدرها أخيرا الى ســـــائر الكنائس . وقد نقرب هذه الرسالة معتقـــدين انهــا من الأسفار القليلة الشأن في العهد الجديد . ولكن ، اذا درسناها بدقة ، فاننا نشكر الله على أنها وصلت الى أيدينا لتعليمنا وتهذيبنا .

التفســير

الأصحاح الأول

رسالة يعقوب

التحيـــــــة

يَعْقُوبُ عَبْدُ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ يُهْدِي السَّلامَ إِلَى الاِثْنَيْ عَشَرَ سِبْطاً الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ .

(١ : ١)

يلقب يعقوب نفسه فى بداية الرسالة باللقب الذى ينيله فخرا وكرامة . فهو يلقب نفسه « عبد الله والرب يسوع المسيح » ، انه الكاتب الوحيد فى العهد الجديد الذى يلقب نفسه هذا اللقب باستثناء يهوذا . فكلمة doulos تعنى (عبد) ، وهو يلقب نفسه هكذا دون أية مؤهلات أخرى . فبولس يلقب نفسه « عبد يسوع المسيح ، ورسول المسيح » (رومية ١ : ١ ، فيلبى ١ : ١) ، فهو يضيف لقب رسول الى كلمة عبد ، ولكن يعقوب لا يلقب نفسه بأكثر من عبد الله والرب يسوع المسيح . ان هذا اللقب يتضمن أربعة أشياء على الأقل .

١ — ان هذا اللقب يعنى طاعة تامة ، فالعبد ليس له ناموس سوى ما يقوله سيده ، والعبد ليست له حقوق ذاتية ، فهو ملك لسيده ويجب أن يقدم لسيده طاعة تامة غير مشروطة .

٢ — انه يعنى أيضا اتضاعا تاما ، وهو صادر عن شخص لا يفكر فى الامتيازات الممنوحة له بل فى الالتزامات المطلوبة ، ولا يضع نصب عينيه

الحقوق التى له ، بل الواجبات المفروضة عليه . ان ذلك اللقب يصدر عن شخص نسى نفسه فى خدمة الله ، وانكر نفســـــه تماماً ، ورفض أن يجيب مطالب الذات ، ليتمم ارادة الله فى حياته .

٣ ــ انه يتضمن أيضا ولاء تاما . ان الشخص الذى يدعو نفســـــه « عبد الله » يعنى أنه ليس له مصلحة ذاتية ، لانه مكرس لله بالتمام . ان كل ما يعمله لله . فلا يدخل فى حسابه نفع ذاتى أو اية اهواء فردية . فولاؤه التـــام لله .

٤ ــ ومع ذلك فتلك الكلمة تعنى أيضا افتخارا من نوع خاص . فلم يكن ذلك اللقب فى العهـــد القـــديم عارا ، بل كان يلقب به عظماء الرجال ، فقد كان موسى عبدا لله (١ ملوك ٨ : ٥٣ ، دانيال ٩ : ١١ ، ملاخى ٤ : ٤)، وكذلك كان يسوع وكالب (يشوع ٢ : ٨ ، عدد ١٤ : ٢٤) ، وهكذا أيضا لقب الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب (تثنية ٩ : ٢٧) ، وهـــكذا كان أيوب (أيوب ١ : ٨) ، واشعياء (اشعياء ٢٠ : ٣) ، وهو أيضا اللقب الذى كان يطلق على الأنبياء (عاموس ٣ : ٧ ، زكريا ١ : ٦ ، ارميا ٧ : ٢٥) .

ان يعقوب يضع نفسه فى قائمة أولئك الذين كانت حريتهم ، وسلامهم ومجدهم فى الطاعة التامة لارادة الله .

ان أسمى عظمة ، يتمنى المسيحى أن يحصل عليها هى عظمة العبودية لله . اننا نجد فى التحية التى يكتبها يعقوب لقرائه شيئا غير عادى ، فالكلمة المستعملة لذلك هى « Chairein » أى « يهدى ســـلاما » ، وهى الـــكلمة المستعملة دائما فى التحية فى الخطابات العادية المكتوبة باليونانية ولكن بولس لا يستخدم هذه التحية ابدا ، انه يستخدم تحية مسيحية « نعمة وســـلام » افسس ١ : ٢ ، فيـــلبى ١ : ٢ ، كولوسى ١ : ٢ ، ١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ٢ ، فليمون ٣) . فى كل رسالة نجد أن بولس يتجنب التحية العادية ويستخدم تحية مسيحية بارزة . ولكن يعقوب يستخدم التحيـــــــة العادية ، وهذه التحية لا نجدها فى باقى أسفار العهـــد الجديد سوى مرتين فقط ، الرسالة التى كتبها كلوديوس ليسياس ، الأمير الرومانى الشاب الى فيلكس ليضمن سلامة وصول بولس (اعمال ٢٣ : ٢٦) ، ثم فى الرسالة التى

اصدرها مجمع الرسل والمشايخ بأورشليم بعد السماح للأمم بالدخول الى الكنيسة (اعمال ١٥ : ٢٣) ، وهذا الكتاب له اهميته وذلك لان يعقوب كان يرأس ذلك المجمع (أعمال ١٥ : ١٣) ، وقد يكون ذلك لان يعقوب أراد أن يستخدم اكثر تعبيرات التحية شيوعا ، لان الرسالة كانت موجهة الى جمهور كبير .

اليهود فى العالم

ان الرسالة موجهة الى « الأسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات » ، أمامنا هنا عبارة يصعب فهمها ، فعلينا أن نقف قليلا لنتأملها . فالتحية موجهة الى الاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات اى « Diaspora » وتلك الكلمة تعنى اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين ، فجميع اليهود الذين كانوا خارج « ارض الميعاد » لسبب او لآخر ، هم اليهود الذين (فى الشتات) ، ويجدر بنا ان نتمهل قليلا لنرى كيف تشتت اليهود فى العالم ، وتمددادهم فى مختلف الانظار التى نزحوا اليها . فان هذا التشتت اليهودى كان ذا اهمية عظمى بالنسبة لانتشار المسيحية ، لان تشتتهم كان يعنى وجود مجامع يهودية ، وقد استطاع المبشرون المسيحيون أن يبدأوا خدمتهم من تلك المجامع . وكان اليهود وهم ملمون بالعهد القديم جيدا ، مدعاة لاهتمام الناس من الامم بعقيدتهم ، فقد كان تشتت اليهود جزءا من البرنامج الالهى ، لانه مهد الطريق أمام المبشرين المسيحيين اذ قدم لهم الفرصة السانحة للتبشير بالانجيل ، فى كل مدينة من مدن العالم تقريبا ، ولكن كيف حدث هذا التشتت ؟ .

لقد بدأ ، باجبار اليهود على ترك بلادهم ، وارغامهم على أن يعيشوا منفيين فى بلاد غريبة ، فقد حدث ذلك ثلاث مرات .

١ — عندما هزم الأشوريون مملكة الشمال التى كانت عاصمتها « السامرة » ، ثم سبى اسرائيل الى اشور (٢ ملوك ١٧ : ٢٣ ، أخبار الأيام الاول ٥ : ٢٦) هؤلاء الذين سبوا الى اشورهم الأسباط العشرة الذين لم يرجعوا : ان اليهود أنفسهم كانوا يعتقدون أنه فى النهاية سوف يتجمع كل اليهود فى أورشليم ، ما عدا هؤلاء الأسباط العشرة فانهم لن يعودوا حتى

نهاية العالم . وقد أسس اليهود اعتقادهم هذا على تفسير وهمى لنص ورد فى العهد القديم فمعلموا اليهود يقولون « ان هذه الأســـــباط قد قيل عنهم « والقاهم الى أرض أخرى كما فى هذا اليوم » (تثنية ٢٩ : ٢٨) فكمـــا أن هذا اليوم رحل ولن يعود ، هكذا هم أيضا رحلوا ولن يعودوا ، وكما أن اليوم قد انتهى واتت الظلمة ثم جاء النور بعد ذلك ، هكذا أيضا سيحل النور بدل الظلام على الأسباط العشرة .

فالسبى الأول اذن كان الى أشور .

٢ ــ وقد حدث السبى الثانى حوالى ٥٨٠ ق . م عندما هزم البابليون مملكة الجنوب التى كانت عاصمتها « أورشليم » ، وأخذوا خيرة الشعب الى بابل (٢ ملوك ٢٤ : ١٤ ــ ١٦ ، مزمور ١٣٧) وقد كان ســـلوك اليهود فى بابل متميزا عن البابليين ، فقد رفضوا باصرار أن يندمجوا مع بقية الشعب ويفقدوا قوميتهم . وقد قيل انهم تجمعوا بصفة خاصة فى بلدتى (نيهارديا) nehardia و (نيسيبيس) nisibisi ، وقد وصل التقدم اليهودى الى مداه فى بابل ، فقد ظهر هناك (التلمود) البابلى وهـــو عبارة عن ستين مجلـــدا لشرح الناموس اليهودى وعندما أصدر (يوسيفوس) كتـــابه عن (حروب اليهود) لم تصدر الطبعة الأولى باليونانية بل كانت بالآرامية لتفى بحـــاجة علماء اليهود فى بابل ، وهو يخبرنا فى كتابه بأن اليهود بلغوا ذروة قوتهم فى بابل ، حتى أن اقليم (ميسوبوتاميا) mesopotamia بأكمله كان تحت سيطرتهم ، وكان يحكمه اثنان من اليهود همـــا « أسيدايوس » asidaeus و « انيلاوس » anilaeus وقد قيل انه عنــد موت « انيلاوس » حدثت مذبحة قتل فيها ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ يهوديا . فالشتت اذن كان هذه المرة الى بابل ، وقد رفعهم الى مكان الصدارة هناك .

٣ ــ أما السبى الثالث ، فقد حدث بعد ذلك بكثير . فعندما هزم القائد الرومانى « بومباى » Pimpey اليهود . واحتل أورشليم سنة ٦٣ ق . م ، أخذ معه الى روما كثيرا من اليهود كعبيد ، ولـــكن تمسكهم الشديد بطقوس ناموسهم وحفظهم التام ليوم السبت ، قد جعل من الصعوبة بمكان الاحتفاظ

بهم كعبيد ، فتم تحرير معظمهم . وقد استقروا فى أحد الاحيـــاء المترامية الأطراف على نهر التيبر ، ولم يمض وقت طويل حتى كثر عددهم وتغلغلوا فى جميع انحاء المدينة وقد قال عنـــهم « ديوكاسيوس » انه بالرغم من قمعهـــم المستمر الا أنهم كانوا يزدادون حتى انهم كانوا يمارسون تقاليدهم وعاداتهم بكل حرية . وقـــد كان يوليوس قيصر أكبر مدافع عنهم ، حتى أننا نقرأ عنهم أنهم كانوا يندبون طول الليل عند التابوت الذى وضع فيه جثمانه ، وقد توافد عدد كبير منهم لسماع دفاع « شيشرون » Cicero عن « فلاكوس » Flaccus كما تحكى كتب التـاريخ . وقد طرد جميع اليهود من روما فى سنة ١٩ م . بتهمة أنهم نهبوا احدى السيدات الثريات ، وكانت قد آمنت باليهودية . وبحجة ارسال النقود الى الهيكل . وفى ذاك الوقت جند منهم ٤٠٠٠ يهوديا لمحاربة فلول قطاع الطرق والقراصـــــنة فى جزيرة سردينيا ، ولكنهم عادوا مرة ثانية ، وعندما ارسل يهود فلسطين مندوبا عنهم الى روما للشكوى من حكم « أرخيلاوس » ، قيل انه انضم اليه حوالى ٨٫٠٠٠ يهوديا من اليهود المقيمين فى المدينة ، وأن الادب الرومانى ملىء بالاحداث التى ذكر فيها اليهود بازدراء ، لان العـــداء لليهودية ليس شيئا مستحدثا ، وكثـــرة الحوادث التى ورد فيهـــا ذكر اليهود كفيل باثبات الدور الذى لعبه اليهود فى روما .

ومن ذلك نرى ، ان اليهـــود قد سبوا الى بابل والى روما ، وأن ذلك السبى شمل الآلاف منهم ولكن عـــــددا اكبر من ذلك قـــد غادر فلسطين بارادته وذهب الى بلاد أكثر ثروة وأوفر راحة . وهنـــاك بلدان استوعبت الآلاف منهم ، فقد كانت فلسطين محصورة بين قوتين كبيرتين آنئذاك وهمـــا سوريا ومصر ، ولذلك فان فلسطين كانت معرضة فى أى وقت أن تـــكون مسرحا لمعارك طاحنة بين هاتين القوتين ، ولهــــذا السبب ترك كثيرون فلسطين ، واستقروا اما فى مصر أو فى سوريا .

ففى أيام نبوخذ نصر غادر كثير من اليهود بلادهم الىمصر بارادتهم (٢ ملوك ٢٥ : ٢٦) ، ويقـــال انه فى ســـنة ٦٥٠ ق . م استخدم الملك الفرعونى ابسماتيك جنودا مرتزقة من اليهود فى جيشه . وعندما أسس

الاسكندر الاكبر مدينة الاسكندرية ، قدم امتيازات خاصة للساكنين فيها ، فجاءت أفواج كبيرة من اليهود اليها .

وقد كانت الاسكندرية مقسمة الى خمس مناطق ، وكان اليهود يشغلون اثنتين منها ، فقد كان فى الاسكندرية وحدها أكثر من مليون يهوديا ، وقد استمر استقرار اليهود بمصر حتى انه فى سنة ٥٠ ق . م بنى معبد يهودى على طراز هيكل اورشليم فى (ليونتو بوليس) Leontopolis ليصلى فيه اليهود المصريون .

ونزح اليهود ايضا الى سوريا ، وقد تركزوا فى مدينة انطاكية ، حيث بشر بالانجيل لاول مرة للامم ، وحيث دعى المسيحيون لاول مرة بهذا الاسم . وقد قرأنا انه قتل حوالى ١٠,٠٠٠ يهودى فى دمشق فى هجوم شن عليهم .

اذا ، فمصر وسوريا كانتا آهلتين بعدد كبير من اليهود ، ولكنهم انتشروا فى بلاد اخرى ايضا . فاننا نقرا أن سكان « سيرين » فى شمال افريقيا كانوا مقسمين الى مواطنين اصليين ، وزراع ، واجانب ويهود ، ويقول مومسين Momsen المؤرخ الرومانى : « قد كان غالبية اليهود يقطنون بابل وسوريا وآسيا الصغرى ومصر والاقلية فى فلسطين » وان ذكر آسيا الصغرى تقودنا الى توضيح مناطق اخرى كثر فيها عدد اليهود .

فعندما انفرط عقد امبراطورية الاسكندر عند موته ، كانت مصر من نصيب البطالسة ، واخذ سلوق Seleucus وخلفاؤه سوريا والمناطق المجاورة ، وكان هؤلاء الخلفاء يعرفون باسم السلوقيين .

وكان السلوقيون يتميزون بطابعين مميزين ، فقد كانوا يتبعون سياسة ادماج مختلف الجنسيات فى بعضها واذابة الفوارق بينها ، فقد ظنوا انه بالقضاء على القومية ، يضمنون تثبيت أقدامهم فى الحكم . ثم أنهم أيضا ذوى خبرة فى تأسيس المدن ، كانت المدن فى حاجة الى مواطنين ، فكانوا يقدمون امتيازات وتسهيلات كبيرة لكل من يسكن فيها . فقبل اليهود أن يسكنوا تلك المدن بالآلاف فنرى اليهود ينتشرون بكثرة فى جميع أنحاء آسيا الصغرى وفى المدن الكبرى على شاطىء البحر الابيض ، وفى المراكز التجارية

الهامة . هذا ، وقد تم أيضا نقل عائلات كاملة ، كما فعل انتيوخس الاكبر Antiochus اذ أخذ ٢٫٠٠٠ أسرة يهودية من بابل وجعلهم يستقرون فى ليدية وفرجية وقد كانت موجة الهجرة من فلسطين ، فى الواقع ، كبيرة حتى ان يهود فلسطين شكوا من اخوانهم الذين تركوا ضيق فلسطين للتمتع بالعزائم والولائم والحمامات فى آسـيا وفريجية ، ويحكى لنا ارسـطو طاليس عن مقابلته ليهودى فى آسيا الصغرى « كان يونانيا بكل معنى الكلمة ليس فقط فى لغته ومظهره بل فى جوهره ايضا » .

فقد انتشر اليهود فى كل مكان فى العـالم . ويقول سـترابو العـالم الجغرافى اليونانى « من الصعب أن نجد مكانا فى العالم كله لم يسكنه أو يسيطر عليه اليهود » . ويكتب المؤرخ اليهودى يوسيفوس قائلا : « لا يمكن أن نجد مدينة أو قبيلة سواء كانت يونانية أم بربرية لم تتغلغل فيها العادات اليهودية أو الناموس اليهودى » .

وفى نبوات الرومان القديمة Sibylline Oracles المكتوبة حوالى ١٤٠ ق . م ذكر أن اليهود منتشرون فى كل أرض وفى كل جزيرة . ويقال انه فى الخطاب المرسل من (افريباس) الى (كاليجولا) والذى اقتبسـه (فيلو) ، ذكر أورشليم ليست عاصـمة اليهودية فقط ، بل عاصمة معظم الاقطار على اساس العدد الكبير من اليهود الذى يقيم فى الاقطار المجاورة ، كمصر وفينيقية وسوريا وكوليسيرية Coelesyria واقطار ابعد من ذلك مثل بمفيلية وكيليسكية ، ومعظم انحاء آسيا مثل بيثينية ، ومعظم انحاء بنطس ، وفى أوربا أيضا وتسالونيكى وبيوتية Boeotia ومقدونية وأتوليا واليونان وآرجوس وكورنثوس ، ومعظم انحـاء بيلوبونيس Peloponnese ولم يقتصر انتشار اليهود على جميع انحاء القارة وحدها بل شمل أيضا الجزر الهامة مثل ايوبية وقبرص وكريت ؛ هذا عدا أراضى ما بعد الفرات لانها كانت مأهولة باليهود . فالتشتت اليهودى اذن شمل العالم كله على اتساعه، وأن ذلك له أهميته العظمى لانه كان عاملا هاما فى انتشار المسيحية .

لمن كتبت الرسالة

يكتب يعقوب اذن للاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات اى المشتتين فى جمع انحاء العالم . فمن كان فى مخيلته ترى حين كان يكتب ؟ لمن كان يوجه الرسالة ومن كان يقصد بالحديث ؟ ، ان الاسباط الاثنى عشر الذين فى الشتات قد يقصد بهم فئة من الفئات الثلاث الآتية :

١ ـ جميع اليهود الذين خارج فلسطين ، هذا وقد علمنا أن هؤلاء يبلغ تعدادهم الملايين . فقد كان عدد اليهود المنتشرين فى سوريا ومصر واليونان وروما وآسيا الصغرى وجميع بلدان البحر الابيض المتوسط وبابل، اكثر من يهود فلسطين . فلم يكن ممكنا فى العهود الماضية أن يكتب أحد رسالة تصل الى مثل هذا العدد الضخم المنتشر فى جميع أنحاء العالم ، قد يكون ذلك ممكنا الآن مع وجود التسهيلات الكبيرة فى الطباعة الحديثة وطرق المواصلات والاذاعة ولكن هذا كان مستحيلا فى العصر الذى عاش فيه يعقوب .

٢ ـ قد تكون الرسالة موجهة الى اليهود المسيحيين خارج فلسطين . وبالنسبة ليعقوب ، فان ذلك يعنى اليهود الموجودين فى الاقطار المتاخمة لفلسطين ، ربما على الاخص اليهود الموجودين فى سوريا وبابل وهذا رأى معقول ، لانه ليس من يكتب لهؤلاء اليهود سوى يعقوب اذ انه الرئيس الروحى لجميع المسيحيين اليهود .

٣ ـ ولكن العبارة قد تعنى شيئا آخر . فالمسيحيون يعتبرون الكنيسة المسيحية « اسرائيل الحقيقى » . ففى نهاية الرسالة الى غلاطية ، يبعث بولس بسلامه الى اسرائيل الله (غلاطية ٦ : ١٦) فمن العقائد الشائعة لدى جميع المسيحيين ، العقيدة التى تنادى بأن الكنيسة هى اسرائيل الجديد. فقد كانت الامة الاسرائيلية قديما تمثل شعب الله المختار ،ولكن الاسرائيليين لم يثبتوا ورفضوا القيام بالدور المعد لهم ، فعندما جاء ابن الله رفضوه ، ولذلك فان جميع الامتيازات الممنوحة لهم قد انتقلت الى الكنيسة لان الكنيسة هى شعب الله المختار ، ولقد دعم بولس تلك الفكرة (أنظر رومية ٩ : ٧و٨) ،

فقد كان من رأية أن نسل ابراهيم الحقيقى ، اسرائيل الحقيقى ، ليس أولئك الذين ينتسبون لابراهيم حسب الجسد ، بل أولئك الذين يؤمنون كما آمن ابراهيم أيضا . ان اسرائيل الحقيقى لا يعنى أية امة او جنس ، بل هم جميع الذين قبلوا يسوع المسيح بالايمان . ولذلك فان تلك العبارة تشمل الكنيسة المسيحية بأسرها .

ونحن نفضل الرأيين الاخيرين ، فكلاهما معقول . فان يعقوب قد يكتب للمسيحيين اليهود المنتشرين فى الاقطار المجاورة ، أو قد يقصـد اسرائيل الحقيقى اسرائيل الجديدة ، كنيسة الله فى كل مكان .

الذين جازوا الامتحان بنجاح

اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْراً . وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ .
(١ : ٢ — ٤)

لم يقل يعقوب ابدا للمسيحيين الذين كان يكتب اليهم ، أن المسيحية طريق سهل ، بل انه يخبرهم بأنهم قـد يجدون أنفسـهم محاطين بتجارب متنوعة ،والكلمة اليونانية المترجمة تجارب هى peirasmos ،ولابد أن نلم بمعنى هذه الكلمة الماما تاما ان كنا نريد فهم جوهـر الايمان المسيحى .

فكلمة (peirasmis) ، تعنى (امتحان) فكلمة («peirasmos) هى التجربة والاختبار والامتحان الذى يهدف الى غايـة ، وتلك الغاية هى أن يخرج الانسان من الامتحان أقوى وانقى مما كان . والفعل peirazein (يجرب) له نفس المعنى ، فليس القصد هنا هو الايقاع فى الخطية ، بل القصد منه التقوية والتنقية واجتياز الامتحان بنجاح . فمثلا يقال ان الطائر الصغير يجرب peirazein اجنحته . وقيل ان ملكة سبأ قد جاءت لترى أو لتختبر peirazein حكمة سليمان ، وقيل ان الله امتحن peirazein ابراهيم،

عندما طلب منه تقديم ابنه اسحق كذبيحة (تكوين ٢٢ : ١) .

وعندما جاء الاسرائيليون الى ارض فلسطين ، لم يطرد الله الامم الذين كانوا هناك ليمتحن peirazein بهم اسرائيل . وان التجارب التى أتى بها الله على ذلك الشعب كان القصد منها أن يخلق منه شعبا له (تثنية ٤ : ٣٤ ، ٧ : ١٩) .

فهنا نجد مقاصد الله النبيلة من نحونا ، فالهدف منها رفعتنا وتقويتنا ، يقول هورت Hort : « ان المسيحى لابد أن يصطدم فى طريقه بعقبات متنوعة » اننا نقابل تجارب مختلفة .

فهناك تجارب الآلام واليأس التى تحاول انتزاع ايماننا منا ، وهناك الاغراءات التى تحاول أن تبعدنا عن الطريق الصحيح وهناك المخاطر والتضحيات والشعور بالعداء الذى يكنه لنا الآخرون . ولكن القصد من جميع تلك التجارب ، أن نسمو ونرتفع لا أن نسقط ونتعثر . ليس المقصود أن تهزمنا التجارب بل أن نقهر نحن التجارب . ان الله لم يرسل لنا التجارب ليضعفنا بل ليقوينا ، ولذلك فاننا يجب أن نفرح ونبتهج لا أن نبكى وننذب حظنا . فالمسيحى كالرياضى ... فكلما كان الحمل الذى يلقيه المدرب فوق كاهل الرياضى ثقيلا ، كلما كانت فائدته أكبر ، وكلما سر الرياضى لانه يعلم أن ذلك يؤهله للقيام بمجهود اعنف . كما قال براوننج Browning اننا يجب أن نرحب بكل ضائقة تجعل طريقنا أكثر وعورة لان كل صعب يقودنا خطوة الى العلا .

نتيجة الامتحان

ان يعقوب يعبر عن كلمة « امتحان » بكلمة Dokimion ، وهى كلمة ذات مغزى ، فهى تعنى « عملية أصلية » أى نقود غير زائفة . فالغرض من الامتحان هو تنقيتنا من كل زغل والقضاء على كل خبث فى شخصياتنا ، لكى نخرج من الامتحان مطهرين وانقياء .

فان كنا ننجح فى الامتحان فذلك ينشىء « ثباتا دائما » والكلمة اليونانية

المستعملة لذلك هى Hupomoné وقد ترجمت فى العربية « صبرا » ولكن كلمة « صبر » تقصر عن أداء المعنى الحقيقى . فكلمة Hupomoné هى ليست ببساطة القدرة على تحمل الاشياء ، ولكنها القدرة على تحويلها لتكون سبيلا للمجد والعظمة .

ان الشىء الذى أذهل الوثنيين فى عصور الاضطهاد هو أن الشهداء لم يستشهدوا فى هلع وخوف، بل ماتوا وهم يهللون .

وقد كان احدهم يبتسم وهو يحترق ، فلما سئل عن الشىء الذى يجعله مبتسما قال « لقد رأيت مجد الله ففرحت » فكلمة Hupomoné تعنى الصفة التى تجعل الانسان قـــادرا ، ليس على مجرد تحمل الصـــعاب ، بل على الترحيب بها وقهرها . ان نتيجة تحمل التجربة هى تزويدنا بالقوة اللازمة للتغلب على مصاعب اكبر ، والانتصـــار فى معارك اشد ضراوة . ان ذلك الثبات الدائم أمام التجربة يجعل الانسان قادرا أن يكون :

أ ــ « تاما » ، والكلمة اليونانية لذلك هى Teleios وهى تعنى التمام من اجل هدف معين ان الذبيحة تكون تامة Teleios اذ كانت صالحة كتقدمة لله . والطالب يكون تاما فى المعـــرفة اذا كان ناضجا فى فكره وقد اجتاز المراحل التعليمية الأولى بنجاح ، ويكون الشخص تاما Teleios اذا كان جسمه اكتمل نموا واصبح ناضجا .

ولذلك فان الثبات الدائم الذى يولده اجتياز التجارب بنجاح ، يجعل الانسان تاما اى يجعله صالحا لاداء العمل الذى من أجله أرسله الله للعالم ، ولتتميم ارادة الله . فهى اذن فكرة نبيلة . انصلاحيتنا أو عدم صلاحيتنا فى اتمام العمل الذى قصد الله أن نؤديه ، يتوقف على طريقة استجابتنا لتجارب الحياة .

٢ ــ انه يجعله أيضا (كاملا) والكلمة اليونانية لذلك هىHolokléros وهى تعنى الاكتمال فى كل جزء وقد تستخدم للتعبير عن الذبيحة التى تصلح كتقدمة لله ، وعن الكاهن الذى يصلح لخدمة الله وهذا يعنى ان الذبيحة أو الشخص ليست به اية عيوب أو تشويه وأن الثبات الدائم الذى نخرج به من

اجتياز التجربة بنجاح ، يزيل الضعفات والنقائص من شخصياتنا شيئا فشيئا . وهذا يمكننا من الانتصار على خطايانا القديمة كل يوم ، ويمكننا من التدرج فى سلم الفضائل الروحية ، حتى نصبح فى النهاية صالحين لخدمة الله وخدمة الآخرين .

٣ — ان ذلك يجعله (غير ناقص فى شىء) ان الفعل المستعمل لذلك هو Leipesthai والكلمة تستعمل للتعبير عن هزيمة جيش ، وعن الكف عن استمرار الجهاد أو للتعبير عن الفشل فى الوصول الى مستوى كان يجب الوصول اليه . فان كان أحد يجتاز الامتحان بنجاح ، وان كان يصل الى الثبات الدائم يوما بعد آخر ، فانه يستطيع حينئذ ان يكون منتصرا وأن يقرب يوما بعد يوم من الوصول الى المستوى الذى يريده الله ، الى قياس قامة ملء المسيح .

عطية الله وطلب الانسان

وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ فَسَيُعْطَى لَهُ . وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ لأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ . فَلاَ يَظُنَّ ذَلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ . رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ .

(١ : ٥ — ٨)

هناك صلة وثيقة بين هذه الفقرة ، وبين ما ذكرناه من قبل . فان يعقوب يخبر قراء الرسالة ، انهم ان واجهوا تجارب الحياة بصدر رحب ، فانهم يخرجون منها وقد اتشحوا بالثبات الدائم الذى يعتبر أساسا لجميع الفضائل . ولكن هناك سؤال ملح هو : كيف يمكننى استخدام تلك التجارب ؟ ومن أين احصل على الحكمة والفهم اللازمين لمواجهة التجارب مواجهة صحيحة ؟ ويرد يعقوب بالقول : « ان كان احد تعوزه حكمة ليستطيع بها مواجهة تجارب الحياة — وليس من انسان يمتلك هذه الحكمة — فليطلب من الله »

(وهنا يبرز شيء هام) فان يعقوب ، المعلم المسيحى ذا النشأة اليهودية ، يعتبر أن الحكمة شيء عملى . فالحكمة تصورات فلسفية أو معرفة عقلية ، انها الحكمة من أجل الحياة .

ان الرواقيين عرفوا الحكمة بأنها (معرفة الامور البشرية والالهية) ويعرف روبز ropes الحكمة بأنها (الجانب السامى الالهى من النفس البشرية به يستطيع الانسان معرفة البر والحق والسلوك فيهما) ويعرفها « هورت » Hort بأنها : (الهبة التى يمنحها الله للانسان لتوجيه عقله وقلبه الاتجاه الصحيح فى الحياة) ، فالحكمة المسيحية تشمل بالطبع المعرفة بأمور روحية عميقة وهى تعنى أيضا العقل الباحث المتعطش للمعرفة ، ولكنها تهتم بنوع خاص بما هو عملى ، انها المعرفة المستخدمة فى ميدان الحياة العملية وفى مجالات العلاقات الشخصية فى الحياة العامة فعندما يطلب أحدهم الحكمة من الله ، فانه يجب أن يضع فى اعتباره امرين :

١ — يجب أن يتذكر الكيفية التى يعطى بها الله . « ان الله يعطى بسخاء ولا يعير » ، يقول يشوع بن سيراخ « ان كل حكمة هى من قبل الرب وهى معه الى الدهر » (حكمة يشوع ١ : ١) ، ولكن حكماء اليهود كانوا يدركون بأن افضل عطية فى العالم يمكن ان تفقد قيمتها لو لم تقدم بطريقة مناسبة فقد قالوا الشيء الكثير عن كيفية تقديم الجاهل للعطية ، « يابنى فى الخيرات لا تعط تبكيتا وفى كل عطية اقوال غم .. اليس القول اجدر من العطية وكلاهما مع الرجل المبرر . الجاهل يعيب شديدا وعطية الغير المتأدب تنشد البصر » . (اى تجلب الدموع) (حكمة يشوع ١٨ : ١٥ — ١٨) . « عطية الاحمق لا تنفعك ان تأخذها وكذلك الشحيح عند الحاجة اليه . لان أعينه كثيرة عند اخذك منه الحاجة الواحدة . يعطى قليلا ويعير كثيرا ويفتح فاه كالمنادى . اليوم يقرض وغدا يطالب فانسان هكذا يكون مبغوضا من الله والناس . » (حكمة يشوع ٢٠ : ١٤و١٥) ونفس الكاتب يحذر من تعيير الاصدقاء (حكمة يشوع ٤١ : ٢٢) فهناك المعطى الذى يعطى من اجل ان يحصل على أكثر مما قدم ، والمعطى الذى لا يعطى سوى لاشباع غروره ولكى يجعل مستلم العطية تحت التزام لا يستطيع معه

النسيان مطلقا بما قدم اليه ، وهناك المعطى الذى يعير دائما المعطى اليه بما قدم له ، ولكن الله يعطى بسخاء . ان الشاعر اليونانى فليمون Philemon كان يدعو الله (محب العطايا) ، ليس بمعنى انه يجب أن يأخذ العطايا ، بل بمعنى انه يحب أن يهب العطايا وأن الله لا يعير بالعطية ، ولكنه يعطى بكل ما فى قلبه من حب جليل ، ان طبيعته السامية هى العطاء .

٢ — ويجب ان نعرف ايضا الطريقة التى يجب على السائل أن يتبعها عند السؤال . ان السائل يجب ان يكون (غير مرتاب) ، فانه ان كان مرتابا ، فان فكره يكون مضطربا (كموج البحر الذى يدفعه الريح) حيث شاء . يقول مايور mayer انه فى هذه الحالة يشبه قطعة من الفلين على سطح المياه ، فتارة تكون قريبة من الشاطىء ، وتارة تدفعها الأمواج بعيدا . ان رجلا كهذا يكون مقلقلا فى طرقه ويقول هورت Hort ان الانسان اذا كان كذلك ، فيمكن تشبيهه بسكير يترنح فى الطريق هنا وهناك ، دون أن يصل الى هدف معين .

وان يعقوب يستعمل هنا كلمة معبرة . فيقول انه يكون ذا رايين ، أى «dipsuchos» التى تعنى حرفيا (رجل ذو نفسين ، وعقلين بداخله) فبأحد العقلين يؤمن ، وبالعقل الآخر لا يصدق ، فلذلك تضطرم فى داخله أوار حرب مشتعلة بين الثقة بالله وعدم الثقة به .

اننا يجب أن نطلب الحكمة من الله ، لنستطيع مواجهة تجارب الحياة التى نخرج منها ونحن ظافرين ، وقد اكتسبنا شخصية ثابتة وقوية .

وعندما نطلب من الله ، يجب أن نتذكر سخاء الله وكرمه ، ويجب أن نطلب من الله مؤمنين اننا سننال منه كل ما هو لخيرنا وصالحنا .

حاجة كل انسان

وَلْيَفْتَخِرِ الأَخُ الْمُتَّضِعُ بِارْتِفَاعِهِ . وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَبِاتِّضَاعِهِ لأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ . لأَنَّ الشَّمْسَ أَشْرَقَتْ بِالْحَرِّ فَيَبَّسَتِ الْعُشْبَ

فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنِيَ جَمَالُ مَنْظَرِهِ . هَكَذَا يَذْبُلُ الْغَنِيُّ أَيْضًا فِي طُرُقِهِ .

(١ : ٩ — ١١)

ان يعقوب يرى ان المسيحية تقدم لكل واحد ما يحتاجه . (فكما ان الأخ الفقير يتعلم احترام الذات ، فكذلك الغنى المتكبر يتعلم الاتضاع وانكار الذات) .

١ — ان المسيحية تشعر الشخص الفقير بقيمته وترفعه من الاحساس بالضعة الى الاحساس بقيمته وأهميته .

(أ) فهي تعلمه بانه ذو شأن فى الكنيسة . فلم تكن الفوارق الطبقية موجودة فى الكنيسة الاولى ، فكان يحدث مثلا ، أن يكون العبد هو خادم الكنيسة الذى يعظ ويقدم للناس من الفريضة الربانية بينما يكون سيده مجرد عضو متواضع . فلم تكن فى الكنيسة أية فوارق اجتماعية تفصل بين الناس ، وليس لأى عضو فضل على الآخر .

(ب) وهى تعلمه ايضا انه ذو شأن فى العالم . فالمسيحية تعلمنا ان كل شخص فى العالم يتعين عليه عمل ليقوم به ، وان الله لم يبقه فى العالم الا لغرض وانه ما من شخص عديم النفع فى نظر الله ، حتى ولو كان طريح الفراش ، لأن صلواته تستطيع أن تحقق الكثير فى تغيير مجرى الامور .

(ح) ثم ان المسيحية تعلمه انه مهم فى نظر الله . قال ميورتيوس Muretus « لا تصف أى شخص مات المسيح لاجله ، بانه عديم القيمة » فكل شخص ذو قيمة فى نظر الله

٢ — ان المسيحية تجعل الغنى يمارس الاتضاع وانكار الذات ، فمن مآسى الغنى انه يوهم الانسان بأنه فى أمان ، ولكنه أمان كاذب فالغنى يحس أنه فى أمان لأنه يمتلك الموارد التى تمكنه من التغلب على كل العقبات ، فهو يستطيع شراء كل ما يريد ، وهو يستطيع بواسطة نفوذه ان يهرب من أى مأزق أو موقف حرج .

ولكن يعقوب يرسم لنا صورة ناطقة ، مألوفة لأهل فلسطين . ففى

الاماكن الصحراوية ، حيث ينزل رذاذ المطر ، تجـــد ان بعض الأعشاب الضعيفة تنمو ، ولكن حالما تطلع الشمس بوهجهـــا اللافح ، فانها تقضى على تلك الاعشاب وكأنها لم تكن . والحر اللافح تعنى باليونانية «Kauson» الذى يأتى نتيجة هبوب رياح جنوبية شرقية تسمى السموم وهى تأتى من الصحراء مباشرة وتهب على فلسطين كاللفح الســاخن من الافران وهى تستطيع فى ساعة واحدة أن تأتى على كل ما هــو أخضر بحرارتها اللافحة . هذه صورة تمثل الشخص الذى يتكل على غناه . صورة الشــخص الذى يضع كل ثقته فى ثروته التى هى عرضة لظروف الدهر وتقلباته ، فالحيــاة ذاتها ليست مضمونة . وكأنى بيعقوب وهو يعرض ذلك ، يفكر فى قــول اشعياء : كل جسد عشب وكل جمــاله كزهر الحقــل . يبس العشب ذبل الزهر لان نفخـــة الرب هبت عليه . حقا الشعب عشب » (اشعياء ٤٠ : ٦ و ٧) ، (أنظر مزامير ١٠٣ : ١٥) ان يعقوب يقــول انه اذا كانت الحياة غير مضمونة ، وان كان الانسان معرضا لوقوع الحوادث ، وان كانت كل مباهج الحياة معرضة للزوال ، وان كانت النــكبات قد تحل بالانسان فى أى لحظة ، ممن الجهل اذا بالانسان أن يضع كل ثقته فى أشياء ، كالثروة مثلا ، قد يفقدها فى لحظة ، ولكنه يكون عاقلا لو وضع ثقته فى أشياء غير معرضة لأحداث الدهر وتقلباته . ان يعقوب يحث الاغنياء ألا يضعوا ثقتهم فيمـــا يستطيعون تكديسه من أموال ، ويناشدهم أن يقروا بعجزهم وضعفهم ، وأن يأتوا باتضاع الى الله ويؤمنوا به وهو وحده القـــادر أن يمنحنا الاشياء الباقية الى الدهر . انه يطلب من الناس أن يفتخروا باتضاعهم أمام الله ، ذلك الاتضاع الذى يعنى الاتكال الكلى على الله .

اكليل الحيـــاة

طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْتَمِلُ ٱلتَّجْرِبَةَ . لِأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ .

(١ : ١٢)

ان الشخص الذى يتغلب على التجارب ، يفرح هنا وفى الأبدية .

١ — ففى هذه الحياة يصبح ذا قيمة عظمى ، كالمعدن النفيس الذى

تمت تنقيته وتصفيته من كل شائبة . فنقصاته قد أزيلت ، وأخطاؤه قد محيت وبذلك يخرج من التجربة موفور القوة ، تام النقاوة .»

٢ ــ وفى الحياة الأبدية ينال اكليل الحياة . تعوزنا هنا ايضاحات كثيرة ، قديما كان الاكليل Stephanos يلبس فى اربعة مواقف على الأقل :»

١ ــ اكليل الزهور ، وكان يلبس وقت الفرح ، وفى الأفراح والولائم (اشعياء ٢٨ : ١ و ٢ ، نشيد الانشاد ٣ : ١١) فكان الاكليل رمزا للبهجة والسعادة .

٢ ــ كان الاكليل رمزا للملك ، وكان يلبسه الملوك وذوو السلطة . وقد كان هذا الاكليل من ذهب أو عبارة عن قلادة تلبس على الرأس (مزامير ٢١ : ٣ ؛ ارميا ١٣ : ١٨) .

٣ ــ وكان المنتصر فى الالعاب قديما ينال اكليلا من الغار ، وهو الاكليل الذى يسعى كل رياضى أن يحصل عليه (٢ تيموثاوس ٤ : ٨) .

٤ ــ كان الاكليل رمزا للكرامة والشرف . فنصائح الوالدين هى اكليل نعمة لمن يسمعها من الأبناء (أ مثال ١ : ٩) ، والحكمة تاج جمال ومجد للانسان (أمثال ٤ : ٩) ، وفى وقت الحزن والعار يمكن أن يقال «سقط اكليل رأسنا » (مراثى ارميا ٥ : ١٦) .

وأن كل تلك المعانى السابقة يتضمنها اكليل المسيحى . فالمسيحى يتمتع بفرح لا يمكن لأحد ان يحصل عليه ، فهو فى وليمة دائمة والمسيحى يتمتع بسلطة عظمى لا يدركها الآخرون ، لأنه ابن الله بغض النظر عن ظروفه المعيشية فى الارض وما يعانيه من شظف العيش هنا . والمسيحى أيضا ينتصر فى معارك لا يمكن أن يكسبها الآخرون ، لأنه يجابه الحياة بقوة يسوع المسيح الذى يسير برفقته . ان الله نفسه هو الذى يهبنا النصر . والمسيحى يحس بكرامة عظمى ، لأنه يدرك كيف أن الله قد أرسل يسوع الى العالم ليموت لأجله . ولا يمكن لانسان يؤمن ان المسيح مات لاجله أن يشعر بحقارته .»

قد يكون الشيطان هو الذى وضع تلك النزعة فى الانسان ، وقد يكون الملائكة الساقطون هم الذين وضعوها ، وقد يكون الانسان هو الذى أوجدها ولكن من أين جاءت فى النهاية ؟ ، وللاجابة على هذا السؤال انزلق معلمو اليهود الى منزلق خطر . فقالوا : حيث أن الله خلق كل شيء ، فلابد أنه خلق النزعة الشريرة أيضا . قال معلمو اليهود : ان الله قد أحزنه أنه خلق الميل الشرير فى الانسان ، لانه لو لم يعمل ذلك لما عصى الانسان خالقه، ولكن الله يقول : « كما خلقت الميل الشرير ، أوجدت كذلك الناموس لشفاء الانسان . فلو اتبع الانسان الناموس ، لما سقط فى الشر » « ان الله قد خلق الميل للصلاح عن يمين الانسان ، والميل للشر عن يساره » .

ويبدو خطر هذا الرأى فى انه يعنى أن الانسان يمكنه أن يلوم الله ، كلما وقع (أى الانسان) فى الخطية ، أو قد يقول كما قال بولس : « لست بعد افعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى » (رومية ٧ : ١٥ — ٢٤) فمن أغرب التعاليم أن يقال ان الله هو المسئول الاول عن وجود الخطية .

التهرب من المسئولية

أنه لشيء غريزى فى الانسان منذ البدء ، أن يلقى باللوم على الآخرين عندما يخطيء . ان الكاتب الذى سجل قصة أول خطية ارتكبت فى العالم قديما فى جنة عدن ، كان ملما بخبايا النفس البشرية الماما تاما اذ سجل أنه عندما واجه الله آدم بخطيته ، كان جوابه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » وعندما خاطب الله حواء بخصوص خطيتها قالت : « الحية غرتنى فأكلت » . (تكوين ٣ : ١٢ و ١٣) فآدم يقول لله : « لا تلمنى ، لم حواء وحواء تقول : لا تلمنى . لم الحية . فالانسان كان منذ البدء خبيرا فى فن التهرب من المسئولية » .

ويقول روبرت برنز Robert Burns فى هذا الصدد :

أنت تعرف أنك جبلتنى
جاعلا فى دوافع قوية جامحة
وعندما استمع لصوتها المغرى
كم أضل الطريق بعيدا

ولكن هذا لا يحل المشكلة ، بل يشرحها فقط . لان ذلك لا يبين من أين جاءت الرغبة الشريرة . ولذا فقد حاول الفكر اليهودى أن يعرف من أين جاءت الرغبة الشريرة هذه .

لقد اظهر كاتب « حكمة يشوع » مقدار الدمار الذى تحدثه تلك الرغبة الشريرة حين قال : « ياايتها المجاسرة الخبيثة من اين خلقت لتغطى اليابسة بالمكر ؟ » (حكمة يشوع ٣٧ : ٣) وهو يعتقد أن النزعة الشريرة قد أتت من الشيطان ، وأن الانسان يحارب ضدها بارادته : « الله منذ البدء صنع انسانا (وتركه بيد من حاول ان يجعله فريسة) ولكنه تركه أيضا بيد مشورته . ان أردت أن تحفظ الوصايا فاحفظ مرضاة الامانة » (حكمة يشوع ١٥ : ١٤ و ١٥) فبناء على ذلك ، يكون الشيطان هو الذى زرع النزعة الشريرة فى الانسان ، وأن الانسان يستطيع أن يتغلب عليها بارادته . أن بعض الكتاب اليهود يرجعون تلك الرغبة الشريرة الى زمن جنة عدن . ففى احدى كتب (الابوكريفا) وهو كتاب « حياة آدم وحواء » نجد القصة كاملة . تقول القصة ان الشيطان قد اتخذ صورة ملاك ؛ وتكلم فى الحية واضعا فى حواء الرغبة للاكل من الفاكهة المحرمة ، وجعلها تقسم أن تعطيها لآدم كذلك . وقالت حواء : « وعندما جعلنى أقسم بذلك ، تركنى وصعد الى شجرة ، ولكنه وضع فى الفاكهة التى اعطاها لى سم الشر أو شهوته ، لان الشهوة هى بداية الطريق الى الخطية . ثم نزل من على الشجرة الى الارض ، فأخذت الفاكهة منه واكلتها » . نرى من ذلك أن الشيطان نفسه هو الذى نجح فى أن يزرع الميل الشرير فى الانسان ، وذلك الميل هو شهوة الجسد . وتنتهى القصة بأن مصدر كل خطية ، يرجع فى الواقع ، الى تلك الشهوة التى دسها الشيطان فى الفاكهة التى أكلتها حواء .

وفى كتاب (أخنوخ) نجد نظريتين : النظرية الاولى تنسب الخطية الى الملائكة الذين سقطوا (أصحاح ٨٥) ، والنظرية الثانية تعتبر مسئولية وجود الخطية والنزعة الشريرة على الانسان نفسه « ان الخطية لم ترسل الى الارض ، ولكن الانسان نفسه هو الذى أوجدها (٩٨ : ٤) ولكن هاتين النظريتين لا تحلان المشكلة ، بل انهما يزيدانها تعقيدا . فمن أين جاءت النزعة الشريرة فى النهاية ؟

قد يكون الشيطان هو الذى وضع تلك النزعة فى الانسان ، وقد يكون الملائكة الساقطون هم الذين وضعوها ، وقد يكون الانسان هو الذى أوجدها ولكن من أين جاءت فى النهاية ؟ ، وللاجابة على هذا السؤال انزلق معلمو اليهود الى منزلق خطر . فقالوا : حيث أن الله خلق كل شىء ، فلابد أنه خلق النزعة الشريرة أيضا . قال معلمو اليهود : ان الله قد أحزنه أنه خلق الميل الشرير فى الانسان ، لانه لو لم يعمل ذلك لما عصى الانسان خالقه، ولكن الله يقول : « كما خلقت الميل الشرير ، أوجدت كذلك الناموس لشفاء الانسان . فلو اتبع الانسان الناموس ، لما سقط فى الشر » « ان الله قد خلق الميل للصلاح عن يمين الانسان ، والميل للشر عن يساره » .

ويبدو خطر هذا الرأى فى انه يعنى أن الانسان يمكنه أن يلوم الله ، كلما وقع (أى الانسان) فى الخطية ، أو قد يقول كما قال بولس : « لست بعد افعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى » (رومية ٧ : ١٥ ــ ٢٤) فمن أغرب التعاليم أن يقال ان الله هو المسئول الاول عن وجود الخطية .

التهرب من المسئولية

أنه لشىء غريزى فى الانسان منذ البدء ، ان يلقى باللوم على الآخرين عندما يخطىء . ان الكاتب الذى سجل قصة أول خطية ارتكبت فى العالم قديما فى جنة عدن ، كان ملما بخبايا النفس البشرية الماما تاما اذ سجل أنه عندما واجه الله آدم بخطيته ، كان جوابه : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » وعندما خاطب الله حواء بخصوص خطيتها قالت : « الحية غرتنى فأكلت » . (تكوين ٣ : ١٢ و ١٣) فآدم يقول لله : « لا تلمنى ، لم حواء وحواء تقول : لا تلمنى . لم الحية . فالانسان كان منذ البدء خبيرا فى فن التهرب من المسئولية » .

ويقول روبرت برنز Robert Burns فى هذا الصدد :

أنت تعرف أنك جبلتنى
جاعلا فى دوافع قوية جامحة
وعندما استمع لصوتها المغرى
كم أضل الطريق بعيدا

فكان هذا الشـــاعر يقول ان ســـلوكه المعوج ، يعزى لان الله خلقه هكذا ، اى انه يلقى اللوم على الله . ونجد بعض الناس يلومون زملاءهم ، ويلومون ظروفهم ، ويلقون اللوم ايضا على ما فيهم من غرائز وميول .

ان يعقوب يهاجم ذلك الراى بشدة ، فهو يعتبر الانسان مسئولا عن رغباته الشريرة . فالخطية تقف عاجزة اذا لم تجد فى الانسان ميلا لارتكابها . فلو أن التجربة لم تجد من يلق اليها بالا ، ما عادت تجربة ولفقدت قوتها . فالرغبة اذن تحتاج لمن يغذيها ويلهبها ، والانسان يستطيع ان يكبح جماح ذاته ، ويقمع نفسه ، وبقوة الله يمكنه أيضا أن يســتأصل شأفة الرغبة الشريرة . ولكنه يستطيع ايضا ان يحلق بأفكاره بعيدا فى أجواء الخطية ، ويسمح لنفسه بالذهاب الى أماكن معينة ، ويسير فى صحبة رفقاء سوء ، ويجول ببصره هنا وهنـــاك فى النظر الى اشياء محرمة ، ويستطيع أن يقضى حياته خادما لرغباته الشريرة ، فيجعل فكره وقلبه وعينيه ورجليه وشفتيه طوع أمر تلك الرغبة العارمة . ويمكنه من الناحية الاخرى أن يسلم ذاته للمسيح ، وبروح المسيح يصير مطهرا من كل رغبة خبيثة ، فيقطع جل وقته فى عمل اشياء نافعة ، فلا يتبقى وقت يقضيه فى الاصغاء لصوت الرغبات الشريرة . فالايدى العاطلة هى التى يستخدمها الشيطان والعقل الغير مدرب هو الذى يتسلى بأوهام الميول ، والقلب الغير مكرس لله هو الذى ينخدع وينجذب وراء الشهوة .

واذا ما استسلم الانسان لرغباته ، فالنتيجة التى لا مفر منها ، أن تتحول الرغبة فتضحى عملا . فاذا فكر الانسان طويلا فى شىء ما ، ورغب فى الحصول عليه ، ففى أغلب الاحيان نجد أنه ينزع للحصول على ذلك الشىء. فالرغبة فى القلب هى أم كل خطية . ثم أن التعليم اليهودى ينادى بأن الخطية تلد الموت وفى قصة آدم وحواء التى ذكرناها من قبل ، يذكر أنه فى اللحظة التى أكلت فيها حواء من الفاكهة ، رأت الموت . والكلمة التى يســـتعملها يعقوب فى (عـــدد ١٥) والمترجمة (تنتج موتا) لاتستعمل الا عن تـــوالد الحيوانات ، ولا تستعمل للتعبير عن نسل الانســان ، وهذا يعنى أن الخطية تفقس موتا . فالخطية اذ تتملك على الانسان حواسه ، تصيره أدنى مـــن البشر ، وتهبط به الى مستوى الحيوانات الدنيا .

ان أهمية هذه الفقرة ترجع الى أنها تذكر الانسان بالمسئولية الملقاة على عاتقه تجاه الخطية . ان كل انسان يولد وبه ميول خاطئة ، ولا نقصد بذلك الرغبة الجنسية فحسب ، فالانسان توجد به كثير من الرغبات والميول الخاطئة . وأن الاشياء المحرمة تخلب لب الانسان ، فاذا الهب الانسان تلك الرغبات التى تجعل الانسان يسعى للحصول على اشياء محرمة ، فان ذلك يؤدى الى أن تنمو الرغبة الشريرة ، وتكبر حتى تضحى عملا ، أى خطية ، وهذا هو الطريق المؤدى للموت .

ان تلك الفكرة التى تدعمها كل الخبرات البشرية ، يجب ان تقودنا الى نعمة الله القـادرة وحـدها على أن تحفظنا أنقيـاء من غير دنس ، وهى تستطيع أن تغير حياة الكثيرين .

عدم تغير الله

لاَ تَضِلُّوا يَا إِخْوَتِى الأَحِبَّاء . كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَ كُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِىَ مِنْ فَوْقٍ نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِى الأَنْوَارِ الَّذِى لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ . شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَىْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ .

(١ : ١٦ — ١٨)

يؤكد يعقوب ثانية حقيقة هامة ، وهى أن كل عطية صالحة مصدرها الله . ويمكن أن نترجم عدد (١٧) هكذا : « كل العطايا صالحة » أى أن كل شىء يأتى من الله يكون صالحا .

ثم نلحظ ظاهرة غريبة فى النص اليونانى للرسالة ، فالعبارة المترجمة « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة » ، هى فى الواقع مأخوذة من قصيدة شعرية يونانية فاما أن يعقوب كانت له اذن موسيقية مدربة على الاستماع لتوافق الشعر ، واما أنه اقتبس تلك العبارة من كتاب لا نعرف عنه شيئا .

أن يعقوب يؤكد هنا عدم تغير الله ، ولذلك فانه يستخدم اصطلاحين

فلكيين . فالكلمة المستخدمة للتعبير عن (التغيير) هى كلمة Parallagé والكلمة المستخدمة (لظل الدوران) هى tropé ، والكلمتان لهما صلة بالتغيير فى الاجرام السماوية ، واختلاف الليل والنهار ، ومدار الشمس ، والتغير والافول الذى يعترى الكواكب والنجوم ، واختلاف تالقها ولمعانها . فالتحول والتغير صفتان متلازمتان لجميع الاشياء المخلوقة . والله هو خالق الانوار والسماء ، الشمس والقمر ، والنجوم .

والصلاة الصباحية عند اليهود تقول : « مبارك الرب الاله الذى خلق الانوار » . ان الانوار تتغير ، ولكن خالقها لا يعتر به ظل تغيير .

ثم أن الله له مقاصد طيبة من جهتنا . فكلمة الحق هى الانجيل ، وان الله اذ يرسل لنا (كلمة الحق) فانه يريدنا ان نولد ثانية لكى نحصل على حياة جديدة . فعندما نسمح للانجيل بأن يتخلل جو حياتنا ، فان الحياة الجديدة تسرى فينا ، فتنعدم الظلال ، وتضىء فينا كلمة الحق الثابتة . وان ذلك الميلاد الثانى يؤهلنا لان ننضم الى شعب الله وأن نكون من أهل بيت الله . لقد كان الناموس قديما ينادى بضرورة تقديم الباكورات لله ، فكانت الباكورات تقدم بشكر على مذبح الله ، لانها ملك الله . وهكذا نحن ، فعندما نولد ثانية بكلمة الحق ، فاننا نصبح ملكا لله مثل باكورات الحصاد .

ولذا فان يعقوب يصرح بأن عطايا الله كلها صالحة ، وانها لا يعتريها تغيير بالرغم من تقلب العالم الذى نعيش فيه . وان هدف الله الاسمى أن يخلقنا من جديد بكلمة الانجيل ، حتى يعرف الجميع اننا ملك شرعى لله .

متى نسرع ومتى نبطىء

إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاِسْتِمَاعِ مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ . لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ .

(١ : ١٩ و ٢٠)

توجد قلة من الحكماء الذين يبطئون فى التكلم ، ويسرعون فى الاستماع وانه لمن الاهمية بمكان أن نعمل قائمة بالاشياء التى يجب الاسراع فيها ، والاشياء التى يجب أن نبطىء فى تنفيذها . فى اقوال اليهود القدامى نجد تلك العبارات : « هناك أربعة أصناف من التلاميذ ، صنف منهم يسرع فى الاستماع ، يسرع فى النسيان ، وهذا الصنف يضيع ما استفاد ، وصنف آخر يبطىء فى الاستماع ولا ينسى بسرعة ،وهذا الصنف يضيع قليلا ويستفيد كثيرا . وصنف ثالث يسرع فى الاستماع وينسى ببطء وهذا هو الحكيم . وصنف رابع يبطىء فى الاستماع ويسرع فى النسيان وهذا أشرهم » .

وينصح أوفد Ovid الناس الا يتسرعوا فى القاء اللوم على الآخرين وتوقيع العقاب عليهم ، بل يسرعوا فى مدحهم والثناء عليهم . ويأمر فيلو philo الناس أن يسرعوا فى افادة الآخرين ، وان يبطئوا فى ايذائهم . وقد أكد الحكماء ضرورة الابطاء فى التكلم وقد قال المعلم سمعان Simeon « لقد نشأت وسط الحكماء ، ووجدت انه ليس خير للانسان من أن يصمت . . فالذى يكثر من الكلام يعرض نفسه للوقوع فى الخطية » . ويقول يشوع بن سيراخ : « صر مسرعا فى سماعك ... ان كان لك فهم جاوب قريبك والا فلتكن يدك على فمك . (حكمة يشوع ٥ : ١١ و ١٢) .

وسفر الامثال ملىء بتوبيخ أولئك السريعو التكلم . « كثرة الكلام لا تخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل (أمثال ١٠ : ١٩) «من يحفظ فمه يحفظ نفسه . من يشحر شفتيه فله هلاك » (أمثال ١٣ : ٣) « الاحمق اذا سكت يحسب حكيما ومن ضم شفتيه فهيما » (أمثال ١٧ : ٢٨) « أرأيت انسانا عجولا فى كلامه . الرجاء بالجاهل اكثر من الرجاء به . » (أمثال ٢٩ : ٢٠) .

يقول هورت Hort ان الشخص الصالح يفضل أن يستمع الى كلمة الله بشغف من أن يجاهر بآرائه بكل افتخار . وقدامى الكتاب كانوا يقولون نفس الشىء . فقد قال زينون Zeno : « للانسان أذنان وفم واحد حتى يكثر الاستماع ويقلل التكلم . » وقال باياس Bias « ان كنت تكره العجلة فى الحديث ، فنادرا ما تخطىء . »

لقد اثنى على احد الادباء مرة ، لانه يستطيع ان يصمت مع المامه بسبع لغات مختلفة . فيجدر بنا ان ننتظر وننصت جيدا من أن نندفع فى الكلام .

وينصحنا يعقوب ايضا أن (نبطىء فى الغضب) . ومن الجائز أن يعقوب يرد على بعض الناس الذين يؤيدون ثورة غضب التوبيخ ، وهذا النوع من الغضب فى محله ، فالعالم يفتقر دائما الى أولئك الذين يؤيدون ثورة مقدسة ضد الظلم والطغيان والفساد الناجم عن الخطية . ولكن كثيرا ما يتخذ ذلك ذريعة للغضب القائم على الانانية والاهواء الفردية ، وليس الغضب المقدس .

فالمعلم قد يجد نفسه مندفعا بثورة الغضب على الطالب البطىء الفهم البليد ، ولكنه بالتشجيع والثناء ينتج اكثر بكثير من سياط الاسلوب الجارح، الا فى الاحوال النادرة . والواعظ قد يميل للتوبيخ ، ولكن احسن نصيحة تقدم للوعاظ هى : لا تستعملوا اسلوب التأنيب ، فالواعظ يخسر كثيرا من التأييد اذا لم يبين للشعب بكل حركة وكلمة ، انه يكن له الحب والمودة . فأسلوب الغضب اذ يحمل فى طياته الكراهية ، والتعالى على السامعين ، يفشل فى ان يحرك النفوس لكى تطلب التجديد . والاب كذلك قد يميل للغضب ولكن غضب الاب يأتى بنتائج عكسية ، اذ انه يلقى اصرارا وعنادا ومقاومة لهو اقوى بكثير من اسلوب الغضب لان الغضب يعبر عن الضيق ونفاذ الصبر والضجر ، فيضر اكثر مما ينفع . فأحسن نصيحة تقدم لنتبعها فى الحياة هى أن نبطىء فى التكلم ونبطىء فى الغضب وأن نسرع فى الاستماع .

قبول التعليم بوداعة

لِذَلِكَ اطْرَحُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ وَكَثْرَةَ شَرٍّ فَاقْبَلُوا بِوَدَاعَةٍ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ .

(١ : ٢١)

ان يعقوب يستعمل هنا سلسلة متتابعة من الصور والتعبيرات

الناطقة . فهـو يطلب من قرائه أن يطرحوا عن أنفسهم كل شر ونجاسة . والكلمات المترجمة (اطرحوا) تعني حرفيا (خلع الملابس) ، فهـــو يأمر سامعيه أن يتخلصوا من كل نجاسة كمـــا يتخلص الانسان من ثوب نظيف نخلعه أو كما ينسلخ الثعبان من جلده .

والكلمتان المستعملتان في التعبير عن النجاسة واضحتان . فالكلمة التي ترجمت (نجاسة) هي باليونانية ruparia ، وهي تستعمل للتعبير عن الأقذار التي تلطخ الملابس أو تلوث الجسم . ولكن لها استعمال آخر يجذب الالتفات ، فهي مشتقة من كلمة rupos . وعندما تستعمل كلمة rupos كاصطلاح طبي فانهـــا تعني (صماخ الأذن) ونحن يمكن أن نحتفظ بذلك المعنى هنا ، فان يعقوب يقول لسامعيه أن يتلخصوا من كل ما يعيق آذانهم من الاستماع لكلمة الله .

فعندما يتجمع الصماخ في الاذن فانه يجعل الشخص لا يسمع وبالمثل فان خطايا الانسان تجعله أصما روحيا لايستطيع أن يسمع كلمة الله .

ويتحدث يعقوب أيضا عن « كثرة الشر » perisseia ، ويعتبر الشر كنمو عائق يجب ان يستأصل أو كنمو سرطاني في الجسم . فالشر هو نمو خبيث دنس وقبيح في النفس البشرية ، يجب أن يستأصل .

وهو يأمرهم أن يقبلوا « الكلمة المغروسة » بوداعة . « والـــكلمة المغروسة » باليونانية emphutos ولها معنيان : (أ) « مغروسة » قد تعني فطرية بعكس مكتسبة فلو كان يعقـــوب يقصد هـــذا المعنى ، فان ذلك يكون مماثلا لما قصده بولس عندما يتـــكلم عن الأمم الذين يفعلون بالطبيعة ما هو في الناموس لأنهم يظهرون عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم (رومية ٢ : ١٤ و ١٥) ، ونجد نفس المعنى في العهـــد القديم عن الناموس « بل الكلمة قريبة منك جدا في فمك وفي قلبك لتعمل بهـــا » . (تثنية ٣٠ : ١٤) ويمكن أن يقصد بذلك الضمير .

وان كان هذا هو ما يقصده يعقوب ، فانه يعني عندئذ انه يوجـــد في قلب كل انسان معرفة فطرية بالخير والشر ، واننا يجب أن نسير وفق تلك المعرفة التي حبانا اياها الله .

٢ ـــ وقد تكون كلمة « مغروسة » بمعنى مزروعة ، كما تزرع البذرة

فى الأرض . وفى (عزرا الرابعة ٩ : ٣١) نجـد قول الله : « هأنذا أزرع ناموسى بينهم وتفخرون به » . فان كان المقصود هكذا ، فتكون الفكرة مأخوذة من مثل الزارع (متى ١٣ : ١ — ٨) الذى يخبرنا أن بذار الكلمة تزرع فى قلوب الناس ، فالله يزرع كلمة الحق فى قلوب الناس عن طريق أنبيائه ومبشريه وفوق الكل فى المسيح يسوع ، وكل من هو حكيم يقبل الكلمة مرحبا بها».

ويجدر بنا أن نستفيد من المعنيين معا . فان ما يقصده يعقوب هو أننا نحصل على معرفة تامة بكلمة الله من مصدرين : من أعماق نفوسنا ، ومن روح الله وتعاليم المسيح ومن أفواه المبشرين . فهناك أصوات ترينا الطريق الصحيح صادرة من أعماق قلوبنا ، من داخل نفوسنا ومن خارجها كذلك ، ومن هو حكيم فليسمع وليطع .

ان الحكيم يقبل الكلمة (بوداعة) ، ان كلمة (وداعة) غير دقيقة للكلمة اليونانية prautés التى يستخدمها يعقوب هنا . فالكلمة prautes هى كلمة يونانية يصعب ايجاد كلمة شبيهة لها فى لغتنا . ان أرسطوطاليس يعرف تلك الكلمة بأنها وسط بين حدة الغضب وعدم الغضب ، انها صفة الشخص الذى يستطيع أن يسيطر على مشاعره وأحاسيسه وخلجاته ، سيطرة تامة .

وقد علق (اندرونيكوس روديوس) على ماقاله أرسطوطاليس فقال : « ان كلمة prautes تعنى الاعتدال بالنسبة للغضب ، فيمكن تعريفها بأنها الهدوء والقوة معا ، الا ينـدفع الانسان وراء العاطفة ، ولكنه يسيطر على العاطفة بقدر ما يملى عليه التفكير السليم » .

ويعرف أفلاطون كلمة prautés بأنها كسر حدة ثورة النفس الناجمة عن الغضب ، وهى تعبر أيضا عن حالة النفس المزاجية التى لا تطغى فيها حالة على أخرى من حالاتها . ليس من الممكن أن نجد كلمة واحدة لتعبر عن كل هذا ، ولكن هذه الكلمة تجمع كل الصفات الواجب توافرها فى الشخص المتعلم . ان روح التعليم هى الطاعة والخضوع . انها روح التعليم بدون

غضب أو استياء ، ولذلك فان تلك الروح تواجه الحقيقة حتى ولو كانت الحقيقة مرة مؤلمة ، فروح التعليم لا تعمى عن الحقيقة ، اذ أن روح التعليم لا تسيطر عليها الأهواء ، بل انها ذات عين مفتوحة على الحقيقة . ان روح التعليم لا يضلها التكاسل عن الحقيقة ، فهي تقبل التعليم والتزاماته بأمانة وخضوع .

ان كلمة prautés تعنى السيطرة التامة من جانب الانسان على كل ما يمكن أن يكون عائقا فى سبيل رؤيته للحقيقة وتعلمه لها وطاعته اياها .

سماع الكلمة والعمل بها

وَلٰكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعاً لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلاً فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلاً نَاظِراً وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِى مِرْآةٍ . فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَاهُوَ .

(١ : ٢٢ — ٢٤)

يبرز لنا يعقوب هنا صورتين من صوره البارعة . فهو يتحدث أولا ، عن الشخص الذى يذهب الى الكنيسة ، ويستمع لقراءة الكلمة ولتفسيرها ، وهو يظن أن مجرد الاستماع يجعله فى قائمة المسيحيين . فهو يخدع نفسه اذا اعتقد أن حضوره مع الجمهور للعبادة ، وسماعه الكلمة يكفى فهو يغمض عينيه عن حقيقة هامة وهى أن ما تلى من الفصول الكتابية وما نسمع يجب أن يطبق عمليا فى الحياة ، ان مثل هذا كمثل من يعتقد أن المسيحية ليست الا حضور الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس بانتظام وأن من يحضر اجتماعات الكنيسة دائما ، ويواظب على قراءة الكتاب المقدس لهو مسيحى غيور . ان من يعملون ذلك فقط لم يقطعوا سوى أقل من نصف الطريق للمسيحية ، لأنهم لم يدركوا أن أهم ما فى الامر هو تنفيذ وتطبيق ما سمعوه ليأتى بثمار الاعمال المجدة للمسيح .

ان شخصا كهذا يكون دائما فى اثناء الخدمة فى الكنيسة مثـــــالا يحتذى به ، ولكنه ينسى كل شيء حالما تنتهى الخدمة . ثم يقدم لنـــا يعقوب تشبيها آخر لذلك . فيقول ان مثل هؤلاء كمثل شخص ينظر فى مرآة — لم تكن المرايا القديمة تصنع من زجاج ، بل من معـــدن ذى لمعان شديد — ويرى ما يوجهه من أقذار ، وشعره المشعث ثم يذهب بعيـــدا عن المرآة ، وينسى ما هو ، ولذلك فانه يظل على ما هو عليه دون تغيير .

فعند سماعه للكلمة ، يعرف حقيقة نفسه ، وما يجب أن يكون عليه ، انه يرى أخطاءه وطرق اصلاح حالته ، ولكن لأنه مجرد مستمع ، فانه يظل كما هو ، وقد ذهب ما سمعه أدراج الريح .

فيعقوب يفعل حسنا اذ يذكـرنا بأن ما نسمعه فى الـكنائس يجب أن نحياه ونطبقه فى مكان البيع والشراء ، والا فلا فائدة من كل ما نسمع .

الناموس الـكامل

وَلٰكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ وَثَبَتَ وَصَارَ لَيْسَ سَامِعاً نَاسِياً بَلْ عَامِلاً بِالْكَلِمَةِ فَهٰذَا يَكُونُ مَغْبُوطاً فِي عَمَلِهِ .

(١ : ٢٥)

لقـــد كان « لوثر » لا يحب تلك الفقرة من رسالة يعقوب ، فقد كـان « لوثر » لا يحب فكرة الناموس كلية ، لانه يفضل أن يقول مع بولس « لأن غاية النـاموس هى المسيح (رومية ١٠ : ٤) . فلوثر يقـول ان يعقوب يرجع بنا الى الناموس والأعمـال . ولكن لا شك أن يعقوب على حق فيمـا ذهب اليه من معنى ، فالمسيحية الزاما خلقيـا . ففيهـا ناموس للسلوك والحياة يجب على المسيحى أن يقبله ويتبعه وهذا الناموس نجده فى الوصايا العشر أولا ، وفى تعـــاليم المسيح ووصاياه ، وأن يعقوب يسمى ذلك « الناموس » .

أولا — « الناموس الكامل » ، وتلك التسمية ترجع لأسباب ثلاثة :

(ا) انه ناموس الله ، الذى أعلنه الله . انه منهج وأسلوب للحيـاة رسمه يسوع لتابعيه ليتمموا ارادة الله . (ب) انه ناموس كامل لأنه لا يوجد ما هو افضل منه ، فالناموس المسيحى هو ناموس المحبـة . فعندما تحب احدا ، فاننا ندرك انه لو قدمنا له كل ما فى العالم ولو خدمناه طول عمرنا ، فانا لا نفيه حقـه ، فالمحبـة قوية ولا يمكن لأى شىء أن يطفىء لهيبها . فالناموس المسيحى كامل لانه لا يوجد ناموس أفضل منه . (حـ) والناموس المسيحى كامل أيضا لسبب آخر . فكلمة كامل teleios تعنى الكمال لتحقيق غاية معينـة ، انه كمـال يحقق هدفا فان كان احد يطيع ناموس المسيح ، فانه بذلك يحقق الغرض الذى وجد من أجله . انه يصل الى الحالة التى يجب أن يكون عليها من نفع للآخرين ، فيصير كاملا اذ يطيـع ناموس الله ، فيحقق الهدف الذى وجد من أجله فى العالم .

ثانيا ــ انه يسميه « ناموس الحـرية » أى انه الناموس الذى يمنح الحرية لكل من يتبعه . فقد اتفق عظماء الرجال على أن الانسان لا يصبح حرا الا اذا اتبع ناموس الله . فقد قال الحكيم « سنيكا » « ان الحرية هى طاعة ناموس الله » وقال الرواقيـون « ان الأحرار هم الحكماء ، والعبيد هم الحمقى » . وقال فيلون : « ان كل من يخضع لسلطان الغضب او الشهوة أو اى رغبة جامحة فانه يكون عبـدا ، وكل من يتبع النـاموس فهـو حر » . وما دام الانسان يطيع صوت رغباته ، وأهوائه فهـو ليس بأكثر من عبد . ولكن عندما يقبل الانسان ارادة الله الرامية لتحريره حقا ، عنـدئذ يصبح حرا فى أن يعمل الصلاح ، حرا فى أن يصل الى المستوى اللائق به ، فخدمة الله هى الحرية التامة ، وسلامنا يتوقف على عمل مشيئته .

الديانة الحقـة

إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِيكُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ دَيِّنٌ وَهُوَ لَيْسَ يُلْجِمُ لِسَانَهُ بَلْ يَخْدَعُ قَلْبَهُ فَدِيَانَةُ هٰذَا بَاطِلَةٌ . اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هٰذِهِ افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ . (١ : ٢٦ و ٢٧)

ماذا يقصد يعقوب بذلك ؟ والكلمة المترجمة (ديانة) وهى ، thréskeia لا تعنى المظهر الخارجى للديانة من طقوس وكهانة واحتفالات . انها عبادة كجزء من الخدمة ، انها عبادة بالمعنى الذى نقصده حين نتحدث عن انواع الخدمات المختلفة التى تقدم فى سائر الكنائس .

ان يعقوب يريد ان يقول « ان اعظم طقس واعظم خدمة دينية تقدم لله ، هى خدمة الفقراء ، والنقاوة الداخلية » .

فالعبادة الحقة فى نظر يعقوب ، ليست فى الامكانيات الضخمة للكنائس ، ولا فى عظمة رجال الدين ، ولا فى الموسيقى العذبة ولا فى العظات البليغة ، انها فى خدمة الجنس البشرى خدمة مضحية ، وفى نقاوة السيرة والسريرة .

ان يعقوب يصر على ان اعظم طقوس العبادة لا يمكن ان تغنى عن الخدمة المسيحية للآخرين . فقد يجوز ان تطغى مظاهر الأبهة فى الكنيسة ، من مبان جميلة ، ورجال دين فطاحل ، على الخدمة المسيحية الحقة ، حتى ان الكنيسة لا يكون لديها الوقت او المال للقيام بخدمة كهذه ، وهذا هو مايحاربه يعقوب بعنف .

الأصحاح الثانى

محاباة الوجــود

يَا إِخْوَتِي لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّ الْمَجْدِ فِي الْمُحَابَاةِ .

(٢ : ١)

ان « المحاباة » تعبير ورد فى العهــد الجديد للتعبير عن التحيز الغــير عادل ، فمحاباة الوجود تعنى الوقوع تحت نفوذ أو تأثير بعض النـــاس أو محاولة ارضائهم بسبب غناهم أو سطوتهم او مركزهم ، والعهد الجـــديد يهاجم تلك المحاباة . ان قادة اليهود قد تحولوا عن المسيح كلية لأنه لم يكن يحابى الوجوه ، وقد صرحوا بذلك ، اذ قالوا ان المسيح لا يعرف المحــاباة ، وانه لا يحترم الأشخاص لنفوذهم،فهو لا يعرف المحسوبية (لوقا ٢٠ : ٢١ ، مرقس ١٢ : ١٤ ، متى ٢٢ : ١٦) .

وبعد ان راى بطرس الملاءة وعليها الحيوانات الطاهرة والنجسة ، قيل له ان الله لا يحابى الوجوه (اعمال ١٠ : ٣٤) .

وقد قال بولس ان الامم واليهود تحت دينونة واحدة أمام الله ، لان الله لا يحابى الوجوه (رومية ٢ : ١١) وقد اكد بولس تلك الحقيقة مرارا وتكرارا (افسس ٦ : ٩ ، كولوسى ٣ : ٢٥) .

والكلمة المستعملة لذلك هى Prosoplēmpsia ، والاسم مشتق من التعبير Prosopon Lambanein ان Prosopon تعنى الوجه ، Lambanein تعنى يرفع . والتعبير فى اليونانية ترجمة حرفية من عبارة عبرية الأصل .

فان « ترفع وجه انسان » اى تعامله معاملة خاصة ، وذلك تمييزا عن عبارة « تخفض وجهه » والعبارة فى الأصل لا تعنى سوى معاملة شخص بأسلوب المحبة ، فيتساءل ملاخى النبى : « ان قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شرا .. قربه لواليك أفيرضى عليك او يرفع وجهك » (ملاخى ١ : ٨ و ٩) . لكن بمضى الوقت اكتسب التعبير معنى آخر ، فلم يعد يعنى اظهار المحبة لشخص ما بقدر ما يعنى المحسوبية والتحيز الغير عادل نحو شخص ما بسبب مركزه الاجتماعى أو شهرته او نفوذه أو ثرائه وذلك أمر يجب محاربته . ونجد ملاخى يشهر بتلك الخطية عندما يقول : « ان الناس لم تعد تسلك فى طرق الله وانهم حابوا فى الشريعة » (ملاخى٢:٩) فمن أبرز صفات الله العدل وعدم التحيز . اذ انه مكتوب فى الناموس : « لا ترتكبوا جورا فى القضاء ، لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير . بالعدل تحكم لقريبك » (لاويين ١٩ : ١٥)، وهنا نقطة هامة يجدر الاشارة اليها . فقد ينحاز الانسان الى شخص ما بسبب غناه ، كما قد لا يحكم بالعدل بسبب حيزه للفقير . وقد قال يسوع بن سيراخ : « الرب قاض ، وليس عنده محاباة » (حكمة يشوع ٣٥ : ١٦).

وكلا العهدين القديم والجديد يتفقان فى حكمهما على التحيز فى القضاء ، والمحسوبية الناجمة عن مراعاة مركز الانسان الاجتماعى أو ثرائه أو نفوذه وقد يقع اى انسان فى هذه الغلطة . ويقول سفر الأمثال : « الغنى والفقير يتلاقيان . صانعهما كليهما الرب » (أمثال ٢٢ : ٢) .

ويقول يشوع بن سيراخ : « ليس يحق أن تهين فقيرا فهيما . ولا بواجب أن تكرم رجلا خاطئا » . (حكمة يشوع ١٠ : ٢٣)

ويجدر بنا أن نذكر أن من يحابى الفقير كمثل من يخضع لأهواء الطاغية .

خطر التعالى على الفقراء داخل الكنيسة

فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَوَاتِمِ ذَهَبٍ فِي لِبَاسٍ بَهِيٍّ وَدَخَلَ أَيْضاً فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخٍ . فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللاَّبِسِ اللِّبَاسَ الْبَهِيَّ وَقُلْتُمْ لَهُ اجْلِسْ أَنْتَ هُنَا حَسَناً وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ قِفْ أَنْتَ هُنَاكَ أَوِ اجْلِسْ

هُنا تحتَ مَوطِىءِ قَدَمَىَّ . فَهَلْ لاَ تَرْتَابُونَ فِى أَنفُسِكُمْ وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفكَارٍ شِرِّيرَةٍ .

(٢ : ٢ — ٤)

كان يعقوب يخاف أن تغزو الكنيسة روح التعالى والزهو على الفقراء . وهو يرسم لنا صورة لرجلين يدخلان الكنيسة ، أحدهما يلبس ملابس بهية ، وخواتم ذهبية . فقد كان الأثرياء قديما يلبسون خواتم فى كل اصبع ما عدا الاصبع الاوسط ، وكانوا يلبسون أكثر من خاتم فى كل اصبع ، وعندما يريدون التظاهر بعريض الجاه فانهم يستأجرون خواتم أكثر من ذلك ليلبسوها . قال سنيكا « نحن نحلى أصابعنا بالخواتم ، ونضع اللآلىء حول مرافقنا » .

وكان أكليمندس الاسكندرى يوصى بأن المسيحى لايصح ان يلبس أكثر من خاتم واحد فى الخنصر ، وانه يجب ان يرسم عليه شعارا مسيحيا كحمامة مثلا أو سمكة أو مرساة ، وأن الحكمة من لبسه هو أن يكون كعلامة مميزة للمسيحى .

فعندما يدخل الكنيسة شخص انيق الثياب ، ويلبس كثيرا من الخواتم ، ويدخل شخص آخر أكبر منه سنا ، ويلبس ملابس رثة لانه فقير ، وهو لا يتحلى بالجواهر ، ثم يستطرد يعقوب فيقول : ان الرجل الغنى يقدم له مقعد وثير باحترام واجلال ، بينما يؤثر الرجل الفقير أن يقف على قدميه أو يجلس على الأرض عند موطىء قدمى الرجل الغنى . ان هذه الصورة غير مبالغ فيها ، وهذا يتضح من التعليمات الواردة فى بعض الكتب القديمة الخاصة بنظام الخدمة . فقد استشهد « رويز » بفقرة من أحد الكتب الأثيوبية وهو كتاب (قوانين الرسل) الذى ورد فيه : « ان دخل الى الاجتماع رجل أو امرأة بملابس بهية ، فلا يحق لك يا من تقود الاجتماع فى الوعظ أو القراءة من الكلمة أن تكف عن خدمتك لكى تهيىء مكانا لذلك الشخص ، بل اتركه وشأنه ، فان الأخوة سوف يستقبلونه ويهيئون له مكانا ... وان دخل الى الاجتماع رجل فقير أوامرأةفقيرةولايوجدمكان،فاجتهد يا من تقود الاجتماع بكل وسيلة أن توجد مكانا حتى ولو اضطررت للجلوس

على الأرض لتفسح مكانا ، فلا ينبغى لك أن تحابى بالوجوه » . هنا نجـــد نفس الصورة ، فقد يوقف قائد الاجتماع الخدمة ليهيىء مكانا خاصا للرجل الغنى الداخل الى الاجتماع .

فلا شك أن الكنيسة الأولى واجهت مشاكل اجتماعية ، لان الكنيسة كانت المكان الوحيد فى العالم قديما حيث لم تكن فيه أية فوارق اجتماعية . فلا بد أن السيد الذى يجد نفسه جالسا بجـــوار عبده كان يحس بشىء من التأفف والضيق عندما يرى أن عبده هو قائد الخدمة الذى يقدم مائدة الرب ، فقد كان الفارق وقتئذ بين العبــد ــ الذى لم يكن أمام القانون سوى أداة فى يد السيد ــ وبين سيده عظيما جدا حتى أنه لابد أن مشاكل كثيرة كانت تحدث من هــذا القبيل . ثم أن الكنيسة قديما كانت فقيرة ، فعندما يتجــدد أحد الأغنياء وينضم الى جماعة المسيحيين ، كانوا يميلون الى التفاخر به ، واعتباره من الغنائم التى ربحوها للمسيح .

ولكن الكنيسة لا يصح أن تكون مكانا تظهر فيه تلك الفوارق ، فليس هناك أى تمييز بين الناس بسبب الرتبة أو الشــهرة أو المركز ، فالجميع سواسية فى حضرة الله ملك المجد . فأمام قــداسة الله ، ليس لأى انسان فضل أو أحقية على انسان آخر ، وجميع الفوارق الارضية أمامه كلا شىء ، وكل بر أرضى أمامه لهو خرق بالية . فى حضرة الله ، جميع البشر متساوون .

فى عــدد (٤) نجد القول « فهل لا ترتابون فى أنفسكم » ، وقد وردت كلمة diekrithéte باليونانية للتعبير عن ذلك المعنى ، وهى قد تعنى (١) « أنك تتردد وتتذبذب فى حكمك ان كنت تفعل هكذا » . اى « اذا كنت تفضل الغنى على الفقـــير فى الكرامة ، فأنت تقيس بمعيارين ، معيار العـــالم ومعيار الله ، فلا تستطيع أن تحدد اتجاهك أى طريق تسلك » .

(٢) وقد تعنى « أنك مذنب بسبب مراعاة الفوارق الطبقية . أنك تقيم حواجز بين الانسان وأخيه ، لا يصح أن توجد بين أخوة مسيحيين .. ونحن نفضل المعنى الثانى ، لأن يعقوب يقول بعـــدها ، ان كنتم تفعلون كذلك « تصيرون قضاة أفكار شريرة » اى انكم تكسرون وصايا ذاك الذى قال : « لا تدينوا لكى لا تدانوا » . (متى ٧ : ١) .

غنى الفقراء وفقر الاغنياء

اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاء أَمَا اخْتَارَ اللهُ فُقَرَاءَ هٰذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الإِيمَانِ وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهَنْتُمُ الْفَقِيرَ. أَلَيْسَ الأَغْنِيَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْكُمْ وَهُمْ يَجُرُّونَكُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ. أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الاسْمِ الْحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

(٢ : ٥ — ٧)

قال ابراهام لنكولن : « لابد أن الله يحب الانسان العادى ، لانه خلق منه عددا كبيرا » ، ان المسيحية تقدم رسالة خاصة للفقراء لقد كانت أول عظة للمسيح فى مجمع الناصرة : « لأنه مسحنى لابشر المساكين » (لوقا ٤ : ١٨) وكانت اجابته على سؤال يوحنا ان كان هو المسيح أم لا بقوله « المساكين يبشرون » (متى ١١ : ٥) .

وأولى التطوبيات تطويب الوعد القائل « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣) ، ونجد الوعد فى لوقا أكثر وضوحا اذ يقول : « طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » (لوقا ٦ : ٢٠) وكان المسيح يوجه رسالته الى جموع الشعب العادى فى الخلاء ، وعلى الجبل ، وعلى شاطىء البحر . وكان الوعاظ قديما فى زمن الكنيسة الاولى ، يعظون للجماهير فى الشوارع . فقد كانت رسالة المسيحية أن أولئك الذين لا يهتم بهم أحد ، مهمون فى نظر الله .

وقد كتب بولس الى أهل كورنثوس : « فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد . ليس كثيرون اقوياء ليس كثيرون شرفاء » . (١ كو ١ : ٢٦) ، ولا يعني ذلك أن المسيح والكنيسة لا يحبان الحكماء أو الاقوياء أو الشرفاء حسب الجسد ، فاننا يجب أن نحذر التحيز للفقراء . ولكنها حقيقة نلمسها بوضوح أن الانجيل يقدم الكثير للفقراء، ويطلب الكثير من الاغنياء وأن السواد الاعظم فى الكنيسة كان من الفقراء .

ولقد كان عامة الشعب هم الذين استمعوا الى المسيح بفرح ، ولكن الشاب الغنى هو الذى مضى حزينا لانه كان ذا أموال كثيرة . ولكن يعقوب لا يوصد الباب فى وجه الأغنياء ، فهو لا يقول الا أن انجيل المسيح عزيز على قلب الفقير وأن المسيح يفتح ذراعيه مرحبا بمن لا يجدون ترحابا من أحد ، وأنه رفع من قيمة أولئك الذين اعتبرهم العالم من سقط المتاع .

ففى المجتمع الذى كان يوجد فيه يعقوب ، كان الأغنياء يظلمون الفقراء، وكانوا يجرونهم الى المحاكم بسبب الديون التى عليهم . فقد وصل الفقر ببعض النـــاس الى الحضيض حتى أنهم لم يحصلوا على قوتهم الا بشق الأنفس ، وكثر المرابون الظالمون . وانتشرت قديما عادة ذميمة ، فحين كان يقابل الدائن المدين فى الشـــارع ، فانه كان يمسك بتلابيب ثوبه ويجره الى المحكمة . كان هذا هو تصرف الأغنياء نحو الفقراء ، فلم يكن عندهم أى عطف على الفقراء ، وكل ما كانوا يبغونه هو الحصول على ما لهم من نقود حتى آخر فلس .

ان يعقوب لا يدين الغنى ، ولكنه يهاجم سلوك الاغنياء الذين لا يرحمون الفقراء .

وان الأغنياء هم الذين « يجدفون على الاسم الحسن » الذى دعى على المسيحيين وقد يكون هذا الاسم هو الذى دعى به المسيحيون أولا فى انطاكية أى كلمة « مسيحيون » أطلق هـــذا الاسم على المسيحيين لمجرد السخرية منهم أو كمجرد لقب الصق بهم . وقد يكون القصد من « الاسم الحسن » هو المسيح الذى كان يعمد به كل مسيحى .

والكلمة التى يستعملها يعقوب مقابل (دعى) هى كلمة **epikaleisthai** وهى نفس الكلمة المستعملة للزوجة التى تتخذ اسم زوجها عند الزفاف أو عن الطفل الذى ينسب لوالده .

فالمسيحى يتخذ اسم المسيح ، ويسمى باسم المسيح كما لو كان عروس المسيح أو مولودا معمدا فى العائلة التى يراسها المسيح .

كانت هناك دوافع قوية تجعل الأغنيـــاء والسادة يجدفون على اسم

المسيح . فالعبد الذى اصبح مسيحيا قد اكتسب شخصية مستقلة ، لانه لم يعد يتمسح فى ما لسيده من قوة أو سطوة ، ولم يعد العقاب يهدده أو يرعبه ، فهو يواجه سيده متشحا بملابس الرجولة الحقة .

ثم انه يتحلى بالامانة ، وهذا يجعل منه عبدا أفضل ، ولكنه لا يمكن أن يكون آلة مسخرة فى يد سيده لتحقيق الرغبات الشريرة لذلك السيد ، والتى لم تعد تنطلى عليه أو تهمه . والعبد المجدد اصبح يقدر معنى العبادة ، فهو يصر ان يترك عمله فى يوم الرب حتى يعبد مع شعب الله . ولكل تلك الأسباب ، كان السيد يشتم المسيحيين ، ويجدف على اسم المسيح .

الناموس الملوكى

فَإِنْ كُنْتُمْ تُكَمِّلُونَ النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ . تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ . وَلٰكِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحَابُونَ تَفْعَلُونَ خَطِيَّةً مُوَبَّخِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ . لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ . لِأَنَّ الَّذِي قَالَ لاَ تَزْنِ قَالَ أَيْضًا لاَ تَقْتُلْ . فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلٰكِنْ قَتَلْتَ فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ .

(٢ : ٨ — ١١).

ان ترابط الفكرة بين هذه الفقرة والفقرة السابقة واضح .فان يعقوب يهاجم الشخص الذى يهتم اهتماما خاصا بالغنى الذى يدخل الكنيسة . وقد يرد الشخص على هذا الهجوم قائلا : « ولكن الناموس يأمرنى أن احب قريبى كنفسى . ولذا فأنا مضطر ان ارحب بالشخص الداخل الى الكنيسة» . وكأنى بيعقوب يجيب قائلا : « حسنا ، ان كنت ترحب بالغنى لانك تحبه مثل نفسك ، وتود ان ينال من الترحيب مثلما تود لنفسك . فهذا جميل . ولكن ان كنت ترحب به ترحيبا خاصا لانه غنى ، فهذه محاباة للوجوه ، وهذا خطأ — وبذلك فانت لا تحفظ الناموس بل تكسر الناموس . وأنت لا تحب

قريبك ، والا ما كنت تهمل الرجل الفقير . ان ما تحبه حقا هو الثروة — وهذا مخالف للناموس » .

ان يعقوب يسمى الوصية العظمى التى تنـــادى أن نحب أقرباءنا كأنفسنا ، « بالناموس الملوكى » . وتلك العبارة لها معان عديدة :

فقد تعنى أسمى ما فى الناموس . وقد تعنى الناموس الذى مصــدره ملك الملوك اى أنه ناموس الملك . وقد تعنى أن الوصية تاج لجميع الوصايا ، وأنها القانون الذى ينير الســبيل أمام جميع القوانين ، وأنه فى ضوء ذلك القانون يجب تطبيق جميع القـــوانين واللوائح الأخرى . ومن الجائز أن العبارة تعنى انه الناموس الذى به تنصب الملوك وأنه ناموس الملوك . فالمسيحيون هم كهنوت ملوكى (رؤيا ١ : ٦) ، وأن حفظ ذلك الناموس الاعظم يعنى أن يصبح الانسان ملكا فذلك النـــاموس ناموس الملوك وهو كفيل بأن يصير من يتبعه من العائلة الملكية .

ان يعقوب يرسى هنا مبدأ هاما من ناموس الله ، فالذى يكسر اى جزء منه ، يكسر الناموس كله . كان اليهودى يعتبر الناموس سلسلة من اللوائح المنفصلة . وعنــدما يحفظ الانسان احــدى اللوائح والقوانين ، فانه يربح مغنما ، وعندما يكسر احداها فانه يكوم دينا عليه . ولذلك فان الانســان يمكن بعملية جمع ما ربحه نتيجة حفظه لبعض الوصايا ثم طرح ما خسره منها نتيجة كسره لبعض الوصايا ، فينتج ما له أو ما عليه . وقد كان هناك مثل يهودى يقول : « ان من يتمم وصية واحدة فقط ، فانه ينال خيرا ، فتطول أيامه ويرث الارض » .

وكان معمو اليهود يقولون : « ان وصية حفظ السبت من أهم الوصايا، ومن يحفظ تلك الوصية فانه يحفظ الناموس كله » .

وبهذه الطريقة ، فان الانسان يمكنه أن يحفظ بعض الوصايا ويكسر البعض الآخر ، ثم يتبقى له رصيد من الربح .

ولكن يعقوب يرى أن كل الناموس من الله ؛ ومن يكسر أى جزء منه فانه يتعدى على كل الناموس . ويخالف ارادة الله ؛ وبذلك فانه يكون مرتكبا للخطية . وهذا حق ، فان من يكسر أى جزء من الناموس ، يصبح فى الواقع

متعديا للناموس . وحتى فى القوانين الارضية ، من يكسر قانونا واحـــدا يعد مجرما . ولذلك فكأن بيعقوب يقول : « بغض النظر عن كل صـــلاح عملته ، فانك ان حابيت بالوجوه ، فانك تكون ضد خالفت ارادة الله ، وكسرت ناموس الله ، واصبحت متعديا » .

وهنا تجدر الاشارة الى حقيقة هامة ذات صلة بالموضوع . فقد يكون الشخص صالحا ، ومنفذا لمعظم الوصايا ، ولــكنه قد يفسد كل هذا ان وقع فى غلطة واحدة . وقد يكون الشخص على جانب كبير من الخلق ، لايتعثر فى اقواله ، مدققا فى حياته ، ولكنه قد يكون قاسيا تعوزه الرحمـــة والعطف على الآخرين ، معتدا ببره الذاتى . ان شخصا كهذا يفسد كل صلاح عمله .

فيجدر بنا اذن أن نحذر ، لئلا فى غمرة ادعائنا بأننا تممنا كثـــيرا من الصلاح واننا قاومنا الشر ، قد ننسى أن خللا فى حياتنا قد يفسد علينا كل شيء . وان كل صلاحنا قد راح عبثا .

ناموس الحرية وحياة الرحمة

هَكَذَا تَكَلَّمُوا وَهَكَذَا افْعَلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ . لِأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً . وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ .

(٢ : ١٢ — ١٣)

واذ يختم يعقوب فصلا من حديثه ، فانه يعود ليذكر قارئيه بحقيقتين عظيمتين فى الحياة المسيحية :

١ — ان المسيحى يسير وفق (ناموس الحرية) ، وهو يحاكم بذلك الناموس ايضا . وان ذلك يعنى أن المسيحى لا يخضع كالفريسيين واليهود المدققين لبعض القوانين والتنظيمات المفروضـــة عليهم من الخارج ، ولكنه يتصرف وفق دافع المحبة الذى يحركه من الداخل ، أى أن المسيحى يسير وفق المحبة الذى فى قلبه أن من يسلك الطريق القويم — طريق محبة الله ومحبة

القريب — لا يفعل ذلك لأن هناك ناموسا يفرض عليه من الخارج ، وليس لانه واقع تحت تهديد بالعقاب ان هو لم يعمل ذاك ، بل لان محبة المسيح داخله تجعله يرغب ويشتهى أن يتمم ذلك . ان المسيحى لا يتصرف وفق ناموس بشرى ، بل حسب دوافع المحبة الالهية .

٢ — ان المسيحى يجب أن يتذكر أن من يرحم ويعطف على الآخرين ، ينال رحمة . وهذا مبدأ نجده واضحا فى الكتاب كله . فالمرنم يقول : « مع الرحيم تكون رحيما . مع الرجل الكامل تكون كاملا » (مزمور ١٨ : ٢٥) ، ويكتب بن سيراخ قائلا : «اترك لقريبك المضر لك وحينئذ تغفر خطاياك اذا استغفرت عنها . الانسان يحقد على الانسان فكيف يطلب من الرب المغفرة لا يرحم الانسان شبيهه فكيف يستغفر عن خطاياه » (حكمة يشوع ٢٨ : ٢ — ٤) ، وقال يسوع : « طوبى للرحماء لانهم يرحمون » (متى ٥ : ٧) « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى . وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ و ١٥) « لا تدينوا لكى لا تدانوا ، لانكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون » (متى ٧ : ١ و ٢) ، وقد قص المسيح مثل العبد الذى نال جزاءه لانه لم يرحم العبيد رفقاءه ، وأنهى المثل بالقول : «فهكذا أبى السماوى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيه زلاته » (متى ١٨ : ٢٢ — ٣٥) . ونحن نجد ، ان كل تعاليم الكتاب المقدس تتفق على أن من يرحم يجب أن يرحم ، ويذهب يعقوب الى أبعد من ذلك اذ يقول فى ختام حديثه « ان الرحمة تفتخر على الحكم » ،وهو يعنى بذلك انه فى يوم الدينونة يكتشف الشخص الذى يرحم أن رحمته قد ازالت خطاياه هو .

الايمان والاعمال

ما اَلْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَاناً وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ . هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ . إِنْ كَانَ أَخٌ وَأُخْتٌ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ . فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمُ امْضِيَا

بِسَلاَمٍ اسْتَدْفِئَا وَاشْبَعَا وَلٰكِنْ لَمْ تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ فَمَا الْمَنْفَعَةُ . هٰكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ .

لٰكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ . أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي . أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ حَسَنًا تَفْعَلُ . وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ .

وَلٰكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْبَاطِلُ أَنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ . أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرٰهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ إِذْ قَدَّمَ إِسْحٰقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ . فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ . وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ فَآمَنَ إِبْرٰهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ . تَرَوْنَ إِذًا أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ . كَذٰلِكَ رَاحَابُ الزَّانِيَةُ أَيْضًا أَمَا تَبَرَّرَتْ بِالأَعْمَالِ إِذْ قَبِلَتِ الرُّسُلَ وَأَخْرَجَتْهُمْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ . لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ هٰكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ .

(٢ : ١٤ — ٢٠)

سنفسر هذه الفقرة ككل ، قبل أن نشرحهـــا بالتفصيل ، لأن الفقرة يستشهد بها دائما للتدليل على وجود خلاف فى الرأى بين يعقوب وبولس .

فان بولس يركز دائما على أن الانسان يخلص بالايمان وبالايمان وحده ، وان الأعمال لا شـــأن لهـا بالاخلاص . « اذا نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس » . (رومية ٣ : ٢٨) الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بايمان يسوع المسيح ... لانه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما (غلاطية ٢ : ١٦) . فقد يقال اذن ان يعقوب لا يختلف مع بولس فحسب، ولكنه يتعارض معه كلية ولذا فاننا يجب أن نعطى الموضوع حقه من الاستيفاء والبيان فنقول :

١ — ان ما يؤكده يعقوب هو فى الواقع أمر بالغ الاهمية فى كل العهد الجديد . فقد كان يوحنا المعمدان يعلن على الملأ أن الناس يجب أن تصنع أثمارا تليق بالتوبة (متى ٣ : ٨ ، لوقا ٣ : ٨) وانهم يجب أن يبرهنوا على توبتهم بأعمالهم الصالحة . وكان تعليم المسيح للناس أن يحيوا حياة يراها الآخرون ، فيعطوا مجدا لله (متى ٥ : ١٦) ، وقد أكد مرارا أنه من ثمارهم يعرفونهم ، وأن ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يصنع ارادة الله ، فالايمان الذى لا يظهر سوى الاقوال عديم النفـع (متى ٧ : ١٥ — ٢١) .

وأن هذه النبرة نجدها واضحة أيضـا فى كتابات بولس ، فقليل من المعلمين قد أكد أهمية الناحية العملية فى المسيحية كما فعل بولس .

فمع أن رسائل بولس تمتاز بالتعاليم اللاهوتية والعقائدية ، الا أنه لا يجب أن يفوتنا ما بها من جانب عملى يحض فيه بولس على أهمية الاعمال فى المسيحية فبولس يعلق اهمية كبرى على الأعمال ، اذ يذكر أن الله سوف يجازى كل واحد كما يكون عمله (رومية ٢ : ٦) ، وهو يقول ان كل واحد سوف يقدم عن نفسـه حسابا أمام الله (رومية ١٣ : ١٢) ، وهو يقـول ان كل واحد سيأخذ اجرته حسب تعبه (١ كو ٣ : ٨) .

وهو يحذر قائلا : اننا جميعا سوف نظهر أمام كرسى المسيح لننال كـل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا (٢ كو ٥ : ١٠) ، وأن المسيحى يجب أن يخلع الانسان مع أعماله (كولوسى ٣ : ٩) ولا يمكن لأحد أن يقرأ رسائل بولس دون أن يرى الاهمية التى يعلقهـا بولس على

الاعمال كجزء من الحياة المسيحية ، ونحن نلمس ذلك بوضوح مى كل اجزاء العهـد الجديد .

٢ ـ ومع كل ذلك ، فان من يقرأ رسالة يعقوب يخيل اليه انه يخالف بولس ، لأن بولس يضع الايمان والنعمة فى المرتبة الاولى ، بينما نجد أن يعقوب يضع الاعمال فى المقام الاول ، ولكن ما يهاجمـه يعقوب ليست المبادىء البولسية ، بل هو الانحراف بتلك المبادىء وسوء تفسيرها .

ويمكن تلخيص موقف بولس فى آية واحـدة : « آمن بالرب يسوع فتخلص » (اعمال ١٦ : ٣١) ، ولكن اهمية ذلك الأمر يتوقف على معنى كلمة « آمن » ، فهنـاك نوعان من الايمان : فهناك ايمان عقلى ، وهو يعنى قبول الحقائق بالعقل . فمثلا ، أنا اعتقد ان مساحة المربع المنشأ على الوتر فى المثلث القائم الزاوية يكافىء مجموع مساحتى المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين . فأنا لا اشك فى حقيقة ذلك . وحتى لو شككت ، فيمكننى بالبرهان اثبات تلك الحقيقة ، ولكن ذلك ليس له اى تأثير على حياتى . فانى اقبل تلك الحقيقة دون أن يكون لها تأثير على . ولكن من الناحية الاخرى ، انى أعتقد أن خمسة زائد خمسة تساوى عشرة ، ولذا فانى أرفض أن ادفع اكثر من عشرة قروش فى شراء عشرة طوابع بريد من فئة العشرة مليمات . فانى اقبل تلك الحقيقة واسير على هداها فى الحياة . فقبولى لتلك الحقيقة ليس عقليا فقط ، ولكنه ذو تأثير على فى كل ناحية من نواحى الحياة .

ان ما يهاجمه يعقوب هو النوع الأول من الايمان اى ذلك النوع الذى يقبل الحقائق دون أن تكون لهـا تأثير على الحياة . فالشياطين مقتنعـة اقتناعا عقليا بوجود الله ، وهم يقشعرون أمام الله ، ولكنهم برغم كل ذلك ما زالوا شياطين ، وان ايمانهم لم يغيرهم فى شىء . ولكن ما كان ينادى به بولس هو النوع الثانى من الايمان ، فان تؤمن بالمسيح يعنى أن ذلك الايمان يتخلل كل جوانب حياتك ، يعنى أن تحيا بذلك الايمان .

فمن السهل تحريف المبادىء البولسية ، وتجريد كلمة « آمن » من كل معنى ، وأن ما يهاجمه يعقوب هو تحريف المبـادىء البولسية أو سوء فهم تلك المبادىء انه يهاجم الشهادة المسيحية التى لا يدعمها الاختبار العملى ،

انه يهاجم مجرد قبول المسيحية قبولا لا يبنى على العقل وحده ، وأن بولس ليضم صوته مع يعقوب في هذا الهجوم .

٣ ـ وحتى بالرغم من هذا ، فانه يوجد اختلاف بين يعقوب وبولس ، والاختلاف الوحيد بينهما هو أن كلا منهما يتحدث عن وقت معين في حياة المسيحي . فبولس يتكلم عن بادىء ذى بدء في حياة المسيحي . فهو يصر على انه ما من شخص يستطيع الحصول على غفران الله من ذاته ، وانه ما من انسان يستطيع تكوين علاقة مع الله بمجهوده الفردى فتلك الخطوة الأولى تأتى نتيجة عمل نعمة الله المجانية ، وما على الانسان الا أن يقبل الغفران الذى يقدمه الله في يسوع المسيح ، فيمكنه أن يقبل فقط عطية الله عن طريق الباب الذى فتحه الله . وأن تلك الخطوة الأساسية ، لا دخل للانسان فيها ، ولكن مصدرها الله .

ولكن يعقوب يتحدث عن فترة تالية في حياة المسيحي . انه يبدأ بالتحدث عن المسيحي الذى ينادى بأن خطاياه قد غفرت ، والذى يجاهر بأنه أضحى في علاقة وثيقة بالله . ان يعقوب يقول بأن انسانا كهذا ، يجب أن يحيا حياة جديدة لأنه أصبح خليقة جديدة . انه قد تبرر ، ويجب أن يسير قدما في طريق التقديس . وان بولس لا يخالف ذلك الرأى على الاطلاق .

حقا انه لا يخلص أحد بالاعمال ، ولكنه حق كذلك أنه ما من شخص يمكن أن يخلص دون أن تكون له اية أثمار واعمال صالحة . وأفضل تشبيه لذلك يمكن أن يؤخذ من المحبة البشرية فالشخص الذى يحب ، مقتنع تماما انه لا يستحق تلك المحبة ، انه لا يستحق ذلك الامتياز العظيم . ولكنه على يقين أيضا ، أنه يجب أن يقضى بقية عمره محاولا أن يكون جديرا بهذا الحب ، جاهدا أن يكون كفوا لتلك المحبة . فهو لا يمكنه أن يكسب المحبة كما لو كانت شيئا يمكن الحصول عليه ، ولكنه يجب أن يحاول جاهدا في أن يكون جديرا بالحب والا فانه لا يعرف معنى المحبة . ولذا ، فان الاختلاف بين يعقوب وبولس هو الاختلاف حول نقطة البداية . فبولس يبدأ بالحقيقة العظمى الاساسية وهى انه ما من انسان يستحق أو يستطيع أن يحصل على غفران الله . ويبدأ يعقوب بالشخص الذى يجاهر بمسيحيته ، ويقول انه ما لم يثبت ذلك الشخص انه مسيحى بأعماله ، فهو ليس مسيحيا على

الاطلاق . فنحن لم نخلص بالاعمال ، ولكننا خلصنا لأجل الاعمال هاتان هما الحقيقتان المتلازمتان فى الحياة المسيحية .

ويركز بولس على الحقيقة الاولى ، بينما ينصب تركيز يعقوب على الثانية ، فالحقيقة أن بولس ويعقوب لا يتعارضان ، ولكنهما يكملان كل منها الآخر وأن رسالتيهما لازمتان للنهوض بالحياة المسيحية .

الاقوال والاعمال

ان الشيء الذى لم يطقه يعقوب هو القول بدون عمل ، الكلمات التى لا يدعمها الأعمال . وقد أوضح ما يقول بمثل له دلالته .

فقال : لنفرض أن هناك رجلا ليست عنده ملابس لتحميه أو طعام ليسد رمقه وأن صديقه قد حاول أن يعبر له عن أرق العواطف الانسانية فى محنته . ولكن تلك العاطفة قد وقفت عند حد الكلمات ، ولم يتبعها أية مجهودات للتقليل من شدة ما يعانيه ذلك الشخص من آلام . فما المنفعة ؟ .

ما فائدة العطف دون اية محاولة جدية للترجمة عن تلك العاطفة فى شكل خدمة عملية ؟ هكذا ، يقول يعقوب ، الايمان بدون أعمال ميت . وأن تلك الفقرة لتروق جدا فى نظر اليهودى .

١ — ان الصدقة ذات أهمية كبرى عند اليهودى . ولذلك فان اليهودى يعتبر أن البر والصدقة مترادفان . وقد كان اليهودى يعتبر أن الصدقة هى الشيء الوحيد الذى يشفع له عند محاكمته فى اليوم الاخير « النار الملتهبة يطفئها الماء وكذلك الصدقة تخمد الذنوب » . (حكمة يشوع ٣ : ٣٠) ، ومكتوب فى سفر طوبيت « تصدق مما لك ولا تحول وجهك من الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك » . (طوبيت ٤ : ٨ — ١٠) . وعندما اتفق قادة الكنيسة فى أورشليم أن يذهب بولس للأمم ، امروه بأن يذكر الفقراء (غلاطية ٢ : ١٠) .

فمن أهم مميزات التقوى عند اليهود ، الخدمة العملية بمساعدة

الفقراء ، وقد كان ذلك من اهم الطقوس اليهودية .

٢ — وهذا على خلاف الديانة الاغريقية ، فقد كانت تعتبر أن العطف والاشفاق والصدقة أشياء غريبة .

كان الرواقيون يهدفون الى ما يسمونه باليونانية « apatheia » التى تعنى التجرد من كل عاطفة أو مشاعر ، فقد كان هدف الحيـــاة هو الهدوء والعزلة ، وبما أن العاطفة تعكر صفو الهدوء،فالطريق الى الاستقرار هو القضاء على كل عاطفة أو احاسيس ، والاشفاق نوع من تعكير الصفو الذى يخرج الانسان عن هدوئه النفسى الذى يجب أن يسيطر على الانسان . ولذا فان « ابكتيتوس » « Epictetus » يقـــول : ان من يشعر بالحزن أو الاشفاق هو الشخص الذى يعصى الأوامر الالهية .

ويرسم لنا فرجيل Virgil صورة الشخص السعيد ، بأنه الشخص الذى يخلو من الشعور بالاشفاق . انه لا يشعر بأى شفقة على الفقراء أو أى حزن لمشاهدة الآلام، وذلك لان تلك العواطف تعكر عليه صفوه. وأن تلك الوجهة تختلف كلية عن وجهة النظر اليهودية فالرواقى يعتبر أن السعادة فى أن ينعزل الانسان ويحيا فى هدوء بعيدا عن مشاكل الآخرين ، بينما يعتبر أن الغبطة فى مشاركة الآخرين وأحزانهم .

٣ — وأن يعقوب على حق فى دعواه . فليس هناك أخطر من العاطفة التى لا تحرك ساكنا . فالانسان الذى ينفعل بعاطفة نبيلة ، ولا يقـــوم بأى خدمة ، يأتى عليه وقت يصبح فيه جامدا . فليس من حق الانسان أن يشعر بالعطف نحو شخص ، ما لم يتحرك للاستجابة لصوت العاطفـــة فليست العواطف النبيلة شيئا كماليا ، بل انها شىء يستحق منا بذل الجهد والعرق والتضحية ، لتعبر عن تلك العاطفة بما تقوم من اعمال .

ضرورة اقتران الايمان بالأعمال

وهنا يفترض يعقوب أن شخصا يعارضه فيقول له : « ان الايمان شىء جميل » وكذلك الاعمال . فكلاهما يعبران عن ديانة حقة ولكن لا داعى لأن

يتحلى بهما شخص واحد . فقد يتحلى شخص ما بالايمـــان ويتحلى الآخر بالاعمال . فدعك أنت فى أعمالك ودعنى فى ايمانى ، وكلانا متدين ، وكل فى طريقه » .

فرأى المعترض انه يمكن للانسان أن يتحلى بالايمان او الاعمـــــال وأن الايمان والاعمال من الامور الاختيارية فى الديانة المسيحية . ولكن يعقوب لا يوافق على هذا الراى ، فليس الايمان يسير بمعزل عن الاعمـــال . بل يجب أن يسيرا جنبا الى جنب . فالناس دائما تنظر الى الدين على انه يمثل جانبا واحـــدا من جوانب الحيــــاة ، لكنه فى الواقع يشمل الحيـــــاة كلهـــا .

١ ـــ ان الحياة المتوازنة عبارة عن فكر وعمل . وقد يظن أن الشخص اما أن يكون رجل فكر أو رجل عمل . فرجل الفكر يجلس فى مكتبه يفـــكر أفكارا عظيمة ، ورجل العمل يخرج للقيام بأعمال عظيمة . ولكن هــــــذا خطأ . فالمفكر لا يكون رجلا كاملا ما لم يحول تلك الافكار الى أعمال ، وهو لا يحرك فى الناس ساكنا ما لم يخض معهم غمار المعركة ويشاركهم فيمـــا يعملون .

ولا يمكن للرجل العملى ان يكون عمليا ما لم يفكر فى المبادىء العظمى التى يبنى عليها ما يقوم به من عمل ، والتى هى الباعث الاساسى لمـــا يقوم به من اعمال .

٢ ـــ ان الحياة المتوازنة يجب ان تتخللها صلاة وجهد . وقد نميـــل احيانا ان نقسم الناس الى صنفين : القديسين وهم الذين يقضون حياتهم على ركبهم فى تكريس تام لله ، والكادحين الذين يعملون فى حر النهار . ولكن هذا التقسيم خاطىء .قيل ان مارتن لوثر كان صديقا حميما لراهب آخر معه. وكان ذلك الراهب مقتنعا تماما كلوثر بضرورة الاصلاح ، ولذلك فقد اتفقا معا على أن يذهب لوثر وحده ليكافح ويناضل من أجل تلك الغاية ، ويظـــــل الراهب الآخر فى صومعته مصليا طوال وقته لأجل نجاح مجهودات لوثر . ولكن الراهب حلم حلما ذات ليلة . فقد رأى فى الحلم فلاحا يحصد حقـــــلا

واسعا وحده ، فأدار الفلاح وجهه فرآه الراهب واذا به وجه مارتن لوثر . فأدرك فى الحال أنه يجب أن يترك صومعته ويذهب لمعونة لوثر .

حقا ، هناك بعض الناس الذين لا يستطيعون القيام بأى عمل سوى الصلاة ، وذلك لكبر سنهم أو عجزهم ، ولا شك أن صلاتهم ذات تأثير فعال . ولكن ان ظن اى شخص عادى أن الصلاة ممكن ان تكون بديلا لبذل الجهد ، تكون صلواته مجرد طريقة للهروب . فالصلاة وبذل الجهد ، يجب أن يسيرا جنبا الى جنب .

٣ ــ ان الحياة المتوازنة عبارة عن الايمان والأعمال . فالايمان لا يمكن أن يظهر الا من خلال الاعمال ، ولا تكون الاعمال الا من خلال الايمان . فالايمان يؤتى ثماره ويكلل بالعمل ، والعمل ينتج من وجود ايمان بغاية نبيلة أو مبدأ عظيم يظهره الله للانسان المؤمن . فالحياة المتوازنة ذات التأثير الفعال ، هى نتاج الايمان والاعمال معا .

دليل الايمان

ويقدم يعقوب ايضاحين لما يقول : فابراهيم يمثل الايمان ، ولكن ايمان ابراهيم يظهر فى قبوله تقديم اسحق كذبيحة حسب أمر الله . وراحاب شخصية مشهورة فى التاريخ اليهودى . فقد رحبت بالجاسوسين اللذين ارسلا ليتجسسا أرض الموعد (يشوع ٢ : ١ ــ ٢١) .

وتقول الروايات انها اصبحت بعد ذلك علما من أعلام العقيدة اليهودية ، وانها تزوجت يشوع ، وانه جاء من نسلها كثير من الكهنة والأنبياء ومنهم حزقيال وارميا . وقد اظر سلوكها مع الجاسوسين ما عندها من ايمان .

وقد أوضح بولس ويعقوب ذلك ، فلو لم يكن ايمان ابراهيم عظيما لما قبل دعوة الله وأطاعها . وما لم يكن لدى راحاب ايمان لما خاطرت بمستقبلها فى سبيل شعب الله . فقد كان الايمان هو المحرك لما قام به كل من ابراهيم وراحاب من اعمال . ومع ذلك فلو لم يطع ابراهيم الله حتى

النهاية لما نفعه ايمانه ، ولو لم تخاطر راحاب بكل شيء لانقاذ الجاسوسين، لما اضحى ايمانها شيئا يذكر .

فهذان المثلان يبينان بصورة قاطعة أن الايمان والاعمال ليسا نقيضين ، لـــكنهما في الواقع توأمان . فبدون الايمان لا يمكن لأحد أن يعمل عملا ما ، وايمان الشخص لا يكون حقيقيا ما لم يدفعه للعمل . فالايمان والاعمال اذن عمودان متلازمان في هيكل الاختبار المسيحي .

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

مشكلة المعلمين

لا تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ .

(٣ : ١)

كان المعلمون فى الكنيسة الاولى على جانب كبير من الاهمية ، فحيثما ذكروا كانوا موضع تقدير واحترام. ففى كنيسة انطاكية ذكروا جنبا الى جنب مع الانبياء الذين ارسلوا بولس وبرنابا فى اول رحلة تبشيرية (أعمال ١٣:١)؛ وفى القائمة التى دونها بولس عن أولئك الذين يمتلكون مواهب روحية فى الكنيسة ، ذكر المعلمين مباشرة بعد الرسل والأنبياء (١ كو ١٢ : ٢٨ ، أف ٤ : ١١) وكان الرسل والانبياء دائما يتنقلون من مكان الى آخر ، فقد كان الحقل الذى يعملون فيه يمتد ليشمل الكنيسة عامة ، فلم يكونوا يقيمون فى مكان واحد طويلا . ولكن المعلمين كانوا يعملون فى كنيسة معينة ، وترجع أهميتهم الكبرى الى انهم كان يوكل اليهم تعليم حقائق الانجيل ، والايمان المسيحى لمعتنقى المسيحية الجدد . فقد كانت تقع على كواهلهم مسئولية نقل كل ما يعرفونه عن حقائق الايمان الى اولئك الداخلين الى الكنيسة لأول مرة .

ونلمس فى العهد الجديد صورة لأولئك المعلمين الذين فشلوا فى المهمة الملقاة عليهم ، والذين أصبحوا معلمين كذبة . وهناك بعض المعلمين الذين حاولوا أن يجعلوا من المسيحية ديانة تقرب من اليهودية ، وحاولوا ادخال الختان وحفظ الناموس فى المسيحية (أعمال ١٥ : ٢٤) وكان هناك معلمون

يختلف سلوكهم عن الحق الذى يعلمونه للآخرين ؛ فحياتهم على النقيض من تعاليمهم ، وبذلك جلبوا العار على الديانة التى يبشرون بها (رومية ٢ : ١٧ — ٢٩) .

وكان هناك أيضا معلمون يعـــــلمون قبل أن يفهموا ما يقـــولون (١ تيموثاوس ١ : ٦ و ٢٧) ، كما كان هناك معلمون كذبة يسيرون وراء رغبات جمهور السامعين (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) .

ولكن بغض النظر عن المعلمين الكذبة ، فقد كان يعقوب يعتقد أن مهنة التعليم أمر خطير ، فأداته فى أداء مهمته هى الكلام ووسيلته لذلك اللسان . وكما قال « روبز » فان يعقوب كان مهتما بابراز المسئولية الملقاة على عاتق المعلمين ، وخطر الأداة التى يستخدمونها فى التعليم . والمعلم المسيحى فى الكنيسة المسيحية يحل محل المعلم اليهودى فى الهيكل اليهودى ، ولذلك فان مركزه خطير . كان هناك عند اليهود عدد كبير من المعلمين العظام الأفاضل ، ولكن الطريقة التى كانوا يعلمون بها كانت كافية لأن تفسد أى انسان .

فمجرد اسم المعلم Rabli يعنى « سيدى » ، كان يحترم احتراما بالغا حيثما ذهب ، وكان يعتقد ان واجب الانسان نحو معلمه يفوق واجبـه نحو والديه ، لأن والديه قد أتيا به الى هذا العـالم فقط ، ولكن معلمه له الفضل فى ادخاله الى العالم الآتى . وكان يقال لو أن والد أى انسان ومعلمه وقعا فى قبضة العـدو ، فيجب فدية المعلم أولا . ولو أن المعلم والوالدين احتاجوا الى مساعدة ، فالواجب تقديمها للمعلم أولا . صحيح ، انه لم يكن يسمح للمعلم بتقاضى أى أجر نظير تعليمه ، بل كان يتكسب من حرفة يقـوم بها ، ولكن كان الفكر الســـائد انه من اسمى الاعمال وأعظمها أن يعتنى بالمعلم ماديا ويصرف عليه كواحد من افراد الأسرة ، فليس من المستغرب اذن أن يكون المعلم هدفا لما وجهه المسيح اليه من نقد لاذع ، وبما وصفه به من كبرياء وغطرسة روحية ، وأنه محب للتظـــاهر بالتقوى وللمتكآت الأولى ، وللتحيات التى يقدمها له الناس فى الاسواق (متى ٢٣ : ٤ — ٧) فليست هناك وظيفة أخرى تجلب الكبرياء الروحية والعقلية كهذه الوظيفة .

وهناك خطران يجب على كل معلم أن يتجنبها . فبحكم وظيفته ، فانه يعلم اما صغار السن أو الاطفال فى الايمـــان . ولذلك فان المعلم يجب أن يتجنب شيئين : انه يجب ان يحذر لئلا يعلم غير الحق ، ولئلا ينادي بآرائه أو أحقاده هو .

فمن السهل على المعلم أن ينزلق فى تشويه الحق : فلا يعلم الناس الحق الالهى فى الكتاب ، بل يعلمهم آراءه الشخصية بخصوص هذا الحق ، ويجب ايضا أن يحذر لئلا يناقض نفسه بسلوكه ، ويقول دائما للناس « اعملوا كما اقول » ولا « تعملوا كما أفعل » .

ان المعلم لا يصح أن يكون فى موقف كهذا ، حتى أن تلاميـــذه يصمون آذانهم عما يقول ، لانهم ينظرون ما يفعل .

وقد قال معلمو اليهود انفسهم : « ان الاساس المتين فى العمل وليس فى التعليم ، فمن يكثر الكلام يكثر الخطية » (أقوال الآباء ١ : ١٨) .

فيعقوب يبين للمعلمين انهم تحت مسئولية خطيرة ، ولذلك فهم تحت دينونة ان فشلوا فى اداء مهمتهم . وأن الناس الذين كان يعقوب يكتب اليهم الرسالة كانوا يطمعون فى المقام والشهرة والكرامة التى كانت للمعلم ، فكان يحذرهم لئلا ينسوا المسئولية الملقاة على عاتق المعلمين .

خطـــــر شامل

لِأَنَّنَا فِي أَشْيَاء كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا . إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْثُرُ فِي الْكَلاَمِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضاً .

(٢ : ٣)

يبرز هنا يعقوب فكرتين ينبعان من الفكر والأدب اليهودى :

١ — لا يوجد شخص فى العالم ، لا يخطىء فى شىء ما . والكلمة التى يستخدمها يعقوب كلمة (يعثر) . فالخطية ليست دائما عمدية ، ولـكنها تحدث نتيجة تعثرنا عندما لا نكون يقظين . والخطية تشمل الجميع ، وهـذا ما نجده على صفحات الكتاب المقدس . فبولس يستشهد قائلا : « انه ليس بار ولا واحد . . . اذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله » . (رومية ٣ : ١٠ و ٢٣) ، ويقول يوحنا فى رسالته الاولى : « ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا . (١ يوحنـا ١ : ٨) » ، ويقول الحكيم : (لأنه لا انسان صديق فى الأرض يعمل صلاحا ولا يخطىء » (الجامعة ٧ : ٢٠) .

ويقول واحد من حكماء اليهود : « لا يوجد واحد من المولودين لم يفعل شرا ، ولا يوجـد بين الأبرار من لم يرتكب خطـــأ » (2 Esdras) (٢ اسدراس ٨ : ٣٥) فليس بين البشر من يستحق أن يفتخر بشىء ، لأنه لا يوجد انسان على الأرض لم يعمل اثما يخجل من ذكره . وحتى عند الكتاب الوثنيين نجد نفس الرأى بخصوص الخطية : « ان الانسان من طبعه الخطأ سرا وجهرا » (Thucydides) (ثيوسيديدس ٣ : ٤٥) ، وقال سنيكا : « كلنا نخطىء ، فبعضنا يقع فى أخطاء جسيمة ، والبعض الآخر فى اخطـاء بسيطة » فجميع البشر معرضون للخطأ .

٢ — لا يوجد أسهل من الوقوع فى عثرة اللسان ، وليست هناك خطية لهـا نتائج خطيرة كخطية الانزلاق فى الكلام . وأننا نجد ذلك أيضا فى الأدب اليهــودى .

ولقد حذر المسيح نفسه من خطر اللسان اذ قال ان كل واحد سـوف يعطى حسابا عى كل كلمة « بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٦ و ٣٧) .

قال الحكيم : « الجواب اللين يصرف الغضب والـكلام الموجع يهيج السخط . . . هدوء اللسان شـجرة حياة واعوجاجه سحق فى الروح » . (أمثال ١٥ : ١ — ٤) . وقد كان يشوع بن سيراخ كاتب سفر حكمة يشوع

من أبرز الكتاب الذين نددوا بصراوة وشر اللسان ، اذ يقــول : « الشرف والهوان كلاهما فى التكلم ، ولسان الانسان سبب سقوطه . لا تكن نمــاما ولا تؤاخذ بلسانك فتخزى لان على السارق الخزى والندامة لهوالذم الخبيث لذى لسانين ... لا تصر عدوا مكان صديق لانه كما انه بالاسم الشرير ترث الخزى والعار ، هكذا الخــاطىء ذو اللسانين » . (حكمة يشوع ٥ : ١٣ و ١٤ — ٦ : ١) .

« طوبى للرجل الذى لم يزلق بفمه » (١٤ : ١) .

« من ذا الذى لم يسىء الى الآخرين بلسانه ؟ » (١٩ : ١٥) .

« من يعطى على فمى حارسا وعلى شفتى خاتما وثيقا لكى لا أسقط منهما ولا يهلكنى لسانى ؟ » . (٢٢ : ٢٧) .

وقد كتب أيضا يشوع بن سيراخ فقرة مطولة بهذا الصدد ، تفيض حكمة ورقة ، ولذلك فاننا نوردها هنا كاملة : « الثالب ذو اللسانين يلعن لانه أهلك كثيرين متسالمين . اللسان الثالب زعزع كثيرين وفرقهم من أمة الى أمة وهدم مدنا مشيدة وأخرب بيوت العظماء . اللسان الثالب طرد النساء الفضليات وأعدمهن أتعابهن . الذى يصغى اليه لا يجــد راحــة ولا يسكن براحة . جرح السوط يخدش الجسد اما جرح اللسان فيدق العظـــام . كثيرون سقطوا فى فم السيف ولكن ليس كالمقتولين باللسان . طــوبى لمن استتر من اللسان الخبيث الذى لم يتجاوز فى غضبه الذى لم يجذب نيره ولم يربط بوثقة لأن نيره حــديدى ووثقــة وثق نحاســية . موته موت سوء والجحيم انفع منه ... سيج مقتناك بالشوك واسكب ذهبك وفضتك .اصنع لكلامك ميزانا وقرارا ولفمك بابا ولجاما . احذر لئــلا تسقط بلسانك وتقع امام الراصدين » .

(حكمة يشوع ٢٨ : ١٣ — ٢٦)

لا يوجد من يدعى أن أحدا لم يحذره من خطر اللسان ، ولا يوجد أيضا من يستطيع أن يقول انه قد نجح تماما فى تجنب أخطار اللسان .

معظم النار من مستصغر الشرر

هُوَذَا الْخَيْلُ نَضَعُ اللُّجُمَ فِي أَفْوَاهِهَا لِكَيْ تُطَاوِعَنَا فَنُدِيرَ جِسْمَهَا كُلَّهُ. هُوَذَا السُّفُنُ أَيْضاً وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ وَتَسُوقُهَا رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ تُدِيرُهَا دَفَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ أَيْضاً هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَظِّماً.

(٣ : ٣ — ٥)

قد يقال انه لا داعى لكل هذا التحذير من اللسان ، لأنه عضو صغير من الجسم ، ولا يستحق كل تلك الأهمية التى يلفت يعقوب نظرنا اليها . ويجيب يعقوب على ذلك باستخدامه مثلين مألوفين :

١ — فنحن نضع اللجم فى أفواه الخيول ، لأننا نعلم أنه بسيطرتنا على أفواه الخيول ، نسيطر على جسمها كله . وهكذا بسيطرتنا على اللسان نسيطر على الجسم كله . ولكن اذا لم تكن هناك سيطرة على اللسان ، فان الحياة كلها تتجه اتجاها خاطئا .

٢ — الدفة صغيرة جدا بالنسبة لحجم السفينة ووزنها ، ولكن بمجرد الضغط على تلك الدفة من قائد السفينة ، فانه يستطيع تغيير اتجاه السفينة كلها ، ليقودها لبر الأمان . ولقد استخدم أرسطوطاليس نفس هذه الصورة قديما حين كان يتحدث عن علم الميكانيكا فقال : (أن الدفة صغيرة ، وهى ترتبط بمؤخرة السفينة ، ولكن قوتها عظيمة حتى أن رجلا واحدا يستطيع أن يحرك السفينة الهائلة كلها » . ان الدفة صغيرة ، ومع ذلك فهى تستطيع أن توجه السفينة ، هكذا اللسان صغير ولكنه يستطيع توجيه كل الجسم ، يستطيع تغيير اتجاه الحياة . ولقد كان أفلاطون يسمى العقل بقائد وموجه حياة الانسان ، فعندما يهيمن العقل على كل كلمة وكل عاطفة ، وعندما يكون المسيح هو المسيطر على هذا العقل ، فان الحياة كلها تتجه نحو شاطىء الأمان .

ولنلاحظ أن يعقوب لم يقل ابدا ان السكوت افضل من الكلام . وهو لا يطالب بنوع من التصرف يحرم فيه الكلام . ان ما يطلبه هو ضبط اللسان . لقد قال أرستيبوس اليونانى حكمة شهيرة : « ان قاهر اللذة ليس هو الشخص الذى لا يعرف اللذة أبدا ، انه الشخص الذى يسيطر على لذاته

كما يقود الراكب الحصان أو كما يدير القائد السفينة انه الشخص الذى لا يخضع للذاته بل يوجهها كيف شاء » .

ان الامتناع التام عن اى شىء لا يمكن أن يكون بديلا عن ضبط ذلك الشىء والتحكم فيه . وأن يعقوب لا يطلب منا الصمت الناجم عن الجبن ، بل الحكمة فى استخدام كلماتنا .

نار مدمرة

هوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ أَىَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ. فَاللِّسَانُ نَارٌ. عَالَمُ الإِثْمِ. هٰكَذَا جُعِلَ فِى أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ الَّذِى يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ.

(٣ : ٥و٦)

ان الضرر الذى يحدثه اللسان ، كالضرر الذى ينجم عن حريق يحدث فى غابة . وان منظر حريق الغابة تعبير مألوف فى الكتاب المقدس ففى صلاة المرنم ، نجده يطلب من الله أن يجعل الأشرار كالقش أمام الريح ، ويجعل العاصفة تطردهم كنار تحرق الوعر ، كلهيب يشعل الجبال (مزمور ٨٣ : ١٣ و ١٤) ويرى اشعياء منظر « الفجور كالنار ، تأكل الشوك والحسك وتشعل غاب الوعر » . (اشعياء ٩ : ١٨) ، ويتحدث زكريا « عن مصباح نار بين الحطب ومشعل نار بين الحزم » . (زكريا ١٢ : ٦) .

وهذا المنظر مألوف لدى يهود فلسطين ، ففى فصل الجفاف ، تصبح الأعشاب المتبقية وأشجار الشوك والحسك جافة جدا فان اشتعلت فيها النيران علا لهيبها واشتد واصبح من العسير أن تقف اللهب عند حد .

وتشبيه اللسان بالنار أيضا من الأشياء المألوفة لدى اليهـود . وفى سفر الأمثال مكتوب أن « الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفتيه كالنـار المتقدة » . (أمثال ١٦ : ٢٧) .

« القتال السريع يشعل النار » . (حكمة يشوع ٢٨ : ١١) .

ان الضرر الذى يحدثه اللسان يشبه بالنار لسببين :

١ ـ ان ذلك الضرر سريع الانتشار . فقد يتصادف أن تقال كلمة فى احد أطراف المدينة ، فتجلب الخسارة والحزن والضرر فى الطرف الآخر منها . ولقد قال معلمو اليهود : « ان الحياة والموت فى يد اللسـان » وهل للسان يد ؟ كلا ، ولكن اليد تقتل وهكذا اللسان . واليد تقتل عن قرب ، ولكن اللسان يسمى بسهم لأنه يقتل من على بعد . ان السهم يقتل من على بعد اربعين أو خمسين قدما ، ولكن قيل عن اللسان « جعلوا أفواههم فى السماء والسنتهـم تتمشى فى الأرض » (مزمـور ٧٣ : ٩) أى أنه يصـل الى السماء . هذا خطر اللسان . ان الانسان يستطيع أن يسدد ضربة لشخص ما بيده . ولكنه يستطيع أن يقول كلمة عن شخص آخر ناجمة عن الحقد ، أو يكرر قصة غير حقيقية عنه ، ويجوز أنه لا يعـرف ذلك الشخص أو أنه يسكن بعيدا عنه بمئات الأميال ، فيسبب له خسارة كبيرة . فخطر اللسان ناتج عن سرعة انتشار الضرر الذى يحدثه .

٢ ـ صعوبة التحكم فى اللسان . فنار الغـابة عنـدما تشتعل فى الأخشاب والحشائش الجافة ، يصعب اخمادها . ولا يمكن لانسان أن يتحكم فى الضرر الناجم عن اللسان . « ثلاثة أشياء لا يمكن ارجاعها ثانية . السهم المقذوف والكلمة المقولة والفرصة الضـائعة » فحين تقال الكلمة لا يمكن ارجاعها ثانية . ولا يمكن القضاء على اشاعة روجت ، وكذلك لا يمكن محو قصة مغرضة عن شخص ما . فليتذكر الانسان قبل أن يخرج كلمة ، أنها بعد أن تخرج منه فانها تفلت من سيطرته ، وليفكر كل شخص قبل أن يتكلم لأنه سيحاسب على كل كلمة يقولها .

يجب أن نطيل النظر فى هذه الفقرة ، لأن بها عبارتين يصعب فهمهما :

١ — تقول الترجمة العربية بأن اللسان هو « عالم الاثم » ، وصحة ترجمتها العالم الشرير . فاللسان يمثل العالم الشرير . وبالتأمل فى معنى كلمة Kosmos نحاول اكتشاف معنى العالم الشرير . فكلمة Kosmos قد تحوى معنيين :

(أ) أولا قد تعنى « تزيين » ، والعبارة لذلك قد تعنى أن اللسان هو تزيين الشر . أى أن اللسان هو العضو الذى يحاول أن يجعل الشر جذابا . فباللسان يجعل الناس المر حلوا والردىء حسنا ، وباللسان يحاول الناس التبرير والدفاع عن طرقهم الرديئة ، وباللسان يمكن للناس أن يغروا ويحرضوا الآخرين لعمل الشر .

ان هذا المعنى يقدم لنا افكار لا بأس بها .

(ب) ان كلمة Kosmos قد تعنى العالم ، ففى كل جزء من أجزاء العهد الجديد تعنى كلمة Kosmos العالم ، مع الاشارة الى انه العالم الشرير . فالعالم لا يمكن أن يقبل الروح (يوحنا ١٤ : ١٧) ، ويسوع يظهر ذاته للتلاميذ ، وليس للعالم (١٤ : ٢٢) ، والعالم يبغض المسيح ، ولذلك فانه يبغض تلاميذه (يوحنا ١٥ : ١٨ و ١٩) .

ومملكة يسوع ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ و ٣٦) ،ويدين بولس حكمة هذا العالم (١ كورنثوس ١ : ٢٠) ، والمسيحى لا يصح له أن يشارك أهل هذا العالم « الدهر » (رومية ١٢ : ٢) .

ان كلمة Kosmos بهذا المعنى تعنى العالم بدون الله ، العالم فى جهل بالله وفى عداوة معه . ولذلك ، فان قلنا أن اللسان هو العالم الشرير ، فان ذلك يعنى أن اللسان هو ذلك الجزء من الجسم الذى يقودنا بعيدا عن الله . واللسان الذى لا ضابط له هو كالعالم فى جهل بالله ، وفى عداء معه ، انه ذلك العضو الذى به لايطيع الانسان الله ، ويتحداه ويعصى أوامره .

٢ ـ والعبارة الثانية التي يصعب فهمهما والتي نجدها مترجمة (دائرة الكون) تعني حرفيا « عجلة الحياة » .

وقد استخدم القدماء تشبيه العجلة للتعبير عن الحياة بأربعة طرق مختلفة :

(أ) فالعجلة دائرة ، تامة الاستدارة ، وعجلة الحياة تعني الحياة بأكملها ، اى كل ما تحويه الحياة .

(ب) العجلة دائما تدور . فكل نقطة فيها تتحرك الى اعلى والى اسفل . ولذلك ، فان عجلة الحياة قد تعني تقلبات الحياة، خيرها وشرها ، وبهذا المعنى فالعبارة تعني عجلة صروف الدهر ، دائما فى تقلب .

(حـ) العجلة دائرية ، وهى تدور دائما ، لتعود من حيث بدأت ، ولذلك فهى قد تعني تكرار الحياة ، ومجىء أجيال تلو الأجيال لتعيد سابقتها على نفس النحو ، دون أى تغيير .

(د) والعبارة قد تستعمل للدلالة عن شىء خاص . ففى احدى الديانات الشرقية يؤمنون بتناسخ الارواح اى أن النفس البشرية تولد وتموت لتولد من جديد وهكذا . وأن هدف الحياة هو الهروب من دائرة الموت والميلاد ، لتعود ثانية الى الكائن الغير محدود .

ولذلك فان أفراد تلك الديانة الذين بلغوا مرتبة عالية يقولون :

« لقد استطعت أن أخرج عن نطاق تلك الدائرة المملة » .

وبهذا المعنى فان عجلة الحياة تعني تناسخ الأرواح الدائم الممل . وانه لامر بعيد الاحتمال ، أن يكون يعقوب قد عرف شيئا عن تناسخ الارواح ، ومن غير المعقول أن يتطرق تفكير اى مسيحى الى التفكير فى الحياة كالعجلة المستمرة الدوران ، الرتيبة الحركة .

ومن غير المحتمل أن يخاف المسيحى من صروف الدهر وتقلباته .

ولذلك فان العبارة ، يحتمل جدا أن تعني « كل ما تحويه الحياة » ،

ولذا ، كان يعقوب يقول ان اللسان قد يشعل نارا مدمرة قد تدمر الحياة كلها ، وأن اللسان نفسه يضرم من نار جهنم . وهنا ، يكمن خطر اللسان ».

عدم خضوع اللسان للتذليل

لِأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ مَمْلُوٌّ سُمًّا مُمِيتاً

(٣ : ٧ و ٨)

ان فكرة تذليل الحيوانات للجنس البشرى ، شىء مألوف فى الادب اليهودى . وانا نلاحظ ذلك فى قصة الخليقة . فقد قال الله للانسان :

« املأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تكوين ١ : ٢٨) فان يعقوب ، يسترجع هنا هذا العدد . ونفس هذا الوعد قد قيل لنوح :

« ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء . مع كل مايدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت الى أيديكم » . (تكوين ٩ : ٢) . وان كاتب سفر حكمة يشوع يكرر نفس الفكرة اذ يقول : « أعطى الله للانسان أن يخشاه كل ذى جسد ، وتخضع له كل وحوش الأرض وطيور السماء » (حكمة يشوع ١٧ : ٤) .

والمرنم يقول نفس المعنى « تسلطه على أعمال يديك . جعلت كل شىء تحت قدميه . الغنم والبقر جميعا وبهائم البر أيضا . وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه » (مزمور ٨ : ٦ — ٨).

ولقد كان الرومان قديما مغرمين بجلب الأسماك وتربيتها فى أحواض خاصة فى دورهم .

وكانت الحية رمزا للاله (اسكولابيوس) ، وكانت تطلق فى معابده

الحيات المستأنسة حرة طليقة . وكان يعتقد أن ذلك الاله يحل فيها . وكان المرضى ينامون بالليل فى معابد (اسكولابيوس) ، فكل من تلمسه تلك الحيات ، فانه ينال (على ما كانوا يعتقدون) اللمسة الشافية من ذلك الاله .

وان يعقوب يقول ان مهارة الانسان مكنته من تذليل كل المخلوقات ، ولكن اللسان هو الشيء الوحيد الذى لم يذلل . فالتذليل معناه التحكم فى الشيء وجعله نافعا ، الأمر الذى لا يستطيع الانسان بمفرده أن يقوم به من ناحية اللسان .

البركة واللعنة

بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللهِ . مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ . لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا . أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ . هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تِينَةٌ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُونًا أَوْ كَرْمَةٌ تِينًا . وَلاَ كَذلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا .

(٣ : ٩ — ١٢)

ان الاختبار يعلمنا أن هناك تناقضا كبيرا فى الطبيعة البشرية ، فالانسان يجمع فى طبيعته بين القرد والملاك ، البطل والنذل ، القديس والأثيم . وأن يعقوب يبين لنا ان هذا التناقض يظهر جيدا فى اللسان . فبه (نبارك الله) وهذا ما كان يعمله اليهودى ، فحينما يذكر اسم الله كان يجب على اليهودى ان يرد على الفور « تبارك اسمه » فاليهودى المتدين كان عليه أن يكرر الصلوات الثمانى عشرة الشهيرة كل يوم وكل صلاة منهما تبدأ بالقول « مبارك أنت يا الله » ، ومع ذلك فنفس هذا اللسان الذى يبارك الله

دائما ، هو الذى يلعن ويشتم الآخرين . وأن يعقوب يرى فى ذلك عجبا ، تماما كما يخرج ينبوع ماء عذبا مرة ، وماء مالحا تارة أخرى أو كما تحمل الشجرة نوعين مختلفين من الفاكهة . ومع أنه لا يصح أن تكون الأمور هكذا ، ولكن من المؤسف أن نراها هكذا .

لقد قال بطرس للمسيح ذات مرة : « ولو اضطررت أن أموت معك لا إنكرك » . (متى ٢٦ : ٣٥) ، ولكن بطرس ذاته انكر المسيح بلسانه واخذ يسب ويحلف أنه لايعرفه (متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥) ويوحنا الذى قال « يا أولادى . حبوا بعضكم بعضا » ، وهو نفسه الذى طلب ذات مرة أن تنزل نار من السماء لتفنى قرية سامرية (٩ : ٥١ — ٥٦) . فحتى ألسنة القديسين والرسل لا تنطق دائما فى نفس الاتجاه .

يحدثنا يوحنا بنيان عن الشخص الكثير الكلام قائلا : « أنه قديس فى الخارج ، ولكنه شيطان فى المنزل » ، فكثير من الناس يتحدثون برفق مع الغرباء ، وينادون بالمحبة والوداعة فى معاملة الناس ، ولكنهم يثورون ويغضبون لأتفه الاسباب فى حديثهم مع افراد الاسرة . فليس من الغريب أن يتحدث شخص بروح التقوى فى يوم الاحد ، ولكنه يلعن فريقا من العمال يوم الاثنين وليس من الغريب أن ينطق شخص ليعبر عن ارق الاحاسيس يوما ما ، ثم يردد فى اليوم التالى عبارات جافة نابية عن الآخرين . وقد يحدث أن تتكلم سيدة برفق وبلطف فى أحد الاجتماعات الدينية ، ثم تخرج من الاجتماع لتجرح كرامة شخص آخر بأن تشهر به بألفاظ تنم عن الحقد والكراهية .

يقول يعقوب ، ان هذه الأمور « لا يصح أن تكون هكذا » .

هناك بعض العقاقير ، كالأفيون والكفيين وبعض المواد السامة ، قد تكون ذات نفع للناس ، لو استعملت منها كميات قليلة باشراف الاطباء ، وهكذا اللسان لو أحسن استخدامه فانه ينفع الآخرين ، بينما يكون اللسان سما مميتا لو أفلتت زمامه .

فاللسان يبارك أو يلعن،يجرح او يداوى.الانسان يمكن أن يقول أجمل الألفاظ ، ويمكنه أن يلفظ اقذع العبارات . ولذا فمن اصعب الامور فى

الحياة ، ومن أولى الواجبات المفروضة علينا أن نراعى عـــدم التناقض فى ألفاظنا ، وألا نتفوه الا بعبارات نود أن يسمعها الله .

شخص لا يصح ان يكون معلما

مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مُرَّةٌ وَتَحَزُّبٌ فِي قُلُوبِكُمْ فَلَا تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ .

(٣ : ١٣, ١٤)

يبدو أن يعقوب يعود بنا هنا الى بداية الاصحاح وكانه يجرى حوارا كالآتى : « هل يريد أحد منكم أن يكون حكيما أو معلما ؟ اذا فليثبت بروح الوداعة التى تمتلك عليه حياته ذلك ، وبتصرفه الحسن ايضا . لأنه ان كان يشعر بمرارة ، وان كانت روح الانانية والطموح الذاتى يتحكمان فيه ، فانه برغم كل ما يدعيه لنفسه بروح الغرور ، فانه بذلك يكذب على الحق الذى يعلمه للآخرين » .

ويستخدم يعقوب هنا كلمة « غيرة » ، وتلك الكلمة باليونانية Zélos لا تعنى بالضرورة المعنى السيء . فانها قد تعنى رغبة الانسان النبيلة فى الارتقاء عندما يواجه موقفا يدفعه للتقدم والسمو ، ولكن هناك خط فاصل دقيق بين الرغبة النبيلة فى التقدم ، والحسد والحقد البغيض . والكلمة التى يستخدمها يعقوب للتعبيـــر عن الطموح الانانى والتى وردت بمعنى « التحزب » فى العربية هى : eritheia باليونانية ، وهذه الكلمة لاتعنى ايضا بالضرورة المعنى السيء . فهى تعنى اصلا « العمل بالاجرة » وكانت تستخدم للتعبير عن السيدات العاملات ثم استخدمت بعدئذ للتعبير عن اى عمل نظير دفع أجرة . ثم تحور معناها فأصبح يعنى اى عمل يعمل بقصد الفائدة التى تنتج من ورائه ، وبعدئذ استخدمت الكلمة فى مجال السياسة فأصبحت تعنى الطموح الانانى للمنفعـــة الذاتية فحسب ، ولو كان ذلك بالمؤامرات والخديعة للوصول الى الهدف .

ان المعلم قد يجد نفسه تحت ضغط نوعين من الاغراء :

١ ــ انه تحت اغراء الغرور . كان الغرور من الخطايا المحيطة بسهولة بمعلمى اليهود فأعظم معلمى اليهود كانوا واقعين تحت ضغط هذه الخطية.

وفى « اقوال الآباء » نجد القول : « ان الشخص المغرور والمعتد برأيه فى كل ما يتخذه من قرارات ، غبى وشرير ، ومتغطرس » . ومن نصائح احد الحكماء للمعلم : « ان لزملائك حرية تقبل مايرونه من آراء ، فلا تفرض عليهم رأيك » . فالناس يستمعون دائما الى كل من المعلم والمبشر ، اكثر من استماعهم الى اى شخص آخر ويتقبلونها بلا جدال لذلك فان خطر الغرور يحدق بهما ، وقد يصعب عليهما أن يكونا متضعين ، مع أن الاتضاع فرض عليهما .

٢ ــ ان المعلم أيضا يقع تحت تأثير الغيرة المرة . اننا نعلم جيدا كيف ان « المجادلات تولد خصومات » يكتب السير تزماس برون فقرة عن قسوة الأدباء على بعضهم البعض قائلا : « ان الادباء رجال سلم ، فهم لا يحملون سلاح ولكن السنتهم احد من السيوف ، واقلامهم أكثر مضاء منها ، فصوتها يعلو على صوت الرعد ، وانى على استعداد أن احتمل اى أذى مادى من ان احتمل جامات غضب قلم ثائر لا يرحم » .

فمن اصعب الامور أن يجادل شخص دون أن يغضب ، وأن يقابل ما يوجه اليه من حديث بروح الود والتصافى . فمن الزم الواجبات على المعلم المسيحى الا يشعر بمرارة نحو أولئك الذين يخالفونه فى العقيدة ، مع أنه من أصعب الأمور أن يؤمن شخص بعقيدة ما . ويشعر فى نفس الوقت بالارتياح نحو أولئك الذين يخالفونه عقيدته . وان تلك الفقرة تلفت أنظارنا الى اربعة أنواع خاطئة من التعليم :

١ ــ ان التعليم الخاطىء يكون مصحوبا بروح التعصب . فان ذلك التعليم يقوم على العنف لا على الاقناع الهادىء .

٢ ــ وهو أيضــــا يكون مصحوبا بروح الغيرة المرة . انه ينظر الى

المخالفين له فى العقيدة على أنهم أعداء يجب القضاء عليهم ، بدلا من النظر اليهم كأصدقاء يجب جذبهم .

٣ ـــ ان التعليم الخاطىء يتميز بالطموح الفردى القائم على الأنانية ، انه لا يحاول تقديم الحقيقة المجردة بل يحاول تقـــــديم ذاته . انه لا يفرح بانتصار الحق بل بانتصار آرائه .

٤ ـــ يكون المنادى بالتعليم الخاطىء مزهوا مختــالا . فهو يفخــر بمعلوماته بدلا من محاولة معرفة ما يجهله . ان المعلم الحقيقى يحس بمــا يجهله أكثر من احساسه بما يعلمه .

الحكمة الخاطئة

لَيْسَتْ هذِهِ الْحِـكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ . لِأَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ وَالتَّحَزُّبُ هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ .

(٣ : ١٥ و ١٦)

ان تلك الحكمة القائمة على الغيرة،والكبرياء الذاتية،تختلف تماما عن الحكمة الحقيقية . ان يعقوب يصف أولا تلك الحكمة الخاطئة ، ثم يتحـــدث بعد ذلك عن نتائجها . فهو يصفها أولا بأنها :

(أ) أرضية : وذلك لأن أهدافها ومثلها أرضية ، فهى تقيس النجـــاح بالتفوق الأرضى وأهدافها أهداف مالية .

(ب) نفسية : والـــــكلمة التى يستخدمهـــا يعقوب لذلك يصعب ترجمتها . فالكلمة باليونانية هى Psuchikos وهى مشتقة من كلمة Psuché كان القدماء يقولون ان الانسان يتكون من ثلاثة أشـــياء : جسم ، ونفس ، وروح . فالجسم Sona يشمل التكوين المادى من لحم ودم ، والنفس Psuché هى الصفة المشتركة بيننا وبين الحيوانات ، انها ليست سوى

الحياة الحيوانية . والروح Pneume يتفرد بها الانسان فلا تشاركه فيها الحيوانات ، انها تجعله مخلوقا عاقلا ، قريبا من الله . وقد يلتبس علينا الأمر ، لاننا نستعمل كلمة (نفس) للتعبير عما كان يرمز اليه القدماء بكلمة (روح) ، بينما هم لا يستعملون كلمة (نفس) الا للتعبير عن الحياة المادية التى لا ينفرد بها الانسان بل انها صفة مشتركة فى جميع المخلوقات . ولذا ، فان يعقوب يقول ان تلك الحكمة الخاطئة ليست سوى نتيجة احدى الدوافع الغريزية الحيوانية . فالحكمة الخاطئة هى الحكمة التى يشترك فيها الانسان مع الحيوان ، والتى تنتسب للجانب السفلى من طبيعتنا .

(هـ) ويصف يعقوب اخيرا الحكمة الخاطئة بانها (شيطانية) . فمصدرها الشيطان ، وليس الله . انها لا تقوم بعمل ما يسر الله ، بل تعمل ما يسر الشيطان .

ثم يتكلم يعقوب عن نتائج تلك الحكمة الخاطئة . فأول ما ينتج عنها هو (التشويش) . اى انها بدلا من أن توحد بين الناس ، فانها تفرقهم . وبدلا من أن تدعم السلام ، فانها تثير الصراع ولا ينتج عنها الاخوة والشركة بل تصدع الروابط ، وانهيار العلاقات . اننا قد نقابل ذلك النوع من الناس الذى يمتاز بالمهارة ، فهو حاد الذكاء ، ولكنه ان وجد فى اى اجتماع أو كنيسة فانه يسبب المشاكل ، ويفرق بين الناس ، ويولد خصومات ، ويزعزع الروابط الأخوية هذا الشخص يسير ويتصرف بحكمة شيطانية ، وانه لا يعمل عمل الله بل عمل الشيطان . فكل القوى التى تعمل على الانقسام والتفرقة هى قوى ضد ارادة الله ، وهى تعمل لنجاح عمل الشيطان .

١ ــ الحكمة الحقة

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ ثُمَّ مُسَالِمَةٌ مُتَرَفِّقَةٌ مُذْعِنَةٌ مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَاراً صَالِحَةً عَدِيمَةُ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ وَثَمَرُ الْبِرِّ يُزْرَعُ فِي السَّلاَمِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلاَمَ.

(٢ : ١٧ و ١٨)

لقد اتفق حكماء اليهود جميعهم على أن الحكمة الحقيقية تأتى من فوق . فهى ليست نتيجة لمجهودات الانسان ، بل هى عطية الله .

ويصف سليمان الحكيم تلك الحكمة بأنها « وهج قوة الله وانبثاق بهاء من الله القادر على الكل » . (سفر الحكمة ٧ : ٢٥) ، ونجد فى نفس السفر تلك الصلاة « اعطنى الحكمة القابعة بجوار عرشك » . (سفر الحكمة ٩:٤) ثم نجد أيضا القول « فأرسلها من السموات المقدسة وابعثها من كرسى مجدك » . (سفر الحكمة ٩ : ٨) ، ويبدأ ابن سيراخ سفره بهذه العبارة : « كل حكمة من قبل الرب وهى معه الى الدهر » . (حكمة يشوع ١ : ١) ، والحكمة تقول أيضا : « أنا خرجت من فم العلى » (حكمة يشوع ٢٤ : ٣) ، فقد اتفق حكماء اليهود بصوت واحد على أن الحكمة تأتى للناس من فوق ، من الله .

ويستخدم يعقوب ثمانى كلمات ليصف تلك الحكمة ، وكل منها يحمل صورة جميلة عن الحكمة :

١ — فالحكمة الحقة (طاهرة) . واصل تلك الكلمة باليونانية Hagnos تعنى الطهارة التى تكفل للانسان القرب من الآلهة . وكانت الكلمة تعنى فى البدء ، طهارة الانسان بمعنى أنه اجتاز مراحل التطهير الطقسية . ولذا ، فان احدى شخصيات (ايوريبيدس) يقول :

« ان يدى طاهرتان ، ولكن قلبى ليس طاهرا » ، فكانت كلمة hegnos اذن تصف الطهارة الناتجة من ممارسة الطقوس فقط ، ولم تكن بالضرورة تعنى طهارة الأخلاق والسلوك .

ولكن بمرور الوقت أصبحت الكلمة تعنى نقاوة السلوك الذى بمقتضاه يستطيع الانسان أن يقرب حقا من الآلهة .

فقد كان مكتوبا على مدخل معبد « اسكولابيوس » فى (ابيداروس) تلك العبارة : « ان من يدخل هذا المعبد الالهى يجب أن يكون طاهرا ، والعقل الطاهر يفكر أفكارا مقدسة » .

فالحكمة الحقة هى الحكمة الصافية من كل شوائب الميول الخاطئة ، المتحررة من الذات ، حتى يصبح الانسان فى درجة من النقاوة يستطيع معها أن يرى الله . فالحكمة العالية ترغب فى التهرب من رؤية الله ولكن الحكمة الحقة يمكنها أن تثبت أمام عين الله .

٢ ــ والحكمة الحقة (مسالمة) eirénikos . ان كلمة eirènè تعنى سلام ، وعندما نستعمل الكلمة فى مجال العلاقات الاجتماعية ، يكون معناها حسن العلاقة بين الانسان واخيه وبين الانسان والله .

والحكمة الحقيقية تخلق علاقات طيبة . هناك حكمة اخرى تولد الزهو والتعالى فتجعل الانسان يحتقر اخوانه ، انها حكمة تفرق بين الانسان واخيه . هناك الحكمة التى تجعل بعض الناس يتفننون فى استخدام بعض العبارات والالفاظ الجارحة لأنهم يسرون بايذاء الآخرين . وهناك الحكمة الشريرة التى تضل الناس بعيدا عن الله ، فتنزع منهم نقاوتهم وولاءهم لله . ولكن الحكمة الحقة هى الحكمة التى تقرب الناس بعضهم لبعض ، وتقربهم من الله .

٣ ــ والحكمة الحقة أيضا (مترفقة) ، وان الكلمة اليونانية المستعملة لذلك من أكثر الكلمات التى وردت فى العهد الجديد صعوبة فى ترجمتها وهى كلمة « epieikés » وان ارسطوطاليس يعرف تلك الكلمة بانها : « العدالة التى تتعدى حدود النصوص المكتوبة فهى أسمى من العدالة وهى تدفعنا لتصحيح الاوضاع التى لا يكون فيها القانون منصفا عند تطبيقه » . فالشخص الذى يوصف بتلك الصفة « epieikés » هو الشخص الذى يعرف متى يكون من الخطأ تطبيق الناموس أو القانون حرفيا . انه الشخص الذى يصفح ، عندما تعطيه العدالة الصارمة الحق فى أن يدين . انه الشخص الذى يعرف كيف يكون سمحا ، ويعرف متى يتغاضى عن حقوقه . انه الشخص الذى يعرف كيف يمزج العدل بالرحمة . انه يعرف دائما أن فى الحياة اشياء أسمى من اللوائح والقوانين المجردة .

يستحيل أن نجد كلمة فى اللغة الانجليزية لتعبر عن هذه الصفة . وقد أسماها « ماثيو أرنولد » : « التفاهم الحلو » . ونحن نقول انها قدرتنا

على النظر الى الآخرين بعين الشفقة والمودة التي ترغب نحن أن يمنحها لنا الآخرون .

٢ — الحكمة الحقة

٤ — ان الحكمة الحقة (مزعنة) « eupeithés » اننا يجب أن نختار معنى من اثنين :

(أ) فان كلمة « eupeithés » قد تعنى الاستعداد الدائم للطاعة . ان أهم القواعد التي اتبعها « وليم لو » في الحياة كانت حسب قوله : « انى أضع نصب عيني دائما أن أتمم شيئا واحدا وهو أن أسعى للحصول على السعادة الأبدية بطاعة ارادة الله » .

فالكلمة بهذا المعنى توحى بأن الرجل الحكيم حقا يكون مستعدا أن يطيع الله في أى وقت يسمع فيه صوت الله .

(ب) وقد تعنى كلمة « eupeithés » سهولة الاقتناع ، ليس بمعنى أن الشخص ضعيف سهل الانقياد بل بمعنى انه ليس عنيدا ، وأنه على استعداد للانصات لصوت العقل والى التوسلات .

ومن المرجح أن الكلمة تحمل هذا المعنى الثانى .. فالحكمة الحقة ليست جامدة ، صارمة ، تسد آذانها عن كل توسل . انها على استعداد لأن تسمع وأن تقتنع ، وأن تعرف متى يجب الاذعان .

٥ — ثم نتكلم عن العبارتين التاليتين معا . فالحكمة الحقة (مملوءة رحمة) eleos واثمارا (صالحة) . فان كلمة « eleos » أى « رحمة » قد اكتسبت معنى جديدا في الفكر المسيحى . فان الاغريق قد عرفوا الرحمة بأنها شفقة على الشخص الذى يقاسى ظلما . ولكن المسيحية قد اضافت الى ذلك كثيرا .

(أ) فالرحمة في الفكر المسيحى تعنى الشفقة على الانسان الذى فى ضيقة ، حتى لو كانت ضيقته بسبب ما ارتكبه من أخطاء . فالرحمة فى المسيحية تعكس رحمة الله ، ورحمة الله شملت الناس ليس عندما كانوا

يتألمون ظلما ولكن عندما كانوا يقاسون من نتائج خطاياهم وذنوبهم فاننـــا دائما نقول عن الشخص المتألم : « أن ما به من الم نتيجة لغلطته ، فهـــو الذى اضر نفسه » ، ولذا فاننا نحس باننا غير مسئولين تجاهه . ولـــكن الرحمة فى المسيحية هى لــكل متضايق ، حتى ولو كان هو السبب فى هذا الضيق .».

(ب) ان الرحمة فى الفكر المسيحى تعنى الرحمة التى تنتج (اثمـــارا صالحة) ، أى الرحمة التى تقدم الخـــدمة العملية . فالرحمة فى المسيحية ليست عاطفة ، ولكنها عمل وهى ليست الشعور بالأسف نحو شخص معين ، انها الترجمة عن ذلك الأسف وتلك العاطفة الى عمل فلا يمكننا أن نقول اننا قد شفقنا على اى انسان ما لم تكن قد قدمنا له المعونة .

٦ ــ ان الحكمة الحقة (عديمة الريب) . اى انها ليست متزعزعة ، او مهتزة . انها تؤمن بأفكار ثابتة ، وتشق طريقها لنفسها ، ولا تغير سبيلها ، هناك من يعتقد انه من الحكمة الا يبت الانسان فى أمرها ، ويقول شخص ما انه ذو عقل متفتح وانه لا يمكن ان يدلى برأى قاطع فى اى شأن من الشئون . ولكن الحكمة المسيحية مبنية على حقـائق ثابتة مصـــدرها الله فى المسيح يسوع .

٧ ــ ان الحكمة الحقة (بدون رياء) اى ان الحكمة المسيحية ليست مظهرا اجوفا ، وهى لا تصل الى أهدافها عن طريق الخـــداع فهى لا تخفى اهدافها الحقيقية ودوافعهـــا . والحكمة المسيحية أمينة فهى لا تدعى ولا تتفاخر بالباطل ، وهى لا تصل الى اهدافها عن طريق غير مشروع .

ثم يذكر يعقوب شيئا يجب على كل كنيسة او هيئـة مسيحية وضعه نصب اعينيهـــا ، وهو أن « ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام » . لنذكر أولا ان السلام يعنى توثيق أواصر الصداقة بين الانسان وأخيه . ولذلك فان هذا يعنى : أننا جميعنا نحاول أن نحصد ثمار الحياة الصالحة . ولكن بذور تلك الحياة لا يمكن أن تأتى بثمر جيـــد الا فى جو العلاقات الطيبة بين الانسان وأخيه . فالعلاقات الطيبة هى التربة التى تنمو

فيها ثمار البر . والذين يزرعون تلك البـــــذار ويحصدون الثمار الطيبة هم أولئك الذين يقضون حياتهم فى انشاء علاقات طيبة بين الناس » .

أى أنه لا شىء صـــــالح ينمو فى جو عدم وئام النـــــاس مع بعضهم البعض .

وأن بذور البر لا يمكن أن تنمو فى وسط الجماعة أو الكنيسة المتنافرة المنقسمة حيث تسود المرارة والصراع ، فلا ثمر يرجى من هيئة كهذه .

وأن الشخص الذى يفسد العـــــلاقات بين الناس ، ويحـدث المرارة والانقسام لا ينال شيئا من الجزاء الذى يمنحه الله للمتقين . فالبر لا يمكن أن يوجد فى جو من سوء العـــلاقات بين الانسان واخيه ، وكل جهـــاد للانسان وسعيه نحو البر يصبح عديم الجدوى والثمر .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

امام مسرة الانسان أم ارادة الله ؟!

مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ. تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ لِأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ.

(٤ : ١و٣)

يقدم يعقوب هنا سؤالا هاما — ما هو قصدك فى الحياة !؟ هل تتميم ارادة الله أم اشباع رغباتك الذاتية فى الحصول على مسرات هذا العالم ؟ «.

ثم يقدم تحذيرا وهو ، ان كنت تسعى للحصول على اللذة فى الحياة ، فسوف لا تحصد الا الكراهية والحروب والنزاع . فهو يقول ان نتائج الجرى وراء اللذة الحروب والمعارك ، والبحث المحموم للحصول عليها يولد البغضة العنيفة التى بدورها تولد الحروب ، وصدام العداوة المتكرر الذى يشبه المعارك . وهذا الرأى يشبه ما نادى به المصلحون قديما . فعندما نتطلع الى المجتمع الانسانى من حولنا نراه يعج بالكراهية ، الناجمة من المنافسة المحمومة ، والصراع والمعارك .

ويقول فيلون بهذا الصدد : « تأمل الحرب المستعرة بين الناس ، حتى فى وقت السلم ، والتى تنتشر ليس فقط بين الامم والاقطار والمدن ، بل حتى

بين العائلات . ولى أيضا ان أقول انها تنشب حتى فى داخل الفرد ذاته .
لاحظ نار الغيرة التى تتقد فى صدور البشر والتى يذكى لهيبها الاندفاع المحموم فى الحياة . وقد تتساءل بعدئذ ان كان يمكن أن يتمتع الانسان والحالة هذه بأى هدوء واستقرار وسط هذا البحر الصاخب والخضم اللامتناهى من تصارع الأهواء وتنافر المقاصد .

ان ذلك الصراع المرير يضرب جذوره عميقة فى الرغبة أو الشهوة . ويوضح (فيلون) أن هدف الوصايا العشر تحريم الطمع الذى هو نتيجة الشهوة أسوأ انفعالات النفس ، فيقول : « الا يضحى بالعلاقات الشخصية على مذبح تلك الرغبة ، فتسود العداوة بدل الحب والوئام . أليس بسببها تتوتر العلاقات بين الدول وتمتلىء الأرض والبحر بأهوال الحروب والمنازعات؟ لأن جميع الحروب تنتج من أصل واحد : الرغبة فى الحصول على المال أو المجد أو المتعة . فالحروب تقوم بين البشر بسبب تلك الأشياء ».

ويكتب « لوسيان » قائلا : « ان جميع الشرور التى تحل بالانسان ، من حروب ومعارك ومذابح ومؤامرات تنبع كلها من الشهوة فكل تلك الأشياء يرجع أصلها الى الرغبة فى المزيد » .

ويكتب افلاطون قائلا : « ان السبب الوحيد الذى تعزى اليه الحروب والمعارك هو الجسد ورغباته » .

ويكتب شيشرون : « أن الرغبات النهمة هى سبب سقوط الفرد والعائلة بل والدولة بأكملها . فتلك الرغبات تولد الكراهية ، والفرقة والانقسام والمنازعات والحروب » .

والرغبة وراء كل الشرور التى تحطم الحياة ، وتفرق بين الناس . والعهد الجديد يوضح لنا أن الرغبة الجامحة فى الحصول على مسرات هذا العالم هى خطر يهدد الحياة الزوجية بالفشل .

فهموم الحياة وغناها ولذاتها تتحد كلها فتخنق البذرة الصالحة (لوقا ٨ : ١٤) ، وقد يستعبد الانسان للشهوات واللذات ، فيسود الحسد والكراهية جو الحياة (تيطس ٣ : ٣) .

والانسان عليـــه ان يختار فى الحياة بين أمرين : ان يرضى نفسه أو يرضى الله ، فالعالم مشحون بجو الانقسام والبغضة لأن هدف الناس الوحيد هو أن يرضوا أنفسهم ويدخلوا السرور عليها بغض النظـــر عن أى اعتبار آخر .

نتائج اشباع شهوة الانسان

ان الحياة التى تسودها اللذة تؤدى الى نتائج حتمية ؟

١ ــ انها تهيج الناس على بعضهم . فيعقـــوب يرى أن الرغبات قوى عدوانية . وهو لا يقصد ان تلك القوى تصطرع داخل الانسان ــ مع أن هذا صحيح ــ بل يقصد انها تجعل الناس تحارب بعضها البعض .

وأن الرغبات الاساسية متشابهة فى كل الحالات ــ فهى أما للحصول على المال أو لمزيد من السطوة أو الشهرة أو نفائس العالم ولاشباع الذات الحسية . وعندما يلهث الناس جريا وراء شىء واحد ، تصبح الحياة ميدانا للتنافس ، فيدوس الناس بعضها بعضا فى اندفاعهم لامتلاك نفس الاشياء . فالانسان قد يعمل ما يروق له للقضاء على خصم أو منافس يقف عقبة فى سبيل حصوله على شىء أو امتلاكه لشخص معين .

ولكن طاعة ارادة الله تقرب الناس من بعضها البعض لأن ارادة الله هى أن يحب الناس بعضهم بعضا ويخدمون بعضهم بعضا ، ولكن الاستماع لصوت الملذات يفرق بين الناس لأن الملذات تجر النـــــــاس الى الحروب والخصومات واللهث وراء أشياء معينة .

٢ ــ البحث وراء الملذات يقود الناس للقيام بأعمال مخزية فهى تدفع الناس للحسد والحقد والعداوة وقد تدفعهم للقتل . فقبل ان يقـــدم الانسان على اى عمل ، فلا بد أن تمتلكه عاطفة قوية ، وقد يمنع الانســـان نفسه من الاقدام على اتيان عمل تمليه عليه رغباته ، فى الحصول على اللذة ، ولكن طالما أن الرغبـــة كامنة فى قلبه فانه يكون معرضا للخطر . قد تنفجر الرغبة فتضحى عملا مدمرا . وأن الفترة ما بين تحول الرغبة الى عمل دمر بخطوات

غاية فى البساطة ، ولكنها غاية فى الخطر . ففى بادىء ذى بدء يسمح الانسان لنفسه أن يرغب شيئا ما ثم يبدأ هذا الشىء فى السيطرة على افكاره، فيجد نفسه يفكر فى هذا الشىء فى ساعات اليقظة تفكيرا لا اراديا ، ويحلم به كذلك آناء الليل . وبعد قليل يضحى هذا الشىء عاطفة مهيمنة . فيفكر الشخص بعدئذ فى مشروعات وهمية لتمكينه من الحصول على هذا الشىء ، وقد تحتوى تلك المشروعات على خطط للقضاء على أولئك الذين يقفون عتبة فى طريق حصوله على هذا الشىء ، وقد يفكر الانسان فى تلك المشروعات الوهمية التى تسيطر على فكره وقلبه مدة طويلة ، ولكنها يوما ما لابد أن تظهر فى شكل عمل ، فيبدأ الشخص خطوته الأخيرة ليحصل على ما يتمناه وأن كل جريمة حدثت جاءت نتيجة الرغبة ، التى لم تكن سوى شعور يعتمل به كيانه ، ولكن بعد أن يختمر فى النفس ، يضحى فى النهاية عملا .

٣ ــ ان السعى وراء اللذة يقفل باب الصلاة . فلو كانت صلاة الانسان فقط لمجرد اشباع رغباته ، تكون صلاته أنانية ، لا يجيبها الله ، لأن استجابته صلاة كهذه معناها امداد الانسان بالوسائل التى تهيىء له سبيل الخطأ . ان الصلاة التى يقبلها الله هى الصلاة التى تنتهى بالقول « لتكن ارادتك » ، ولكن صلاة الشخص الذى يجرى وراء أهوائه تقول : « لتتحقق رغباتى » ؛ وان كان الانسان يصلى فهو يصلى فقط لاشباع رغباته ، فان صلاة كهذه لا يمكن ان يقبلها الله . فمن الحقائق الثابتة فى الحياة ان الشخص الأنانى لا يمكن ان يصلى صلاة صحيحة . اننا لا يمكن ان نصلى صلاة مقبولة الا بعد أن نبعد الذات من التربع على عرش الحياة ، لنضع الله مكانها . فعلينا اذن أن نختار بين ان نجعل هدفنا الرئيسى فى الحياة تحقيق رغباتنا أم طاعة ارادة الله . فلو اخترنا أن نحقق رغباتنا فقط كهدفنا الأوحد فى الحياة ، فاننا بذلك نوسع الهوة بيننا وبين الله والناس .

خيانة امام الله

أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِى أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ . أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ

الْكِتَابَ يَقُولُ بَاطِلاً. اَلرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِينَا يَشْتَاقُ إِلَى الْحَسَدِ.
وَلَكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ. لِذَلِكَ يَقُولُ يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَمَّا
الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً. فَاخْضَعُوا لِلهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ
اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ.

(٤ : ٤ ــ ١٨)

لا يتصد بكلمة « الزناة » أو « الزوانى » أى معنى حرفى . فليست هناك أى اشارة الى الزنى الجسدى بل يقصد به الزنى الروحى . والفكرة مستمدة من العهد القديم ، باعتبار أن يهوه هو بعل لشعبه . والشعب هو العروس المهياة لرجلها . فهذا التشبيه شائع فى العهد القديم . « بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه » (اشعياء ٥٤ : ٥) ؛ « حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى » (ارميا ٣ : ٢٠) ، ففكرة يهـــوه كالزوج والشعب كالزوجة ، تفسر لنا كيف أن العهد القـــديم دائما يشبه الخيانة الزوجية ، بالزنى الجسدى، فقطع العهد مع آلهة الأرض الغريبة، والأكل من ذبيحتهم، والزواج منهم بمثابة الزنى وراء آلهتهم (خروج ٣٤ : ١٥ و ١٦) . وكان تحذير الله لموسى بخصوص الشعب ، انه سيأتى عليه اليوم الذى فيه يفجر وراء آلهة الأجنبيين فى الارض التى هو داخل اليها فى ما بينهم . وأنه سيترك الاله الحقيقى (تثنية ٣١ : ١٦) ، ونجد المرنم يهدد كل الذين يزنون عن الله (مزمور ٧٣ : ٢٧) ، وكانت شـــــكوى هوشع أن الشعب قد زنى عن الله (هوشع ٩ : ١) .

وبهذا المعنى الروحى ، يتحدث العهـــــد الجديد عن « جيل شرير وفاسق » (متى ١٦ : ٤ ، مرقس ٨ : ٣٨) ، وقد انتقلت نفس الفـــكرة الى المسيحية فأصبحت الكنيسة عروس المسيح (٢ كورنثوس ١١ : ١ و ٢ ، افسس ٥ : ٢٤ ــ ٢٨ ، رؤيا ١٩ : ٧ ، ٢١ : ٩) . وقــد لا يروق هــذا التشبيه بعض الناس ولكنه يحوى معنى سام . فعدم طاعة الله تشبه كسر عهد الزوجية . وارتكاب كل خطية ممكنة ضد المحبة . ان هذا التشبيه يعنى

أن علاقتنا بالله ، ليست كصلة الملك بالرعية أو السيد بالعبد ، ولكنها كالصلة المتينة بين الزوج وزوجتـــه . ان ذلك التشبيه يعنى أن الخطية خيانة للمحبة، وأننا عندما نخطىء فاننا نكسر قلب الله، كما يكسر قلب أحد الطرفين فى الزواج عندما يهجره الطرف الآخر عمدا وبدون سبب .

محبة العالم وعداوة الله

يقول يعقوب ان محبة العالم عداوة لله ، ومن احب العالم « فقد صار عدوا لله » يجب أن نفهم ما يعنيه يعقوب بهذا :

١ ــ لا تعني تلك العبارة أى كراهية أو احتقار للعالم . فهى لا تعنى أن العالم صحراء جرداء ولا يقصد من العبارة تشويه كل شىء فى الطبيعة واحتقاره .

أحد البيورتان كان يسير بصحبة صديقه فى الريف . ولاحظ الصديق زهرة جميلة فى احد ممرات الطريق فقال « هذه وردة جميلة » فأجاب الأخ البيورتانى : لا يصلح وصف أى شىء بالجمال فى هذا العالم الهالك الآثم » ، ليس هذا ما ذهب اليه يعقوب ، لأن هذا العالم خليقة الله . فلا تحمل تلك العبارة أى احتقار من اى نوع للعالم كخليقة الله .

٢ ــ قد لاحظنا قبلا ، إن العهد الجديد يستخدم كلمة العالم Kosmos بمعنى « العالم بعيد عن الله » اى اهمال العالم لله وعداة العالم للمثل السامية ، وتمسكه بطرقه التى يسير فيها ورفضه لطرق الله .

وهناك فقرتان فى العهد الجديد توضحان مايعنيه يعقوب جيدا . فبولس يكتب « لأن اهتمام الجســـد هو عداوة لله ... فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رومية ٨ : ٧ و ٨) ، وهو يقصد بذلك أن أولئك الذين يزنون كل شىء بميزان المثل الارضية ، أولئك الذين لا يهتمون الا بما للعالم هم فى عداوة مع الله .

والفقرة الثانية تعتبر مرثية شهيرة على الحياة المسيحية : « ديماس قد تركنى اذ أحب العالم الحاضر » (٢ تيموثاوس ٤ : ١٠) .

وهذه العبارة تعبر عن نفشى روح العالم ، فلو كان الانسان دنيويا ، فانه لا يمكن أن يكون نقيا . ولو كانت الأشياء المسادية هى هدف الانسان فانه من الواضح انه لا يمكن ان يكرس حيـــــاته لله . وبهذا المعنى ، فان الانسان الذى يكرس حياته للعالم ، يصير فى عداوة مع الله .

٣ ــ ان أفضل تعليق على هذا القول ، ماناه به يسوع ، « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين » (متى ٦ : ٢٤) . هناك موقفان من العـــالم ، والأشياء الزمنية . فاما أن نخصص لها كل وقتنا . فستحوذ كل تفكيرنا ، وبذا يصبح العالم سيدنا . واما ان نستخدم متاع العـــالم فى خدمة الآخرين ، ولتهيئة أنفسنا للأبدية ، وبذا لا يصبح العالم سيدا على حياتنا ، بل خادما لنا .

فالانسان يستخدم العالم أو يستخدم من العـــالم . فعندما يستخدم الانســان هذا العالم فى خدمة الله والانسان ، فانه يصبح صديقا لله ، لأن هذا هو ما قصده الله من وجود العالم . وعندما يصبح العالم هو السيد المتسلط على حياتنا ، فاننا نصبح فى عداوة مع الله ، لأن هذا ليس قصـــد الله من وجود العالم .

الله المحب الغيور

عدد (٥) من الآيات التى يصعب تفسيرها . ففى بداية العدد ذكـــر أنه مقتبس من الكتاب ، ولكن لم يرد فى أى جزء من الكتاب ما يمكن أن تكون تلك العبارة جزءا منه . ونحن نفترض انه اما أن يعقوب قـــد اقتبس هذا القول من أحد الكتب التى فقدت والتى اعتبرها هو أنهـــا من ضمن الكتب المقدسة أو أنه قد أوجز فى جملة واحدة خلاصة التعليم ، التى نادى بها العهد القديم وانه لا يقصد أن يقتبس أى عبارة محددة بعينها .

ثم أن ما ورد فى طبعة الملك جيمس يصعب تفسيره : « الروح الذى فينا يشتاق الى الحسد » . ولكن الجملة بهذا المعنى تبدو كما لو كانت تدين الروح البشرية ، ولكن لا يمكن أن تؤدى هذه الترجمة أى معنى محتمل . ولكن هناك ترجمتان أخريان ، تقدمان معنى واحدا .

الأولى تقول : « انه (أى الله) غيــور من نحو تكريس أرواحنا التى أودعها ايانا » ، والترجمة الثانية تقول : « الروح التى أودعهـــا الله فينا تشتاق الى التكريس التام لقلوبنا » .

وفى كلتا الحالتين يوضح المعنى ان الله هو المحب الغيور الذى لا يقبل أى منافس أو من يشاركه فى سكنى القلب البشرى .

ان العهد القديم ينسب كلمة (غيــور) الى الله . فموسى يتحدث مع الشعب عن الله قائلا : « أغاروه بالأجانب » (تثنية ٣٢ : ١٦) ، وقد سمع موسى الله يقول : « هم أغارونى بما ليس الهـــا » . (تثنية ٣٢ : ٢١) ، ويتحدث الله فى الوصايا العشر عن وجوب العبـــادة له وحده : « أنا الرب الهك اله غيور » (خروج ٢٠ : ٥) « فانك لا تسجد لاله آخر ، لأن الرب اسمه غيور . اله غيور هو » . (خروج ٣٤ : ١٤) ، ويستمع زكريا لصوت الله وهو يقول : «هكذا قال رب الجنود . غرت على صهيون غيرة عظيمة» . (زكريا ٨ : ٢) وكلمة غيرة فى اليونانية تعنى « Jelos » ، وهى تؤدى معنى الحرارة الملتهبة . والفكرة تعنى أن الله يحب الناس لدرجة إنه لا يمكنه أن يطيق اى محبة أخرى كامنة فى قلوبهم .

وقد يصعب علينا فى العصر الحاضر أن ننسب الغيرة لله ، ولذلك لأن الكلمة بمضى الزمن قد اكتسبت معنى أقل شأنا مما كان لهـــا ولكن الــكلمة تحمل حقيقة على جانب كبير من الأهمية ، لأنها تعنى أن الله محب للبشر . وقد يقول قائل ان المحبـــة بهذا المعنى تكون موزعة على جميع البشر وعلى جميع أبناء الله ، ولكن من ناحية أخرى فالمحبة تتطلب تكريسا وولاء لشخص واحد . فالشخص لا يمكن أن يحب أكثر من شخص واحد فى وقت واحد ، ومن يقول غير ذلك فانه لا يعرف معنى المحبة .

ان ما يقصده يعقوب هو أن الله محب غيور ، ولا يرضى بأى شريك له داخل القلب البشرى ، ولذا فاننا يجب أن نبادله حبا بحب ، ويجب أن تفوق محبتنا له واخلاصنا له كل محبة واخلاص لكل شىء منظور .

فخر الاتضاع وماساة الكبرياء

ويستمر يعقوب فى توضيح فكرة غيرة الله ، ورد الفعل الحتمى لذلك ، فان كان الله هكذا ، فكيف يمكن لأى انسان أن يقدم لله الولاء الذى يتطلبه نظير تلك المحبة الالهية ؟ ، ولسان حال يعقوب يقول انه اذا كان الله يطلب منا الكثير ، فهو يهبنا « النعمة » لنستطيع أن نفى بمطالبه ، وكلما عظم الطلب كلما عظمت النعمة التى يمنحنا الله اياها . فنعمة الله وحدها هى القادرة على تمكيننا من رد صدى تلك المحبة .

ولكن الانسان لا يمكن أن ينال النعمة ما لم يتحقق من حاجته للنعمة ، ويأتى لله باتضاع ليطلب ذلك منه .

ولذلك « فان الله يقاوم المستكبرين » ، وأنه يعطى النعمة بسخاء للمتواضعين . « يعطى نعمة للمتضعين » . (أمثال ٣ : ٣٤) ، وقد استشهد بها أيضا بطرس فى (١ بطرس ٥ : ٥) .

فما هى اذن هذه الكبرياء الهدامة ؟ ان كلمة (متكبر) تعنى الشخص الذى يتعالى على الآخرين . وكان الاغريق يكرهون الكبرياء فوصفها « ثيوفراستوس » Theophrastus بأنها « احتقار لجميع الناس » ودعاها « ثيوفيلاكت » Theophylact الكاتب المسيحى « بؤرة جميع الشرور ومنتهاها » ، وخطر الكبرياء يرجع لأنها تنبع من القلب . انها تعنى الانتفاخ ، ولكن الشخص الذى يعانى منها قد يبدو فى غاية الاتضاع ، بينما هو فى الواقع يحتقر الآخرين فى قلبه . ان الشخص المتكبر بعيد عن الله لأسباب ثلاثة :

١ — انه لا يعلم حاجته الحقيقية . فهو يفخر بأنه ليس محتاجا لشىء ويشعر أنه مكتف ، وليس فى حاجة الى شىء .

٢ — أنه يطلب البعد عن الجميع . فهو لا يشعر بالامتنان لأى شخص ، حتى لله . انه لا يعتمد على شىء ، ولا شخص ولا على أى قوة بشرية أو الهية .

٣ ــ انه لا يعترف بخطيته . فان تفكيره فى بره الذاتى ، يلهيه عن التفكير فى خطيته ، ومن ثم لا يشعر بحاجته للخلاص . ان كبرياء كهذه تحرم الانسان من اى عون ، لانها تشعره بأنه ليس فى حاجة الى اى عون ، ولذلك فان الشخص المتكبر لا يطلب شيئا من الله . انه لا يحب الله ، ولكن يحب ذاته .

ولكن هذا التواضع الذي ينادي به يعقــوب ليس ذلة . انه يمتــازا بصفتين بارزتين :

١ ــ ان الشخص المتواضع ليس جبانا ، فهو يعرف أنه اذا اتخذ موقفا جادا مع الشيطان ، فان الشيطان يهرب منه ، فالشـــيطان هو الجبان فى النهاية . قال « هرمز » : « ان الشيطان يمكنه أن يصارع مع المسيحى ، ولكنه لا يستطيع أن يغلبه » ، وهذه حقيقة يعرفها المسيحيون جيدا ، لأن بطرس يصرح بنفس الشيء (١ بطرس ٥ : ٨,٩) .

ولنا أسوة حسنة فى شخص المسيح فى تجاربه . فقد أظهر فيهـــا المسيح أن الشيطان تسهل هزيمته وقهره بكلمة الله ، كما هزمه يسوع . وأن تواضع المسيحى لا يعنى الجبن ، ان المسيحى يستطيع أن يحـــارب المجرب ، ويقهره لا بقوته ، ولكن بقوة الله .

٢ ــ ان المسيحى المتواضع يعلم انه يتمع بأعظم امتيـــاز ، امتياز الاقتراب من الله . فالمسيحى يعلم انه يمكنه القرب من الله ، لأن الله دائما قريب منه وهذا امتياز عظيم ، لأن حق الاقتراب من الله فى العهد القديم كان مقصورا على الكهنة وهم وحدهم الذين يقتربون من الله (خروج ١٩ : ٢٢) ، ووظيفة الـكاهن كانت تعنى أن يقترب من الله لأجل خطـــايا الشعب (حزقيال ٤٤ : ١٣) ولكن بواسطة عمل المسيح الـكفارى ، يستطيع اى انسان أن يقترب بثقة من عرش النعمة واثقا انه سينال نعمة ورحمة ، عونا فى حينه (عبرانيين ٤ : ١٦) . لقد مر وقت كان لرئيس الكهنة وحده الحق فى دخول قدس الاقداس ، أما نحن فلنا « رجاء افضل به نقترب الى الله » (عبرانيين ٧ : ١٩) .

فالمسيحى يجب أن يكون متواضعا ، ولكن هذا التواضع ليس معنـــاه

الجبن ، بل معناه شجاعة وبسالة فى القضاء على الشيطان ، ثم انه التواضع الذى يقود الى الادراك بأن الطريق الى الله ممهد للقديس الذى يقرب من الله بانكسار قلب وانسحاق روح ».

النقاوة الالهية

نقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ . اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا . لِيَتَحَوَّلْ ضَحِكُكُمْ إِلَى نَوْحٍ وَفَرَحُكُمْ إِلَى غَمٍّ . اتَّضِعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ .

(٤ : ٨ ب — ١٠)

ان الطلب الأخلاقى فى المسيحية ليس شيئا مستبعدا . فقد تحدث يعقوب عن النعمة التى يهبها الله للمتضعين ، والنعمة التى يعطيها الله للانسان ليمكنه من مواجهة المطاليب الالهية . ولكن يعقوب يعلن ان هناك أكثر من مجرد السؤال والأخذ ، فهو يؤكد أهمية بذل شيء من الجهد الأخلاقى .

وهو يوجه الحديث هنا للخطاة ، والكلمة اليونانية « hàmartôlos » تعنى الخاطىء القاسى القلب ، الشخص الذى يرتكب الخطية العلنية الفاضحة ويعرف سيويداس « Suidas » الخطاة بأنهم : « اولئك الذين يعصون الناموس ، ويحيون حياة فاسدة » .

يطلب يعقوب من الخطاة تغييرا أخلاقيا يشتمل على تغيير فى السلوك الخارجى ، وفى الرغبات الداخلية فهو يطالبهم بنقاوة الايدى ونقاوة القلب (مزمور ٢٤ : ٤) .

والتعبير « نقوا أيديكم » يثير الاهتمام . كان هذا التعبير فى الأصل لا يحمل سوى معنى النظافة أو النقاوة الطقسية ، الاغتسال بالماء ظاهريا ، وكان هذا يعد نقاوة طقسية تؤهل الانسان للاقتراب من الله وعبادته . فكان الواجب على الكهنة أن يغسلوا ايديهم وأرجلهم قبل تأدية الخدمة (خروج ٣٠ : ١٩ — ٢١ ، لاويين ١٦ : ٤) واليهودى المتمسك

بدينه يجب أن يغسل يديه حسب التقاليد قبل الاكل (مرقس ٧ : ٣) ، ولكن بمور الوقت أدرك الناس أن الله يتطلب أكثر من مجرد الاغتسال الظاهرى ، ولذا فالعبارة أصبحت تدل على النقاوة الأخلاقية . «اغسل يدى فى النقاوة» (مزمور ٢٦ : ٦) ، ويطلب اشعياء من الشعب أن « اغتسلوا تنقوا . . . كفوا عن فعل الشر » (اشعياء ١ : ١٦) وكأن تلك النقاوة مرادف للـكف عن فعل الشر . وفى الرسالة الى تيموثاوس يحث بولس الناس بأن يرفعوا أيادى طاهرة فى الصلاة (١ تيموثاوس ٢ : ٨) ، وبتطور العبارة نرى عمق الادراك فيما يطلبه الله حقا . ففى البداية ظن الناس أن النقاوة هى مجرد الاغتسال بالماء من الظاهر ، كأداء فرض أو طقس ، وفى النهاية أدرك الناس أن مطلب الله معنوى وليس ماديا طقسيا . وان الكتاب المقدس ليطلب أربعة انواع من النقاوة . فهو يحث على نقاوة الشفتين (اشعياء ٦ : ٦,٥) ، ويطلب طهارة اليدين (مزمور ٢٤ : ٤) ، ونقاوة القلب (مزمور ٧٣ : ١٣) ، وطهارة الفكر (يعقوب ٤ : ٨) .

أى أن الكتاب ينادى بطهارة الكلمات والاعمال والخلجات والافكار ، طهارة من الداخل ومن الخـــــارج ، وذلك لأن أنقياء القلب يعاينون الله (متى ٥ : ٨) .

الحزن الالهى

اذ يطلب يعقوب من قارئيه حزنا الهيا ، فانه يعود بنا الى ما قاله يسوع : « طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » (متى ٥ : ٤ ، لوقا ٦ : ٢٠ — ٢٦) ولـــكننا لا يجب أن نسىء فهم ما قصـــده يعقوب فهـــو لا ينكر علينا فرح الحياة المسيحية ، وهو لا يطلب ان يحيا الناس حياة ملؤها الأسى فى عالم الأحزان والظلال . انه يطلب من الناس أن تحيا حياة متزنة متعقلة بدلا من حياة الترف واللذة التافهة التى يحرص الناس على اقتناصها ، وانه يطلب ذلك بروح الشخص المكرس تماما لله ، والذى يرى الآخرون ينغمسون فى العالم . ثم أن يعقوب يصف بداية الحياة المسيحية ، وليس نهايتها . انه يطلب أشياء ثلاثة :

١ — انه يطلب ما يسميه (بالأسى والالم) . والفعل لذلك باليونانية

هو « talaiporein » ويصف ، كما قال (ثيوسيديدس) ، حالة الجيش اذ ينضب معين طعامه ، ولا يجد المأوى وسط الجو العاصف .

ان يعقوب يطلب أن يكف الناس عن حياة الترف والاسراف فى البحث وراء لذاتهم وراحتهم . أنه يتحدث الى شعب محب للعالم ، ويطلب منهم الا يجعلوا كل همهم فى الحياة الجرى وراء المتعة حيثما وجدت . فالنظام الدقيق يخلق العلماء ، والتمرين الصارم يخلق الرياضيين ، والامتناع عن المشاركة فى مباهج العالم يخلق المسيحى الذى يعرف كيف يستخدم العالم وما فيه من متاع الاستخدام الصحيح .

٢ — انه يطلب منهم أن (ينوحوا ، وان يتحول ضحكهم الى حزن ، وفرحهم الى غم) . ان يعقوب يصف هنا الخطوة الأولى فى الحياة المسيحية ، فالحياة المسيحية تبدأ حين يواجه الشخص خطيته ، وحين يتقابل مع الله . فهو حقا اختبار مؤلم . عندما كان « وسلى » يعظ لعمال المناجم كنجز وود ، تحركت فيهم عواطفهم حتى أن دموعهم سالت غزيرة على وجناتهم . ولكن لنتذكر أن هذا الاختبار يمثل بداية الحياة المسيحية وليس نهايتها . فالحزن المفرط الذى ينجم عن الاحساس بجرم الخطية ، يتحول الى الفرح الفياض بغفران الخطايا . ولكن لا يمكن التمتع بالحالة الثانية قبل اجتياز المرحلة الاولى مرحلة الحزن على الخطية .

ان يعقوب يطلب من سامعيه الذين يحيون حياة سهلة ، خاملة ، مترفة ، دون احساس بما ينقصهم ، دون قلق على خطاياهم ، يطلب منهم أن يحسوا بخطاياهم ومن ثم يخجلون ويحزنون ويخافون ، واذ يحسون بذلك فانهم يطلبون النعمة الالهية ثم ينتقلون الى مرحلة الفرح الذى يفوق كثيرا كل مسرات العالم ومباهجه .

٣ — انه يطلب منهم أيضا أن (يبكوا) . فهؤلاء الناس الذين كان يتكلم اليهم يعقوب كانوا أثرياء يعيشون فى ترفهم وفى أنانيتهم المفرطة غير مدركين أو شاعرين بما يسميه الشاعر « أمطار العالم المنهمرة من الدموع » ، ولكن يعقوب يصر على أن يدرك هؤلاء الناس دموع وآهات الآخرين . فان

احزانهم ودموعهم واحتياجاتهم يجب أن تخترق أسوار ملذاتهم ورفاهيتهم ، وانه قد آن الأوان أن يحسوا باحتياجات بنى جنسهم .

ولا يمكن أن يسمى أى شخص بأنه مسيحى ما لم يدرك الحاجة الملحة لهؤلاء المعذبين ، ولتلك البشرية المعذبة التى مات المسيح لأجلها .

ولذلك ، فان يعقوب يستخدم كلمات خاصة ليوقظ أولئك الغافلين ، ويطلب منهم الامتناع عن ملذات الحياة وأن يدركوا حالتهم فيحسوا بخطاياهم ويبكوا عليها ، وأن يشعروا كذلك باحتياجات الآخرين من حولهم والآلام التى يقاسونها ، فيبكون من اجلها .

الاتضــاع أمام الله

ويختتم يعقوب هذه الفقرة . فيطلب مطلبا أخيرا وهو الاتضاع أمام الله ففى كل الكتاب نجد الفكرة واضحة أن الشخص المتواضع هو الذى يتمتع ببركات الله . فالله يخلص المتضع (أيوب ٢٢ : ٢٩) « وكبرياء الانسان تضعه والوضيع الروح ينال مجدا » (أمثال ٢٩ : ٢٣) ، « والله يسكن فى الموضع المرتفع ومع المنسحق والمتواضع الروح » (اشعياء ٥٧ : ١٥) ، « والذين يخافون الرب يضعون نفوسهم امامه ، وكلما عظم الانسان كلما اتضع لكى يجد نعمة فى عينى الرب » (حكمة يشوع ٢ : ١٧ ، ٣ : ١٧) ، وقد أكد يسوع مرارا أنه من يضع نفسه يرتفع (متى ٢٣:١٢ ، لوقا ١٤:١١) والانسان لا يطلب ارشـــاد الله الا عندما يتحقق من جهله . وعندما يتأكد الانسان من فقره فى الروحيات ، يطلب مصليا تمنى نعمة الله . وعنـدما يتحقق الشخص من ضعفه الروحى يأتى الى الله طالبا قوة الله ، وعنـدما يعترف الانسان بعدم قدرته على مواجهة الحياة بمفرده ، يركع على ركبتيه أمام رب الحياة كلها وعندما يشعر الانسـان بخطيته ، يتأكـد من حاجته للمخلص ولغفران الله . توجد خطية أساسية فى الحياة ، تنبع منهـا جميع الخطايا الأخرى ، وتلك الخطية هى نسيان أن الله خالقنا وأننا من عمل يديه .

فعندما يحس الانسان بأنه مخلوق فانه عندئذ يدرك عجزه ، فيذهب الى النبع الذى يملأ هذا العجز .

وباعتماد الانسان على قوة الله ، يمكنه مواجهة الحياة والانتصار لانه لا يواجه العالم بقـــوته . ولكن طالما أن الانسان يعتبر نفسه مستقلا عن الله ، فانه يسير في طريق الانهيار والهزيمة ان آجلا أو عاجلا .

خطية ادانة الآخرين

لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ . الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ . وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ فَلَسْتَ عَامِلاً بِالنَّامُوسِ بَلْ دَيَّاناً لَهُ . وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ . فَمَنْ أَنْتَ يَامَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ .

(٤ : ١١ و ١٢)

ان ذم الآخرين ، والتكلم بالشر عليهم ، مرادف للفعـــل اليـــونانى Katalalein وهو يعنى التكلم بالشر على شخص آخر في غيابه ، وانتقاده واهانته وتجريح سمعته عندما لا يكون موجودا ليدافع عن نفسه . وخطية التشهير والتكلم بالشر على الآخرين خطية يندد بها الكتاب المقدس تنـديدا بالغا . فيقول المرنم عن الرجل الشرير : « تجلس تتكلم على أخيك . لابن أمك تضع معثرة » . (مزمور ٥٠ : ٢٠) ، ويقول الله على لسان المرنم : « الذى يغتاب صاحبه سرا هذا أقطعه » . (مزمور ١٠١ : ٥) . ونجـــد بولس يدرج خطية الاغتياب أو النميمة ضمن قائمة الشرور التى استشرت في العالم الوثنى القديم . (رومية ١ : ٣٠) وهى من ضمن الخطايا التى ذكر بولس أيضا أنه يخاف أن يجدها في كنيسة كورنثوس (٢ كورنثوس ١٢ : ٢٠) ، والنميمة هى خطية أولئك الذين يتقابلون على نواصى الشوارع ليتبادلوا الهمز واللمز ويجرحوا سمعة الآخرين ، ويغتابوهم ويذكر بطرس نفس الخطيـة المترجمة « مذمة » ويهاجمها (١ بطرس ٢ : ١) ، ولذلك نجد ان تلك الخطية تلقى هجوما شاملا . ولا بد من التحذير الخطير بشأنها فان الناس لا تدرك أن تلك الخطية من الخطايا التى يهاجمها الكتاب بلا هوادة . والانسان العادى يجد متعة في التسلى بتلك الأحاديث المغـــرضة ، فهو يستمع ويشترك في التحدث عن قصة يذم فيها شخصا بارزا مثلا . ومعظم الناس كذلك تجـد

اغراء كبيرا فى مزاولة هذا النشـــــاط الخبيث ويجـــدر بنا ان نعرف ما يقوله الله بخصوص تلك الخطية . ان يعقوب يهاجم تلك الخطية لسببين رئيسيين :

١ — ان هذه الخطية كسر للناموس . فالناموس الملوكى يطالبنا بأن نحب أقرباءنا كأنفسنا (يعقـــوب ٢ : ٨ ، لاويين ١٩ : ١٨) وواضح أنه لا يمكن لشخص يحب قريبه أن يتكلم بالشر عنه ذاما ايام ، واذا كسر شخص الناموس وهو يعلم انه يخالف الناموس ، فانه يضع نفسه فوق الناموس . اى انه يجعل من نفسه (ديانا) للناموس . فهو بذلك يحكم على الناموس ويجعل ارادته فوق الناموس . ولكن واجب الانسان لا أن يدين الناموس بل ان يطيع الناموس . فالذى يتكلم بالشر على جاره ، فانه يجعل من نفسه ديانا للناموس ، ويبيح لنفسه حق كسر الناموس ؛ ولذلك فهو مدان .

٢ — انها ايضا التعدى على حقوق ومقدسات الله . فالتكلم بالشر على احد وانتقاده ومذمته يعنى اننا ندينه ونصـــدر حكمنا عليه . وليس لأى شخص الحق أن يدين أى انسان آخر ، فحق الدينونه خاص بالله وحده

فالله وحده هو القادر ان ينقذ وان يهلك . واننا نجد ذلك الحق واضحا فى الكتاب . فالله يقول : « أنا أميت واحيى » . (تثنية ٣٢ : ٣٩) ، وتقول حنه فى صلاتها . « الرب يميت ويحيى » (١ صموئيل ٢ : ٦) ، وصرخ ملك اسرائيل فزعا عندما جاءه (نعمان) يطلب شفاءه من البرص فقال له : « هل انا الله لكى اميت واحيى » . (٢ ملوك ٥ : ٧) ، ويحضنا يسوع بالا نخشى الناس الذين يستطيعون أن يقتلوا الجسد فقط ، بل تخاف الله الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد (متى ١٠ : ٢٨) ، والمرنم يصرح بأن الله وحده عنده مخارج الموت والحياة (مزمور ٦٨ : ٢٠) .

فأن ندين الآخرين يعنى اننا ندعى لانفسنا ما يستطيع الله وحده ان يعمله ، ومن ذا الذى يجرؤ على أن ينتهك مقدسات الله ؟!

قد نقول ان من يتكلم بالشر على جاره فانه لا يرتكب خطيئة شنيعة . ولكن الكتاب يقول انها من اشنع الخطايا لانها تحد للناموس الملوكى وامتهان لحقوق الله .

اتكال كاذب

هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَداً إِلَى هٰذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ . أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ . لِأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ . إِنَّهَا بُخَارٌ يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ . عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هٰذَا أَوْ ذَاكَ . وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ فِي تَعَظُّمِكُمْ . كُلُّ افْتِخَارٍ مِثْلُ هٰذَا رَدِيءٌ . فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَناً وَلاَ يَعْمَلُ فَذٰلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ .

(٤ : ١٣ — ١٧).

يستخدم يعقوب هنـــا صورة مألوفة لدى سامعيه . فكان اليهود من اعظم تجار العالم القديم ، وقد أمدهم العالم قديما بالفرصة السانحة لابراز مهارتهم التجارية . فقد كان ذلك العصر عصر تأسيس المدن ، وكان مؤسسو المدن يبحثون عن مواطنين ليقطنوا فيها فكانوا يمنحون حق سكنى تلك المدن لليهود مجانا ، لأنهم كانوا تجارا مهرة.ولذلك فالصورة التى أمامنا تمثل شخصا أمامه خريطة ، ثم يضع أصبعه على مكان معين على الخريطة ويقول :

« توجد هنا مدينة جديدة بها فرصاً ممتازة للتجارة والربح سوف اذهب اليها واحصل على قطعـــة أرض بها واتاجر هنـــاك لمدة سنة أو اكثر واغنم مالا وفيرا ، واعود بما كسبت من مال » . ويرد يعقوب على ذلك بأنه ليس من حق أى انسان أن يثق بالمستقبل وبما يرسمه من خطط لهذا الحد ، لأنه لا يعرف أحد ما يلده اليوم . فالانسان يفكر ، ولكن الله هو الذى يدبر لأن المستقبل فى يد الله .

ان عدم ضمان المستقبل حقيقة مؤكدة لدى الناس فى جميع الأمم .

فقد كتب الحكيم العبرانى قائلا : « لا تفتخر بالغد لانك لا تعــلم ما يلده لك اليوم » . (أمثال ٢٧ : ١) .

وضرب يسوع مثلا عن الغنى الغبى ، الذى جمع ثروته ، وكان يرسم الخطط للمستقبل ، ونسى انه فى تلك الليلة نفسه قد تطلب منه (لوقا ١٢ : ١٦ — ٢١) ، وكتب ابن سيراخ يقول : « وفى النـــــاس من يغتنى بامساكه وشحه . وهذا كل نصيبه . ففيما يقول : قد وجدت لى راحة والآن آكل من خيراتى دائما ، وما علم أن الزمان ماض فيخلف هذه جميعها لغيره ويموت » . (حكمة يشوع ١١ : ١٨ و ١٩) .

وقال (سينكا) : « كم من الغباء للانسان أن يرسم الخطط لحياته ، وحتى الغد ليس تحت سلطانه » وقال أيضا : « ليس الغد ضمن الأصدقاء الذين يمكن للانسان أن يتفق معهم على موعد » . وكان هناك مثل شائع عند معلمى اليهود يقول : « لا تهتم بالغد ، لأنك لا تعلم ما يلده لك اليوم . فقـــد لا تجد الغد » .

كان السير جميس بارى يرفـــض أن يعقد أى اتفاق للمستقبل البعيد فكان يقول دائما : « الآن فقط » .

ولكن عدم يقينية الحيـــاة ليست سببا فى ان نخاف او نكف عن العمل لأن المستقبل غير مضمون ، بل أن نعتمد على الله اعتمـــاداً تاماً . فالشخص الحكيم هو الذى يرسم كل خططه معتمدا على الله . فبولس يكتب الى أهل كورنثوس قائلا : « ولـــكنى سآتى اليـــــكم سريعا ان شـــاء الرب » . (١ كورنثوس ٤ : ١٩) ويقول أيضا : « لأنى أرجو أن أمكث عندكم زمانا ان أذن الرب » . (١ كورنثوس ١٦ : ٧) .

ويكتب اكسينوفن « Xenophon » قائلا : « قد يتسائل بعضهم بخصوص تلك العبارة ، لتكن الأمور هكذا ان شاءت الآلهة » ، فمن يتساءل عن ذلك ليعلم انه لو مر فى مخاطرات الحياة لما تعجب من هذا التعبير .

ويدور افلاطون حديثا دار بين سقراط والكيبيادس « Alcibiades » يقول الكيبيادس : « سأفعل هكذا اذا شئت يا سقراط » ، ويجيب سقراط : « يا الكيبيادس ، لا يصح ان تتكلم هكذا » . انك يجب ان تقول : « اذا اراد الله » .

ويكتب مينوكيوس فيلكس « Minucuis Felics » : « ان التعبير حسب ارادة الله » تعبير مألوف يخرج عفو الخاطر على لسان عامة الشعب . ويقول العرب دائما التعبير « ان شاء الله » ، والغريب انه ليس لدى اليهود تعبير مرادف ولذا فان يعقوب يلفت نظرهم الى ذلك .

ان المسيحية لا تعلمنا أن نخاف ونرتعب ، ونكف عن العمل لان المستقبل غير مضمون ، بل ان نستودع المستقبل في يد الله ، ولنتذكر دائماً أن خططنا وآمالنا قد لا تجد مكانا في البرنامج الالهى .

والشخص الذى لا يضع ذلك نصب عينيه ، يقع في خطية الافتخار الكاذب والكلمة اليونانية لذلك هى« alayoneia » وهى صفة تطلق على الدجال المتجول ، فهو يجرى علاجا غير ناجح ، ويفتخر بقدرته على عمل اشياء لايستطيع أن يعملها. ولذلك فان الكلمة تعبر عن الشخص الذى يدعى لنفسه اشياء لا يمتلكها ، ويفتخر بما لا يستطيع عمله .

فالمستقبل ليس في أيدى البشر ، ولا يستطيع اى انسان أن يدعى أن له القدرة على السيطرة عليه لتسير الأمور على هواه . ولذا فان يعقوب يقدم تحذيرا فهو يقول انه اذا علم شخص انه يفعل شيئا خاطئا ، واستمر في ادائه ، فان ذلك خطية له . وكأنى به يقول : « لقد حذرتكم . والآن الحقيقة ماثلة امام أعينكم » . فمن يستمر في عادة الافتخار الكاذب بتدبيرات الغد التى يرسمها لنفسه ، فانه يعمل خطية ، لأنه من الواضح امامه أن المستقبل ليس في يديه ، ولكنه بين يدى الله .

الاصحاح الخامس

عدم جدوى الغنى

هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ القَادِمَةِ.
غِنَاكُمْ قَدْ تَهَرَّأَ وَثِيَابُكُمْ قَدْ أَكَلَهَا الْعُثُّ. ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ
قَدْ صَدِئَا وَصَدَأُهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ وَيَأْكُلُ لُحُومَكُمْ
كَنَارٍ. قَدْ كَنَزْتُمْ فِى الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ.

(٥ : ١ — ٣)

فى الستة اعداد الاولى من هذا الاصحاح يهدف يعقوب الى مقصدين : الاول ، ان يرى عدم جدوى كل الثروة الأرضية . والثانى ، ان يبين فساد الاغنياء . وبذلك فانه يهدف الى ان يمنع من يخاطبهم من وضع كل امانيهم وآمالهم فى الاشياء المادية الأرضية .

انه يقول للأغنياء لو علمتم ما تفعلونه ، لكنتم تبكون وتولولون من اجل الدينونة الآتية عليكم عند مجىء يوم الرب .

والصورة تزداد ايضاحا عندما نفهم الكلمة التى يستخدمها يعقوب للتعبير عن كلمة « مولولين » ، والفعل باليونانية لذلك هو « ololugein » وهو من الكلمات التى تحمل معناها من وقعها على الآذان . فالكلمة تعنى أكثر من الولولة ، انها تعنى الصراخ الذى يبح الصوت ، وقد ترجمت فى العهد القديم بمعنى « الصراخ بصوت أجوف يشبه صوت الذئاب والكلاب » ، وقد وردت الكلمة فى الطبعة العربية للكتاب بمعنى « يولول » أيضا ، وذلك للتعبير عن الرعب الذى يسيطر على أولئك الذين جاء عليهم قضاء الله

(اشعياء ١٣ : ٦ ، ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ٢و٣ ، ١٦ : ٧ ، ٢٣ : ١و١٤ ، ٦٥ :
١٤ ، عاموس ٨ : ٣) . ويمكننا أن نقول ان الكلمة تصف حالة أولئك الذين يعانون آلام المصير التعس .

والكلمات فى هذه الفقرة واضحة معبرة ، وقد احسن الرسول اختيارها . كان يوجد فى الشرق ثلاثة مصادر للثروة ، وقد عبر يعقوب عن فساد كل مصدر منها بكلمة خاصة . فالقمح والحبوب عبر فسادها بكلمة (تهرأ) ، والثياب وكانت تعتبر ضمن مصادر الثروة فى الشرق . فيوسف أعطى اخوته حلل ثياب (تكوين ٤٥ : ٢٢) ، وجلب عاخان الشر على امته والموت له ولبيته من أجل رداء شنعارى نفيس (يشوع ٧ : ٢١) ، ووعد شمشون باعطاء حلل ثياب لمن يستطيع ان يحل لغزه (قضاة ١٤ : ١٢) ، واخذ نعمان معه حلل ثياب الى بنى اسرائيل ، ولصق البرص بجيحزى من اجل الثياب (٢ ملوك ٥ : ٥ — ٢٢) ، وقال بولس انه لم يشته فضة أو ذهب أو لباس أحد (أعمال ٢٠ : ٣٣) . وتلك الثياب الفاخرة سيأكلها العث (متى ٦ : ١٩).

ففساد العالم آت لا ريب فيه فى النهاية . وحتى الذهب والفضة سوف يصدآن . لنلاحظ أن الذهب والفضة لا يصدآن أبدا ، ولذا فان يعقوب يحذر الناس تحذيرا قويا ، بانه حتى الاشياء الثمينة الغير قابلة للفساد هى الأخرى سوف تلقى نفس المصير ، وسوف تتعرض للفساد والتحلل . وهذا الصدأ دليل على عدم دوام أو نفع كل متاع ارضى . انه تحذير مخيف . لان الرغبة فى تملك هذه الأشياء تشبه سرطانا مخيفا يأكل أجساد الناس ، ويفنى انفسهم . ثم نجد بعد ذلك تهكما صارخا : « قد كنزتم فى الأيام الأخيرة » ، فالكنز الوحيد الذى يمتلكه الشخص الذى كل همه جمع المال ، عبارة عن نار آكلة تفنيه . ان يعقوب يعتقد ان اهتمام الناس البالغ بالاشياء المادية لا يعنى فقط الاتكال على سراب ووهم خادع ، بل يعنى أيضا الهلاك والموت الزؤام .

التعاطف الاجتماعى فى الكتاب

وحتى من يقرأ الكتاب المقدس بدون امعان لابد أن يتأثر بتركيز الكتاب على مظاهر البؤس الاجتماعى . يقول افلاطون : ان حربا اهلية تنشب فى

كل مدينة ، تلك الحرب الآزلية بين الاغنياء والفقراء ، بين من يملكون شيئا ومن لا يملكون . لا يوجد كتاب يدين الثراء القائم على الأنانية المفرطة كالكتاب المقدس . يدعو « ج . ا ماكفادين » سفر عاموس بأنه « استصراخ للعدالة الاجتماعية » فعاموس يهاجم أولئك « الذين يخزنون الظلم والاغتصاب في قصورهم » (عاموس ٣ : ١٠) ، « وأولئك الذين يدوسون المسكين ويأخذون منه هدية قمح ، الذين بنوا بيوتا من حجارة منحوتة ولا يسكنون فيها » (عاموس ٥ : ١١) ، ثم نراه ايضا يكيل جام غضبه على الذين « يعوجون موازين الغش » ، الذين يشترون الضعفاء بفضة والبائس بنعلين، والذين يبيعون نفاية القمح للفقراء » (عاموس ٨:٤ــ٧)،ان الله يقول انه « لن ينسى الى الأبد كل أعمالهم » . ويحذر اشعياء « أولئك الذين يصلون بيتا ببيت وحقلا بحقل » (اشعياء ٥ : ٨) ويقول الحكيم ان من « يتكل على غناه يسقط » (أمثال ١١ : ٢٨) ، وينقل لوقا في العهد الجديد عن المسيح قوله : « ويل لكم أيها الأغنياء » (لوقا ٦ : ٢٤) ، وانه « ما أعسر دخول ذوي الأموال الى ملكوت الله » . (لوقا ١٨ : ٢٤) .

« فالغنى تجربة وفخ ، والأغنياء معرضون لشهوات مضرة تغرقهم في العطب والهلاك ، لأن محبة المال أصل لكل الشرور » (١ تيموثاوس ٦ : ٩ و ١٠) .

وفي أدب ما بين العهدين (القديم والجديد) ، نجد نفس النبرة :، « ويل لكم يا من تكنزون الفضة والذهب ظلما ... انهم سيهلكون بما اقتنت أيديهم وستلقى أرواحهم معهم في أتون النار ... (أخنوخ ٩٧ : ٨). وفي سفر حكمة سليمان توجد فقرة تبين وحشية أولئك الأغنياء الذين يعقدون مقارنة بين طرقهم وطرق الأبرار .

« فهلم اذا نتمتع بالخيرات الموجودة ونستعمل الملذات في البرية ما دام زمن الشباب . فنمتلىء من الخمر الفائقة والأطياب ولا يفوتنا نسيم زهر الربيع . نتكلل ببراعم الورد قبل ذبوله ولا يكون مرج لا يجوز عليه تنعمنا . لا يكونن أحدنا غير مشارك تنعمه وتخلف في كل صقع سمات الفرح ، فان هذا حظنا وهذا هو نصيبنا . ولنتجبرن على الفقير ولا نشفق على الأرملة ولا نستحي من شيبة الشيوخ ... ونكمن للعادل لأنه غير نافع لنا ويقاوم

اعمالنا ويعيرنا بعصياننا الشريعة ويشرح لنا جـرائم سيرتنا » . حكـمة سليمان ۲ : ٦ ــ ١٢) من الأمور الغامضة اعتبار الدين ، او قل الدين المسيحى على الاقل ، « افيون الشعوب » ، أو اعتباره لا صلة ! لا بالعالم الآخر وأنه لا يهتم بهذا العالم ، بل يهتم فقط بالعالم الآتى . مع انه لا يوجد فى اى ادب يتحدث بمثل ما يتحدث به الكتاب المقدس عن الفساد الاجتماعى والظلم الاجتماعى ، ولا يوجد اى كتاب آخر يعلم بصراحة ووضوح بما يعلم به الكتاب المقـــدس من أن البون الشاسع بين الثراء الفاحش والفقر المدقع يعتبر تعديا صارخا على شريعة الله ومخالفة لارادته . ولا يوجد اى كتاب آخر يتحدى الاوضاع الجائرة فى المجتمع بقوة مثل الكتاب المقدس . والكتاب لا يدين الثراء من حيث أنه ثراء ، ولكنه يؤكد بقوة عظم المسئولية الملقاة على الشخص الثرى ، ويتحدث عن الاخطار التى تحدق بالشخص الذى يحوز من متاع الدنيا الكثير ، كما لا يفعل كتاب آخر .

طريق الانانية ونهايته

هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعَلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمُ الْمَبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ وَصِيَاحُ الْحَصَّادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذْنَيْ رَبِّ الْجُنُودِ . قَدْ تَرَفَّهْتُمْ عَلَى الأَرْضِ وَتَنَعَّمْتُمْ وَرَبَّيْتُمْ قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي يَوْمِ الذَّبْحِ . حَكَمْتُمْ عَلَى الْبَارِّ . قَتَلْتُمُوهُ . لاَ يُقَاوِمُكُمْ .

(٥ : ٤ ــ ٦)

نجد هنا هجوما على طرق الاغنياء الأنانيين التى يسلكونها ، وتحذيرا بشأن نهايتها .

١ ــ فالغنى الانانى قد جمع ثروته بالظلم . والكتاب يؤكد دائما ان الفاعل مستحق اجرته (لوقا ١٠ : ٧ ، ١ تيموثاوس ٥ : ١٨) .

لقد كان الاجير اليومى فى فلسطين يعيش على شفـــا الجوع ، وكان اجره صغيرا ، وكان يستحيل عليه ان يوفر اى شىء ، فلو حرم من أجره يوماً

واحداً فقط ، فانه لا يجد قوت أسرته . ولذا فقوانين الكتاب المقدس الرحيمة تصر على ضرورة دفع الأجـور للفعلة المأجورين . « لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا ... فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير واليهـا حامل نفسه لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية » . (تثنية ٢٤ : ١٤ و ١٥) « لا تبت أجرة أجير عندك الى الغد » . (لاويين ١٩ : ١٣) « لا تقل لصاحبك اذهب وعد فأعطيك غدا وموجود عندك » (أمثال ٣ : ٢٨) ويل لمن يبنى بيته بغير عدل وعلاليه بغير حق الذى يستخدم صاحبه مجانا ولا يعطيه أجرته » . (ارميا ٢٢ : ١٣) ، ان « السالبين أجرة الأجير » يقعون تحت دينونة الله . (ملاخى ٣ : ٥) ، « من يأخذ تعب صاحبه ، خبزه بعرق جبينه ، يقضى عليه ، ومن يعير اجيرا بأجرته يعير خالقه ، وينال جزاء مرا لأنه اخ لسفاك الدم » (حكمة يشوع ٣٤ : ٢٢) ، « أعط أجرة العامل فى وقته ، ولا تبق أجرة أجيرك عندك البتة » . (طوبيت ٤ : ١٥) .

ان ناموس الكتاب ميثاق للأجير ، وان الاهتمام بالتكافؤ الاجتماعى يبدو واضحا فى كلمات الناموس والأنبياء والحكماء .

يقول الكتاب ان صراخ الذين لم ينالوا أجرتهم قد صعد الى أذنى رب الجنود،والجنود هم جنود السماء ، والنجوم والقوى السماوية.وأن تعليم الكتاب ينادى أن رب الكون ، الممسك النجوم بيمينه ، والذى يأمر الملائكة ، يهتم بحقوق العامل الأجير .

٢ ــ ان الأغنياء الأنانيين قد استخدموا ثروتهم بروح الانانية . انهم يعيشون فى رفاهية ونعيم . والكلمة المترجمة « ترفهتم » هى « Truphein » ، وتلك الكلمة يعود أصلها الى كلمة تعنى « ينهار » ، وهى تعنى حياة الرفاهية التى تؤدى فى النهاية الى القضاء على الجانب الأخلاقى فى الانسان والى انهياره ، انها نصف تلك الرفاهية التى تكون نهايتها القضاء على القوة الجسدية والروحية للانسان . والكلمة المترجمة « تنعمتم » هى « Spatalan » ، وهى تعنى عيشة الشر والملذات والتنعم .

ان ذلك يدين الأغنياء الأنانيين الذين استغلوا كل مقتنياتهم فى تلذذ

انفسهم فى الجرى وراء المتعة لاشباع شهوانهم ونسيانهم كل شىء عن واجبهم نحو الآخرين ».

٣ — ولكن كل من يختار هذا الطريق لنفسه ، طريق التنعم والرفاهية، قد اختار أيضا نهاية تلك الطريق . فنهاية الغنم التى تسمن هى الذبح ليوم العيد ، والذين يجدون فى السعى وراء الرفاهية والتنعم القائم على الانانية يسمنون أنفسهم ليوم الدينونة . فنهاية مسراتهم الحزن وغاية رفاهيتهم الموت . فالأنانية تقود دائما الى موت النفس .

٤ — اخيرا ، يقول يعقوب عنهم انهم قد قتلوا البار الذى لم يقاومهم . الى من تشير الآية ؟ قد تكون اشارة الى المسيح . « أنتم انكرتم القدوس البار dikaios » وهى نفس كلمة « بار » وطلبتم ان يوهب لكم رجل قاتل » (أعمال ٣ : ١٤) ، وقد هاجم اسطفانوس اليهود لانهم دائما كانوا يقتلون انبياء الله الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء البار (اعمال ٧ : ٢٥) وقد أعلن بولس أن الله قد اختار اليهود لتبصر البار مع أنهم رفضوه (اعمال ٢٢:١٤) ، ويقول بطرس ان المسيح تألم من أجل خطايانا ، البار من اجل الأثمة (١ بطرس ٣ : ١٨) ، وعبد الرب لم يتاوم ، ولم يفتح فاه ، كنعجة صامتة أمام جازيها . (اشعياء ٥٣ : ٧) ، ويقتبس بطرس نفس الفقرة فى تصويره ليسوع (١ بطرس ٢ : ٢٣) ، ويجدر بنا ان نقول ان يعقوب يصرح بأن الأغنياء الانانيين بظلمهم للفقير والبار يصلبون المسيح ثانية ، وأن كل جرح يصاب به شعب المسيح من جرائهم هو جرح آخر فى جسد المسيح . فالذين يعيشون عيشة الأنانية يطعنون المسيح ثانية .

من الجائز أن يعقوب لم يكن يفكر فى المسيح حين تحدث عن الرجل البار ، ولكنه لابد كان يفكر فى كراهية الشخص الشرير الفطرية للرجل البار . لقد سبق أن استشهدنا بفقرة وردت فى سفر حكمة يشوع عن سلوك الأغنياء . ونورد هنا بقية تلك الفقرة : « ويخبر (البار) ان له معرفة الله ويسمى ذاته أبن الله . وقد صار لنا تعبيرا لخواطرنا ونظرنا اليه ثقيل علينا . لأن عيشته غير مضاهية سيرة الآخرين ومسالكه مختلفة . حسبنا عنده للنذالة فابتعد عن طرقنا كمن يبتعد من النجاسات يطوب أواخر الأبرار

ويفتخر أن الله ابوه . فلننظرن ان كانت أقواله حقيقة ونختبر ما يكون له فنعرف أواخره . فان كان هو ابن الله الحقيقي فسينصره وينقذه من أيدى الذين يقاومونه ، ولنستفحصه بالشتم والعذاب لنعرف دعته ولنختبرن احتماله السوء . ولنحكمن عليه بموت شنيع فان مراقبته ستكون من اقواله » . (حكمة سليمان ٢ : ١٣ — ٢٠) .

يقول الحكيم : « ان تلك اقوال الذين اعماهم شرهم » .

كان الكيبيادس صديقا لسقراط ، وكان بسبب ما حباه الله من مواهب عديدة يحيا حياة المجون والخلاعة والاستهتار ، وكان يقول لسقراط احيانا ، « يا سقراط ، انى اكرهك ، لانى كلما رأيتك رأيت نفسى على حقيقتها » . ان الشخص الشرير يود لو تخلص من الرجل البار ، لانه يذكره بحقيقته وما يجب ان يكون عليه .

انتظار مجيء الرب

فَتَأَنَّوْا أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ مُتَأَنِّيًا عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ. فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ. لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيُّهَا الإِخْوَةُ لِئَلاَّ تُدَانُوا. هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ.

(٥ : ٧ — ٩)

كانت الكنيسة الاولى تتوقع المجيء الثانى للمسيح فى عصرها ، وكان يعقوب يناشد شعبه أن ينتظروا بصبر مدة السنين القليلة الباقية . فالفلاح لابد ان ينتظر محصوله حتى يسقط المطر المبكر والمتاخر . والكتاب يتحدث كثيرا عن المطر المبكر والمتاخر لانه فى غاية الاهمية بالنسبة للفلاح فى فلسطين . (تثنية ١١ : ١٤ ، ارميا ٥ : ٢٤ ، يوئيل ٢ : ٢٣) ، كان المطر المبكر ينزل فى أواخر اكتوبر وأوائل نوفمبر ، وبدونه لا تنمو البذور التى

زرعت . والمطر المتاخر هو المطر الذى ينزل فى ابريل ومايو ، وبدونه لا تنضج الحبوب . وكان الفلاح يحتاج للصبر ، حتى تفعل الطبيعة عملها ، والمسيحى بالمثل يحتـــاج للصبر حتى ياتى المسيح . ويجب على المسيحيين ان يدعموا ايمانهم اثناء انتظارهم لمجىء المسيح ، فلا يصح عليهم أن يلوموا الواحـــد الآخر بسبب المتاعب التى يلاقونها وهم فى موقف المنتظر للمجىء ، لانهم ان عملوا ذلك . فانهم يكسرون الوصية التى تحـرم على المسيحيين ان يدينوا بعضهم بعضا (متى ٧ : ١) ، وان كسروا تـلك الوصية فانهم يدانون . كان يعقوب لا يشك فى قرب مجىء المســيح . فهو يقــول ان الديان واقف بالباب ، وهى نفس العبارة التى استخدمها يسوع نفسه (مرقس ١٣ : ٢٩ ، متى ٢٤ : ٣٣) .

لقد حدث ان الكنيسة الأولى كانت مخطئة ، ولم يأت المسيح فى مدى جيل من الزمان . ولكن لنورد هنا تعليم العهد الجـــديد بخصوص المجىء الثانى حتى نعرف الحقائق الأساسية فى جوهر هذا التعليم ، هذا وانه من الممتع لنا ان نعرف ذلك .

لنلاحظ اولا أن العهد الجديد يستخدم ثلاث كلمات ليصف المجىء الثانى للمسيح .

١ ــ الكلمة الشائعة لذلك هى كلمة « Parousia » ، وهى كلمة قــد ادخلت اللغة الانجليزية كما هى وهى مستعملة فى (متى ٢٤:٣و٢٧و٣٧و٣٩، ١ تسالونيكى ٢ : ١٩ ، ٣ : ١٣ ، ٤ : ١٥ ، ٥ : ٢٣ ، ٢ تسالونيكى ٢ : ١ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٢٣ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٨ ، ٢ بطرس ١ : ١٦ ، ٣ : ٤) .

وفى اللغة اليونانية الشائعة الاستعمال نجد ان تلك الكلمة تعبر عن حضور شخص أو وصوله . ولكن للكلمة استعمالين آخرين ، احدهما أصبح تعبيرا فنيا ، فهو يطلق على غزو جيش لبلد ما ، كما يطلق بنوع خاص على زيارة ملك أو حاكم الى مقاطعة من مملكته أو امبراطوريته . ولذلك فعندما تستخدم تلك الكلمة بصـــدد المسيح ، فان ذلك يعنى ان « Parousia » « المجىء الثانى » ليسوع هو آخر غزو للأرض من السماء ، ومجىء الملك لتقبل عبادة وخضوع رعيته .

٢ — والعهد الجديد يستخدم ايضا كلمة (odiphaneia) للتعبير عن المجيء الثـــــانى للمسيح . (تيطس ٢ : ١٣ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١ ، ٢، تسالونيكى ٢ : ٩) وفى اللغة اليونانية المستعملة ، نجد أن تلك الكلمة لهــا استعمالين خاصين . انها تستعمل للتعبير عن ظهور اله لأحد عابديه ، كما تستعمل للتعبير عن وصول امبراطور الى مركز القوة فى روما . ولذا فعندما تستخدم تلك الكلـــمة بصدد المسيح فانهـــا تعـــنى ان « epiphaneia » « مجيئه الثانى » ، هو ظهور الله لشـــعبه ، لمن ينتظرونه فى تعبد ، ولمن يعصونه ويحتقرونه ، وهى تعنى أيضا جلوس الله على عرش الكون واضعا آخر عدو تحت قدميه .

٣— ويستعمل العهد الجديد أيضا كلمة apokalupsis للتعبير عن مجىء المسيح الثانى (١ بطرس ١ : ٧ و ١٣) . وكلمة apokalupsis فى اليونانية المستعملة تعنى كشف النقاب او اظهار الحقيقة عارية ، وعندما تستخدم تلك الكلمة للتعبير عن المجىء الثانى فانها تعنى ان المجىء هو اعلان واظهار حقيقة مجد وقوة الله للناس .

فامامنا الآن اذن ثلاث صور رائعــــــة . فالمجىء الثانى للمسيح يعنى وصول الملك ، ويعنى ظهور الله لشعبه واعتلائه عرشه الأبدى ، يعنى أيضا اعلان الله مجد قوته السماوية للعالم .

مجىء الملك

والآن لنوضح باختصار تعليم العهد الجديد عن المجىء الثانى ، وعن كل ما جاء به بخصوص ذلك .

١ — العهد الجديد يبين بوضوح انه ليس لانسان ما أن يعرف اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها المسيح . فمعرفة ذلك الوقت سر قاصر على الله والله وحده ، فحتى يسوع نفسه لم يعرفه (متى ٢٤ : ٣٦ ، مرقس ١٣: ٣٢) ويتضح من هذه الحقيقة الجوهرية شىء هام . فالخيالات البشرية بتحديد ميعاد مجىء المسيح الثانى لا لزوم لها ،وهى تعد تجديفا، لانه ليس من حق انسان أن يعرف شيئا مخفيا على المسيح نفسه ، ولا يعرفه غير الله .

٢ ـ يوضح العهد الجديد ان المجيء الثانى سيكون فجائيا كالبرق ، وغير متوقع كلص فى الليـل (متى ٢٤ : ٢٧ و ٣٧ و ٣٩ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢ ، ٢ بطرس ٣ : ١٠) وهو ليس شيئا يمكن للانسان أن يستعد له ساعة حدوثه ، بل يجب أن يستعد مقدما .

وبسبب ذلك ، فالعهد الجديد يفرض عدة واجبات بخصوص المجيء الثانى ، وعلى المؤمنين اتباعها :

١ ـ انهم يجب ان يسهروا دائما (١ بطرس ٤ : ٧) ؛ انهم كعبيد ؛ سافر سيدهم ، ولا يعرفون متى يرجع ، ولكنهم يجب ان يستعدوا لمجيئه لئلا يأتى فى الصباح او فى الظهر او فى المساء (متى ٢٤ : ٣٦ ـ ٥١) .

٢ ـ طول الانتظار لا يصح ان يولد اليأس او النسيان (٢بطرس ٣ : ٤) الوقت بالنسبة للناس يختلف عنه بالنسبة لله ؛ فألف سنة عند الله كيـوم واحد أو كليلة واحدة . والله لا ينسى أو يغير وعده .

٣ ـ يجب على الناس ان تستغل ما عندها من وقت فى الاسـتعداد لمجيء الملك . انهم يجب ان يتعلقوا (١ بطرس ٤ : ٧) ، ويجب ان يثبتوا فى القداسة (١ تسالونيكى ٣ : ١٣) ، ويجب أن يكونوا بنعمة الله بلا لوم فى الجسد والروح . (١ تسالونيكى ٥ : ٢٣) ، ويجب أن يخلعوا اعمـال الظلمة ليلبسوا أسـلحة النور لأنه قد تناهى الليل وتقارب النهـار (رومية ١٣ : ١١ ـ ١٤) ، فالناس يجب أن تستخدم ما عندها من وقت لكى يمكنها أن تظهر فى مجيء الملك بلا خجل ، بل فى فرح .

٤ ـ وعند مجيء المسيح على المؤمنين أن يكونوا فى شركة أخـوية . واذ يتحدث بطرس عن ذلك المجيء الثـانى يحث الناس أن تكون محبتهم بعضهم لبعض شديدة (١ بطرس ٤ : ٨ و ٩) . ويأمر بولس أن تصير كل الأمور فى محبة لان الرب (ماران أثا) أى قريب (١ كورنثوس ١٦ : ١٤ و ٢٢).

وهو يقول أيضا ان حلمنا يجب أن يكون معروفا لجميع الناس لأن الرب قريب (فيلبى ٤ : ٥) ، والكلمة الاصلية المترجمـة « حلم » هى الـكلمة اليونانية « epieikes » وهى تعنى الروح المستعدة للتسامح والصفح بدلا من

طلب تنفيذ العدالة . ويطلب كاتب سفر العبرانيين من المؤمنين التعــاون فى الاعمال الحسنة ، والشركة الاخوية المسيحية ، واعظين بعضهم بعضا بقدر ما نرى اليوم يقرب (عبرانيين ١٠ : ٢٤ و ٢٥) . فالعهد الجديد يؤكد انه ازاء مجىء المسيح يجب ان تزداد محبتنا وشركتنا بعضنا مع بعض ، وانه لا يصح لأحدنا ان ينام أو تغرب شمس يومه وهو فى خصام مع أخيه لئــلا يأتى المسيح فى الليل .

٥ ــ ويتخذ يوحنا المجىء الثانى حجة لكى يحض الناس على أن يثبتوا فى المسيح (١ يوحنا ٢ : ٢٨) ، ان اعظم استعداد لمقابلة المسيح بكل تأكيد هو العيشة بالقرب منه كل يوم .

ونحن نعلم جيدا ان كثيرا من الافكار الخيالية المتعلقة بالمجىء الثانى هى من نتاج الفكر اليهودى ، وهى جزء من التقــاليد اليهودية النابعة من التراث اليهودى . ونعلم ايضا ان هناك أشياء كثيرة لا يمكن أن تقبل حرفيا ، ولا يقصد بها أن تكون كذلك . ولكن الحقيقــة العظمى وراء كل ما يحيط بالمجى الثانى ، ان هذا العالم ليس عبثا وبدون هدف ، ولكنه يسير نحــو هدف معين . وأن هناك حادثا الهيا تتحرك الخليقة كلها نحوه .

انتصار الصابرين

خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لاِحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَاةِ وَالأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ . هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ . قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ . لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَــةِ وَرَأُوفٌ .

(٥ : ١٠ و ١١)

اننا نحس بارتياح عندما نرى الآخرين قد اجتازوا نفس المواقف التى علينا أن نجتازها . ان يعقوب يذكر قارئيه أن الانبيــاء ورجال الله ما كان يمكنهم أن يقوموا بما قاموا به من أعمال ويؤدوا شهادتهم على الوجه الذى

تمت به لو لم يتحملوا المضايقات بصبر وهو يذكـرهم بما فاه به المسيح أن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص (متى ٢٤:١٣) ثم يستشهد بمثل أيوب الذى كثيرا ما سمعوا عنه فى المجامع اليهودية . نحن دائمـا نتحدث عن « صبر » أيوب ، ولكن الصبر كلمة سلبية ، ونحن يمكن أن نعتبر أيوب غير صابر.فعند قراءة مأساة حياته العظمى،نراه غير راض عما جاءعليه،رافضا كل تعزياته أصدقائه التقليدية يتعذب بسبب تفكيره أنه‌ربما يكون‌الله‌قدنسيه‌أو أهمله . وقليلون تكلموا بمثل ما تكلم به أيوب من كلمات عاطفية تفيض ألما وحسرة . ولكن الحقيقة الهامة عن أيوب ، أنه برغم كل تساؤله الذى يعذب كيانه ، وبرغم كل احتجاجه على أصدقائه ، فانه لم يفقد ايمانه فى الله أبدا . « هوذا فى السموات شهيدى وشاهدى فى الأعالى » . (أيوب ١٦ : ١٩) ، « أما أنا فقـد علمت أن وليى حى » (أيوب ١٩ : ٢٥) ، أن سر عظمـة أيوب أنه برغم كل ما كان يعذب نفسه ، فانه لم يفقد ايمـانه أو ثقته بالله أبدا. فثقة أيوب لاتعنى خضوعا سلبيا صامتا. فقد كان أيوب يتساءل ويفكر وأحيانا يتحدى ، ولكن ما انطفأت شعلة الايمان فى قلبه أبدا .

والكلمة التى يستخدمها العهد الجديد عن أيوب هى « Hupouone » وهى كلمة لا تصف الصبر السلبى ، بل الروح الوثابة التى تستطيع أن تواجه تيارات الشك والأسى والكوارث ومع ذلك فلا تهتز بل تخـرج وقد ازداد ايمانها وتضاعف ثقتها . قد يكون هناك ايمـان لا يشـكو على الاطـلاق ولا يتساءل ، ولكن أعظم من ذلك الايمــان الذى تساور صاحبه أحيـانا الشكوك والذى تعذبه الأسئلة — ولكنه مع ذلك يظل راسخا ثابتا . ان ايمانا كهذا يمكن الانسان من الخروج من التجارب أقوى مما كان ، وأرسخ عقيدة . « وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه » . (أيوب ٤٢ : ١٢) .

قد تمر علينا لحظات فى الحياة نظن فيها أن الله قد تخلى عنا ، ولكن أن تمسكنا بالايمان ، فاننا سندرك فى النهاية أن الله كثير الرحمة .

سخافة وعدم لزوم الأقسام

وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَا إِخْوَتِي لاَ تَحْلِفُوا لاَ بِالسَّمَاءِ وَلاَ بِالأَرْضِ وَلاَ بِقَسَمٍ آخَرَ. بَلْ لِتَكُنْ نَعَمْكُمْ نَعَمْ وَلاَكُمْ لاَ لِئَلاَّ تَقَعُوا تَحْتَ دَيْنُونَةٍ.

(٥ : ١٢).

هنا يكرر يعقوب تعليم يسوع نفسه فى العظة على الجبل (متى ٦ : ٣٣ — ٣٧) وقد كان ذلك التعليم أمرا ضروريا فى أيام الكنيسة الأولى . فقديما كانت هناك عادتان ذميمتان .

١ — كان اليهود خاصة يفرقون بين الأقسام ، فهناك اقسام ملزمة ، واقسام غير ملزمة . والتفرقة ترجع الى أن : اى قسم يذكر فيه اسم الله مباشرة يعتبر قسما ملزما ومحددا ، ولكن أى قسم لا يذكر فيه اسم الله مباشرة ، لا يعتبر ملزما . وكانوا يعللون ذلك بانه عندما يذكر اسم الله بالتحديد ، فانه بذلك يصبح الله شاهدا على ما قيل ، ولا يعتبر الله شهيدا على اى قول ما لم يذكر اسمه مباشرة . وبناء على ذلك أصبح لدى الناس خبرة فى القاء الاقسام الغير ملزمة . واصبح نوعا من المهارة والمران أن يكتشف الناس اقساما لا تلزمهم . ويتضح من ذلك أن تثبيت اى شىء بقسم يعتبر امرا باطلا يدعو للسخرية .

٢ — وقد انتشرت أيضا فى ذلك العصر عادة الاكثار من الأقسام التى لا لزوم لها . وهذا خطأ مبين . لان قيمة الحلف تعتمد اساسا على انه نادرا ما يستخدم ، فتأثيره يرجع الى ندرة استعماله ، ولكن عندما تصبح الاقسام أمرا عاديا فانها تفقد أهميتها واحترامها . ثم ان عادة الاكثار من الاقسام تعد دليلا على انتشار الكذب والخداع والبهتان والتضليل . ففى مجتمع تسوده الامانة ، لا يكون هناك داع للقسم ، ولكن الاقسام تكثر عندما يكثر الشك فى اقوال الناس فيضطرون الى القاء الأقسام . فانتشار الأقسام تعد دليلا على انتشار التضليل .

وقد اتفق الكتاب القدامى فى هذا مع المسيح تمـــاما . فقـــال فيلون : « أن الاكثار من الحلف يولد عادة اتخاذ اسم الله باطلا ، وفساد الأخلاق » فكلما كثرت الاقسام ، كلما قلت قيمتها . وقال معلمو اليهود : » لا تعـود نفسك على الحلف ، لانك ستحلف باطـــلا ان آجلا أو عاجلا » . وكـان (الاسينيون) يحرمون كل الاقسام ، وقالوا انه اذا كان على الانسان أن يحلف ليقول الحقيقة ، فاننا بذلك نكون قد دمغناه بأنه ليس جديرا بالثقة ، وأنه تحت دينونة .

واعتقد عظماء الاغريق ان افضل ضمان لصحة اية عبارة ليس القسم، بل شخصية من تفوه بها ، وانه اذا كنا مثاليين فى اخلاقنا ، فلا يفكر أحد فى أن يطلب منا قسما بل يتأكد اننا نتوخى الحقيقة دائما . والعهد الجـديد يعلمنا بأن كل كلمة نقولها انما تقال فى حضرة الله . ولذا ، فيجب ان تكون كل كلمة حقيقية ، ويؤكد العهد الجديد أيضا أن المسيحى يجب ان يكون على جانب كبير من الأخلاق العالية حتى لا يطلب منه أى قسم .

كنيسة مهللة

أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ فَلْيُصَلِّ . أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ فَلْيُرَتِّلْ . أَمَرِيضٌ أَحَـــدٌ بَيْنَكُمْ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ . وَصَلَاةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ .

(٥ : ١٣ — ١٥)

نجد أمامنا بعض الجوانب المضيئة فى الكنيســة الأولى ، فالكنيسة الأولى كانت كنيسة مهللة ، والمسيحيون الاوائل كانوا على استعداد دائما أن يرنموا . وفى وصف بولس لاجتماعات كنيسة كورنثوس ، نجد أن الترنيم كان جزءا أساسيا فى العبادة . (١ كورنثوس ١٤ : ١٥ و ٢٦) ، وعندمـا

يذكر بولس فى نعمة الله للأمم ، يتذكر قول المرنم المفرح : « لذلك أحمدك يارب فى الأمم وأرنم لاسمك » . (رومية ١٥ : ٩ ، قارن مزمور ١٨ : ٤٩) . فالمعروف عن المسيحيين أنهم يكلمون بعضهم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (افسس ٥ : ١٩) فهم يسبحون عرفانا بالجميل ، وتسكن فيهم كلمة المسيح ، وهم يعلمون وينذرون بعضهم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين فى قلوبهم للرب (كولوسى ٣ : ١٦) ، لقد كان الفرح يغمر قلوب المسيحيين فيفيض على شفاههم فى ترانيم الحمد من أجل رحمة ونعمة الله . ولقد كان العالم الوثنى — ولا يزال — يسوده الحزن والخوف والهم . كتب (ماثيو ارنولد) قصيدته ليصف التذمر والضيق السائدين فى العالم الوثنى يقول :

يسود التأفف والكراهية
للعالم الوثنى الحامد
وتجعل الشهوة مع السأم
من الحياة البشرية جحيما
وترى فى احدى القاعات الفسيحة
الشريف الرومانى يرقد
ينظر بعينين زائغتين
يعمل الولائم ويسكر
ويتوج رأسه باكليل من الزهور
وتمر عليه الساعات بطيئة مملة
دون أن يؤدى أى عمل

تلك لمحة من حياة الوثنيين ، وبجانب تلك الصورة المظلمة نجد صورة المسيحى وهو يهلل فرحا . وهذا ما أثر فى يوحنا بنيان عندما سمع السيدات الأربع الفقيرات يتحدثن وهن جالسات عند الباب فى وهج الشمس فقال عنهن : « لقد كن يتحدثن ، وكأن الفرح هو الذى يدفعهن للتحدث » ، وعندما أدرك بيلنى الشهيد Bilney عظة النعمة المبررة للخطاة قال : « ان حصول الخاطىء على النعمة أشبه ببزوغ الفجر فجاة وسط ليل بهيم » ، ويحكى « أركيبالد لانج فليمنج » ، أول أسقف بالقطب الشمالى وأعظم مرسل

رائد هناك ، يحكى قول أحد الصيادين من الاسكيمو له : « قبل أن تحضر الينا كان الطريق مظلمـــا وكنا خائفين ، وأما الآن فنحن لسنا خائفين ، لأن الظلمة قد ولت ، والنور قد عم كل شيء لأننا نسير في طريق يسوع » .

لقد كانت الكنيسة في كل العصور ، كنيسة مرنمة. كتب بلني Pliny حاكم بيثينية الى تراجان أمبراطور روما في سنة ١١١ م ، يخبره عن تلك الطائفة الجديدة من المسيحيين قائلا مما توارد اليه من اخبار « انهم يعتادون على الاجتماع في يوم معين قبل أن يبزغ النور ، وكانوا يرنمون ترانيم معينـــة للمسيح ، الذين يعتبرونه الله » .

وفي المجمع اليهودي المحافظ ، لا توجد موسيقى ، منذ سقوط أورشليم في سنة ٧٠ م ، لأنهم عندما يعبدون يتذكرون تلك المأساة ، ولكن في الكنيسة المسيحية منذ البداية حتى الآن يتعالى صوت موسيقى ترانيم الحمد ، لان المسيحي يتذكر محبة الله اللامتناهية ، ويتمتع بحاضر مجيد .

الشفاء الالهي في الكنيسة

ولكن هناك صفة أخرى نجدها في الكنيسة الاولى ، فقد كانت الكنيسة الأولى كنيسة تمتاز بالقدرة على الشفاء ، وقد ورثت الكنيسة ذلك التقليد عن اليهودية . فعندما كان اليهودي يمرض ، كان يفضل الذهاب للمعـــلم اكثر من الطبيب.ويمسحه المعلم بزيت ـــ الذى وصفه جالين الطبيب اليوناني بأنه « أعظم كل الأدوية » ـــ ثم كان يصلي عليـــه . توجد كنائس قليلة تهتم بالمرض كما كانت تفعل الكنيسة الاولى .

ويكتب جوستن الشهيد بأن جمعا غفيراً من الذين كانت تسكنهم الارواح الشريرة قد تم شفاؤهم على يد المسيحيين ، في الوقت الذى كان يفشل فيه آخرون في شفائهم ، وكذلك كانت تفشل جميع العقاقير . وكتب ايرينايوس في القرن الثاني أن المرضى كان يتم شـــفاؤهم بوضع الأيدى عليهم . وكتب ترتليان في منتصف القرن الثالث يقـــــــول ان الامبراطور الروماني نفسه الكسندر سيفيرس قد شفي بمسحة بالزيت على يد مسيحي يدعو توربايكون، وأنه عرفانا بجميله استضافه في قصره حتى مماته .

من اقدم الكتب الخاصة بنظم الكنيسة كتاب « قوانين هيبوليتوس » الذى يرجع تاريخه الى نهاية القرن الثانى أو بداية القرن الثالث . جاء فى ذلك الكتاب ان الذين عندهم موهبة الشفاء ، كانوا يرسمون كشيوخ ، بعد التأكد من أنهم يمتلكون حقا تلك الموهبة ، وانها من الله . وتوجد فى نفس الكتاب الصلاة التى كانت ترفع عند تعيين أحد الأساقفة المحليين وتكريسه للخدمة ، ان جزءا من هذه الصلاة يقول : « امنحه يارب القوة ليكسر كل سلاسل قوة الأرواح الشريرة وليشفى كل المرضى ، وليخضع الشيطان سريعا تحت قدميه » .

وفى كتاب « رسائل أكليمندس » نجد الواجبات المفروضة على الشمامسة ومن بينها : « ليقوم شمامسة الكنيسة بمساعدة الأسقف ... ليبحثوا عن مرضى الجسد ، ويلفتوا نظر شيوخ الكنيسة اليهم حتى يزورونهم ويسدوا احتياجاتهم » ، وفى الرسالة الأولى لاكليمندس نجد صلاة الكنيسة هكذا «يارب اشف المرضى ، قو الضعفاء ، ادخل السرور فى قلوب البائسين» هناك لائحة تعد من اقدم لوائح الكنيسة تقول انه يجب على كل كنيسة أن تعين أرملة واحدة على الأقل لتعتنى بالسيدات المريضات .

ولقد ظلت الكنيسة لقرون عديدة تستخدم زيت المسحة كوسيلة لشفاء المرضى ومن الأهمية أن نشير الى أن سر المسحة ، كان يستخدم فى القرون الخوالى كوسيلة لشفاء المرضى وليس كطقس من طقوس الدفن ، كما هو الحال الآن فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . فلم يكن الزيت يستخدم كطقس من طقوس المسحة الأخيرة فى حالة الوفاة ، حتى سنة ٨٥٢ م .

فالكنيسة كانت دائما تعتنى بالمرضى ، وكانت موهبة الشفاء دائما فى الكنيسة ولم يكن الانجيل الاجتماعى شيئا مكملا لرسالة المسيحية ، بل كان من جوهر العقيدة المسيحية .

كنيسة مصلية

اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَّتِ وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ

لِكَيْ تُشْفَوْا . طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا . كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَاناً تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ صَلَّى أَيْضاً فَأَعْطَتِ السَّمَاءُ مَطَراً وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ ثَمَرَهَا .

(٥ : ١٦ ـ ١٨).

فى هذه الفقرة توجد ثلاث عقائد يهودية اساسية :

١ ـ هناك عقيدة نسبة كل الامراض الى الخطية . فهى عقيدة يهودية عميقة الجذور تنادى بأنه حيث المرض والعذاب ، فلا بد أن تكون الخطية .

قال معلمو اليهود : « لا موت بدون ذنب ، ولا الم بدون خطية » .

ولذلك آمن معلمو اليهود وعلموا انه قبل أن يشفى الانسان من مرضه ، لابد أن يغفر له الله خطاياه . قال المعلم الكساندراى : « لا يبرأ اى انسان من دائه حتى يغفر له الله خطاياه » ، وهذا هو السبب فى ان يسوع قبل أن يشفي الرجل المفلوج قال له : « يابنى ،مغفورة لك خطاياك» (مرقس ٢ : ٥) ، فاليهود كانوا دائما يربطون بين الالم والخطية . واما الآن فنحن لا يمكن أن ننادى بنفس الفكرة ونقول ان الخطية والالم صنوان لا يفترقان ، ولكننا مع ذلك نقول انه لا يمكن لأى شخص أن يكون صحيح النفس والجسد والروح ما لم تكن علاقته سليمة مع الله فالصلة الروحية بين الانسان والله هى شرط اساسى للصحة التى تسرى فى كيانه طول حياته .

٢ ـ وهناك أيضا عقيدة وجوب الاعتراف بالخطية للناس ، وخاصة الشخص المساء اليه ، كما لله . حقا انه من الأسهل الاعتراف بالخطايا أمام الله بدلا من الاعتراف بها أمام الناس ، ولكن الخطية تقيم حاجزين يجب ازالتها ـ الحاجز الذى تقيمه الخطية بيننا وبين الله ، والحاجز بيننا وبين الآخرين . ولازالة هذين الحاجزين ، يجب الادلاء بنوعين من الاعتراف .

وكان ذلك أيضا تقليد الكنيسة « الموراڤية » ، وهو تقليد نقله « وسلى » من الكنيسة المورافية لطوائف الميثودست الأوائل ، فقد اعتادوا أن يجتمعوا مرتين أو ثلاث في الاســـبوع « ليعترفوا بعضهم لبعض بالزلات ويصلوا بعضهم لأجل بعض لكي يشفوا » ، وأن هذا المبدأ يجب أن يتبع بكل حكمة . ولكنه صحيح أيضا أن هناك حالات يضر فيها اعتراف الناس بعضهم لبعض أكثر مما ينفع . ولكن في حالة اقامة حاجز من عدم الثقة بين الانسان وأخيه بسبب خطأ ارتكب في حقه ، فهنا يجب على الانسان أن يصحح علاقته مع الله ومع أخيـــه .

٣ — وفوق هذا كله ، فهذه الفقرة ترينا أن اليهود لا يعرفون حدودا لقوة الصلاة . وعندهم مثل يقول ان من يصلي يحيط بيته بسور أقوى مـــن الحديد . وقالوا أيضا : « ان التوبة تقـــدر على شيء ما ، ولكن الصـــــلاة تستطيع كل شيء » .

فالصلاة تعني بالنسبة لهم الاتصال بقوة الله ، والصلاة أيضا هي القناة التي تسري فيها قوة ونعمة الله ، وهي تجعلنا قادرين على احتمال متاعب ومشاكل وأمراض الحياة . ان كان الأمر كذلك بالنسبة لليهودي ، فكم وكم يجب أن تكون أهمية الصلاة بالنسبة للمسيحي ؟ .

كتب « تينيسون » يقول : « ان الصلاة تقدر على تحقيق أشياء كثيرة لا يحلم بها هذا العالم .

فارفع صوتك في الصلاة من أجلي ليل نهار ،
لأنه ما الفرق بين الانسان والسائمة من غنم وبقر ؟
التي تحيا حياة خالية من نور العقل ؟
ما لم يرفع البشر أيدي الصلاة ،
لهم ولأجل أصدقائهم ،
ولذا فالأرض كلها تأتي .
منحنية في انكسار أمام عرش الله » .

فالحقيقة كما رآها اليهودى ، انه لشفاء أمراض الحياة ، يجب أن تكون هناك علاقة وثيقة بيننا وبين الله وبيننا وبين البشر ، وأننا عن طريق الصلاة، يمكننا أن نطلب رحمة الله وقوته لأجل الآخرين .

وقبل أن نترك تلك الفقرة ، توجد حقيقة عامة يجب ملاحظتها . فان يعقوب يستشهد بايليا كدليل على قوة الصلاة . فيقول انه صلى أن لا تمطر فلم تمطر ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم صلى أيضا فأمطرت . يعد هذا مثلا واضحا على كيفية تفسير معلمى اليهود لأقوال الكتاب . ونجد القصة بكاملها فى سفر ملوك الاول اصحاح ١٧ ، ١٨ . والثلاث سنين والستة أشهر — قد ذكرت أيضا (لوقا ٤ : ٢٥) — وهى مأخوذة مما ذكر فى (ملوك الاول١٨:١) .

ثم أن رواية العهد القديم لا تذكر أن ايليا نفسه جلب المطر ، ولكنها تذكر فقط انه تنبأ بالمطر . والرواية أيضا لاتذكر أن هطول المطر او انقطاعه كان نتيجة لصلوات ايليا ، انه فقط كان النبى الذى اعلن نزول المطر وانقطاعه . ولكن معلمى اليهود كانوا يدرسون الكتب المقدسة دائما دراسة دقيقة . فى ملوك الأول (١٧ : ١) نقرأ كلمات ايليا : « حى هو الرب اله اسرائيل الذى وقفت امامه انه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين الا عند قولى » . وبما أن صلاة اليهود دائما تكون بالوقوف امام الله ، لذا اكتشف معلمو اليهود فى هذه العبارة دليلا على أن المطر كان نتيجة لصلوات ايليا . وفى ملوك الأول اصحاح (١٨ : ٤٢) نقرأ أن « ايليا صعد الى الكرمل وخر الى الارض وجعل وجهه بين ركبتيه » ووجد معلمو اليهود أيضا فى هذه العبارة دليلا على الصراع والجهاد فى الصلاة ، وقد اعتبروا هذا برهانا على أن صلاة ايليا هى التى اوقفت المطر . هنا نجد أن معلمى اليهود يأخذون دروسا نافعة من الكتاب المقدس ، ليس فقط من الكلمات المباشرة ، ولكن مما يقرأ بين السطور أيضا .

الحق الذى يجب ان يعمل

أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَرَدَّهُ أَحَدٌ . فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ وَيَسْتُرُ

كثرة من الخطايا .

(٥ : ١٩ — ٢٠)

نجد فى هذه الفقرة الصفة المميزة للحق المسيحى . فالانسان قد يضل عن الحق المسيحى . ان هذا الحق لا يعنى فقط الجانب العقلى ، الفلسفى ، والفكر المجرد والخيـــــال ، ان الحق المسيحى يعنى دائما الجانب الأزلى الأخلاقى . فالحق المسيحى اذن ليس شيئا يضل الانسان ازاءه ضلالا فكريا فقط ، بل انه يضل ضلالا حقيقيا أى انه يضل بأعماله .

نجد هذا واضحا كل الوضوح عندما نقرأ العهد الجديد لنرى ما ورد فيه من عبارات بخصوص هذا الحق فالحق يجب ان يحب (٢ تسالونيكى ٢ : ١٠)، ويجب أن يطـــاع (غلاطية ٥ : ٧) ، والحق يجب ان يعلن ، ونحن يجب ان نكون صادقين فى المحبة (افسس ٤ : ١٥) ، ويجب أن نشهد للحق (يوحنا ١٨ : ٣٧) ، ويجب أن يظهر الحق فى حياة المحبة التى نحياها (١ يوحنــــا ٣ : ١٨) ، والحق يحرر (يوحنا ٨ : ٣٢) ، والحق هبة من الروح القدس المرسل من يسوع المسيح (يوحنا ١٦ : ١٤) .

واوضح تلك الاشارات ما جاء فى (يوحنا ٣ : ٢١) ، فنجد القول « من يفعل الحق » ، اى ان الحق المسيحى شىء يجب ان يعمل . فالحق المسيحى ليس رياضة عقلية ، وليس موضوعا للبحـــث الذهنى فقط ، او الدراســـة الاكاديمية . انه ليس معرفة عقلية ، تحتاج للجدل ومقارعة الحجة بالحجة . ان الحق المسيحى حقيقة اخلاقية تظهر ثمارها فى العمل ، فهو ليس شيئا يحتاج لأعمال الفكر فحسب ، انه أيضا طريق للحياة . والحق المسيحى ليس موضوعا للدراسة ، انه عمل يؤدى . والحق المسيحى لا يتطلب ولاء عقليـــا فقط ، انه يتطلب تكريس الحياة كلهـــا . انه ليس شيئا يفكر فيه الانسان فحسب ، انه شىء يحيا به . ان الحق المسيحى لا يدخل فقط فى نطاق الدراسة والنقاش ، انه يشمل الحياة باكملها .

أسمى عمل انسانى

ينهى يعقوب رسالته بفكرة تعد من أعظم واسمى الأفكار فى العهد الجديد ، وقد وردت فى الكتاب اكثر من مرة . هب ان شخصا ضل وتاه بعيدا ، ولكن أنقذه شخص مسيحى من ضلال طريقه ، وارجعه الى الطريق الصحيح . فان الشخص الذى انقذ اخاه ، لم يخلص نفس اخيه فقط ، انه ستر كثرة من خطاياه هو ، وبمعنى آخر ، فان من يخلص غيره يخلص نفسه أيضا .

يشير « مايور » الى ان « أوريجانوس » قد اوضح فى احدى مواعظه ستة طرق يحصل بها الانسان على غفران خطاياه . قال قد يحصل الانسان على غفران خطاياه بالمعمودية او بالاستشهاد أو باعطاء الصدقة (لوقا ١١ : ٤١) ، أو بغفران ذلات الآخرين (متى ٦ : ١٤) ، أو بالمحبة (لوقا ٧ : ٤٧) ، أو برد خاطىء عن ضلال طريقه . فالله يغفر كثيرا من ذلات الشخص الذى كان واسطة فى ارجاع شخص آخر اليه . وأن تلك الفكرة يتردد صداها بين حين وآخر على صفحات الكتاب المقدس . فارميا يقول : « اذا أخرجت الثمين من المرذول فمثل فمى تكون » ارميا ١٥ : ١٩) ، ويكتب دانيال قائلا : « والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب الى أبد الدهور » (دانيال ١٢ : ٣) ونصيحة بولس الى تيموثاس كانت : « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لانك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تيموثاوس ٤ : ١٦)

هناك مثل يقوله آباء اليهود : « ان من يهدى الآخرين ، لا تسود الخطية عليه » ، ويقول اكليمندس الاسكندرى أن المسيحى الحقيقى يعتبر كل نفع لجاره ، خلاص له ، قيل انه ذات مرة ، سألت سيدة انجيلية متحمسة (ولبرفورس) — الذى دافع عن حرية العبيد حتى نالوها — سألته ان كان قد حصل على الخلاص . فأجابها بالقول : « يا سيدتى ، لقد كنت منهمكا فى محاولة تخليص نفوس الآخرين ، حتى أنه ليس لدى وقت للتفكير فى نفسى » . قيل ان أولئك الذين يدخلون النور والبهجة . الى حياة

الآخرين ، لا يستطيعون أن يحجبوها عن أنفسهم . ومن الأمور المؤكدة أن من يأتى بنفوس الآخرين الى الله ، لا بد أن يسيطر الله على جو حياته . ان أعظم شرف يمنحه الله للناس يهبه لمن يقود الآخرين لله ، لأن من يعمل ذلك يشترك فى العمل الذى قام به يسوع المسيح مخلص العالم .

رسالتا بطرس

مقدمة رسالة بطرس الاولى

الرسائل الجامعة أو العامة :

رسالة بطرس الأولى تتبع قائمة الرسائل المعروفة فى العهد الجديد باسم الرسائل الجامعة أو العامة . وهناك تفسيران لتلك التسمية :

١ ـــ يقال ان هذه الرسائل تسمى جامعة أو عامة لأنها موجهة الى الكنيسة بصفة عامة ، تمييزا لهـــا عن رسائل بولس التى كانت موجهة الى كنيسة واحدة أو بضع كنائس . ولكن الأمر ليس كذلك . فرسالة يعقوب موجهة الى طائفة محدودة الا انها مشتتة فى انحـــاء كثيرة ، فهى مكتوبة الى الاثنى عشر سبطا الذين فى الشتات (يعقوب ١ : ١) ، وليس هناك حاجة للقول بأن رسالتى يوحنا الثانية والثالثة موجهتان الى نفر قليل ، ومع أن رسالة يوحنا الاولى لا تسمى باسم معين ، الا أنها كتبت لتفى بحاجات وتحل مشكلات جماعية معينة كانت فى فكر الكاتب . ورسالة بطرس الاولى نفسها مكتوبة للمغتربين فى شتات بنتس وغلاطيـــة وكبدوكـيـة وآســـيا وبيثينية (١ بطرس ١ : ١) . صحيح أن الرسائل العامة موجهة الى دائرة أوسع من نطاق الدائرة المكتوبة اليها رسائل بولس ،ولكنه ليس صحيحا أن نقول أنها موجهة للكنيسة بصفة عامة ، لأننا نرى مما تقدم ان كلا منها موجه الى جماعة معينة فى فكر الكاتب .

٢ ـــ ولنتجه الآن الى التفسير الثانى لهذه التسمية . يقال أن هـــذه الرسائل تسمى بالجامعة أو العامة لأن الكنيسة عامة قد قبلت وحيها ، وذلك تمييزا لهـــا عن عدد كبير من الرسائل لم تقبل الا على نطـــاق محلى ولمـــدة محدودة من الزمن ، ولكن لم يعترف بها كرســـــــائل موحى بها من جميع الكنائس . ففى الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسائل ، شملت الكنيسة كلها حركة دائبة فى كتابة الرسائل . ونحن لا زلنا نحتفظ بكثير من الرسائل التى

كتبت وقتئذ ــ فهناك رسالة أكليمندس بابا رومه الى كورنثوس ، ورسالة برنابا ، ورسائل اغناطيوس ، ورسائل بوليكاريوس . كل تلك الرسائل كانت تعد غاية فى الأهمية فى الكنائس التى كتبت اليها ، ولكنها لم تعتبر كذلك فى جميع انحاء الكنيسة كلها ، هذا فى حين ان تلك الرسائل الجامعة أو العامة احتلت مكانها فى الكتاب المقدس وقبلتها الكنيسة عامة . هذا هو اذا التفسير الصحيح لتلك التسمية .

الرسالة المحبوبة :

تعتبر رسالة بطرس الأولى من اشهرواحب الرسائل العامة واكثرها انتشارا . ولايشك احد فى جاذبيتها وسحرها . ويكتب عنها (موفات) بالقول : « ان الروح الرعوية الجميلة تشيع فى كل جزء من اجزاء الرسالة» . ويصف اسحق والتون رسائل يعقوب ويوحنا وبطرس بأربع كلمات فيقول بأنها : « ودية ، محببة ، حلوة ، ومتوفقة ،ولكن رسالة بطرس الأولى تستحق تلك الصفات بجدارة » . ان الرسالة نابعة من قلب راع محب الى شعبه لمعونته وسط الظروف القاسية التى يمرون فيها ، وتلك التى سوف يجتازونها . ويقول (موفات) : «ان مفتاح الرسالة هو التشجيع الدائم على احتمال المشقات فى السلوك ، وطهـارة الحياة » . وقيل ان الصفة البارزة فى رسالة بطرس الأولى هى الحب الدافىء والعطف . وقال « أ . ج . جودسبيد » : ان رسالة بطرس الأولى تعتبر من افضل آداب الاضطهاد فى تحريك العواطف.والى هذا اليوم ، فان رسالة بطرس الأولى من أسهل الرسائل فى العهد الجديد فى قراءتها بسبب جاذبيتها ورقتها ، وقدرتها على الأخذ بمجامع اللب .

الشكوك الحديثة :

لم يثر أحد اى شك حيال صحة الرسالة وأصالتها سوى منذ مدة قصيرة . (فريناز) ، الذى لا يعتبر من النقاد المحافظين يقول : « ان رسالة بطرس الأولى من ضمن كتابات العهد الجديد التى لايشك احد فى صحتها منذ القدم»ولكن منذ وقت قصير تساءل بعضهم عن صحةنسبة الرسالة الى بطرس . فمن أحدث التعليمات فى الانجليزية ، تعلق ف . و . بيير Beare

الذى ظهر سنة ١٩٤٧ ، ونجد ان هذا التعليق يذهب الى حـــد القول : « ليس هناك اى شك فى احتمال ان يكون « بطـــــرس » مجـرد اسم مستعار » : أى أن (بيير) لا يشك فى ان شخصا قد كتب الرسالة تحت اسم بطرس .

وسنحاول التحقق من صحة هذا الراى : مع أننا لا نقبله . ولكننا نبين اولا الراى التقليدى ــ الذى نقبله دون تردد ــ بخصوص تاريخ الرسالة ، وكاتبها . فرسالة بطرس الأولى كتبها بطـــرس من روما ، حوالى سنة ٦٧ م ، بعد وقت اضطهاد المسيحيين الأوائل على يد نيرون مباشــرة ، الى المسيحيين الموجودين فى تلك الجهات من آسيا الصغرى المذكورة فى صـــدر الرسالة . فما هو اذن الدليل على كتابة الرسالة فى هذا التاريخ المبكر ؟ وعلى صحة نسبتها الى بطرس ؟

المجىء الثانى :

عندما نقرأ الرسالة نفسها نجد انها مهتمة أساسا بالمــجىء الثانى . فتوقع مجىء المسيح الثانى فى بؤرة تركيز الرسالة « فالمسيحيون محروسون لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١ : ٥) ، « والذين يحفظون الايمان سيكون لهم الكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح (١ : ٧) ، وعلى المسيحيين « ان يلقوا رجائهم على النعمة التى يؤتى بها اليهم عنـــد استعلان المسيح » (١ : ١٣) « وهم ينتظرون يوم الافتقاد » (٢ : ١٢) ، « وأن نهـــاية كل شىء قد اقتربت » (٤ : ٧) « والذين يشتركون فى آلام المسيح سيفرحون أيضا مع المسيح فى استعلان مجـــده » (٤ : ١٣) ، « والقضاء يبدأ من بيت الله » (٤ : ١٧) .

والكاتب نفسه موقن انه سيكون « شريك المجـــد العتيد ان يعلن » (د : ١) ، « ومتى ظهر رئيس الرعاة » سينال المسيحى « اكليل المجد » (٥ : ٤) .

فمن بداية الرسالة الى نهايتها نجد أن فكرة المجىء الثانى تسيطر على

فكر الكاتب ، وهى الباعث على الثبات فى الايمان والولاء للمسيح واحتمال الآلام بشجاعة ، الآلام التى مر فيها المسيحيون وتلك التى سوف يجتازون فيها . وانه من الخطأ القول بأن المجىء الثانى لم يعد له وجود فى العقيدة المسيحية ، ولكن يحق لنا أن نقول انه العقيدة التى لم تعد تحتل مكان الصدارة فى الايمان المسيحى ، حيث ان المسيح لم يأت بالسرعة التى كان يتوقعها المسيحيون الأوائل . فمثلا ، نجد انه فى رسالة افسس ، وهى آخر رسالة كتبها بولس ، لا يرد ذكر المجىء الثانى . وعلى هذا الأساس نجد انه منطقى ان نفترض بأن رسالة بطرس الأولى كتبت فى وقت مبكر ، اى فى الوقت الذى كان يتوقع فيه المسيحيون أن يأتى ربهم فى أية لحظة .

قلة المناصب فى الكنيسة :

ومن الواضح كذلك أن رسالة بطرس الأولى ترجع الى الزمن الذى كانت الكنيسة فيه مبسطة التنظيم . فلا يرد فى الرسالة ذكر للشمامسة ولا يذكر الأسقف الا نادرا ، الذى يبدأ ذكره فى الرسائل الرعوية . حيث نجده ظاهرا فى رسائل اغناطيوس فى النصف الاول من القرن الثانى . والوظيفة الوحيدة المذكورة هى وظيفة الشيوخ « أطلب الى الشيوخ الذين بينكم انا الشيخ رفيقهم » (٥ : ١) وبناء على ذلك ، فانه يحق لنا أن نفترض أن رسالة بطرس الأولى يرجع تاريخها الى وقت مبكر .

لاهوت الكنيسة الأولى :

أهم شىء أن العقائد اللاهوتية الواردة فى الرسالة هى نفس عقائد الكنيسة الاولى . ولقد قام ا . ج . سيلوين بدراسة مفصلة فى هذا الموضوع ، وأثبت بما لا يدع مجالا للشك ان العقائد اللاهوتية فى رسالة بطرس الاولى هى نفس العقائد اللاهوتية التى نجدها فى مواعظ بطرس المدونة فى الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال . ولقد كان تبشير الكنيسة الاولى ينحصر فى خمسة أفكار رئيسية . فمن اعظم ما قام به س . هـ . دودد من دراسات فى العهد الجديد ، تفصيله لتلك الأفكار الخمسة الرئيسية التى

أشرنا اليها آنفا . وتكون هذه الأفكار هيكل كل عظات الكنيسة الأولى كما هي مدونة فى سفر الأعمال ، وان تلك الأفكار هى المحور الذى تدور حولـه كل وجهات نظر كتاب العهد الجديد . وتلخيصا لتلك الأفكـار أطلق عليهـا (كريجما) أى اعلان أو اذاعة أخبار المجىء . فقد كان ذلك هـو الأساس الذى تبنى عليه كل مانادت به الكنيسة قديما ، وسوف نتعرض لتلك الأفكار واحدة تلو الأخرى ، مع الاشارة الى كل منها ، كما وردت فى الأصحاحـات الأولى من سفر الأعمال ورسالـة بطرس الاولى ، ثم نخـرج من ذلـك باكتشاف هام وهو أن الأفكار الرئيسية لعظات الكنيسة الأولى ـ وكثير منها قد وعظ به بطرس ـ هى نفس ما جاء فى رسالة بطرس الأولى من عقائد لاهوتية.وقد يجدر بنا أن نوضح اننا لانعتقد بأن العظات التى وردت فى سفر الأعمال هى تسجيل دقيق للعظات كما بشر بها كلمة كلمة ، ولكننا نؤمن بأن تلك العظات تحوى جوهر الرسالة التـى نادى بهـا المبشرون الأوائـل . وتتلخص هذه الأفكار فيما يأتى :

١ ــ بزوغ فجر اتمام النبوات ، بداية عصر المسيا . ما يقوله الله فى آخر الأيام . بداية عهد جديد ، دعوة المختارين للحياة المقدسة ، والانعزال عـن العالم (أعمال ٢ : ١٤ ــ ١٦ ، ٣ : ١٢ ــ ٢٦ ، ٤ : ٨ ــ ١٢ ، ١٠ : ٣٤ ــ ٤٣ ، ١ بطرس ١ : ٣ و ١٠ ــ ١٢ ، ٤ : ٧) .

٢ ــ بداية العهد الجديد عن طريق حياة المسيح وموته وقيامته ، اتماما لنبوات العهد القديم ، واتماما لعلم الله السابق ومشورته المحتـومة . (أعمـال ٢ : ٢٠ ــ ٣١ ، ٣ : ١٣ و ١٤ ، ١٠ : ٤٣ ، ١ بطـرس ١ : ٢٠ و ٢١) .

٣ ــ جلوس المسيح عن يمين الله بقيامته من الأموات ، المسيح صار رأس اسرائيل الجديد (أعمال ٢ : ٢٢ ــ ٢٦ ، ٣ : ١٣ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٣٠ و٣١ ، ١٠ ٣٩ــ٤٢ ، ١ بطرس ١ : ٢١ ، ٢ : ٧ : ٢ : ٢٤، ٣ : ٢٢)

٤ ــ وسوف تتحقق كل الحوادث النبـوية بمجىء المسيح فى المجد ، لدينونة الأحيـاء والأمـوات (٣ : ١٩ ــ ٢٣ ، ١٠ : ٤٢ ، ١ بطـرس

١ : ٥ و ٧ و ١٣ ، ٤ : ٥ و ١٣ و ١٧ و ١٨ ، ٥ : ١ و ٤) .

٥ ـــ هذه الحقائق هى أساس الدعوة للتوبة ، ولتقديم الغفـــران ، وموعد الروح القدس ووعد الحياة الأبدية (أعمال ٢ : ٣٨و٣٩ ، ٣ : ١٩ ، ٥ : ٣١ ، ١٠ : ٤٣ ، ١ بطرس ١ :١٣ ـــ ٢٥ ، ٢ : ١ ـــ ٣ ، ٤ :١ ـــ ٥) . تلك هى الخمس دعامات الرئيسية فى هيكل تبشير الكنيسة قديما ، كمـــــا هى مسجلة لنا فى عظات بطرس فى الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال ، وهى أيضا الآراء السائدة فى رسالة بطرس الأولى . فالتشابه بينها كبيـــر لدرجة اننا نلمس الفكر الموحد بينها .

أقوال الآباء :

ثم نضيف دليلا آخر على أن رسالة بطرس الاولى ترجع كتابتها لوقت مبكر . فآباء الكنيسة الأولى ومعلموها قد اقتبسوا من الرســـــالة . وأول شخص اقتبس من رسالة بطرس الأولى هو ايرينايوس الذى عاش فى الفترة ما بين سنة ١٣٠ م ، حتى القرن الذى يليه . فقد اقتبس (١ بطرس ١ : ٨) مرتين : « الذى وان لم تروه تحبـــــونه . ذلك وان كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به . فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » . واقتبس أيضا (١ بطرس ٢ : ١٦) مرة واحدة ، وفيها النهى بألا يتخذوا « الحرية سترة للشر » . وحتى قبل ذلك كان آباء الكنيسة يقتبسون من الرسالة دون أن يذكروا اسم بطرس . ويكتب أكليمندس روما ، حوالى سنة ٩٥ م . متحدثا عن « الدم الـــكريم » ، وهى عبارة غير مألوفة ، ويبدو أنه اقتبسها من قول بطرس اننا افتدينا بدم كريم (١ : ١٩) . ويقتبس بوليكاربوس الذى استشهد سنة ١٥٥ م ، رسالة بطرس دائما ، مع أنه لا يذكره بالاسم . ونختار هنا ثلاث فقرات لنبين كيف أن بوليكاربوس يقتبس نفس كلمات بطرس .

« لذلك منطقوا احقاءكم واخدموا الله فى خوف . . .مؤمنين بالله الذى أقام يسوع المسيح من الاموات وأعطاه مجدا » (رسالة بوليكاربوس الى اهل فيلبى ٢ : ١١) .

« لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم . . . أنتم الذين به تؤمنون بالله الذى

اقامه من الأموات واعطاه مجدا » (١ بطرس ١ : ١٣ و ٢١) .

« يسوع المسيح حمل خطايانا بجسده على الخشبة ، الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر » . (بوليكاربوس ٨ : ١) .

« الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر .. الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » . (١ بطرس ٢ : ٢٢ و ٢٤) .

« أن تكون سيرتكم بلا لوم بين الأمم » . (بوليكاربوس ١٠ : ٢) .

« أن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة » (١ بطرس ٢: ١٢) .

لا شك أن بوليكاربوس يقتبس اقوال بطرس مع أنه لايذكر اسمه . ان أى كتاب يحتاج لبعض الوقت لكى يصبح مألوفا ومسلما به ، وحتى يضحى الاقتباس منه شيئا لا اراديا ، ولكى يصير اسلوبه جزءا لا يتجزأ من تراث الكنيسة ونرى من ذلك ثانية ان بطرس الأولى كتبت فى وقت مبكر جدا فى تاريخ الكنيسة .

لقد عالجنا الموضوع بشىء من التطويل والايضاح ، وحجتنا فى ذلك أننا نعتقد أنه من الأهمية لنا أن نتمكن من مواجهة اولئك الذين ينادون بأن بطرس لا علاقة له بالرسالة التى تحمل اسمه .

اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة :

ولكن ، ونحن بصدد الدفاع عن نسبة الرسالة الى بطرس ، تبرز مشكلة يجب مواجهتها — وهى قوة اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة . فاللغة اليونانية المستعملة تمتاز بأسلوب قوى حتى انه يبدو مستحيلا أن يكون هذا الأسلوب من نتاج صياد جليلى فجميع باحثى العهد الجديد متفقون على عظمة الأسلوب الذى كتبت به الرسالة .

ويكتب ف . و بيير « Beare » : « واضح أن كاتب الرسالة رجل أدب ، ماهر فى استخدام الألفاظ ، وقادر على ايراد كلمات تنم عن سعة الاطلاع والمقدرة اللغوية . فهو متمكن من أسلوبه حتى انه لا يعد كاتبا

عاديا ، وتعتبر اللغة التى يكتب بها من افضل ما كتب باليونانية فى العهد الجديد ، وتعد أسلس واكثر علما من اسلوب بولس ذى الثقافة العالية » ، ويتحدث « موفات » عن « مرونة اللغة التى كتبت بها الرسالة ، وعن حب الكاتب للاستعارات » ، ويقول « مايور » : أن الرسالة تتميز دونا عن باقى أسفار العهد الجديد « بالعبارات المنتظمة الرصينة التى تتخللها الموسيقى اللفظية » ، ويشبه بج « بعض عبارات الرسالة بأسلوب ثيوكيديدس » .

ويتحدث « سيلوين » عن رقة أسلوب الرسالة وعن قدرة الكاتب على صياغة العبارات والكلمات المركبة كما كان يفضل اسكيلوس » aeschylus ذلك . ويمكن اعتبار اللغة اليونانية التى كتبت بها الرسالة ندا لليونانية التى يكتب بها أساتذة اللغة اليونانية .

نواجه هنا مشكلة حقيقية . فانه يصعب ، بل يستحيل أن نتصور بطرس يستخدم هذه اللغة اليونانية فى كتابته للرسالة .

ولكن الرسالة نفسها تقدم حلا لهذه المشكلة . فبطرس نفسه يقول فى خاتمة الرسالة : « بيد سلوانس . . . كتبت اليكم بكلمات قليلة » . (١ بطرس ٥ : ١٢) ، بيد سلوانس — وهذه العبارات باليونانية تعنى ان سلوانس كان معين بطرس أو اداته فى كتابة الرسالة . والعبارة تعنى بالتأكيد أن سلوانس كان أكثر من مجرد « سكرتير » لبطرس أو مجرد ناسخ أو محرر له . انها تعنى أن سلوانس كان له شأن أكثر فاعلية . ولنحاول أن نوضح ذلك من زاويتين.فعلينا أولا أن نستعرض مانعرفه عن سلوانس. نجد كل التفاصيل المتعلقة بذلك فى كلمات الرسالة نفسها (١ بطرس ٥:١٢)، هناك احتمال كبير أن يكون سلونس المذكور فى رسالة بطرس الأولى هو نفسه سلونس المذكور فى رسائل بولس ، وهو نفسه سيلا الوارد فى سفر الأعمال ، لأن كلمة سيلا اختصار لكلمة سلونس ،ومألوفة أكثر منها.لندرس اذن الفقرات التى ورد فيها ذكره . بعد الدراسة الدقيقة نجد ان سيلا او سلونس ليس شخصا عاديا ، ولكنه شخصية رائدة فى الكنيسة الأولى .

فسلوانس كان نبيا (أعمال ١٥ : ٣٢) ، وكان « متقدما فى الأخوة » ،

فى كنيسة أورشليم ، وقد اختير واحــــدا من اثنين لتبليغ قرارات الرسل والمشايخ فى الكنيسة الى كنيسة انطاكية (أعمــال ١٥ : ٢٢ و ٢٧) وكان أيضا رفيق بولس المختار فى رحلته التبشيرية الثانية،وكان مع بولس فى فيلبى وكورنثوس (أعمال ١٥ : ٣٧ ــ ٤٠ ، ١٦ : ١٩ و ٢٥ و ٢٩ ، ١٨ : ٥ ، ٢ كورنثوس ١ : ١٩) .

واسمه مرتبط ببولس فى التحية الافتتاحية فى الرسالتين الأولى والثانية الى تسالونيكى (١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ١) .

وأخيرا نجد أن سلوانس مواطنا رومانيا (اعمال ١٦ : ٣٧) ، كان سلوانس اذن شخصية متقدمة فى الكنيسة الأولى ؛ فلم يكن مساعدا لبولس بقدر ما كان زميلا مرافقا لبولس فى رحلاته ، وحيث انه كان مواطنا رومانيا ، فيحتمل انه كان على قدر من العلم والثقـــافة ، التى لم يكن لبطرس حظ منهـــا .

ولنأخذ مثلا من الميدان المرسلى ، عندما يستطيع احد المرسلين ان يتكلم لغة البلاد جيدا ، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها كمــا يجب ، فانه عادة يفعل أمرا من اثنين ، ان كان يريد أن يكتب رســـالة الى شعبه . فهو اما أن يكتبها بأسلوبه على قدر ما يستطيع ثم يطلب من أحد أبناء اللغة أن يصحح أخطاءه ، وينقح اسلوبه ، واما ان كان له رفيق من اهل البلاد ممن يثق فيهم ، يخبره بما يريد أن يقــول ، ويتركه ليدون ذلك على القرطاس ، ثم يختم الرسالة بعد أن يتأكد مما كتب .

اننا نعتقد أن هذا هو الدور الذى لعبه سلوانس فى كتـــابة رسالة بطرس الاولى . فاما انه صحح ونقح ما كتبه بطرس باليونانية ، (لأنه لابد أن تكون اللغة اليونانية التى كتب بها بطرس غير سليمة) ، واما من حيث أن سلوانس كان شخصا بارزا فى الكنيسة ، فانه يرجع أن بطرس اخبره ما يريد أن يقول ، وتركه ليعبر عن ذلك ، ثم اعتمد بطرس ما كتبه سلوانس وأضاف اليه الفقرة الختامية .

وعنــدما يقول بطرس ان سلوانس كان اداته او يده اليمنى فى كتابة الرسالة ، فان ذلك يعتبر حلا لمشكلة اليونانية الفصحى التى كتبت بهـــا الرسالة .

فالأفكار من عند بطرس ، والاسلوب أسلوب سلوانس . هذا ، مع أن اليونانية المكتوب بها الرسالة فصحى وممتازة ، فانه لا داعــى لانــكار نسبة الرسالة الى بطرس نفسه .

لمن كتبت الرســالة ؟

أن المكتوبة اليهم الرسالة متغربون (المسيحى دائما غريب ونزيل فى الأرض) ومشتتون فى بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية .

والحق ، أن تلك التسمية لهذه الأقطار قد اختلف مدلولها . فقد كانت هذه الأسماء تطلق على ممالك قــــديمة ، ثم أصبحت تطلق على أقاليــم رومانية كانت تسمى بنفس الأسماء القديمة والممالك القــــديمة والأقاليم الرومانية لا يمثلان دائما نفس الرقعة .

فبنطس لم تكن اقليما رومانيا فى يوم ما ، وكانت فى الأصـــل مملكة متراداتدس . وكان جزءا منها ضمن بيثينية والآخر داخل نطـــــاق غلاطية وكانت غلاطية فى الأصل مملكة « الغال » فى المنطقة التى يوجد بها ثلاث مدن وهى « انكيريا » و «بيسينوس » و « تافيوم » ولكن الرومان جعلوها تشمل منطقة أكبر فجعلوا تحت ادارتهاالجزاء من فريجية وبيسيدية وليكونية وأبصورية وأصبحت مملكة كبـــدوكية اقليما رومانيا سنة ١٧ م ، كما هى عليه من قبل . وآسيا لاتعنى قارة آسيا حسب العبارة المــألوفة اليــوم ، ولكنها كانت مملكة مستقلة ، وآخر ملك لها هو أتالوس الثالث الذى منحها كهدية لروما فى سنة ١٢٣ ق . م . وكانت تشمل أواسط آســـيا الصغرى وتحدها من الشمال بيثينية ومن الجنوب ليكية ومن الشرق فريجيـــــــة وغلاطية . وبعبارة أكثر شيوعا نقول ان « آسيا » كانت ذلك الجزمن آسيا الصغرى الذى يطل على شواطىء بحر ايجه .

نحن لا نعرف لماذا ذكرت تلك المناطق بالذات ـــ ولكننا واثقون من أن تلك المناطق كانت تشمل مساحة كبرى تضم عددا كبيرا من السكان . وذكر كل تلك المناطق لهو دليل هام على النشاط الهائل الذى كانت تقوم به ارسالية الكنيسة الأولى ، بخلاف ما كان يقوم به بولس وحده من رحـــلات تبشيرية فى انحاء اخرى .

وكل تلك المناطق تقع فى الركن الشمالى الشرقى من آسيا الصغرى . اما لماذا ورد ذكرها كمجموعة قائمة بنفسها ، او لماذا ورد ذكرها بهـــذا الترتيب ، فهذا ما لا نعرفه . ولكن بالقاء نظره على الخريطة نعرف انه اذا كان حامل تلك الرســـالة — ويرجح أن يكون سلوانس — قد أبحر من ايطاليا ونزل فى ميناء سينوب فى شمال شرق آسيا الصغرى ، فانه يقوم بجولة دائرية حيث يعود من حيث ابتدأ فى « سينوب » ، فمن « سينوب » فى بيثينية يذهب جنوبا الى غلاطية ثم الى الجنـوب ايضا حتى كبدوكيـة ثم يتجه غربا الى آسيا ثم يتجه شمالا الى بيثينية مرة اخرى ثم ان اتجه شرقا يعود الى سينوب .

يتضح من الرسالة نفسها ان الذين كتبت اليهم الرســالة كانوا فى الغالب امميين . فليس فى الرسالة ذكر للناموس ، الذى كان يعد مثـــار مشكلة لا تنشأ الا حيث توجد التقاليد اليهودية .

« فحياتهم السابقة كانت حيـاة الجسد والشهوات » (١ : ١٤ ، ٤ : ٣ و ٤) وهذا ينطبق على الأمم اكثر مما يناسب اليهود . فقبـــلا لم يكونوا شعبا — غرباء عن عهود الموعد كامميين — ولكنهم الآن « شـــعب الله » (٢ : ٩ و ١٠) .

وصيغة الاسم الذى يستخدمه بطرس أن الرسالة موجهـــة للأمم « فبطرس » كلمة يونانية . فعندما يتحـــدث بولس عن بطـرس يدعوه (صفا) (كورنثوس ١ : ١٢ ، ٣ : ٢٢ ، ٩ : ٥ ، ١٥ : ٥ ، غلاطية ١ : ١٨ ، ٢ : ٩ و ١١ و ١٤) ، وكان يعـرف بطرس بين بنى جنسه من اليهود باسم (سمعان) (أعمال ١٥ : ١٤) ، وهو نفس الاسم الذى يطلق عليه فى رسالة بطرس الثانية (١ : ١) . وحيث أن بطرس يستخدم الاسم اليونانى ، فيحتمل أن تكون الرسالة موجهة لليونانيين .

ظروف كتـابة الرسالة :

واضح جدا أن الرسالة كتبت فى زمن التهـــديد بالاضطهاد ، وأن المسيحيين كانوا فى خطر . فقــــد كانوا « محاطين بتجارب متنوعة »

(١ : ٦) ، « وكان يفترى عليهم كفـــــا على شر » (٣ : ١٦) ، وانهم « سيمتحنون بالبلوى المحرقة » (٤ : ١٢) ، وانهم عنـــدما يتألمون يجب « أن يستودعوا حياتهم لله » ، (٤ : ١٩) ، وانه جيد لهم ان « يتألموا من أجل البر » (٣ : ١٤) ، وانهم يشاركون اخوتهم المسيحيين فى انحـــاء العالم « نفس الآلام » (٥ : ٩) .

فالرسالة تبين لنا ما تعرض له المسيحيون من بلوى محرقة ، وحملات للتشهير ، والكثير من الآلام لأجل المسيح . فهل عندنا فكرة واضـــحة عن ذلك الالم ؟

لقد مضى وقت كان المسيحيون فيه لا يخشون الحكومة الرومانية .

ففى سفر الأعمال ، نجد دائما أن الولاة الرومان والجنود الرومان هم الذين كانوا ينقذون بولس من غضب اليهود والوثنيين على السواء وقـد عبر « جيبون » عن ذلك بقوله : ان محكمة الوالى الوثنى كانت الملجأ الأمين لبولس من غضب المجمع . والسبب فى ذلك يرجع الى انه فى باديء الأمر لم تكن الحكومة الرومانية تفرق بين اليهود والمسيحيين . وكانت اليهودية ديانة مسموح بها فى جميع انحاء الامبراطورية ، وكان لليهـــود الحريـة التامة فى العبادة فى ذلك الوقت .

وقد حاول اليهود تبصير الرومان بحقيقـــة الموقف وتحريضهم على المسيحيين ، كما فعلوا فى كورنثوس مثلا (أعمال ١٨ : ١٢ ــ ١٧) . ولكن الرومان ظلوا زمنا يعتبرون المسيحيين طائفة يهودية ، ولذا لم يتدخلوا فى شئونهم أو يؤذوهم .

ولكن التغير حدث زمن نيرون . وسنذكر تفاصيل القصة بكاملها،ففى ١٩ يوليو سنة ٦٤ م ، اندلع حريق روما الكبير ، وكانت روما مدينة ضيقة الشوارع ، ذات منازل خشبية عالية ، فكانت فى خطـر أن تمحق تماما . واستمر الحريق ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وانطفأت النار ولكنها اشتعلت مرة اخرى بأشد ضراوة . ولم يشك جمهور الرومان فيمن كان مسئولا عنها . لقد وضعوا اللوم ، والقوا المسئولية بكاملها على نيرون الامبراطور . لقــد

كان نيرون مولعا بالبناء ، وآمن الشعب أنه كان يعد العدة لمحو روما حتى يبنيها من جديد . ان مسئولية نيرون ستظل موضع شك الى الأبد ، ولكن المؤكد أنه كان يشاهد ألسنة اللهب المندلعة من برج ماكيناز . وهو مغتبط أشد الاغتباط بمنظر اللهب.وقدقيل ان الذين حاولوا اطفاء النار قد أوقفوا عمدا ، وانه شوهد اناس يشعلونها ثانية عندما كانت على وشك أن تخمد. لقد ذهل الناس لهول المأساة . فقد زالت كل معالم المدينة واختفت المعابد ، معبد (لونا) و (آراما كسيما) المذبح العظيم ، ومعبد (جوبيتر ستاتور) ، ومحراب (فستا) ، وكل بيوت آلهة الرومان . واصبح الناس مشردين وكما قال فارار « كان الجميع فى حالة من اليأس والتعاسة » ، وكان استياء الناس عظيما ، وكان على نيرون أن يبعد الشبهة عن نفسه ، فكان لابد من كبش فداء . فجعل المسيحيين كبش الفداء . ويحكى تاكتيتوس المؤرخ الرومانى القصة فيقول .

« لم تفلح المعونات او الهدايا التى قدمها الامبراطور للشعب ، ولا المحاولات التى عملها لترضية الآلهة أن تخفف من حدة التقرير المشئوم من أن النيران قد اندلعت بناء على أوامر نيرون . ولذا ، فلكى يبدد نيرون تلك الاشاعة عمد لاتهام طائفة من الشعب زورا ، وبسميهم العامة بالمسيحيين ، وقد كانت تلك الفئة مكروهة نظرا لما يمارسونه من طقوس بغيضة . ومؤسس تلك الطائفة ، اسمه المسيح ، وقد حكم عليه بيلاطس البنطى بالموت فى أثناء حكم طيباريوس ، وقد انتشرت تلك الخرافة الخطيرة ثانية بعد أن قضى عليها فى الحال ، ليس فى اليهودية فقط وهى المركز الرئيسى الذى بدأت منه ، بل حتى فى روما ذاتها البلد الذى تمارس فيه كل الفظائع والأمور المخجلة » . (سجلات تاكتيتوس التاريخية ١٥ : ٤٤) .

لم يشك تاكتيتوس مطلقا فى أن المسيحيين كانوا أبرياء مما نسب اليهم فى اشعال الحريق ، وقد اختارهم نيرون ككبش الفداء لتغطية جريمته.ولكن هناك سؤال هام ، وهو لم اختار نيرون المسيحيين بالذات لاتهامهم باحداث حريق روما ؟ ، هناك اجابتان محتملتان على هذا السؤال .

١ ـ لقد كان المسيحيون من قبل فريسة لبعض حملات التشــــهير والدعايات المغرضة .

(أ) يرتبط المسيحيون دائما فى ذهن العامة باليهود . والعـــداء للسامية ليس شيئا جديدا . فاليهـــود كانوا دائما مكروهين ، ومن ابسط الأمور لدى رعاع الشعب الرومانى الصاق أى تهمـة باليهـود ، ومن ثم بالمسيحيين .

(ب) كان العشاء الربانى يعد أمرا سريا أو هكذا اعتقدوا . فلم يكن مسموحا به سوى لأعضاء الكنيسة .وهناك بعض العبارات التى تقال تصلح كأساس لترويج حملات التشهير الوثنية ، كعبارة من « يأكل جسدى » أو « يشرب دمى » ، فهذه العبارات تصلح كمصدر لترويج اشاعة تقول بأن المسيحيين من اكلة لحوم البشر . ولقد حدث أن تطورت الاشاعة حتى جاء وقت انتشرت فيه قصة تقول ان المسيحيين قتلوا أمميا وأكلوه أو طفــلا حديث الولادة . وعلى مائدة الرب كان المســيحيون يقبلون بعضهم بعضا بقبلة المحبة (١ بطرس ٥ : ١٤) ، ويسمى اجتماعهم (agapé) ، أى وليمة المحبة .

وكان هذا كفيلا بانتشار شائعات تنادى بأن اجتماعات المسيحيين كانت حفلات صاخبة تسود فيها الرذيلة والشهوات الجامحة . فلم يكن من الصعب اذن ترويج حملات التشهير ضد المسيحيين .

(جـ) اتهم المسيحيون أيضا بأنهم السبب فى تحطيم العلاقات العائلية . وبنى هذا الاتهام على أساس ان المسيحية تفرق بين العــائلات وبين أفراد العائلة الواحدة ، فعندما يتحول بعض أفراد العائلة الى مسيحيين والبعض الآخر يظل كما هو عليه ، تنقسم العائلة على نفسها، والديانة التىتفرق بين العائلات لابد ان تصير ديانة غير محبوبة .

(د) اتخذت حقيقة أن المسيحيين يتحـــدثون عن يوم آت يحترق فيه العالم بالنار ، ولابد أن الوعاظ المسيحيين قد تحدثوا من المجئ الثانى وعن انحلال كل العناصر بالنار ، (أعمال ٢ : ١٩ و ٢٠) ، اتخذ ذلك كدليل لاتهام

المسيحيين باحداث الحريق .

فقـــد كانت هناك اشياء كثيرة يمكن تحريفها وتأويلها الى اتهـــامات باطلة ضد المسيحيين ، من أناس يحاولون الحاق الاذى بالمسيحيين من عمد وايقاعهم فريسة الاتهامات الزائفة .

٢ ــ كانت العقيدة اليهودية تروق دائما للسيدات ، بسبب مثلهـــا الأخلاقية فى عالم لا تسوده طهارة السلوك . ولذا ، فان كثيرا من السيدات العريقات كن يعتنقن الديانة اليهودية . واليهـــود لم يترددوا فى استخدام هؤلاء السيدات فى التأثير على أزواجهن لتعبئتهم شعورا بالكراهية ضــد المسيحيين . ويوجد دليل على ذلك فيما حدث لبولس ورفقــائه فى انطاكية بيسيدية . فمن طريق سيدات كهؤلاء أثار اليهـــود اضطهادا على بولس (أعمال ١٣ : ٥٠) .

وقد كان اثنان من المقربين لنيرون من رجال البلاط من معتنقى اليهودية حديثا ، أحـــدهما اليتيروس الممثل المحبوب لديه ، وكذلك بوبايا احـــدى سيدات البلاد المقربة اليه .

فمن المحتمل أن اليهود قـــد حرضوا نيرون عن طريقهما ، ليضطهد المسيحيين وعلى أى حال ، فقد الصقت تهمة اشعال النيران بالمسيحيين ، واشتعلت شرارة الاضطهاد بعنف ووحشية ضدهم .

ولم يكن اضطهادا ذا وسائل مشروعة ، فقد وصفه تاكتيتوس بأنه قد هلك فيه جمهور غفير من المسيحيين بأبشع طرق التعذيب . فقـــد طلى نيرون أجسام المسيحيين بالزفت ثم اشعل فيهـــا النيران وهم أحيـــاء ، فاستخدمهم كمشاعل لتنير له الحدائق أيضا جنود حيـــوانات مفترسة ، واطلق عليهم كلاب صيده لتقطعهم اربا اربا وهم على قيد الحياة .

يقول تاكتيتوس :

« لقد تفننوا فى التنكيل بالمسيحيين وفى طرق موتهم . فكانوا يغطونهم بجلود وحوش ، فتخرج عليهم الـــكلاب لتفترسهم أو كانوا يعلقونهم على

صلبان او كانوا يسلمونهم مأكلا لحريق النـــــار لــكى يستخدموا كوسائل للاضاءة ليلا . وقدم نيرون حدائقه للجمهور ، لتفرج ، أو كان يقوم بعرض فى السيرك بينما كان يندمج هو مع الشعب فى لباس العربة الملوكية او يقف بعيدا فى عربته . وحتى فى موت المجـــرمين الذين يستحقون أقسى أنواع العقوبات الرادعة ، يختلج فى النفس شعور بالاشفاق والعطف عليهم ، لانه ليس الامر كما يبدو للصالح العام ، بل لمجـــرد اشباع نهم شخص لقسوة والوحشية يتعرضون للموت » . (سجلات تاكيتوس التاريخية ١٥ : ٤٤)
ونجد نفس حوادث القصة المريعة ، يرويهـــــا مؤخرا المؤرخ المسيحى سولبيكيوس سيفيريوس فى سجلاته التـــاريخية : « فى الوقت الذى فيه كثر عدد المسيحيين ، حدث أن روما أحرقت بالنــــار ، بينما كان نيرون موجودا بمدينة انتيوم . ولكن الراى السائد يلقى تبعة احراق روما على الامبراطور، ولقـــد ظن الامبراطور أنه بهذه الطريقة يكتسب مجدا اذ انه يبنى مدينة جديدة .والواقع، أن الامبراطور لم يستطع باى وسيلة محاولة الهروب من تهمة اعطاء الأوامر بالحريق ، ولذا فانه وجه الاتهام الى المسيحيين ،وتبعا لذلك عذبهم بأبشع أنواع التعذيب برغم براءتهم. نعم ،فقد تفنن الامبراطور فى التفكير فى أنواع عديدة من الموت ، حتى أن بعض المسيحيين كان يغطى بجلود حيوانات مفترسة فيموتون من جراء التهام الكلاب لهم ، وكثيرون كانوا يصلبون أو يموتون حرقا ، اذ أن عددا كبيرا منهم كان يختار الموت بهـــذه الطريقة ، حتى أنه عند اقبال المســـاء كانوا يسلمون للحريق حتى يضيئوا الليل بهذه الطرق ، تعرض المسيحيون لجميع أنواع العنف.وبعد ذلك صدرت القوانين لتحريم ديانتهم ، وصدرت المنشورات العلنية تحرم على أى شخص أن يكون مسيحيا » .

وهكذا هلك المسيحيون فى دوامة الوحشية.وقد كان الاضطهاد قاصرا فى الأصل على مدينة روما ، ولكن باب الاضطهاد فتح بعدئذ على مصراعيه فاكتشف أمر المسيحيين فى كل مكان ، وصار فريسة لرعاع الشعب ويكتب « موفات » قائلا :

« بعد أن اكتسحت موجة الاضطهاد النيرونية العاصمة ، امتدت حتى وصلت الى شـــــواطىء الولايات ، فأنباء الاضطهاد وصلت الى كل مكان

وأبرزت المسيحيين بصورة واضحة فى جميع أنحاء الامبراطورية ، وعندما سمع بها سكان الولايات ، كانوا اذ يرغبون فى حركة مماثلة على حساب المسيحيين الأمناء ، فانهم لا يحتاجون سوى لحاكم رومانى يشبع ميولهم الوحشية ، وتلميذ مسيحى بارز يتخذونه كفريسة لهم » .

كان على المسيحيين أن يظلوا دائما تحت تهديد .فقد علم رعاع المدن الرومانية بما قد حدث فى روما . وكثيرا ما كانت تنتشر القصص المغرضة للتشهير بالمسيحيين وكانت تمر أوقات يتشوق فيها الرعاع للدم ويغتبطون أشد الاغتباط لقوانين الموت السريع على المسيحيين . وكان هناك حكام على استعداد أن يرضوا الغوغاء باشباع رغباتهم لشهوة الدم . فلم يكن القانون الرومانى يهدد حياة المسيحيين ، بل العقاب الذى يفرض عليهم دون أية محاكمة نزيهة .

ومن ذلك الوقت فصاعدا ، كان المسيحى لا يأمن على حياته . فقد تمر سنين لا يحدث فيها شىء ، ثم تحدث شرارة تكهرب الجو ، ويبدأ الارهاب . كان هذا هو الجو الذى كتبت فيه رسالة بطرس الأولى ، وانه من أجل كل ما كان على المسيحيين ان يواجهوه فان بطرس يدعو شعبه للرجاء والشجاعة ، وللحياة المسيحية المقدسة التى تستطيع بمفردها أن تهزم وتكذب كل الشائعات التى تطلق عليهم والتى كانت السبب فى كل ما تعرضوا له من تعذيب . ان رسالة بطرس الأولى لم تكتب للرد على أية هرطقة لاهوتية ، ولكنها كتبت لتقوية الرجال والنساء الذين كانت حياتهم معرضة للخطر .

الشكوك :

لقد ابرزنا كل ما يدعم الاعتقاد بأن بطرس هو حقا كاتب الرسالة الأولى التى تحمل اسمه. ولكن كما قلنا من قبل ، فانه منذ وقت قليل ، خرج علينا بعض الدارسين الممتازين — وعددهم ليس بقليل — الذين يعتقدون أن بطرس لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة . ونحن من جانبنا نؤمن تماما بوجهة النظر القائلة ان بطرس هو كاتب الرسالة ، ولكن من العدل أن نعرض وجهة النظر الأخرى . حتى وان كنا لانوافق على وجهة النظر هذه فانه من الواجب علينا أن نعرف حقيقة وجهة نظرهم ، وما هو الدليل الذى يدعمها ،

وقد نستطيع أن نرد على هذا الدليل بأسانيد أخرى . ووجهة النظر هذه معظمها مأخــوذة من قسم مخصص لبطـرس الأولى فى كتاب «الكنيسة الأولى » والذى كتبه ب . هـ . ستريتر (Streetir) .

صمت غريب :

يكتب «بج» فى مقدمة الكتاب : « لايوجد سفر فى العهد الجديد كله ، له من التأييد القوى المبكر ما لرسالة بطرس الأولى » .

يعتبر أيوسوبيوس ،عالم القرن الرابع العظيم ومؤرخ الكنيسةوالعهد الجديد ، رسالة بطرس الأولى ضمن الاسفار التى لم يثر حولهـا نزاع فى اى وقت ، والتى قبلتها الكنيسة الاولى بالاجماع وآمنت بصحتها كجزء من الكتب المقدسة (ايوسبيوس ، التاريخ الجامعى ٢ ٢٥ : ٢) ولكن هناك بعض الأشياء التى يجب ملاحظتها .

(أ) فايوسبيوس يستشهد ببعض أقوال قدامى الكتاب ليثبت اقتناعه بأن بطرس الاولى معتـرف بهـا من الجميع . مع أنه لا يفعل ذلك بالنسبة للأناجيل أو لرسائل بولس . فهل احساس ايوسيبس بأن يقدم الدليـل بالنسبة لرسالة بطرس الاولى ضرورة ينتفى لزومها بالنسبة للأسفارالاخرى؟ هل كان هناك أى شك يدور فى خلد أيوسيبس ؟ أم هل كان يوجد من يشك ، فلابد من اقناعهم ؟ وهل هناك شك فى قبول الرسالة بالاجماع ؟

(ب) فى كتابه عن « قوانين العهـد الجديد » يبين (وستكوت) أنه بالرغم من انه لا يعترض احد من الكنيسة الاولى على صحة رسالة بطرس الأولى ، الا انه من المدهش أن نجد عددا قليلا من الآباء الاوائل يستشهدون بها ، والنذر اليسير من آباء الكنيسة الغربية الاوائـل يقتبسون منهـا . (فترتليان) وهو أول الذين اقتبسوا من أقوال الكتاب المقدس ، استشهد بحوالى ٧٢٥٨ اقتباسا من العهد الجديد من بينهم اقتباسان فقط من رسالة بطرس الأولى . وهذا امر يدعو للدهشة . فلـو أن بطرس هـو كاتب الرسالة ، وانه كتبها فى روما ، فاننا نتوقع أن تكون الرسـالة معروفة للجميع ، وأن نجـد كثيريـن من رجال الـكنيسة فى الغـرب يقتبسون منهـا .

(هـ) أن أقدم قائمة رسمية بأسفار العهد الجديد تعرف باسم « لائحة موراتورى » نسبة الى الكاردينال موراتورى الذى اكتشفها . وهى القائمة الرسمية بأسفار العهد الجديد والتى تبنتها الكنيسة فى روما حوالى سنة ١٧٠ م ، ومن أغرب الحقائق أن رسالة بطرس الأولى غير موجودة بتلك القائمة على الاطلاق . فقد يقال ردا على ذلك بأن لائحة موراتورى التى عندنا ناقصة ، وأنه قد تكون هناك اشارة من الرسالة فى اللائحة الأصلية . ولكن هذا الرد يفقد قيمته بعد قراءة الدليل التالى .

(د) فالحق أن رسالة بطرس الاولى لم ترد فى العهد الجديد فى الكنيسة السورية حتى سنة ٣٧٣ م . فالرسالة لم تدرج ضمن أسفار العهد الجديد فى الكنيسة السورية حتى عملت الطبعة السريانية للعهد الجديد ، والمعروفة باسم بيشيتو (Peshitto) حوالى سنة ٤٠٠ م . وقد أصبحت الطبعة المعروفة باسم (البيشيتو) هى الطبعة السريانية الرسمية للعهد الجديد ، ولكن قبل ذلك لم تكن رسالة بطرس الأولى جزءاً من العهد الجديد السريانى . ونحن نعلم أن (تاتيان) هو الذى أتى بأسفار العهد الجديد الى الكنيسة السريانية ، فقد جاء بها من روما الى سوريا عند ذهابه الى اديسه وتأسيسه للكنيسة هناك سنة ١٧٢ م ، وعلى هذا الأساس فيمكن القول بأن لائحة (موراتورى) التى تحت ايدينا صحيحة ، وأن رسالة بطرس الأولى لم تكن ضمن العهد الجديد للكنيسة الرومانية حتى سنة ١٧٠ م .

وأن هذا أمر يثير الدهشة ــ خاصة اذا كان بطرس كتب الرسالة وفى روما بالذات . وعندما نضع أمامنا كل تلك الحقائق معا ، فانه يبدو لنا أن هناك صمتا غريبا حيال رسالة بطرس الاولى وأن كل مايقال فى جانبها ليس مبنيا على أساس متين كما هو شائع .

رسالة بطرس الأولى والرسالة الى أهل افسس :

وأكثر من ذلك هناك ، فان علاقة بطرس الأولى والرسالة الى أهل أفسس . فهناك تشابه كبير فى الأفكار والعبارات بين الاثنتين . ونختار الآيات المتشابهة التالية كعينة على ذلك :

« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع من الأموات » . (١ بطرس ١ : ٣) « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح » (أفسس ١ : ٣) .

« لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح » . (١ بطرس ١ : ١٣) « فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق » . (أفسس ٦ : ١٤) .

« معروفا سابقا قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » . (١ بطرس ١ : ٢٠) «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» . (أفسس ١ : ٤) .

«الذى هو فى يمين الله اذ قد مضى الى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (١ بطرس ٣ : ٢٢) «وأجلسه عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة » (أفسس ١ : ٢٠ و ٢١) .

ثم أيضا نجد الأوامر للعبيد وللأزواج وزوجاتهم متشابهة فى كل من بطرس الأولى والرسالة الى أهل افسس . وهناك جدل بأن بطرس الأولى تقتبس من رسالة أهل افسس . هذا وبالرغم من أن الرسالة الى هل أفسس لابد أن تكون قد كتبت حوالى سنة ٦٤ م ، وأن رسائل بولس قد جمعت وحررت حوالى سنة ٩٠ م ، فان كان بطرس قد كتب رسالتسه أيضا سنة ٦٤ م . فكيف تسنى له التعرف على الرسالة الى أهل افسس ؟

هناك أكثر من رد على هذا القول :

(ا) ان الأوامر للعبيد وللأزواج وللزوجات جزء من التعاليم الموحدة للكنيسة ، تقدم لجميع معتنقى الديانة المسيحية فى كل الكنائس . فبطرس لم يكن مستعيرا لقول بولس ، ولكن كليهما كان يستخدم مادة شائعة الاستعمال .

(ب) كل العبارات المتشابهة يمكن تفسيرها على أساس أن هناك بعض

العبارات وبعض الأفكار التى كانت مألوفة فى الكنيسة الاولى كعبارة : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » ، فقد كانت ضمن اللغة التعبدية المستعملة فى الكنيسة الأولى فى كل مكان ، ولذا فان كلا من بطرس وبولس كان يعرفها جيدا ويسره استخدامها دون أن تكون هناك حاجة لأن يستعيرها الواحد من الآخر .

(هـ) وحتى ان كان هناك تبادل نقل العبارات بين الرسالتين ، فليس معنى هذا بالضرورة أن تكون بطرس الأولى هى التى اقتبست من رسالة افسس ، فقد يكون العكس هو الصحيح ، ومن الجائز ان يكون ذلك ، لان رسالة بطرس الاولى أقل تعقيدا من الرسالة الى أهل أفسس .

(د) واخيرا ، فحتى ان كانت بطرس الأولى قد استعارت شيئا من رسالة أفسس ، فان بطرس وبولس كانا فى روما فى وقت واحد ، ولذا فانه من المحتمل جدا أن يكون بطرس قد شاهد نسخة من رسالة أفسس ، قبل ان ترسل الى آسيا الصغرى ، وقد يكون قد ناقش بعض الأفكار مع بولس .

واما القول بأن رسالة بطرس الاولى قد كتبت فى وقت متأخر لأنها تقتبس من الرسالة الى أهل افسس ، أمر غير مؤكد وغير حقيقى ولا أساس له من الصحة .

الشيخ رفيقكم :

اعترض بعضهم على أن بطرس لا يمكن أن يكون قد كتب هذه العبارة : « أطلب الى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقكم » (١ بطرس ٥ : ١) ، وقالوا ان بطرس فى حقيقة الأمر ليس شيخا ، ولا يمكن أن يسمى نفسه شيخا . فبطرس كان رسولا ، ووظيفة الرسول تختلف عن وظيفة الشيخ . فقد كانت تتميز مهمة الرسول بأن عمله وسلطانه لا يقتصر على كنيسة واحدة ، فكتاباته كانت توزع على جميع الكنائس ، بينما كان الشيخ لا سلطان له الا فى كنيسته المحلية . كان الرسول لا يرتبط بكنيسة واحدة ،

(م ١٣ — تفسير العهد الجديد)

وكان يتنقل فى كل مكان لزيارة الكنائس ، بينما كانت مهمة الشياخة مرتبطة بكنيسة معينة ، ومن ثم فعمل الشيخ داخل نطاق كنيسته فقط .

هذا حق ، ولكن يجب الا ننسى أنه ليست هناك وظيفة أكثر احتراما عند اليهود من وظيفة الشيخ . فقد كان الشيخ موضع احترام المجتمع كله ، وكانت تذهب اليه الجماعة لطلب النصح تجاه المشاكل ، ولفض المنازعات وتحقيق العدالة . فبطرس ، كيهودى ، لا يستعمل عبارة غريبة اذ يسمى نفسه شيخا ، بل انه بذلك يتجنب ادعاء السلطة لنفسه والذى يوحى بـه لقب رسول ، وأنه بكل لطف وشفقة يضع نفسه فى موقف أولئك الذين كان يتحدث اليهم .

الشاهد لآلام المسيح :

هناك اعتراض على أن بطرس لم يكن بالحق شاهدا لآلام المسيح ، لأنه بعد أن قبض على المسيح فى البستان ، تركه كل التلاميذ وهربوا (متى ٢٦ : ٥٦) ، وأنه باستثناء التلميذ المحبوب ، لم يكن أحد من التلاميذ شاهدا للصليب (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

فبطرس له الحق أن يسمى نفسه شاهدا بالقيامة ، وتلك الشهادة فى الواقع هى وظيفة الرسول (أعمال ١ : ٢٢) ، ولكنه لم يكن شاهدا للصليب .

ان هذا أمر لا يمكن انكاره . ومع ذلك فبطرس لايدعى بانه شاهد للصلب ، بل شاهد لآلام المسيح . فالواقع أنه رأى المسيح وهو يعانى من جراء رفض الناس له ، وفى اللحظات الحاسمة فى العشاء الأخير ، وفى صراعه المرير فى البستان ، وفى اللحظة التى بعد أن أنكر فيها المسيح ، التفت يسوع ونظر اليه (لوقا ٢٢ : ٦١) . وحسنا قيل فى هذا ، انه قد تجمع فى تلك النظرة ، بعد انكار المسيح ، كل آلام القلب المكسور .

ان ذلك النقد الذى ينكر على بطرس الحق فى أن يعبر عن آلام المسيح كشاهد لها ، لهو نقد قاصر ، ويعوزه اعمال الفكر .

الاضطهاد بسبب اسم المسيح :

ولكن الجدل الرئيسى الذى يـؤيد القـول ان بطرس الأولى كتبت فى وقت متأخر ، مبنى على أساس ما ورد بالرسالة من اشارة للاضطهاد .

فيقولون انه فى الوقت الذى كتبت فيه الرسالة ، كان يعتبر جريمة أن يصبح الانسان مسيحيا ، وأن المسيحيين كانوا يجـرون الى المحاكـم ، لا لجريمة ارتكبوها ، ولا لعلة فيهم ، بل لمجرد كونهم مسيحيين . فالرسالة تتحـدث عن التعـبير باسم المسـيح (٤ : ١٤) ، وعن الألم كمسيحيين (٤ : ١٦) .

قيل ان مرحلة الاضطهاد بدأت بعد سنة ١٠٠ م ، وانه فى بداية تاريخ الكنيسة ، كان المسيحيون يضطهدون كفاعلى شر ، كمـا اضطهدهم نيرون بحجة حرقهم لروما ، ففى البداية كان المسيحيون يتهمون بارتكاب الجرائم ، وأنهم لم يضطهدوا لمجرد كونهم مسيحيين الا فى وقت متأخر ولاشك أنه قد تم هذا بموجب القانون الذى صدر سنة ١١٢ م .

ففى ذاك الوقت كان « بلينى » حاكم بيثينية ، وكان بلينى صـديقا شخصيا للامبراطور تراجان ، فكان يعرض كل مشاكله على تراجان لحلها . وقد بدأت مشـكلة المسيحيين فى الظهور فى بيثينية . وكان بلينى يدرك أنه لا ضرر ينجم عن المسيحيين ، وانهم مواطنون عرفوا بطاعتهم للقانون .

وقد أخبروه انهم « قد اعتادوا الاجتماع فى يوم معين قبل بزوغ النهار : ليرنموا ترنيمة للمسيح كالههم ، وانهم عاهدوا أنفسهم بألا يرتكبوا جرائم ، والا يسرقوا أو يزنوا او يكسروا الوعد أو ينكروا ما لا قد أودع ذمتهم » . وقد قبل « بلينى » كل ذلك ، ولكن عندما مثلوا امامه لم يسأل سوى سؤالا واحدا اذ قال « لقد سألتهم : هل هم مسيحيون ، « فالذين أقروا سألتهم مرة ثانية وثالثة مهـددا بالعقـاب . فالذين أصـروا ، أمـرت بأن يقـادوا للموت » .

فجريمتهم الوحيدة هى أنهم مسيحيون . وقد كان رد « تراجان » على

ذلك بأن ما فعله بليني صواب ، وأن أي شخص ينكر أنه مسيحي ويثبت بتقديمه الذبائح للآلهة أنه ليس مسيحيا ، تبرأ ساحته فورا .

ومن الرسائل المتبادلة بين الاثنين يتضح ، أن هنـــاك معلومات كثيرة وردت ضد المسيحيين ، ويقرر تراجان أنه لايصح قبول أو اقرار أى رسائل مجهولة ترد فيها أية بيانات . (بليني ، رسائل ٩٦ و ٩٧) .

قيل ان هـــذه المرحلة من الاضطهاد لم تبدأ حتى عهـــد تراجان ، وأن ماورد برسالة بطرس الأولى يوحي بأنه تعـــد جريمة أن يصـــير الانســـان مسيحيا ، ولذا فلابد أن يرجع زمن كتابة الرسالة لعصر تراجان .

والطريقة الوحيدة التى نرد بهـــا على ذلك هى أن نبين خط ســـير الاضطهاد وأسبابه فى الامبراطورية الرومانية . ونوضح ذلك بايراد حقيقة أساسية ، تتفرع منها ثلاث نتائج :

١ ـــ تحت الحكم الرومانى ، كانت الأديان مقسمة الى قسمين . كانت هناك اديان مسموح بها ، وهى معترف بها من الدولة ومصرح لأى انسان اعتناقها وممارسة شعائرها . وكانت هناك أديان تحرمها الدولة ، وغـــير مصرح لأى انسان اعتناقها . فلو اعتنقها اى انسان لكان اضطهاده على يد الشرطة أمرا ضروريا . فأى شخص يمارس شعائر الديانة الغير مصرح بهـــا ، كان يعد مجرما تماما كالسارق أو القاتل وكان يعد تبعا لذلك خارجا على القانون ، ويستوجب الحكم .

ونشير هنا الى أن الرومان كانوا متسامحين،بمعنى أن أية ديانة كانت لا تمس المبادىء العامـــة للسلوك والنظـــام المدنى كان يصرح بها . فلـــم يكن الرومان يتميزون بالاضهاد ، وكانوا متسامحين بطبيعتهم .

٢ ـــ كانت اليهودية ديانة مسموح بها ، ففى بادىء ذى بدء لم يعرف الرومان الفرق بين اليهـــودية والمسيحية . ولم تكن المسيحية بالنسبة لهم سوى مذهب من مذاهب اليهودية ، وأن نشوب اى خـــــلاف أو عداء بين اليهودية والمسيحية كان يعد نزاعا دينيا خاصا لا يهم الحكومة الرومانية فى شىء . وبسبب ذلك ، لم يكن هناك أى خطر اضطهاد تتعرض له المسيحية.

فقد كانت تتمتع بحرية العبـــــادة تماما كاليهودية . وكانت تعتبر ضمن الديانات المصرح بها .

٣ ــ ان ما قام به نيرون قلب كل شيء ، ومع ذلك فهناك احتمال كبير أن ذلك كان نتيجة لعمل مدبر قام به اليهود ، واكتشفت الحكومة الرومانية أن اليهودية تختلف عن المسيحية . صحيح أن نيرون اضطهد المسيحيين أولا ليس لكونهم مســــــيحيين ، بل لاحراق روما . ولكن الشيء المهم هو أن الحكومة قد اكتشفت أن المسيحية ديانة مستقلة .

٤ ــ وكانت النتيجة الحتمية لذلك ، اعتبار الديانة المسيحية فى الحال ديانة غير مصرح بها ، ديانة محرمة ، وأصبح فى الحـــال كل مسيحى خارجا على القانون ، ومجرما ليس لأى جريمة ارتكبها بل لأنـــه ، بكـــل بساطة ، مسيحى . والواقع أن هذا هو ما حدث تماما ، ودليلنا فى ذلك المؤرخ الرومانى ساوتونيوس ، الذى ذكر قائمة بالأشياء وبالأمـــور التى حرمها نـــيرون اذ يقـــول :

« ففى أثناء حكمه تم القضاء على كثير من العادات الذميمة ، ووضعت قوانين كثيرة للحد من المنصرف ، وأصبحت الولائم العامة قاصرة على توزيع الطعام ، ومنع بيع الأطعمة المطهية فى المحـــلات العامة باستثناء الخضروات بينما كان يباع جميع أنواع المأكولات . وأوقع العقاب على المسيحيين وهم طائفة من الشعب قد آمنت بخرافة جديدة ضارة . وقد الغى نيرون كذلك وظيفة سائقى المركبات ، الذين اذا اكتسبوا مناعة من جراء طول الوقوف ، صاروا يذهبون مسافات طويلة ويغشون الجمهور . وقد طرد من المدينة كذلك كل ممثلى المشاهد الصامتة وأفراد فرقتهم » .

لقد استشهدنا بتلك الفقرة بـــكاملها لأنها الدليل على أن تعـــذيب المسيحيين فى وقت نيرون لم يعـــد أن يكون اجراء بوليسيا عاديا ، وواضح كل الوضوح أنه لا داعى للافتراض بأن اعتبار كل مسيحى مجرما لم يحدث الا فى عصر تراجان . فبعد عهـــد نيرون كان كل مسيحى معرضا للتعذيب والموت ليس سوى لأنه مسيحى . وهذا لا يعنى أن الاضطهاد كان مستمرا وثابتا ، ولكنه يعنى أن أى مسيحى كان معرضا للموت فى أى وقت ، كمجرد

إجراء بولبسى . فقد يعيش اى مسيحى فى منطقة ماطيلة حياته دون حدوث اى شيء وقد تحدث موجات الاضطهاد فى منطقــة اخرى كل بضعة شهــــور قليلة . وكان ذلك يعزى لسببين : فقد كان الامر يتوقف على الحاكم نفسه . فقد لا يمس الحاكم المسيحيين بأى سوء وقد ينفذ القانون ضدهم . كمـــا كان الأمر كذلك يتوقف على ما يصل الى سمع الحاكم من معلومات . فقــد لا يود الحاكم أن يتخذ اى اجراء ضد المسيحيين ولــكن اذا وردت اليه اية معلومات ضد أى مسيحى ، كان الغوغاء يلحون فى طلب الدماء ، كان عليه أن يتحرك ، فيذبح المسيحيين حتى يقام عيد رومانى بهذه المناسبة .

ويمكن مقـــارنة موقف المسيحيين ومعاملة القــانون الرومانى لهم ببعض الأشياء البسيطة التى تحدث فى أيامنا ، والقياس مع الفارق . فهناك بعض الأعمال الغير قانونية ــ خذ مثلا بسيطا ، أن يترك شخص عربيتــه خارج منزله طول الليل دون اضاءة الأنوار ــ فقد يسمح بهذا وقتا طويلا . ولكن اذا أرادت سلطات الأمن اتخاذ اى اجراء لمنع ذلك ، أو اذا تطـورت تلك العادة الى عمل صارخ ضد القــانون أو اذا تــدم أحدهم شكــوى أو أبلغ البوليس ، فلابد اذن من تنفيذ القانون وتوقيع العقوبة اللازمة . كان موقف المسيحيين فى الامبراطورية هكذا . فقد كانوا خارجين على القــانون، ولكن فى حقيقة الأمر لا يتخذ اى اجراء ضدهم ، ولكن سيف « ديموقليس » كان معلقا فوق رؤوسهم باستمرار فلا يمكن لاحد التكهن بمتى يبلغ ضدهم ومتى يتخذ الحاكم أى اجراء ضـــدهم ومتى يتعرضون للموت . ويجب أن يفهم جيدا أن الموقف قد تطور الى هذا الحد بعد ما قام به نيرون من أعمال ضد المسيحيين فلم تكن السلطات الرومانية ، حتى ذاك الوقت ، تعرف أن المسيحية ديانة جديدة ، ولكن بعد ذلك التـــــاريخ عرفوا ذلك ، واصبح المسيحى تبعا لذلك خارجا على القانون .

لنطبــق ذلك على الوضع كما هو مدون فى رسالة بطرس الأولـــى . فالشعب الذى يكتب له بطرس محاط بتجارب متنوعة (١ : ٦) ، وايمانهم معرض لأن يمتحن بالنار كالمعادن (١ : ٧) ، ثم أنهم يجتازون حمـــلات التشهير والافتراء ضدهم ، باتهامات باطلة سخيفة موجهة اليهم بحقــد (٢ : ١٢ ، ٢ : ١٥ ، ٣ : ١٦ ، ٤ : ٤) ، وهم يقاسون موجات الاضطهاد

لأنهم مسيحيون . (٤ : ١٢ و ١٤ و ١٦ ، ٥ : ٩) ، ويجب أن يتوقعوا حدوث تلك الآلام ولا يستغربوا لذلك (٤ : ١٢) .

وانه طوباهم ان تألموا من أجل البر (٣ : ١٤ و ١٧) ، وصاروا شركاء آلام المسيح (٤ : ١٣) . فلاداعى لأن يفترض حدوث كل ذلك فى عصر تراجان . فقد كان ذلك هو الظرف الذى وجد فيه المسيحيون انفسهم فى كل جزء من أجزاء الامبراطورية بعد أن تنبهت الحكومة الرومانية لوجودهم على أثر فعلة نيرون . فالاضطهاد الذى تحدثنا عنه رسالة بطرس الأولى، لا يجبرنا بأى حال أن نعتقد أن كتابتها قد حدثت بعد زمن بطرس أو أن بطرس ليس كاتب الرسالة .

اكرموا الملك :

ونستمر ايضا فى الرد على أولئك الذين لا يعتقدون بأن بطرس هو كاتب الرسالة . فهم يقولون ان بطرس لم يكن ليكتب ما كتبه فى الظروف التى حدثت فى وقت نيرون كقوله : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . ان كان للملك فكمن هو فوق الكل . أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير ... خافوا الله ، اكرموا الملك » . (٢ : ١٣ ــ ١٧) .

يقولون انه لا يمكن ان يكتب بطرس ذلك عندما كان نيرون امبراطوراً. ولكن الحقيقة هى أن تلك نفس الفكرة التى كتب عنها بولس فى رسالته الى اهل رومية (١٣ : ١ ــ ٧) . ففى كل تعاليم العهد الجديد ، باستثناء سفر الرؤيا حيث نجد الويل لروما ، يتضح أن الأمر للمسيحى ان يكون مواطنا صالحا ، ويبين بطلان الاتهامات الموجهة ضده بصيته الحسن (١ بطرس ٢ : ١٥) . وحتى فى وقت الاضطهاد كان على المسيحى أن يكون مواطنا صالحا ، ودفاعه الوحيد ضد الاضطهاد أن يظهر بسلوكه الممتاز أنه لا يستحق ذلك العقاب . فليس من المستحيلات أن نجد بطرس يكتب ذلك .

عظـة ورسالة رعوية :

فمـا هو اذن رأى أولئك الذين لا يؤمنون أن رسالة بطرس الأولى من نتاج بطرس نفسه ؟

يقولون أولا ، أن مقدمة الرسالة (١ : ١ و ٢) ، والتحيـة الختامية (٥ : ١٢ ــ ١٤) قد اضيفتا مؤخرا ، وأنهما لم يكونا ضمن صلب الرسالة . وقيل ايضا أن بطرس الأولى كما هى عليه الآن مكونة من جزيءين منفصلين عن بعضهما . ففى (٤ : ١١) نجد ترنيمة حمد وشكر لله ، وأفضل مكان لها هو النهاية ، ولذا فانهم قالوا انه من (١ : ٣ الى ٤ : ١١) نجد الجزء الأول الذى تتكون منه الرسالة مع الجزء الذى يليه . وقيل أيضا ان ذلـك الجزء من رسالة بطرس الاولى كان فى الأصل عبارة عن عظة معمدانية . ونجد فيه اشـارة الى المعمودية التى تخلصنا (٣ : ٢١) ، والنصيحة الى الخدام والزوجات والازواج (٢ : ١٨ ــ ٣ : ٧) وهى نصـائح تقدم فى الغالب للمعتنقين الجدد للمسيحية من الديانات الأخرى ، والذين فى بداية دخولهم للحياة المسيحية الجديدة . وقيـل ان كلمات الحمد والشكر لله فى (٤ : ١١) تنهى ذلك الجزء الأول .

وقيل أيضا ان الجزء الثانى من الرسالة (٤ : ١٢ ــ ٥ : ١١) هو جزء مستقل تماما ، وهـو عبـارة عن رسالة رعوية ، كتبت لتقوية المؤمنـين وتعزيتهم فى وقت الاضطهاد (٤ : ١٢ ــ ٢٩) . وكان الشيوخ فى ذلك الوقت على جانب كبير من الأهمية ، فقد كانوا ساعد الكنيسة الأيمن . ويخاف كاتب الرسالة الرعوية من أن يسيطر عليهم الطمع والزهو (٥ : ١ ــ ٣) ، ويحثهم أن يتمموا بأمانة المهمة السامية الملقاة على عاتقهم (٥ : ٤)

فبناء على هذا الرأى اذن ، تنقسم رسالة بطرس الأولى الى جزءين منفصلين ــ عظـة معمدانية ، ورسالـة رعوية كتبت فى وقت الاضطهاد ولا تنسب اى منهما لبطرس بصلة .

آسيا الصغرى ، وليست روما :

ولنستمر فى عرض هذه الأفـكار . أن كانت رسالـة بطرس الاولى

عبارة عن عظة معمدانية ورسالة رعوية فى وقت الاضطهاد ، فأين كتبت ؟ اذا لم يكن لبطرس اية صلة بالرسالة فلا داعى اذن ان يكون هناك اى ارتباط بينهما وبين روما ، ومن ثم فالكنيسة الرومانية لم تعرف او تستخدم الرسالة . فأين كتبت اذن ؟ لنوضح هنا بعض الحقائق .

(ا) بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية (١ : ١) مجموعة ولايات فى آسيا الصغرى ومركزها (سينوب) .

(ب) وكان أكثرهم اقتباسا من رسالة بطرس « بوليكاربوس » الذى كان أسقفا لسميرنا ، وكانت فى آسيا الصغرى .

(ج) هناك بعض العبارات الواردة فى رسالة بطرس الأولى نجد لها مثيلا فى أجزاء أخرى من العهد الجديد . ففى (١ بطرس ٥ : ١٣) تسمى الكنيسة « بالمختارة » ، وفى (٢ يوحنا ١٣) توصف الكنيسة أيضا « بالأخت المختارة » . وفى (١ بطرس ١ : ٨) مكتوب من يسوع المسيح « الذى وان لم تروه تحبونه . ذلك وان كنتم لاترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » . وهذا يذكرنا طبعا بما قاله يسوع لتوما فى انجيل يوحنا : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . (يوحنا ٢٠:٢٩) . ورسالة بطرس الأولى تحث الشيوخ أن يرعوا رعية الله (١ بطرس ٥ : ٢)، وهذا يرجع بنا الى أمر يسوع لبطرس بأن يرعى غنمه (يوحنا٢١:١٥-١٧)، ولوصية بولس الختامية لشيوخ أفسس بأن يحترزوا للرعية التى أقامهم الروح القدس فيها أساقفة (أعمال ٢٠ : ٢٨) . وخلاصة القول ان رسالة بطرس الأولى تذكرنا بما جاء فى الانجيل الرابع وفى رسائل يوحنا وبما قاله بولس فى افسس . وغالبا كتب انجيل يوحنا ورسائل يوحنا فى أفسس ، (وافسس فى آسيا الصغرى) .

وفى دراستنا للاجابة على السؤال المتعلق بمكان كتابة الرسالة ، فانه يبدو أن كل السبل تشير الى آسيا الصغرى .

ظروف كتابة الرسالة :

فعلى زعم أن الرسالة كتبت فى آسيا الصغرى : هل يمكننا تحديد

ظروف الرسالة ؟ لقـــد كتبت فى وقت الاضطهاد . نحن نعـلم مما جاء فى رسائل بلينى انه قد حدث فى بيثينية سنة ١١٢ م اضطهاد عظيم للمسيحيين . وبيثينية هى احدى الولايات المذكورة فى مقدمة الرسالة ، ونحن نفترض ان رسالة بطرس الاولى قد كتبت لتقوية وتشجيع المسيحيين فى ذلك الوقت . فمن الجائز أن أحد الذين كانوا فى احدى كنـائس آسيا الصغرى قد عثر على هاتين الوثيقتين ، وهما عبارة عن عظة عن المعمودية وكلمة مشجعة فى زمن الضيق ، وقد أرسلهما تحت اسم بطرس .

ويجب أن تسجل أنه فى ذلك الوقت لم يكن ذلك العمل ليعد تزويرا فقد كانت من العادات اليهودية واليونانية نسبة الكتب الى اسماء عظماء الكتاب القدامى . وكان ذلك فى العالم القديم يعد شيئا عاديا لا غبار عليه .

كاتب رسالة بطرس الأولى :

اذا لم يكن بطرس هو كاتب الرسالة الأولى ، فهل يمكننا ان نتخيل من يكون كاتب الرسالة ؟ لنحاول أن نستعرض بعض الصفات الجوهرية التى يجب توافرها فى كاتب الرسالة . لقد افترضنا سابقا انه يجب أن يكون من آسيا الصغرى . وبناء على الرسالة ذاتهـــا ، فانه يجب أن يكون شيخا ، وشاهدا لآلام المسيح (١ بطرس ٥ : ١) .

هل هناك شخص تتوفر فيه هذه الشروط .

يخبرنا بابياس ، أسقف هيرابوليس حوالى سنة ١٧٠ م ، الذى قضى حياته يجمع المعلومات الخاصة بالكنيسة الأولى ، عن مصادره وطرقه فى جمع المعلومات فيقول : انى لا اتردد فى أن أقدم لكم بعناية كل ماتعلمته من الشيوخ واثقا أنه الحق ... فان جاء أحد وكان من أتباع الشيوخ ، فانى اسأله عن اقوال الشيوخ ــ عما قال اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى او اى واحد من تلاميذ الرب ، وايضا عما قاله اريستيون او الشيخ يوحنا تلميذا الرب . لأنى أعتقد أن الكتب لا تفيدنى كالأقوال التى فاه بها اناس كانت أصواتهم تنبض حية أمامنا...فأمامنا هنا

اذن شيخ اسمه (ارستيون) . فأرستيون كان شيخًا وكان تلميذًا للرب ، ومن ثم شاهدا لآلام الرب ، فهل له علاقة برسالة بطرس الأولى ؟

ارستيون وسميرنا :

عندما نقرأ كتاب « القوانين الرسولية » ، نجد أن « أرستيون » كان من الأساقفة الأوائل لسميرنا ــ وهو نفس اسم « أرستيون » . من اكثرهم اقتباسا لرسالة بطــرس الأولى ، انه بوليكاربوس ، أسقف سميرنا ايضا الذى جاء فيما بعد.وانه من الطبيعى أن يقتبس بوليكاربوس شيئامن التراث الدينى القديم لكنيسة سميرنا . فهل من الجائز ان تكون الرسالة عبارة عن عظة عن المعمودية ورسالة رعوية كتبهما ارستون أسقف سميرنا ؟

وهناك شىء آخر يجب ملاحظتـــه . لنرجع لرسائل السبع الى السبع الكنائس فى سفر الرؤيا ، ولنقرأ الرسالة الى سميرنا : « لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به . هوذا ابليس مزمع أن يلقى بعضا منكم فى السجن لــكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام . كن امينا الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤيا ٢ : ١٠) .

هل يمكن أن يكون هذا هــو الاضطهاد المتحدث عنه فى رسالة بطرس الأولى ؟وهل بسبب هذا الاضطهاد كتب أرستيون أسقف سميرنا ، رسالته الرعوية التى صارت فيما بعد جزءا من رسالة بطرس الأولى ؟

هذا هو رأى ب . هـ ستيرتير ، فهــو يعتقد أن رسالة بطرس الاولى عبارة عن عظة معمدانية ، ورسالة رعوية كتبها ارستيون أسقف سميرنا. وقد كتبت تلك الرسالة الرعوية لتقوية وتعزية شعب سميرنا سنة ٩٠ م ، عندما كان الاضطهاد المذكور فى سفر الرؤيا يهـــدد الكنيسة . وقد صارت كتابات أرستيون تراثا تعبديا تقدسه كنيسة سميرنا وتعتز به . وبعد حوالى عشرين سنة نشب اضطهاد أوسع نطاقا وأشد حدة فى بيثينية ، وانتشر فى شمال آسيا الصغرى . فتذكر أحدهم رسالة وعظة أرستيون ، وشعر انهما لازمتان للكنيسة فى وقت محنتها ، فأرسلهما تحت اسم بطرس ، الرسول العظيم .

رسالة الرسول ؛

لقد أوردنا بالتفصيل وجهتى النظـــر بخصوص أصل رسالة بطرس الأولى وتاريخ كتابتها وكاتبها . ونحن لانشك فى اهمية النظرية التى أوردها ب . ه ستريتر ، وفى طرافتها . ولا نشك أيضا فى أن أولئك الذين يعتقدون بأن الرسالة قد كتبت فى وقت متأخر قد أوردوا حججهم التى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبـــــار ، هذا مع أننا بدورنا لا نرى أى سبب يدعو للشك فى أن الرسالة هى رسالة بطرس نفسه ، وانها كتبت بعــد حريق روما وأول اضطهاد للمسيحيين بوقت قصير ، وأن هدفهـــا تقوية المسيحيين فى آسيا الصغرى ليثبتوا فى مواجهة الاضطهاد الذى كان تياره يتسع ليبتلعهم وينتزع أيمانهم منهم .

الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

الميراث العظيم

بُطْرُسُ رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ .

(١ : ١ — ٢)

كثيرا ما نجد ان سمو وجمال اى فقرة فى العهــد الجديد ليس فقط فى ظاهرها وفى الكلمات التى تحويها ، بل فى الأفكار والاحساسات التى تثيرها ، والتى هى الدافع لكتابتها . وهذا ينطبق على هذه الفقرة بنوع خاص فواضح ان هذه الرسالة قد كتبت للأمميين الذين افتــــدوا من سيرتهم الباطلة التى تقلدها من الآباء (١ : ١٨) . الذين لم يكونوا من قبل شعبــا ، ولكنهــم صاروا الآن شعب الله (٢ : ١٠) . فقد كانوا فى زمان الحيــاة الذى مضى يسلكون فى الدعارة والشهوات (٤ : ٣) .

ان أبرز ما فى هذه الفقرة انها تستخدم الكلمات والأفكار التى لم تكن تنسب الا لليهود ، الأمة المختارة ، وتنسبها للأمميين ، الذين كانوا يظنون انهم خارج رحمة الله . قيل قبلا ان «الله قد خلق الأمميين ليكونوا وقودا لجهنم » ، وقيل ايضا انه كما ان افضل الحيات يجب سحقهــا ، هكذا فأفضل الامميين يجب القضاء عليهم .

وكان يقال ان الله قد احب اسرائيل فقط من كل أمم الأرض . ولكن

الآن ، فان رحمة الله ونعمته وبركاته قد شملت كل الأرض وكل البشر ، حتى اولئك الذين لم يكونوا يتوقعون كل تلك الامتيازات .

١ ـــ ان بطرس يدعو الشعب الذى يكتب اهم « بالمختارين » ، شعب الله المختار . لقد كان ذلك قبلا لقبا يطلق على اليهود وعلى اليهود وحدهم . « لانك انت شعب مقدس للرب الهك . اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » . (تثنية ٧ : ٦، انظر ١٤ : ٢) . والنبى يتكلم عن « اسرائيل مختارى » (اشعياء ٤٥ : ٤) ، ويتحدث المرنم عن «بنى يعقوب مختاريه » (مزمور ١٠٥ : ٦ ـــ ٤٣) . فقد كان اسرائيل يلقب قبلا بالشعب المختار باستثناء جميع الأمم .

ولكن أمة اسرائيل لم تحقق أهداف الله ، وفشلت فى اتمام مطاليبه ، لانه عندما أرسل الله ابنه الى العالم ، رفضوه وصلبوه . وعنـــــدما ضرب المسيح مثل الكرامين الاشرار ، قال بنفسه ان ميراث اسرائيل يؤخذ منهم ويسلم الى آخرين (متى ٢١ : ٤١ ، مرقس ١٢ : ٩ ، لوقا ٢٠ : ١٦)فالسيد قد سلم الكرم الى آخرين . هذا هو أساس عقيدة العهد الجديد ، العقيدة بأن الكنيسة المسيحية هى اسرائيل الحقيقى ، اسرائيل الجديد ، اسرائيل الله (انظر غلاطية ٦ : ١٦) ، وكل الامتيازات التى كانت ممنوحة من قبل لاسرائيل قد آلت الآن للكنيسة المسيحية . فالكنيسة بجميع اعضائها من كل امة فى العالم هم الشعب المختار ، وقد امتدت نعمة الله الى جميع أطراف الارض ، وقد عاينت جميع الامم مجد الله ، واختبرت نعمته .

٢ ـــ وهناك ايضا كلمة اخرى كانت تطلق من قبل على اسرائيل فقط . فمقدمة الرسالة تقول : « الى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية » . وكلمة diaspora تعنى حرفيا (الشتات) ، وقـــد كانت تطلق على اليهود المشتتين فى جميع الأقطار خارج حدود فلسطين . ففى تاريخهم الغير مستقر، أجبر بعض اليهود على ترك مواطنهم الأصلى، وغادر البعض الآخر منهم البلاد بمحض ارادتهم بحثـــا عن العمل والمال فى بلاد أخرى .

وكان يسمى هؤلاء اليهود بالشتات . ولكن (الشتات) هنا ليسوا هم الأمة اليهودية ، ان الشتات الحقيقى هم أعضاء الكنيسة المسيحية المشتتين فى الخارج، فى ولايات الامبراطورية الرومانية وفى جميع امم العالم .لقد كان اليهود قبلا يتميزون عن الشعوب الأخرى ، ولكن المسيحيين الآن هم الذين يتميزون ، فهم الشعب الذين ملكهم الله ووطنهم الابدية ، وهم غرباء ونزلاء فى الأرض .

المختارون من الله والمتغربون عن الأبدية

ان ما قلناه سابقا يعنى أن اللقبين اللذين كنا نفكر فيهما الآن ، حق لنا نحن المسيحيين .

١ ــ فنحن شعب الله المختار . هنا الرفعة الحقيقية ، فليس هناك امتياز أعظم من أن تكون مختارا من الله . وكلمة « eklektos » تعبر عن الشىء المختار خصيصا، كالفاكهة المنتقاة، أو السلع المنتقاة لانها تمتاز بجودة الصنع ، أو الجنود المختارين للقيام بواجب سام أو مشروع جليل . فنحن لنا شرف أننا مختارون خصيصا من الله . ولكن علينا أيضــــا مهمة ومسئولية لنؤديها . فان الله يختار دائما من يصلحون للخدمة . والشرف الذى يمنحه الله لأى انسان هو شرف استخدام الله ذلك الانسان لاتمام مقاصده . وكوننا مختارين يعنى شرفا يمنحه الله ايانا ، وعمــلا اودعه الله أيدينا لنتممه . وهذا هو العمل الذى فشل اليهود فى تأديته ، وعلينا أن نحترس لئلا تتكرر مأساة فشل كهذا فى حياتنا .

٢ ــ نحن ايضا متغربون عن الأبدية . وهذا لا يعنى أننا يجب أن نتخلى عن العـــالم ، بل انه يجب أن نكون فى العالم بقدر ما ، وفى نفس الوقت الا نكون من العالم بقـــدر ايضا . حسنا قيل ان المسيحى يجب أن ينعزل عن العالم مع أنه لا يصح أن يهرب من العالم . فحيثما استقر اليهودى ، كانت عيناه متجهتين نحو أورشليم . ففى البلاد الأجنبية كانت تبنى المجامع بحيث يتجه المتعبد نحو أورشليم ، ومهما كان نفع اليهودى للبلد الذى يوجد فيه الا أن ولاءه كان لأورشليم .

والكلمة اليونانية المستعملة للتعبير عن المتغرب فى بلاد بعيدة عن وطنه هى (paroikos) ، فهى كلمة تعبر عن الشخص النزيل فى أرض غريبة عن وطنه ، وافكار متجهة نحو وطنه . وهذا التغرب يسمى (paroikia) ،وهذه الكلمة مشتقة اشتقاقا مباشرا من الكلمة الانجليزية (أبروشية) فالمسيحيون فى أى مكان ، ورجال الابروشية حيثما وجدوا هم جماعة من الناس تتجه أعينهم نحو الله ، وولاؤهم الى ما وراء هذا العالم المنظور .

قال كاتب الرسالة الى العبرانيين : « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (عبرانيين ١٣ : ١٤) .

ونؤكد ثانية أن هذا لا يعنى ترك العالم ، ولكنه يعنى أن المسيحى يرى كل الاشياء فى ضوء الأبدية ، وهو يعتبر الحياة كرحلة نحو الله . وهو يقيس قيمة واهمية أى شىء بالنسبة لتلك الرحلة ، وعلى أساسها يحدد سلوكه ، فهذا الاعتبار هو محك حياته الاخلاقية وهو القوة المحركة له فى الحياة . هناك مثل شهير غير مدون قاله يسوع : « ان العالم اشبه بقنطرة . فالحكيم يمر عليها ولكنه لا يبنى بيته فوقها » . وتلك هى الفكرة التى نجدها فى الفقرة الشهيرة فى « الرسالة الى ديوجنيتوس » ، وهى من افضل ما كتب فيما بعد العصر الرسولى : « ان المسيحيين لا يتميزون عن باقى الجنس البشرى بالأقطار التى ولدوا فيها ولا باللغة التى يتكلمونها ولا بعاداتهم ... فهم يسكنون فى مدن أو بربرية ، كل حسب قرعته ، متبعا نفس العادات فى المأكل والملبس وجميع مظاهر الحياة كالآخرين ، الا أنهم يتميزون بما يظهرونه من سلوك ممتاز يدل على انتمائهم لدولة أخرى . فهم يقطنون مواطن ميلادهم ، ولكن كاقامة مؤقتة ، وهم يشاركون فى جميع المسئوليات الملقاة على عاتقهم كمواطنين ، ويتحملون كل ما بضنايق الغريب . فكل بلد اجنبى وطن لهم ، وكل وطن بلد أجنبى .. انهم يقضون أيامهم على الأرض، ولكن موطنهم الأصلى هو السماء » .

من الخطا الاعتقاد بأن هذا يجعل المسيحى مواطنا غير صالح فى البلد

الذى يعيش فيه . فهو من أفضل المواطنين لانه يرى جميع الاشياء فى ضوء الأبدية ، ولأنه لا يمكن رؤية الأشياء فى وضعها الصحيح الا فى ضوء الأبدية .

فنحن كمسيحيين ، شعب الله المختار ، ونحن متعربون عن الابدية . هذا امتياز عظيم لا يقدر ، ولكنه أيضا ينطوى على واجب ومسئولية لا يمكن التهرب منها .

ثلاث حقائق عظمى فى الحياة المسيحية

فى عدد (٢) نجد ثلاث حقائق عظمى فى الحياة المسيحية :

١ ــ فالمسيحى مختار بمقتضى علم الله السابق . وقد كتب (كارتفيلد) ، تعليقا جميلا على تلك العبارة اذ قال : « لو ركزنا اهتمامنا على عداوة العالم لنا أو عدم اكتراثه بنا أو ضآلة مجهوداتنا الشخصية فى الحياة المسيحية ؛ فقد يدب اليأس فى نفوسنا . فان اجتزنا فى أوقات كهذه فلا يصح أن ننسى أننا مختارون بمقتضى علم الله الآب السابق . فالكنيسة ليست هيئة بشرية فحسب ، بالطبع هى كذلك . ولكن الكنيسة لا تنفذ أية ارادة بشرية، ولا تتمم أية مثل انسانية أو اية اهداف أو امانى من نسج الانسان ، انها تحقق مقاصد الله الأبدية » .

فعندما نحس باليأس ، يجب أن نذكر أن الكنيسة المسيحية قد برزت الى الوجود بمقتضى البرنامج الالهى ، وما دامت الكنيسة أمينة لله ومطيعة له ، فانها لايمكن أن تفشل فى النهاية .

٢ ــ المسيحى مختار ليكون مكرسا بالروح . قال لوثر : « انى أعتقد اننى لا أستطيع عن طريق العقل أو القوة الذاتية أن أؤمن بيسوع المسيح ، أو أن آتى اليه » . فالروح القدس شىء جوهرى فى كل خطوة من حياة المسيحى . فهو الذى يحرك فينا اولى الميول والدوافع نحو الله ونحو عمل الصلاح . وهو الذى يبكتنا على خطايانا ، ويقودنا للصليب حيث نجد غفران تلك الخطايا . فالروح القدس يمكننا من أن نسير فى طريق نحو القداسة ،

وأن نتحرر من خطايانا التى استعبدتنا ، وأن نتحلى بالفضائل التى هى ثمار الروح والروح القدس أيضا يعطينا تأكيدا بغفران خطايانا وأن يسوع المسيح رب . فحاة المسيحى من بدايتها الى نهايتها للروح القدس بكل شىء .

٣ ـ المسيحى مختار للطـــاعة ورش دم يسوع المسيح : توجد ثلاثة مواقف فى العهد القـديم ذكر فيها الرش بالدم . ويحتمل أن هــذه المواقف الثلاثة كانت ماثلة فى ذهن بطـــرس حين كان يكتب هذه الكلمات ، وقــد يفيدنا أن نعرف تلك المواقف ، حتى نفهم القصد من وراء تلك الكلمات :

(أ) عنـــــدما كان يشفى الأبرص ، كان يرش بدم طائر . (لاويين ١٤ : ١ ـ ٧) ، فالرش بالدم اذن ، رمز للتطهير . والمسيحى قد طهر من خطاياه بذبيحة المسيح .

(ب) كان الرش بالدم من ضمن طقوس فرز هرون والكهنة للخدمـــة (خروج ٢٩ : ٢ ـ ٢٢ ، لاويين ٨: ٣٠) فالرش كان عــــلامة الفـــرز والتكريس لخدمة الله فالمسيحى قد كرس خصيصا لخدمة الله ، ليس فقط داخل مكان العبادة ، ولكن أيضا لخدمته فى وسط العالم .

(حـ) ولكن أمثل مشهد لرش الدم نجده فى العهد بين اسرائيل والله . ففى ذلك العهد ، نرى أن الله يطلب من اسرائيل أن يكونوا شعبا له ، وان يكون لهم الها . ولكن تلك العلاقة كانت تتوقف على قبول بنى اسرائيل لشروط العهـد واطاعتهم للناموس . فالطاعة كانت شرطا ضروريا فى هذا العهد ، والفشل فى اطاعة العهـــد تعنى عدم جدوى العهد بين الله وبنى اسرائيل . وعند قراءة كتاب العهد فى مسامع بنى اسرائيل : تعهد الشعب بالقول : « كل ما يتكلم به الرب نفعـــل ونسمع له » ، وكدليل على طاعة هذا العهـــد بين الشعب والله ، أخـذ موسى الدم ورش على الشعب . (خروج ٢٤ : ١ ـ ٨) ، فكان الرش هنا للطاعة . فالمسيحى مدعو لعلاقة جديدة بينه وبين الله بواسطة ذبيحة يسوع المسيح التى كانت أساسا لغفران خطايا الماضى ، وهو يتعهد بالطاعة من ذلك الوقت فصاعدا . فبالمسيـــح يتطهر المسيحى ويفرز للخدمة ويتعهد بالطاعة لله كل أيام حياته .

فمن أهداف الله دعوة المسيحى وبعمل الروح القدس تصبح حياته مكرسة لله ، وبرش دم المسيح يتطهر من خطية الماضى ويتكرس لطاعة الله فى المستقبل .

الميلاد الثانى

مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات . لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم . أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير .

(١ : ٢ — ٥)

يعوزنا الوقت أن نعدد ما فى هذه الفقرة من أشـــياء ثمينة وعظيمة المقدار ، فهى من بين الفقرات القليلة فى العهد الجديد التى نعثر فيها على كثير من الحقائق المسيحية العظمى والعقائد الجوهرية معا .

انها تبدأ بعبارة حمد وشكر لله — ولكنها تختلف عن صلاة الحمد عند اليهودى . فصلاة الحمد عند اليهودى تبدأ عادة هكذا : « مبـــارك أنت يا الله » ، ان الصلاة اليهودية دائما تبدأ بهذا النمـــط « مبارك انت يا الله الذى يحيى الموتى» » وصلاة المسيحى تبدأ بنفس النغمة مع بعض الاختلاف. فصـــلاته تبدأ هكذا : « مبـــارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » فالمسيحى لا يصلى لاله بعيد مجهول ، انه يصلى لله ابى ربنـــا يسوع المسيح ، انه يصلى للاله الذى نقترب اليه فى المسيح ، بثقـــة البنين ، وبجســـارة ايضـــا .

تبدأ هـــذه الفقرة بفكرة الميلاد الثانى ، فالمسيحى شخص ولد ثانية ،

فقد ولده الله ، ليبدأ حياة جديدة مختلفة عن الماضى . ومهما كان معنى ذلك ، فانه يعنى أنه عندما يصبح الانسان مسيحيا ، فان تغييرا جذريا وفاصلا يحدث فى حياته ، حتى أنه لا يمكن الا أن يوصف بأنه ولد ثانية ، اذ أنه يضحى مختلفا عما كان عليه كل الاختلاف،فيصبح كل شىء جديدا حتى كل ما يمكن أن يقال ان حياته قد بدأت من جديد . ففكرة الميلاد الثانى نجدها فى كل جزء من أجزاء العهد الجديد . ولنحاول ايضاح كل ماقاله العهد الجديد بها الخصوص .

١ ــ فالميلاد الثانى يحدث بارادة وعمل الله (يوحنا ١ : ١٣ ، يعقوب ١ : ١٨) ، والانسان لادخل له فى ذلك الميلاد، كما أنه لا دخل له فى ميلاده الجسدى فهو يحدث بارادة الله أو نتيجة عمل نعمة الله وقوته .

٢ ــ ولايضاح ذلك نقول ان هذا الميلاد من عمل الروح (يوحنا ٣ : ١ ــ ١٥) ويحدث للانسان ليس نتيجة لمجهوده الشخصى ، بل عندما يسلم نفسه ليمتلكه الروح القدس ويخلقه من جديد .

٣ ــ انه يحدث بكلمة الحق (يعقوب ١ : ١٨ ، ١ بطرس ١ : ٢٣) . فكلمة الله منذ البدء خلقت السماء والأرض وما فيها ، فعندما تكلم الله ، استحالت الفوضى الشاملة، عالما عجيبا يعج بالحياة . وكلمة الله المبدعة فى يسوع المسيح وفى كتاب الله ، تحدث الميلاد الثانى فى حياة الانسان .

٤ ــ ونتيجة لهذا الميلاد ، يصبح الشخص المولود باكورة من الخليقة الجديدة . (يعقوب ١ : ١٨) . فان هذا الميلاد الثانى يرفع الانسان من هذا العالم ، عالم الزمان والمكان ، عالم التغير والفساد ، عالم الخطية والهزيمة ، لكى يجعله قريبا من الأبدية ، فيستطيع أن يلمس أمجاد الحياة الأبدية .

٥ ــ عندما يولد الانسان ، فانه يولد لرجاء حى (١ بطرس ١ : ٣) . ان بولس يصف العالم الوثنى بأنه بدون رجاء (أفسس ٢ : ١٢) . وكتب « سوفوكليس » قائلا : « ان حسن حظ من لا يولد فى هذا العالم وأما من هو

أقل حظا من ذلك فانه يعــود أدراجه من حيث أتى حالما يولد » فقد كان الوثنى يعتقد ان كل شيء فى هذا العالم مصيره للزوال والانحلال ، وقد يبدو العالم جميلا فى ذاته ، ولكن مآله الى ظلام دامس ، وكان المسيحى يتميز فى نظر العالم قديما بصفة الرجاء . وقد كان لهذا الرجاء مصدران :

(أ) فقــد كان المسيحى يعتقد أنه « مولود لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى » (١ بطــرس ١ : ٢٣) . فقد كانــت فيه بذرة الحياة الالهيه التى لايستطيع الزمن ولا الأبدية أن يقتضيا عليها .

(ب) نبع هذا الرجاء أيضا من قيامة يسوع المسيح (١بطرس ١ : ٣)، وليس ذلك فقط ، ولكن المسيحى أصبح مثل المسيح الذى قهر الموت ، ولذا فانه لا يوجد ما يخاف منه المسيحى .

٦ ــ ان ميلاد المسيحى ثانية يعنى ميلادا للبر (١يوحنا ٢:٢٩، ٣:٩، ٥ : ١٨) ، فهذا الميلاد يعنى أن يتطهر الانسان من ذاته ، ومن الخطايا التى تستعبده ، ومن العادات التى تقيده ، فبه يتحرر من الخطية ، ويعطى قوة تمكنه من السلوك فى البر . وهذا لا يعنى أن الانسان المولود ثانية لا يخطىء، بل يعنى أنه كلمـــا سقط فانه ينـــال القوة والنعمة الكافية للنهوض من كبوته .

٧ ــ ميلاد المسيحى ثانية يعنى ميلادا للمحبة (١ يوحنــا ٤ : ٧) . فبسبب حياة الله التى فيه ، فان المسيحى يتطهر من حب الذات التى تتربع على عرش حيــاة بلا مسيح ، ومن مرارة عدم الصفح التى تتحكم فى حيــاة انطوائية ، وبذلك يكتسب حيــــاة ملؤها الحب والصفح والتضــحية ، من الله .

٨ ــ وأخــيرا ، فان ميــلاد المسيحى ثانية هو ميـــــلاد للنصر (١ يوحنا ٥ : ٤) وبذلك تتوقف الهزائم فى حياته ويبدأ سلسلة الانتصارات، انتصار على الذات والخطية والشيطان والظروف . وبسبب حياة الله التى فيه ، المسيحى يتعلم سر الحياة القوية المنتصرة .

الميراث العظيم

وعلاوة على كل ما سبق ، فالمسيحي قد صار له الحق فى ميراث عظيم . وهذه الكلمة باليونانية كلمة بالغة الأهمية لأنها الكلمة التى تستخدم دائما فى الطبعة اليونانية للعهد القديم . لتعبير عن ميراث كنعان . أرض الميعاد . فالعهد القديم يتحدث مرارا وتكرارا عن الارض التى أعطاها الله لشعبه نصيبا ليمتلكوها (تثنية ١٥ : ٤ ، ١٩ : ١٠) وأن كلمة (ميراث) بالنسبة لنا تعنى شيئا نمتلكه فى المستقبل ، فالكتاب يستخدم الكلمة « نصيب » على اعتبار أنها حق مكتسب وقد كان اليهودى يعتبر أرض الميعاد ميراثا عظيما من الله . وحقا ثابتا له .

ولكن نصيب المسيحى أفضل من ذلك بكثير . فبطرس يستخدم ثلاث كلمات تصور ذلك الميراث المسيحى فهو ميراث (لا يفنى) فالكلمة المستخدمة تعنى لا يفنى ولا يفسد . ولكن لها معنى آخر ، فهى قد تعنى « لا يخرب أو يدمر بجيش معتد » .

وكثيرا ما دمرت فلسطين بجيوش الغرباء ، وتم تدميرها وتخريبها ، ولكن المسيحى يتمتع بالسلام والفرح والطمأنينة والهدوء ، الاشياء التى لا يمكن للعدو أن يدمرها أو ينتزعها منه .

وهذا الميراث أيضا « لا يتدنس » ، والكلمة تعنى باليونانية (amiantos) والفعل تشتق منه هذه الصفة ، بمعنى « يدنس أو ينجس » بما هو غير نقى وشرير . فكثيرا ما تنجست أرض فلسطين بعبادة الآلهة الباطلة (ارميا ٢ : ٧ و ٢٣ ، ٣ : ٢ ، حزقيال ٢٠ : ٤٣) فالأشياء الدنسة قد تركت آثارها حتى فى أرض الميعاد ، ولكن المسيحى عنده النقاوة والقداسة التى لا تستطيع خطية العالم أن تؤثر فيه . وهذا الميراث أيضا « لا يضمحل » ، ففى أرض الميعاد وفى كل أرض أخرى ، تذبل أجمل الزهور ، وتموت أطيب الثمرات . ولكن المسيحى يتصل بعالم لايعتريه تغيير أو فساد، وحيث لاتستطيع تقلبات الحياة أن تنال من سلامه وفرحه وهدوئه.

فما هو إذن ذلك الميراث العظيم ، الذى يمتلكه المسيحى ؟ قد تكون

هناك اجابات ثانوية متعددة على هذا السؤال ، ولكن هناك جواب رئيسى واحد — ان ميراث المسيحى ليس سوى الله نفسه .

قال المرنم : « الرب نصيب قسمتى » (مزمور ١٦ : ٥) ، والله نصيبه الى الدهر (مزمور ٧٣ : ٢٣ — ٢٦) ، وقال النبى : « نصيبى هو الرب قالت نفسى . من أجل ذلك أرجوه » (مراثى ٣ : ٢٤)فالمسيحى له الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل لأنه يمتلك الله ولان الله يمتلكه .

ضمان فى الحاضر والمستقبل

ان ميراث المسيحى ، وملء الفرح الالهى ، سوف يتمتع به المسيحى فى السماء . ويوضح بطرس هنا شيئين فى غاية الأهمية :

١ — ففى سيرنا فى هذا العالم نحو الأبدية ، نكون محروسين بقوة الله بالايمان . والكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن الحراسة تستخدم فى الاصطلاحات العسكرية . فهى تعنى أن حياتنا فى حماية الله ، وأن الله حارس لنا كل أيام الحياة . والشخص الذى عنده الايمان لا يشك — حتى وان كان لا يرى الله — فى أن الله قريب منه ويرعاه . وهذا لا يعنى ، أن الله يخلصنا من متاعب وآلام ومشاكل الحياة ، بل انه يعطينا القوة لنتغلب عليها ونقهرها لكى نستمر فى سيرنا .

٢ — ان الخلاص الأخير ، والنجاة النهائية سوف تعلن فى الزمن الاخير ، ويوجد بخصوص ذلك رأيان نابعان من العهد الجديد .

فالعهد الجديد يتحدث مرارا عن اليوم الأخير أو الايام الأخيرة أو الزمن الأخير . وقد كان اليهود من قبل يقسمون الزمن الى عصرين :

العصر الحاضر ، وهو شرير وخاضع لسلطة الشر ، والعصر الآتى او الزمن الآتى ، وهو عصر الله الذهبى . وما بين هذين العصرين كان يسمى بيوم الرب الذى سيدمر فيه العالم ويخلق من جديد وتحدث فيه الدينونة . فما بين العصرين المذكورين آنفا ، كان يسمى بالأيام الأخيرة أو

الزمن الأخير . وواضح كل الوضوح أنه عندما يتحدث العهد الجديد عن الأيام الأخيرة أو الزمن الأخير ، فانه يتحدث عن نهاية العالم والزمن .

ويجب الا ننسى انه ليس لنا أن نعرف متى يكون ذلك ، أو ماذا سوف يحدث عندئذ . ولكننا نستطيع أن نبين ما يقوله العهد الجديد عن هذه الأوقات الأخيرة .

١ ـ لقد اعتقد المسيحيون أنهم يمشون فى الأيام الأخيرة . فقد قال يوحنا لشعبه « هى الساعة الأخيرة » (١ يوحنا ٢ : ١٨) . ويتحدث كاتب الرسالة الى العبرانيين عن اتمام اعلان الله . فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه يسوع المسيح (عبرانيين ١ : ٢) فقد كان المسيحيون الاوائل يعتقدون أن الله قد تدخل ليوقف الزمن وليسرع بالنهاية .

٢ ـ ان الزمن الأخير هو الزمن الذى فيه يسكب الله من روحه على كل بشر (أعمال ٢ : ١٧) . وقد آمن المسيحيون الاوائل ان ذلك قد تحقق فى يوم الخمسين ، وفى الكنيسة الممتلئة بالروح .

٣ ـ كان هناك اعتقاد شائع عند المسيحيين الأوائل أنه قبل النهاية، ستصل قوى الشر الى ذروتها ، وسيظهر المعلمون الكذبة (٢ تيموثاس ٣ : ١ ، ١ يوحنا ٢ : ١٨ ، يهوذا ١٨) . فسوف تحشد قوى الشر والبطل كل قواتها الحشد الأخير .

٤ ـ والموتى سيقومون . فوعد المسيح أنه سيقيم من له فى اليوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩ و ٤٤ و ٤٥ ، ١١ : ٢٤) .

٥ ـ ثم أنه أيضا وقت الدينونة ، عندما يتخذ العدل الالهى مجراه ، سينال أعداء الله عقابهم العادل (يوحنا ١٢ : ٤٨ ، يعقوب ٥ : ٣) .

هذا هو ما يقصده كتاب العهد الجديد بعبارة « الأيام الاخيرة » أو « الزمن الأخير » .

وواضح ان هذا الوقت هو وقت شدة ورعب بالنسبة للكثيرين ، ولكنه بالنسبة للمسيحى فانه وقت الخلاص والنجاة . ان المسيحى لا يعتبره رعبا بل خلاصا سوف يعلن . ولا ننسى ان كلمة الخلاص هنا ليست بمعناها اللاهوتى العادى بل هى كلمة عادية تطلق على الخلاص من الخطر ، والشفاء من المرض . يشير « تشارلى بيج » فى تعليقة الى ان العهد الجديد يستعمل كلمة (sozein) (يخلص ، وكلمة (zotèria) (خلاص) فى اربعة معان متقاربة ولكنها مختلفة عن بعضها .

(ا) فالكلمتان تشيران الى النجاة من الخطر (متى ٨ : ٢٥) .

(ب) والنجاة من المرض (متى ٩ : ٢١) .

(حـ) والنجاة من دينونة الله (متى ١٠ : ٢٢ ، ٢٤ : ١٣) .

(د) والنجاة من قوة الخطية (متى ١ : ٢١) .

فالخلاص متعدد الجوانب . فهو نجاة من الخطر والمرض والدينونة والخطية . وهو الشىء الذى يتطلع اليه المسيحى فى النهاية .

سر الاحتمال

الذى بِهِ تَبْتَهِجُونَ مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ إِنْ كَانَ يَجِبُ تُحْزَنُونَ يَسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ . لِكَىْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ وَهِىَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِى مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .

(١ : ٦ و ٧)

يصف بطرس هنا الحالة التى يوجد عليها قراؤه .فديانتهم قد جعلتهم مكروهين فى نظر الناس ، وقد كانوا واقعين تحت تهديد الاضطهاد . كان مؤكدا ان العاصفة سوف تهب ، وأن حياتهم سوف تتعرض للتنكيل والتعذيب ، وفى مواجهة ذلك التهديد ، يكتب اليهم بطرس ليذكرهم باشياء ثلاثة تجعلهم يحتملون كل ما سوف يأتى عليهم من اضطهاد .

١ ـ انهم يستطيعون احتمال كل شيء بسبب ما ينتظرهم في المستقبل . فهم يتوقعون أن ينالوا ميراثا مجيـــدا عظيما . وينتظرون كذلك الحيـــاة مع الله بما فيها من أفراح . ففى النهاية ينالون نجاة وخلاصا وانقاذا .

والواقع أن هذا هو تفسير (وستكوت) لعبارة فى (الزمن الاخير) ، فنحن قد فسرنا العبارة على انهـــا تعنى الوقت الذى ينتهى فيه العـــــالم المنظور ، ولكن العبـــــارة اليونانية تعنى « عندما يتحـــول الردىء الى أردأ » ، وعندما تأتى المحنة ، وعندمـــا تنفـــد حدود الصبـــر . يقـــول (وستكوت) انه فى ذلك الوقت الذى تصل فيه الامور الى هـــــذا الحد ، تستعلن قوة المسيح المخلصة . ففى كل المواقف المتـــأزمة ، يجد المسيحى نهاية سعيدة .والمسيحى يعتبر أن الاضطهاد والضيق والألم ليس نهـــــاية كل شيء لأنه يرى ما بعد كل ذلك من مجـــد ، وبسبب رجاء هذا المجـــد فانه يحتمل كل ما يصيبه . قد يحـــدث أحيانا أن يضـــطر شخص مريض لاجراء عملية اليمة أو أن يتبع عـــلاجا معينا ، ولـــكنه يقبل ان تجرى لــــه العملية وأن يتحمـــــل الألم بكل سرور ، بسبب ما يتوقعه من تجـــــديد الصحة والقوة . فمن الحقائق الأساسية فى الحياة أن الانسان يمكنـــه أن يتحمل اى شيء فى سبيل وصوله الى هدف معين ـــ والمسيحى يتطلع الى الفرح الـــكامل .

٢ ـ ان المسيحيين يتقبلون كل شيء اذا تذكروا أن كل تجربة هى فى الواقع امتحان .. فقبل أن ينقى الذهب يجب أن يمتحن بالنار . فالتجارب التى تأتى على الانسان هى امتحانات لايمانه ، يخرج منهـــا أقوى وأنقى وأصلب عودا مما كان .. والامتحانات الصعبة التى يجتازها الرياضى لا يقصد منهـــا أن تجعله يفقد عزيمته ، بل القصد منهـــا أن تجعله قـــادرا على اجتياز امتحانات أصعب ونوال قوة أكثر.فالتجارب والألم فى هذا العـــالم ليس القصد منها انتزاع القوة منا ، بل مدنا بقوة جديدة .

وهناك ملاحظة جديرة بالاشارة وردت فى أسلوب بطرس . فهـــو يقول ان المسيحى قـــد تجتاز فى وقت معين تجارب (متنوعة) . وكلمـــة (متنوعة)فى اليونانية وهى تعنى حرفيا « متعدد الألوان والاشكال» وبطرس

يستخدم هذه الكلمة مرة واحدة فقط ليصف نعمة الله (١ بطرس ٤ : ١٠).

فقد تكون ضيقاتنا من جميع الأنواع والاشكال ولكن نعمة الله أيضا كذلك . فلا يوجد أى موقف أو اية تجربة بشرية لا تصل اليهما نعمة الله . فمهما قست علينا الحياة ؛ فان نعمة الله تمكننا من التغلب على كل مايقابلنا من صعاب . فلكل تجربة مقابلة ، ولا تؤخذ تجربة دون نعمة .

٣ — انهم يستطيعون احتمال اى شىء ، لانه فى النهاية عند ظهور يسوع المسيح ، فانهم سينالون منه مجدا وشرفا وثناء . انهم يقدرون على مواجهة اى شىء ، لأنهم يعلمون انهم يوما ما سيسمعون يسوع يقول لهم « نعما » . فنحن كثيرا ما نبذل مجهودات ضخمة فى الحياة ، ليس من أجل مغنم او ربح مادى بل لندخل السرور على الآخرين ، ولنسمع كلمة شكر منهم . فهذا التقدير الادبى أهم من كل شىء آخر فى الحياة . وكذلك المسيحى فانه يعلم أنه ان صبر وتحمل ، فانه سيسمع فى النهاية صوت السيد قائلا له « نعما » .

هنا نجد اذن الباعث على تحمل الالام عندما تقسو علينا الحياة ويضعف ايماننا . اننا نستطيع احتمال كل شىء بسبب ما نتطلع اليه من امجاد ، ولان كل تجربة هى بمثابة امتحان لتقوية وتنقية ايماننا ، ولأن فى النهاية نجد المسيح فى انتظارنا قائلا « نعما » لكل خدامه الأمناء .

لم نره ولكن نعرفه

الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ . ذٰلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لٰكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ . نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ .

(١ : ٨ و ٩)

بعقد بطرس هنا مقارنة واضحة بينه وبين قارئيه . فقد كان له امتياز معرفة المسيح والسير معـــه فى أيام تجسده . ولكن قراءه لم يكن لهم هذا الامتياز ، ومع أنهم يعرفوا المسيح بالجسد ولكنهم أحبوه ، ومع انهم لم يروه بالعين الجسدية الا انهم رأوه بعين الايمان والثقة . وهذا الايمـــان مصدر فرح لهم لا ينطق به ومجيد ، لأن هذا الايمـــان هو أساس فرح نفوسهم وسعادتها .

يشير ا . ج « سيلوين » فى تعليقه الى أربع مراحل فى معرفة الانسان بالمسيح :

١ — وأولى هـــذه المراحل مرحلة الرجاء والرغبـــة ، رجاء أولئك الذين على مر العصور كانوا يحلمون بمجيء الملك . وذلك كما قال يسوع نفسه لتلاميذه : « ان أنبياء كثيرين وملوكا أرادوا أن ينظـــروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا » (لوقا ١٠ : ٢٣ و ٢٤) ، فقد كانت تلك الأيام هـــى أيام الرجاء والتوقع والانتظار لأشياء لم تتحقق فى زمانهم .

٢ — والمرحلة الثانية عن أولئك الذين عرفوا المسيح بالجسد . وقد كان بطرس يتكلم عن تلك المرحلة ، وهذا هو ما كان يجول بخاطره عندما قال لكرنيليوس:«ونحن شهود بكل مافعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم». (أعمال ١٠ : ٣٩) فقد كان هناك من سار مع يسوع ، ونحن نعتمـــد عليهم فى معرفتنا بحياة المسيح واقواله .

٣ — يوجد الكثيرون فى كل قطـــر وأمة وزمن ، يرون المسيح بعين الايمـــان :

قال يسوع لتوما : « لأنك رأيتنى ياتوما آمنت.طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . (يوحنا ٢٠ : ٢٩) . وهذه الطريقة فى معرفة المسيح ممكنة لان يسوع ليس مجرد شخصية عاشت وماتت نقرأ تاريخهـــا فى الكتاب ، انه عاش ومات وهو حى الى الأبد . لقد قيـــل انه « ما من رسول تذكر المسيح » ، وهذا القول يعنى أن يسوع ليس مجرد ذكرى ، انه شخـــص حى نستطيع أن نختبره وأن نقابله .

٤ ـــ هناك أيضا الرؤيا المبـــاركة . قال يوحنا عن ثقة اننا سنراه (المسيح) كما هو (١ يوحنا ٣ : ٢) ، وقال بولس : « فاننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهـا لوجه » . (١ كورنثوس ١٣ : ١٢) ، فان كنا بعين الايمان نتحمل كل شىء ، فانه سيأتى اليوم الذى فيه نرى بالعيان ، وجها لوجه ، وسنعرف كما عرفنا .

ان عينى يا يســوع لم ترك
ولم ينعكس عليهـا نور وجهك
فان حجاب الحواس تقف حائلا
بين وجهـك المبـارك وبينى

انى لا أراك ، ولا أسمع صوتك
ولكنك دائمـــا معى
ولا اعتز بمقامى فى هذه الارض
الا عنـدما اتقـابل معـك

ومع انى لا أراك وســاظل
أحيـا بالايمــان وحـــده
الا اننى أحبك يارب بكل قوتى
مع انى لا أراك ولكنى امرفك

وعندمايخيم الموت على عينى الفانية
وتصمت دقات قلبى النـابضة
سوف ينكشف الحجاب عن وجهك
يا الهى المبـارك المجيد

الخَلاصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ . الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ . بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا . الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُـــدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ . الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلائِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا .

(١ بط ١ : ١٠ — ١٢)

أمامنا أيضا فقرة دسمة . انهـــا تبين لنا ان الخـــلاص الذى اتى به المسيح للناس عجيب حتى ان الانبياء فتشوا وبحثوا عنه ، وحتى الملائكة كانت تشتهى ان تطلع عليه . وتبين الفقرة ايضا بوضوح كيف ان الأنبياء تلقـــوا رسالتهم ، وكيف دونوها وفاهوا بها . فهذه الفقرة من الفقرات القليلة فى الكتاب التى توضح كيف كتب رجال الله رسالتهم ، وكيف أوحى اليهم .

١ — نجد هنا امرين بخصوص الأنبياء . أولهما ، انهم فتشوا وبحثوا عن الخلاص ، وثانيهما أن روح المسيح أخبرهم عن حقيقة المسيح .

أمامنا هنا حقيقـــة عظمى ، فالوحى يتوقف على شيئين — عقل باحث واعلان روح الله . قيل احيانا ان الرجال الذين دونوا الكتب المقدسة ، لم يكن لهم دخل بما يكتبون ، تماما كما أن الاقلام التى يكتب بها الناس لا دخل لهـــا فيما يكتبون . فقد قيل انهم اقـــلام فى يد الله ، او انهم كالناى ينفخ فيهم روح الله أى أن كتاب الأسفار المقدسة ليسوا سوى ادوات صماء فى يد الله .

ولكن هذه الفقـــــرة ترينا الحقيقة العظمى ، وهى أن الله لا يكشف

الحقائق الالهية الا للشخص الذى يبحث عنها ، وان الوحى يأتى فقط عندما يتقابل اعلان روح الله مع عقل الانسان الباحث وراء الحقيقة . فهنـــاك عنصران ضروريان لكل وحى ، عنصر بشرى ، وعنصر الهى ، فهو نتيجـــة لعقل الانسان المتعطش للحقيقة ، واعلان روح الله .

ثم ان هذه الفقرة تخبرنا أن الروح القدس — روح المسيح — يعمل دائما فى هـــذا العالم . فان هذا الروح هو الذى يقود الناس للاحساس بالجمال ، ويوصلهم لمعرفة الحق ،ويجعلهم يتوقون لمعرفة الله ففى كل زمن وفى كل أمة يعمل روح المسيح فى قيادة الناس الى الله وتحريكهم نحو البحث عنه . ومع انه أحيانا كثيرة يغمض الناس عيونهم ويصمون آذانهم ، وأحيانا أخرى يسيئون فهم ما يقصده الروح ، وأحيانا يفهمون النذر اليسير من الحقيقـــة لعدم استطاعتهم استيعابها كلها ، ولكن فى كل المواقف نجد الروح يعمـــل لقيادة وتوجيه العقول الباحثة المتعطشة للحقيقة .

٢ — وهذه الفقرة تخبرنا ايضا بما قاله الأنبياء . ولقـــد أخبروا عن آلام المسيح وأمجاده . فهنـــــاك فقرات وردت فى مزمور (٢٢) ، اشعياء (٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) ، قد تمت بآلام المسيح ، وهناك فقرات فى مزمور (٢) ، ومزمور (١٦ : ٨ — ١١) ومزمور (١١٠) ، قد تمت فى أمجـــاد المسيح وانتصــــاراته . ولا داعى لأن نعتقـــد بأن الأنبياء قد تنبأوا بهيئة المسيح الجسدية ، ولـــكنهم تنبأوا بأنه يوما ما سيأتى شخص تتم فيه كل نبواتهم ، وتتحقق فيه كل أحلامهم .

٣ — تخبرنا هذه الفقرة أيضا من أجل من تكلم الأنبياء . لقد كانت رسالتهم للناس هى رسالة الخـــلاص الالهى المجيد . انه الخلاص الذى لم يروه هم أو يختبروه . فأحيانا يعطى الله للانســان رؤيا ، ولكن يقـــول له « ليس الآن ! » . الله أخذ موسى الى « رأس الفسجة » وأراه أرض الميعاد وقال له : « هـــذه هى الأرض ... قد أريتك اياها بعينيك ولكنك الى هنـــاك لا تعبر » . (تثنية ٣٤ : ١ — ٤) فقـــد ترى فى احدى الأمسيات شخصا يضىء المصابيح مع أنه أعمى ، فانه يتحسس طريقه من عمود الى عمود مضيئا المصابيح للآخرين مع أنه لايستطيع هو أن يرى النور .وهكذا الانبياء ، فقد

ادركوا أنه امتيـاز كبير أن يتلـقوا الرؤى النبـوية حتى وان كان اتمامها للأجيال القادمة وليس لهم .

رسالة المبشر

ولا تخبرنا هـذه الفقرة عن رؤى الانبياء فحسب ، ولكنها تخبرنا أيضا عن رسـالة المبشر . فقراء رسالة بطرس وصلتهم رسـالة الخلاص عن يد المبشرين .

١ ــ تخبرنا هذه الفقرة أن التبشير هو اعـلان الخلاص ، انه اذاعة الانجيل ، الأخبار السارة . قد يكون التبشير متشعب الموضوعات ، ولكنه اساسا اعلان الانجيل . فأحيانا يضطر الى التحـذير ، والتوبيخ وتذكير الناس بدينونة الله وغضب الله ، ولكن جوهر التبشير فوق كل اعتبـار ، ورسالة المبشر هي اذاعة أخبار الخلاص .

٢ ــ والفقرة ترينا أيضا أن التبشير يتم بواسطة الروح القدس المرسل من السماء . فرسالة المبشر ليست من ذاته ، انها مقدمة له . وأنه لا يقدم آراءه الخاصة وأفكاره الشخصية ، ولكنه يعلن الحق كما هو معلن له من الروح القدس . انه كالنبي يجب أن يبحث ويفتش، يجب أن يدرس ويتعلم، وبعد البحث والتفتيش ، والدراسة والتعليم ، يجب أن ينتظر ليسمع صوت الله وقيادة الروح القدس .

٣ ــ ان الفقرة تخبرنا أيضا أن رسـالة المبشر تتحدث عن أشياء تشتهي الملائكة أن تطلع عليها . فلا عذر لأي تهـاون في التبشير أو تقديم عظات جافة غير محببة تنقصها الاثارة والجاذبية . فخلاص الله عظيم حتى أن الملائكة تشتاق أن تعرف عنه كل شيء .

فالمبشر يجب ان يقف أمام الناس مؤتزرا برسالة اخلاص ومنقـادا بروح المسيح .

البسالة الضرورية للايمان المسيحى

لِذَلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
(١ : ١٣)

يتحدث بطرس عن السمو والمجد الذى يجب أن يكون قبلة انظار المسيحيين ، ولكن ليس معنى هذا أن ينسى المسيحى الحاضر بسبب ما يتوقعه من مجد فى المستقبل ، انه يجب أن يستبسل فى معارك الحاضر . ولذا ، فان بطرس يضع ثلاث مسئوليات على عاتق شعبه .

١ ــ انه يخبرهم بأن يمنطقوا (أحقاء ذهنهم) . وهذه عبارة معبرة . فقد كان الناس فى الشرق يلبسون ملابس فضفاضة تعوق الحركة أو القيام بمجهود . وكانوا يلبسون حول الوسط حزاما عريضا أو منطقة واذا ارادوا تادية عمل ما يحتاج لبذل الجهد ، فانهم كانوا يقصرون الثياب الطويلة بجذبها تحت الحزام حتى يتحركوا بسهولة . وتوجد فى اللغة تعبيرات تحمل نفس هذا المعنى للتهيؤ للعمل مثل التشمير عن ساعد الجد .

فبطرس هنا يأمر شعبه أن يستعدوا للقيام بمجهودات عقلية مضنية . فانهم لا يصح أن يقنعوا بايمان ضعيف مهتز ، بل انهم يجب ان يتأهبوا ويفكروا فى الأمر مليا . انهم لا يجب أن يقفوا عند حد قبول الايمان قبولا سطحيا سهلا . بل يجب أن يعملوا الفكر ، فقد يضطرون للتغاضى عن بعض الأشياء وقد يقعون فى بعض الاخطاء ، ولكن ما يتبقى لهم بعدئذ يكون ايمانا قويا لا يستطيع احد انتزاعه منهم .

٢ ــ ويخبرهم أن يكونوا (صاحين) . والكلمة اليونانية كالكلمة الانجليزية تحمل معنيين . فقد تعنى انهم يجب أن يبتعدوا عن المسكر بالمعنى الحرفى ، وقد تعنى أيضا انهم يجب أن يكونوا متأهبين وثابتين فى أفكارهم .

فلا يصح أن يفقدوا وعيهم لا بالمسكر ولا بأية أفكار مضلة ، انهم يجب

(م ١٥ تفسير العهد الجديد)

ان يصدروا أحكاما ســـــليمة متزنة على الاشياء . فمن السهل ان ينحـــرف المسيحى بتيار الافكار العصرية المنحرفة وأن يفقد اتزانه باتباع أحدث النظم المستوردة . ولذا ، فان بطرس يطلب الى شعبه أن يكونوا ثابتين ثبات من يعلم علم اليقين بما يؤمن به .

٣ ــ انه يطلب اليهم ان (يلقوا رجاءهم على النعمة التى يؤتى بهـــا اليهم عنـــد استعلان يسوع المسيح) . ان ما يميز المسيحى انه يحيـــا على رجاء ، وبسبب هذا الرجاء فانه يحمل كل تجـارب الحاضر . وأن أى شخص يستطيع أى مجهود وان يخـــوض أى نضال اذا كان يثق بأن كــل ذلك سيقوده الى الوجهة التى يقصدها . وهذا هو السر فيما يتحمله كل من الرياضى والطـــــالب من تعب فى تدريبه ودراساته . فالمجهـــود والتنظيم والتعب يصبح ذا معنى اذا كان يؤدى الى شىء ذى قيمة . والمسيحى يعتبر أن جزاءه ينتظره فى المستقبل ، وهو يحيـــا شاكرا من أجل مراحم الماضى وحسناته ، بعزم ان يواجه الحـــــاضر ، وبرجاء أكيد فى غد مشرق فى المسيح .

حياة بلا مسيح وحياة ملؤها المسيح

كَأَوْلاَدِ الطَّاعَــةِ لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ . بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ . لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَباً الَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ . عَالِمِينَ أَنَّكُمْ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ . بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ دَمِ الْمَسِيحِ . مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ

وَلٰكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأزمنةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ. أَنتمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْداً حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ. طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ. مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّ كُلَّ جَسَدٍ كَعُشْبٍ وَكُلَّ مَجْدِ إِنْسَانٍ كَزَهْرِ عُشْبٍ. الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. وَهٰذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا.

(١ : ١٤ — ٢٥)

توجد ثلاث أفكار رئيسية فى هذه الفقرة ، وسوف نتعرض لها كل على حدة .

١ — يسوع المسيح الرب والفادى :

تحدثنا هذه الفقرة عن ثلاثة أشياء عظمى عن يسوع المسيح كالفادى والرب .

(١) يسوع المسيح هو المحرر الذى أنقذ الناس من عبودية الخطية والموت . فهو حمل بلا عيب أو دنس (عدد ١٩) وحديث بطرس هذا عن المسيح مرجعه لصورتين مألوفتين فى العهد القديم . ففى اشعياء (٥٣) ، نجد صورة واضحة عن العبد المتألم الذى كان الله سببا فى خلاص الشعب وشفائه . والصورة الاخرى نجدها فى خروف الفصح (خروج ١٢ : ٥) . فانه قبل أن يخرج بنو اسرائيل من مصر ، أمروا فى تلك الليلة التاريخية ،

أن يأخذوا حمــلا ويذبحوه ويغمسوا قوائم منازلهم بالدم ، فعندما مر الملاك ليهلك أبكار المصريين ، كان يرى الدم على القــوائم فيعبر دون ان يحــدث ضررا بمنازلهم ، وهكذا نجا بنو اسرائيل . ففى منظر خروف الفصح نجــد فكرتين متلازمتين ، وهمــا الحرية والفكاك من العبودية ، والنجـــــاة من الموت . ومهما اختلفت التفســــيرات ، فان الحقيقة تظل ثابتة وهى أن تحرير الناس من عبودية الخطية والموت ، ومنحهم الحياة وارجاعهم ثانية الى الله قد كلف المسيح حياته .

(٢) كان الفداء الذى تم بذبيحة المسيح ، فى فكر الله منذ الأزل ، فقد كان فى ترتيب الله أن يقوم يسوع بعمل الفداء قبل تأسيس العالم (عدد ٢٠). وأنها لفكرة ســـامية ، نجـــدها أيضـــــا فى (رؤيا ١٣ : ٨) حيث نقرأ عن « الخروف الذى ذبح » قبل تأسيس العالم . فهـــذه الفكرة عظيمة المقـــدار فنحن قد نفكر أحيانا فى الله كالخالق ثم الفادى . نفكر فى الله كخالق للعالم أولا ، ثم عندما يجد العالم قد ضل ، يكتشف طريقه لانقاذ العالم فى يســـــوع المسيح . ولكن امامنا هنا صورة رائعة من الله الفادى ثم الخالق . فان قوة الله فى الفداء ومحبته ليست شيئا طارئا أظهره الله عندما تأزمت الامور وضل العالم . ان هدف الله فى الفـــداء يعود الى ما قبل الخليقة . فالله هـــو الفادى الأزلى كما أنه الخالق الازلى . ولا بداية لمحبته كمــــا انه لا بداءة لقـــوته .

(٣) ويعرض بطرس هنـــا فكرة شائعة فى العهـــد الجديد كله . فيسوع المسيح ليس الحمل المذبوح فقط ، انه الشخص المقـــام المنتصر الذى أعطاه الله مجدا . فكل مفكرى العهـــد الجـــــديد نادرا ما يفصلون بين الصليب والقيامة ، انهم دائما يربطون بين ذبيحة المسيح وانتصار المسيح . يخبرنا « ادوارد روجرز » فى كتابه « لتكن لهم حياة » ، أنه درس فى وقت ما قصة آلام المسيح وقيامته لكى يستخرج منها صورة درامية ، وبعد دراسة مستفيضة آمن بفكرة خاصة . فكتب يقول : « لقد بدأت أحس أن هـــــاك خطأ محزنا فى محاولة جعل آلام الصليب تطغى على الجـــانب المنـــير من القصة ، وهو أمجاد القيامة ، كذلك فى محـــاولة ابراز الاعتقاد بأن خلاص الانسان يرجع للآلام التى تحملها المسيح اكثر من المحبة الظافرة » . وهـــو يتساءل عن الوجهة التى تتجه اليهـــا عين المسيحى فى بداية موسم الآلام .

فما الذى نراه غالبا ؟ هل نرى الظلمة التى سادت الارض فى الظهر بسبب آلام وعذاب الصليب ؟ أم نرى نور الفجـــر الخـــــلاب يشع من القبر الفارغ ؟ » ثم يستطرد قائلا : « فهناك كثير من العظات التبشيرية المخلصة ، والكتابات اللاهوتية التى تحاول أن تلقى الاهمية الـكبرى للصلب دونا عن القيامة ، ونبين أن هدف الله فى المسيح قد تم على الجلجثة وهذا خطـــأ روحى مبين ، فالحقيقة أن الصلب لا يمكن تفســـيره وفهمه الا فى ضوء القيـامة » .

فبموت المسيح قد تحرر الانسان من العبودية والموت ، ولكن بقيامته نال الانسان حياة مجيدة لا يسود عليها الموت بعد اتماما كحيـاة المسيح ذاته . فبقيامة المسيح الظافرة ، أصبح ايماننا ورجاؤنا فى الله (عدد ٢١) .

نرى فى هذه الفقرة يسوع كالمحرر العظيم الذى وهبنا التحـرير بدم نفسه على صليب الجلجثة . نرى هنـا يسوع الذى تم فيه البرنامج الالهى الأزلى فى الفداء،وأن ذلك الهدف هو أقدم من جميع الأزمنة.نرى يسوع قاهر الموت ، ورب الحياة المجيد ، وواهب الحياة التى لا يدنو منهـا الموت ، ومانح الرجاء الذى لا يمكن انتزاعه .

٢ ـ حياة بلا مسيح :

يبرز بطرس فى هذه الفقرة أيضا ثلاث صفات للحياة بدون مسيح ، انها صفات الحياة فى العالم قبل أن يغيرها المسيح .

(١) انها حياة الجهل (عدد ١٤) . فقـد كان العـالم الوثنى يتميز بعـدم معرفة الله ، وكان أفضل الناس لا يعرفون عن الله سوى مجرد التخمينات ، فى بحثهم عن الاسرار الالهية . قال افلاطون : « انه من الصعب البحث عن مبدع هذا الكون وخالقه ، وحتى اذا وجدناه فانه يستحيل علينا أن نعبر فى عبارات يفهمها الجميع » . انه يصعب على الفليسوف أن يجـد الله ، ويستحيل على الانسان العادى أن يفهمه .

وتحدث ارسطوطاليس عن الله « كالعلة اولى » الذى يحلم به الجميع ، ولكن لا يعرفه أحد . ان العالم القديم لم يشك فى وجود اله أو آلهة كمـا

اعتقـــــــد ان تلك الالهة مجهـــــولة وانها لا تهتم بالبشر أو بالكون . ففى عالم بلا مسيح ، كان الله لغزا وقوة مجهولة ، ولكنه ما كان أبدا محبة . لم يكن البشر وقتئذ يؤمنون بشخص فيلجأون اليه طلبــــا للمعونة أو يضعون رجاءهم فيه .

٢ ــ انها حياة تسيطر عليها الشهوة (عدد١٤) . اذا أطلعنا على الوثائق التاريخية للمجتمع فى ذلك العالم القـــــديم قبل ان تدخله المسيحية ، فاننا نندهش بل نفزع للحياة الشهوانية التى كان يحياها الناس وقتئذ . فقـــــد كان عالما وصل فيه الفقر الى الحضيض فى قطاع معين من الشعب ، ووصل الثراء بقطاع آخر الى الذروة حتى نقرأ عن اقامة الولائم التى كانت تتكلف آلاف الجنيهـــــات ، وحيث نقرأ عن الامبراطور فيتليوس الذى وضع على المائدة فى احدى الولائم الفى سمكة وسبعة آلاف طائر .

ولم يكن للعفاف وقتهـــا أية قيمة تذكر . اذ يحـــدثنا (مارتيال) عن امرأة تزوجت عشرة اشخاص ، ويخبرنا (جوفينال) عن امرأة أخرى تزوجت ثمانية أزواج فى خمس سنوات ، ويحكى لنــــا (جيروم) أنه كانت توجد فى روما امرأة تزوجت بزوجها الثالث والعشرين فى نفس الوقت الذى كانت فيه هى زوجته الحادية والعشرين .وكـــان الشذوذ الجنسى منتشراً فى اليونان وروما لحد أنه كان ينظر الى الرذائل الشاذة على انهـــا شىء عادى . فقـــد كان ذلك العالم تسيطر عليه الشهوة ، وهدفه الوحيد اكتشاف طرق جديدة لاشباع شهواته ، كانت الشهوة هى الصفة البارزة لتلك الحضارة .

(٣) انها حياة عابثة . فقد كانت المشكلة الاساسية للعالم القديم أنه لم يكن يتجه نحـــو هدف معين . كتب (كاتلوس) الى عشيقته (لسبيه) من أجل مباهج الحب ، يطلب منهـــا الا تضيع اللحظات بما فيهـــا من مسرات عابرة . فهـــو يقول على حد تعبيره : « ان الشموس تشرق وتغرب ثانية ، ولكن ان خبا نور حياتنا مرة ، فلن يتبقى لنا سوى ليل طويل لا يقظة منه » .

ان كان لابد أن يموت الانسان كالكلب ، فلمـــاذا لا يحيــا كما تحيــا الكلاب ؟

فقد كانت الحياة عبارة عن عمـــل ممل لا طائل تحته دون أية مسرات سوى اللذات العابرة ، بضع سنوات قليلة تحت ضوء الشمس يعقبها فنـــاء أبدي . فلا شيء يحيـــا الانسان من أجله ، ولا شيء كذلك يموت من اجله . فلابد أن يصير الحاضر عبثا عندما لا يكون هناك غد مأمول ، وتصبح الارض بلا معنى عندما لا تكون هناك حياة بعد الموت .

وهكذا فان بطرس يرى أن الحياة بدون مسيح هى حياة الجهــــــل والشهوة والعبث ، حياة خالية من المعنى ، ينضب فيهـــا كل شيء سوى اللذة العابرة ، واللحظة السريعة .

٣ ــ حياة ملؤها المسيح :

ونجد فى هذه الفقرة أيضا ثلاث مميزات للحياة التى يتخللها المسيح مع ذكر الأسباب المدعمة لـــكل صفة :

(أ) فالحياة التى يملؤها المسيح هى حياة الطـــــاعة والقـــداسة (١٤ ــ ١٦) فالمختارون من الله ليس لهم امتياز عظيم فقط . ولكن عليهم أيضا مسئولية عظمى . ان بطرس يرجع بذاكرته الى الوصية القديمة التى كانت أساسا لـــكل ما تحويه الديانة العبرانية . انها وصية الله الى شعبه أن يكونوا مقـــدسين لأن الله ، الههم ، قدوس . (لاويين ١١ : ٤٤ ، ١٩ : ٢ ، ٢٠ : ٧ و ٢٦) .

والكلمة اليونانية لكلمة قديس هى (hagios) ، وأصل الكلمة يعنى « مختلف » فالشيء المقدس يختلف عن الاشياء العـــــادية . فالهيكل مقدس لانه يختلف عن المبانى الاخرى ، والسبت مقدس لانه يختلف عن باقى الأيام . والمسيحى مقـــدس لأنه يختلف عن باقى النـــــاس . فالمسيحى رجل الله لأنه مختــــــار من الله . انه مختـــــار للقيـــــام بعمل ما فى العالم ، ووجهته الابدية . انه مختار ليحيا لله فى هذا الزمن ، ومع الله فى الابدية . ففى هذا العالم يجب أن يطيع ناموس الله ، ويحيا حياة الله . المسيحى مختار من الله ، ولذا فيجب أن تظهر نقـــاوة الله فى حياته ، وأن تتسم أعماله بمحبـــة الله . ان المسيحى موضوع على عاتقه ان يكون مختلفا عن العـــالم .

٢ — وهى حيـــاة خوف الله (١٧ — ٢١) ان خوف الله صـــفة الشخص الذى يدرك انه فى حضرة الله . انهـــا صفة الشخص الذى لا يتكلم كلمة ما أو يقوم بعمل ما الا وهو يحس أنه أمام الله ، فكل لحظـــــة يحياها انما يحياها لله .

وفى هذه الاعداد الاربعة (١٧ — ٢١) يبين لنا بطرس اربعة أسباب لتلك الحياة ، حياة خوف الله :

(أ) فالمسيحى غريب فى العالم . فحياته التى يحياها انما يحيـــاها فى الأبدية ، وهو لا يقضى جل وقته فى التفكير فى العالم الذى يعيش فيه بل يفكر أيضا فى العالم الذى سوف يذهب اليه . ويصـــــدر كل أحكامه على الأشياء لا من وحى اللحظة التى يحياها بل من وحى الابدية .

(ب) انه ذاهب الى الله . حقـــا انه يدعو الله أبا ، ولكن هذا الاله الذى يدعـــوه ابا سيدين كل واحد دون أى تفرقة . فالمسيحى يستعد ليوم الحساب . انه يشعر ان أمامه مصير اما ن يكسبه أو يخسره . والحيــــاة فى هذا العالم ذات اهمية بالغة لأنها تؤدى للحياة الابدية .

(جـ) ان المسيحى يجب أن يحيا حياة خوف الله ، لان حياته قد كلفت الكثير . انها قد كلفت حياة المسيح وموته . ولذا فان الحياة ذات قيمة عليا ، فلا يمكن اضاعتها أو اهمالها ، بل يجب اعتبـــارها شيئا ثمينا . ولا يمكن لأى انسان شريف أن يبعثر شيئا عظيما بهذا المقدار .

(د) ان المسيحى لا يمكن أن يضيع حياة قد اشتريت بموت ابن الله . ان هناك التزاما عظيما جدا على الشخص ، الذى كلفت حيــــــاته هذا الثمن الباهظ .

٣ — انها حياة (المحبـــة الاخوية) . انها يجب ان تظهـــر ثمارها فى محبة الاخوة الصادقة والمخلصة والثابتة . فالمسيحى : مولود ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى . وهذا يعنى شيئا من اثنين . فقـــد يعنى أن ميـــلاد المسيحى ثانية ليس من عمل انسان ، بل من عمل الله . وهذا يعنى نفس

ما قاله يوحنا بتعبير آخر : « الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ، بل من الله » . (يوحنا ١ : ١٣) .

ولكن الاحتمال الاغلب يعنى أن المسيحى ولد ثانية بأثمار بذرة الكلمة فيه ، وهذه نفس الصورة التى نجدها فى مثل الزارع ، والبذور هى الكلمة (متى ١٣ : ١ — ٩) .

وبطرس يقتبس هنا ما ورد فى اشعياء (٤٠ : ٦ — ٨) ، والمعنى الثانى يتلاءم هنا أكثر من الاول . ومع ذلك فان هذا يعنى أن المسيحى مولود ثانية ، ومخلوق جديد .

وبسبب ذلك فان حياة الله فيه . وأهم ما يميز حياة الله ، المحبة ، فالمسيحى يجب أن يظهر للناس محبة الله منعكسة على حياته .

فالمسيحى هو الشخص الذى يحيا حياة ملؤها المسيح ، حياة مختلفة عن الآخرين لا ينسى أبدا عظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، ثم أن حياته أيضا تجملها محبة الله لأنها نابعة منه .

الأصحاح الثاني

ما ينبغي تركه وما ينبغي اشتهاؤه

فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة . وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به . إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح .
(٢ : ١ — ٣)

لابد أن تختلف حياة المسيحي بعد التجديد عن حياته من قبل ، ولذا فان بطرس هنا يحث شعبه ان يطرحوا عنهم كل ما هو شرير وان يشـــتهوا الاشياء البانية لحياتهم .

فهناك اشياء يجب طرحها . والكلمة أطرحوا كلمة معبرة ، أنهـــــا نفس الكلمة التى تستخدم لخلع الملابس . فهناك اشياء يجب على المسيحى أن يتخلص منها كما يطرح عنه ثوب دنس قذر .

انه يجب ان يطرح عنه كل شرور العالم الوثني ، يجب على المسيحى أن يطر كل (خبث) ، وهـــذه الـــكلمة تعنى باليونانية (Kakia) وهى اشمل كلمة للتعبير عن الشر ، انهـــا تعبر عن كل الطرق الشريرة التى يتبعها العالم الوثنى ، العالم الخالى من المسيح . وكل الكلمات الأخرى تعد تفسيرات وايضاحات لتلك الكلمة،ويجب مراعاة أن كل تلك الخطايا والاخطاء تخنق وتضر الفضيلة المميزة للمسيحى وهى المحبة الأخوية . فلا يمـــكن أن تكون هناك محبة اخوية مع وجود تلك الشرور . وهناك أيضا (المكر) ، والشخص الماكر هو الشخص ذو الوجهين ، الخادع ، الذى يخـــدع الآخرين ليحقق أغراضه . المـــكر رذيلة نجدها فى الشــــخص الذى تتسم كـــل ميوله بعدم النقاء والدنس .

ثم نجد أيضا (الرياء) . وأن كلمة مرائى لهـا تاريخ عجيب . فهى الاسم من الفعـل Hupokrinesthai الذى يعنى (يجيب) ، فالمرائى يبدأ بالاجابة ، وتتطور الـكلمة لتعنى انه ــ أى المرائى ــ يصبح ممثـلا أى الشخص الذى يشترك فى الأسئلة والأجـوبة على خشبة المسرح ، ثم تصبح الكلمة تعنى المرائى بالمعنى الغـير محبب أى الشخص الذى يمثل طول الوقت ، ويحاول اخفاء حقيقة دوافعه ، انه يحاول أن يقابلك بوجه مختلف كل الاختلاف عمـا يكنه فى قلبه ، وبكلمات تختلف عن حقيقة احساسانه . فالمرائى هو الشخص الذى يدخل الكنيسة وله ميول ردية . فانضمامه تحت لواء الكنيسة ينطوى على مغنم وشـهرة له ، وليس لأجل خدمة ومجد المسيح .

وهناك ايضا (الحسد) ، حسنا قيل ان الحسد هو آخر خطية تموت فينا . فالحسد كان يحاول أن يطل برأسه القبيح حتى بين جماعة الرسل ، فالعشرة كانوا مغتاظين من يعقوب ويوحنا عندما ظنوا انهمـا سيتقدمان عليهما عند مجىء المسيح فى ملكه (مرقس ١٠ : ٤١) ، وحتى فى العشاء الأخير كان التلاميذ يتشاجرون من منهم يظن أنه يكون أكبر (لوقا ٢٢ : ٢٤)، فما دامت الذات تتربع على عرش القلب البشرى ، فلابد أن يحتل الحسد مكانا فى حياة الانسان . يدعو ا . ج . سلوين الحسد بأنه « الخطر الداهم الذى يظل يهدد كيان جميع الهيئـات ومن بينها الهيئات الدينية أيضا » ، ويقول س . ا ب كارنفيلد أنه « لا نحتـاج أن نعمل طويلا فيما يسمونه (الخدمة الكنسية) حتى نكشف ان الحسد مصدر دائم للتلاقل والاضطرابات داخل الكنيسة » ، فالحسد لا يموت الا بموت الذات .

وهناك ايضا (المذمة) ، ولهذه الكلمة معنى خاص . انهـا تعنى التكلم بالشر ، انها دائما من ثمار الحسد فى القلب ، ودائما تحدث عندما لا يكون الشخص المذموم موجودا ليدافع عن نفسه . وليس هناك شىء أكثر جاذبية من الاستماع للمذمة والحـديث اللاذع عن التشهير بالآخرين ، وسرد القصص الحاقدة ضدهم . فالمذمة شىء يأسف له الجميع ويعتبرونه شيئا معيبا ، ولكن فى نفس الوقت يستمتع به كل واحد تقريبا ، ومع ذلك فـلا شىء يثير المتاعب ويحدث المرارة ، ويقضى على المحبـة الاخـوية والوحدة المسيحية كالمذمة .

هذه هى اذن الاشـــــــياء التى يجب على الشخص المولود ثانية أن يطرحها ، لأنه اذا تمادى فى أن يسمح لتلك الاشياء بأن تسيطر عليه ، فانه بذلك يفسد الرابطة الاخوية ويقطع أوصالها .

ما ينبغى اشتهاؤه

ولكن هنـــاك أشياء يجب على المسيحى أن يشـتهيها ويسعى نحوها انه يجب أن يشتهى « لبن الكلمة العـــديم الغش » . وهذه عبـــارة يصعب تفسيرها . والصعوبة بسبب كلمة « Logikos »

والكلمة كما قلنا هى « Logikos » ، وهى الصفة اليونانية من الاسم (logos) ومرجع الصعوبة ، فى أنه توجـد لتلك الكلمة ثلاث ترجمات محتملة .

(أ) فكلمة (Logos) هى اصطلاح الرواقيين للتعبير عن العقـل الذى يدير دفة الـكون ، الله من وراء هذا الكون وفيه وبه كل شىء كان . وكلمة « Logikos » كلمة رواقية محبوبة وهى تصف كل ما يتعلق بذلك العقل الالهى المهيمن على كل الاشياء . فان كانت الكلمة تحمل هذا المعنى ، اذن يكون تفسيرها كلمة « روحى » .

(ب) كلمة (Logos) هى كلمة يونانية تحمل معنى (عقل) او منطق ، ولذلك فالصفة وهى (Logikos) تعنى (عقلى) أو (ذكى) ، ونجد نفس المعنى فى (رومية ١٢ : ١) ، حيث تتحدث عن العبادة (العقلية) .

(حـ) وكلمة (logos) تعنى باليونانية (كلمة) و (Logikos) تعنى « المختصة بالكلمة » ، ونحن نعتقد انه صحيح . فبطرس كان يتحدث من قبل عن كلمة الله الحية الباقية (١ بطرس ١ : ٢٣ — ٢٥) .

وكلمة الله أى الكلمة التى فى فكر الله ، ونحن نعتقد أن بطرس يقصد أن المسيحى يجب أن يشتهى بكل قلبه الغذاء المستمد من كلمة الله ، لأنه من طريق هذا الغـــــذاء يستطيع أن ينجح وينمو حتى يصل الى الخـــلاص

ذاته . فلكى يستطيع المسيحى ان يثبت فى وجه العالم الوثنى يجب ان يقوى نفسه وحياته بكلمة الله الصافية.وطعام الكلمة هذا (عديم الغش) (adolos) اى انه خال من أى شائبة ردية فيه . وكلمة (adolos) هو اصطلاح فنى للتعبير عن الغلال النقية من الأتربة والتبن أو أية مواد ضارة . فكل حكمة بشرية يوجد بها شىء غير نافع أو ضار . ولكن كلمة الله خالية من كل الشوائب .

وعلى المسيحى أن يشتهى لبن الكلمة ، وكلمة « يشتهى » باليونانية تعنى (epipothein) وهى كلمة قوية التعبير ، فهى نفس الكلمة المستخدمة عن الايل التى تشتاق لجداول المياه (مزمور ٤٢ : ١) ، عن المرنم المشتاق لخلاص الرب (مزمور ١١٩ : ١٧٤) فالمسيحى الحقيقى لا يعتبر أن دراسة كلمة الله عمل ممل بل مسرة وابتهاج ، لأنه يعلم أنها غذاء لنفسه المشتاقة اليها .

وتشبيه المسيحى بالطفل ، وكلمة الله باللبن الذى ينمو به ، أمر شائع فى العهد الجديد . فبولس يشبه نفسه بالمرضعة التى تربى الاطفال المسيحيين فى الايمان فى تسالونيكى (١ تسالونيكى ٢ : ٧) . وهو يعتقد انه يطعم أهل كورنثوس اللبن لأنهم لم يقدروا بعد على اكل اللحوم (١ كورنثوس ٣ : ٢) ، ويوجه كاتب الرسالة الى العبرانيين اللوم الى شعبه لأنهم ما زالوا يعيشون على اللبن ، بينما كان يجب عليهم أن يصلوا الى مرحلة النضج الروحى (عبرانيين ٥ : ١٢ ، ٦ : ٢) .

وكانت ترمز الكنيسة الاولى الى ميلاد المعمودية الثانى ، بأن تلبس المسيحى المعمد حديثا ملابس بيضاء ، وأحيانا كان يطعم باللبن كأنه طفل صغير . فغذاء لبن الكلمة هو الذى يجعل المسيحى ينمو حتى يصل الى الخلاص .

ويختتم بطرس ما ساقه من حديث بالاشارة الى ما ورد فى مزمور (٣٤ : ٨) ، « ان كنتم قد ذقتم أن الرب صالح » ، وهذه العبارة تحمل معنى هاما فكون الله صالح لا يصح أن يجعلنا نتراخى أو نهمل فى أداء واجبنا

كمسيحيين لانه مفروض علينا أن نكد ونكدح حتى نستحق صلاح الله ومحبة الله من نحونا . ان صلاح الله لا يصح أن يتخذ ذريعة فى أن نهمل فى حياتنا المسيحية ، بل انه من اعظم الدوافع لنا فى الجهاد .

طبيعة ووظيفة الكنيسة

اَلَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ . كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْتًا رُوحِيًّا كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ . لِذلِكَ يُتَضَمَّنُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ هأَنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى . فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ . وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ . الَّذِينَ يَعْثُرُونَ غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ الأَمْرُ الَّذِي جُعِلُوا لَهُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ شَعْبُ اقْتِنَاءٍ لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ . الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ . الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ .

(١ بط ٢ : ٤ — ١٠)

يبرز بطرس امامنا هنا طبيعة ووظيفة الكنيسة . ويحسن تقسيم هذه الفقرة الى اربعة اقسام .

١ ــ الحجر الذى رفضه البناؤون :

وردت فى هذه الفترة كلمة « الحجر » كثـــيرا . وقد أشير الى ثلاث فقرات رمزية فى العهد القديم . لندرسها واحدة تلو الاخرى .

١ ــ أول اشارة وردت على لسان يسوع نفســه . فمن أهم الأمثلة المعبرة والتى تكشف امامنا الحقيقة والتى قالها يسوع مثل الكرامين والأشرار . ففى هذا المثل اخبرنا يسوع كيف أن الكرامين قتلوا العبيد واحدا تلو الآخر حتى أنهم فى النهــاية قتلوا الابن . كان يريد أن يبين كيف أن أمة اسرائيل رفضت مرارا وتكرارا أن تصغى لصوت الأنبياء وكيف اضطهدتهم ، وكيف بلغ هذا الاضطهاد مداه بموت يسوع نفسه . ولـكن بعد هذا الموت تنبأ يسوع عن الانتصار حين اقتبس ما جاء فى ســـــفر المزامير « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى اعيننــــا ... (متى ٢١ : ٤٢ ، مرقس ١٢ : ١٠ ، لوقا ٢٠ : ١٧) ، والاقتباس مأخوذ من (مزامير ١١٨ : ٢٢) . لقد كان هــذا القــول فى الأصل اشارة لأمة اسرائيل ذاتها .

قال ا . ك كركباترك ان « اسرائيل هى رأس الزاوية ، ومع أن قوى العالم احتقرتها ودفعتها بلا جدوى ، ولكن الله قد عين لهـــا مقاما ممتازا فى هيكل ملكوته فى العالم . فالكلمات تعبر عن احساس اسرائيل بمقامهــــا وأهميتهـــا فى البرنامج الالهى » ، ولذا فان يسوع طبق هذه الأقوال على ذاته . فانه وان كان يبدو انه مرفوض من الناس الا انه معين فى البرنامج الالهى ليكون رأس الزاوية فى هيكل الله ، مكرما فوق الجميع .

٣ ــ وردت اشارات أخرى فى العهد القديم عن هذا الحجر الرمزى ، وقد اكتشف الكتاب المسيحيون الأوائل هذه الاشارات واستخدموها فى كتاباتهم وأولى هذه الاشارات وردت فى (اشعياء ٢٨ : ١٦) (١) ، فى الطبعة الأصلية نجد القول هكذا : « لذلك هكذا يقول السيد للرب . هأنذا أؤسس فى صهيون حجرا حجر امتحان حجر زاوية كريما اساسا مؤسسا . من آمن لا يهرب » .

---

(١) يقصد بالطبعة الاصلية طبعة الملك جيمس سنة ١٦١١ . (المعرب)

والاشارة هنا أيضا عن أمة اسرائيل . فالحجر الكريم الثابت هو الصلة القوية المتينة التى تربط الله بشعبه ، وتلك الصلة تتضح فى مجىء المسيا .

وهكذا فالكتاب المسيحيون الأوائل أخذوا هذا الجزء ونسبوه الى يسوع المسيح على انه حجر الله الكريم الاساس المؤسس .

(٣) والفقرة الثانية وردت أيضا فى اشعياء . ونجدها فى الطبعة الأصلية هكذا : « قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم . ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتى اسرائيل وفخا وشركا لسكان أورشليم (اشعياء ٨ : ١٣ و ١٤) ، وهذه الفقرة تعنى أن الله يقدم نفسه لشعب اسرائيل فمن قبله صار لهم سبب خلاص ونجاة ، ومن رفضه صار لهم رعبا وهلاكا . وهكذا أيضا ، أخذ الكتاب المسيحيون الأوائل هذه الفقرة وطبقوها على المسيح . فمن قبله صار له يسوع مخلصا وصديقا ، ومن رفضه صار له فخا ودينونة .

(٤) لكى نفهم ما جاء بهذه الفقرة ، يجب أن نضيف الى هذه الفقرات من العهد القديم ، فقرة من العهد الجديد . فلا يمكن لبطرس أن يفكر فى المسيح كحجر الزاوية وفى المؤمنين كمبنيين بيتا روحيا بالاتحاد مع المسيح ، دون أن يفكر فى كلمات يسوع له عندما أدلى باعتراف ايمانه العظيم فى قيصرية فيلبس ، فقد قال يسوع له : « انت بطرس ، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى (متى ١٦ : ١٨) فالكنيسة قد بنيت على هذا الايمان الواثق بيسوع ، والمؤمن كالحجر فى بناء الكنيسة ، مبنى بالايمان بيسوع المسيح .

هذا هو اذن مصدر ما ورد بهذه الفقرة من صور ورموز .

٢ — طبيعة الكنيسة .

نتعلم من هذه الفقرة ثلاثة أشياء عن طبيعة الكنيسة .

(١) فالمسيحى مشبه بحجر حى ، والكنيسة ببيت روحى (عدد ٥) .

وهذا يعنى بوضوح أن المسيحية مجتمع ، والمسيحى كفرد يجد مكانه اللائق به فقط عندما يكون مبنيا فى بناء الكنيسة . « فالديانة

يكون هناك مايسمى بالمسيحى الحر الذى يأنف من أن ينضم للكنيسة المنظورة فى اى شكل من أشكالها، فالذى يسمى نفسه كذلك ، فهو ليس بمسيحى على الاطلاق » .

هناك قصة أسبرطية شهيرة . فقد حكى أن ملكا أسبرطيا كان يفتخر امام واحد من الحكام اثناء زيارته له ، بأسوار أسبرطة . فنظر الحاكم الزائر حوله ولكنه لم يجد أية أسوار .. فقال للملك الاسبرطى : « أين تلك الاسوار التى تتحدث عنها وتفتخر بها كثيرا ؟ » ! فأشار الملك الى حراسه الاسبرطيين الاشداء وقال : « هؤلاء هم أسوار أسبرطة ، ان كل رجل منهم بمثابة حجر فى هذا السور » .

ومن هذا يتضح أنه طالما ان الحجر أو لبنة البناء بمفردها فانها تظل عديمة القيمة ، انها تصبح ذات نفع فقط عندما تدخل فى البناء ، انها قد صنعت لهذا السبب ، وعندما تدخل فى البناء فانها تتمم عملها وتحقق الغرض الذى وجدت من أجله . وهكذا بالنسبة للمسيحى . فلكى يحقق الهدف من وجوده لا يصح أن يبقى بمفرده ، فعليه أن يبنى فى بناء الكنيسة ويصير جزءا منها .

فلنفرض أنه فى وقت الحرب جاء رجل وقال : « انى أود أن اخدم بلدى وأدافع عنه ضد الاعداء » ، فلو حاول أن ينفذ عزمه بمفرده ، لما عمل شيئا ولكنه يستطيع تحقيق ذلك بالانضواء تحت لواء جيش بلاده .

وان أراد أحد ان يدافع عن غاية عظمى ، فانه يجب أن يندمج مع أولئك الذين يتفقون معه فى نفس المثل والأفكار . وهكذا بالنسبة للكنيسة . فالمسيحية الفردية ليست مسيحية ، ان المسيحية رابطة اخوية داخل نطاق مجتمع الكنيسة .

(٢) المسيحيون كنهوت مقدس (عدد ٥) . توجد صفتان غالبتان فى الكاهن :

(ا) فالكاهن شخص قريب من الله ، ووظيفته تقريب الناس الى

الله . لقد كان كل امتياز القرب من الله قاصرا على فئة قليلة وهم فئة الكهنة وحدهم ، وبالأخص رئيس الكهنة . فهو وحده الذى له الحق فى دخول قدس الاقداس فى حضرة الله . ولكن بيسوع المسيح ، الطريق الحى الجديد ، أصبح الاقتراب الى الله امتياز كل مسيحى ، مهما كان بسيطا او غير متعلم .

ثم ان كلمة كاهن ، تعنى باللاتينية (Pontifex) التى تعنى (بانى القنطرة) ، فالكاهن هو الشخص الذى يعمل كقنطرة تاتى بالآخرين الى الله ، والمسيحى عليه واجب وله امتياز الاتيان بالآخرين الى المخلص الذى قد وجده هومن قبل واحبه .

(ب) الكاهن هو الشخص الذى يقدم الذبائح الى الله ؛ والمسيحى يجب أن يقدم ذبائحه لله دائما . فى العهد القديم كانت نقدم ذبائح حيوانية ، ولكن ذبائح المسيحى هى ذبائح روحية . المسيحى يقدم عمله ذبيحة لله ، وكل ما يعمله يعمله لمجد الله ، ولذا فان ابسط ما يقوم به المسيحى من اعمال انما هى لمجد الله . فالمسيحى يقدم عبادته ذبيحة الله ، وعندما يحدث هذا فان عبادة الله لا تضحى ثقلا بل فرحا وامتيازا . فهى ليست شيئا مملا ، بل انها شيء محبب نقدم فيه أفضل ما عندنا لله . والمسيحى أيضا يقدم ذاته ذبيحة لله . قال بولس : « قدموا أجسادكم ذبيحة حية مرضية عند الله (رومية ١٢ : ١) . فان ما يطلبه الله منا ، هو محبة قلوبنا ، والخدمة المخلصة له فى حياتنا . هذه هى الذبيحة المسيحية الكاملة التى يجب على كل مسيحى تقديمها .

٣ — ان وظيفة الكنيسة هى أن تحدث بحسنات الله . اى ان وظيفة الكنيسة الشهادة أمام الناس عن أعمال الله العظيمة ... ان ذلك ببساطة يعنى أن وظيفة المسيحى هى أن يحدث الآخرين عما صنع له الله من جميل . فالمسيحى بحياته وبكلماته هو شهادة عما عمله معه الله فى المسيح .

٣ — مجد الكنيسة :

فى عدد (١٠) نقرأ عن الاشياء التى يشهد لها المسيحى ، الاشياء التى عملها الله معه .

(١) فالله دعا المسيحى (من الظلمة الى نوره العجيب) . المسيحى مدعو من الظلمة الى النور ، فعندما يتعرف الانسان بيسوع المسيح ، فانه يتعرف بالله . فلا يصبح بعد فى حاجة للظن والتخمين عن الله ، أو أن يفكر فى الله كالاله المجهول البعيد ، قال يسوع : « من رآنى فقد رأى الآب » . (يوحنا ١٤ : ٩) ففى يسوع نور معرفة الله . وعندما يتعرف شخص ما بالمسيح ، فانه يتعرف على الصلاح . وفى المسيح يجد النموذج الذى يقيس عليه كل اعماله وكل دوافعه . وبذلك يعرف الصلاح الحقيقى ، النموذج الكامل والمثال التام فى شخص يسوع المسيح . عندما يعرف شخص ما يسوع ، فانه بذلك يعرف الطريق . فلا تصبح الحياة بالنسبة له طريقا مجهولا دون أى نجم يهديه او يقوده ، أو طريقا شائكا لا يعرف له اول ولا آخر . ففى المسيح يضحى الطريق ممهدا واضحا .

وعندما يتعرف الانسان بالمسيح فانه يصل الى نبع القوة . فلا فائدة من معرفتنا لله دون أن تكون عندنا القوة لخدمته . ولا نفع من معرفة الصلاح ان كنا عاجزين عن الوصول اليه . ولا قيمة لرؤية الطريق الصواب اذ كنا غير قادرين على السير فيه . ففى المسيح لنا امتيازات عظمى ، وفيه أيضا لنا القوة على التابع بتلك الامتيازات .

٢ — ان الله قد جعل الذين ليسوا شعبا شعب الله . ان بطرس يقتبس هنا قول هوشع (١ : ٦ و ٩ و ١٠ ، ٢ : ١ و ٢٣) .وهذا يعنى أن المسيحى مدعو ليحتل مكانا بارزا . ان الذى يحدث دائما فى هذا العالم أن الشخص يستمد عظمته لا من ذاته بل من العمل الموكل اليه . فعظمته فيما يقوم به من مهمة ملقاة على كاهله .وعظمة المسيحى ترجع لأن الله قد اختاره لاتمام المهمة التى ارادها الله ليقوم بها فى العالم . ولا يمكن لأى مسيحى أن يكون شخصا عاديا ، لأن كل مسيحى هو رجل الله .

٣ — ان المسيحى كان غير مرحوم وأما الآن فمرحوم . ان أعظم ما يميز الديانات الأخرى هو الخوف من الله . وأما المسيحى فقد اكتشف محبة الله فى المسيح يسوع ، وهو يعلم انه لا داع له بأن يخاف من الله ، لأن تلك المحبة قد أزالت الخوف من نفسه .

٤ ــ وظيفة الكنيسة :

فى عدد (٩) يستخدم بطرس عددا من العبارات التى تعد تلخيصا لوظيفة الكنيسة . فهو يدعو المسيحيين « جنس مختار ، كهنوت ملوكى ، أمة ، مقدسة ، شعب اقتناء » ، ان بطرس متعمق فى دراسة العهد القديم ، فكل تلك العبارات هى أوصاف لشعب اسرائيل ولتلك الأوصاف مصدران رئيسيان :

ففى اشعياء (٤٣ : ٢١) ، يسمع اشعياء صوت الله قائلا : « هذا الشعب جبلته لنفسى » . وفى سفر الخروج أيضا (١٩ : ٥ و ٦) يقول الله (فالآن ان سمعتم صوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » ، فالمواعيد العظمى التى أعطاها الله لشعبه اسرائيل قد آلت للكنيسة التى هى اسرائيل الجديد ، اسرائيل الله . وكل لقب من الالقاب السابقة ملىء بالمعنى .

١ ــ فالمسيحيون (شعب مختار) : وهذا يقودنا الى الحديث عن العهد الذى قطعه الله مع شعبه اسرائيل (خروج ١٩ : ٥ و ٦) ففى هذا العهد دخل الله فى علاقة خاصة مع شعب اسرائيل ، فقد طلب منهم أن يكونوا شعبا خاصا له ، وأن يكون الها لهم . ولكن هذه الصلة كانت تعتمد على قبول اسرائيل لشروط العهد وحفظهم للناموس . فتلك العلاقة لا تقوم الا اذا « سمعتم صوتى وحفظتم عهدى » (خروج ١٩ : ٥) ، ونتعلم من هذا أن المسيحى مختار لثلاثة أشياء (ا) انه مختار لامتياز . فالمسيحى مدعو لامتياز الشركة والرابطة بينه وبين الله فى المسيح . فالله قد أصبح خليلا وهو أصبح خليل الله . (ب) انه مختارا (للطاعة) . ان تلك الصلة تعتمد أساسا على الطاعة . فالأمتياز يجلب معه المسئولية ، والمسيحى مختار ليصبح ابن الله المطيع . انه ليس مختارا ليفعل ما يريد هو ، انه مختار ليفعل ما يريده الله . وليس امتيازه فى أن ينفذ ارادته ، بل فى اتمام ارادة الله .

(حـ) أنه مختار (للخدمة) . فله شرف خدمة الله . وامتيازه أن يستخدم لتنفيذ مقاصد الله . ولكنه لن يصلح لذلك الا عندما يطيع الله وينفذ

رغباته . فالمسيحى مختار لامتياز ، ومختار للطاعة ، ومختار للخدمة — ان هذه الحقائق الثلاث العظمى تسير جنبا الى جنب .

٢ — المسيحيون (كهنوت ملوكى) : لقد عرفنا من قبل ان هذا يعنى أن لكل مسيحى حق الاقتراب من الله ، وأن كل مسيحى يجب ان يقدم لله ذاته وعبادته وعمله .

٣ — المسيحيون هم على حد تعبير الكتاب « أمة مقدسة » : ان كلمة «مقدس»تعنى باليونانية (Hagios) ، وقد رأينا من قبل ان تلك الكلمة تعنى « مختلف » ، فالمسيحى قد اختير ليكون مختلفا عن الآخرين . وهذا الاختلاف راجع لانه مكرس لتنفيذ ارادة الله ولخدمته . فقد يتبع الآخرون مثل وطرق العالم ، ولكن ناموس المسيحى الوحيد وصايا الله وارادة الله . فلا يصح لاى شخص ان يخطو خطوة واحدة فى طريق المسيحية ما لم يتأكد مقدما انه ملزم ان يختلف عن باقى الناس .

٤ — المسيحيون هم «شعب اقتناء» : كثيرا ماترجع قيمة شىء ما الى الشخص الذى يمتلكه . فقد يكتسب شيئا عاديا قيمة خاصة ، اذا كان يمتلكه شخص مشهور . فى كل متحف نجد أشياء عادية من ملابس وعصى واقلام وكتب وقطع من الاثاث ، ولكن قيمة تلك الأشياء تعزى لأن شخصا عظيما قد استخدمها يوما ما . فتلك الملكية قد اكسبت تلك الاشياء قيمتها الحالية . وهكذا بالنسبة للمسيحى . فقد يكون المسيحى شخصا عاديا ، ولكنه يكتسب شرفا وعظمة وامتيازا لانه ملك لله . فعظمة المسيحى تنسب الى انه ملك لله .

اسباب السيرة الحسنة

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ . وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا . (٢ : ١١ و ١٢)

ان الوصية الأساسية فى هذا الجزء أن يمتنع المسيحى عن (الشهوات الجسدية) ، ويجدر بنا أن ندرك ما يقصده بطرس من وراء ذلك . فعبارات مثل « خطايا الجسد » و « الشهوات الجسدية » لم تعد تستعمل كما كانت فى الماضى . فعندما نتكلم عن « خطايا الجسد » فاننا نعنى بذلك الخطية الجنسية ، ولكن « خطايا الجسد » فى العهد الجديد تعنى شيئا أكثر من ذلك بكثير . ويورد لنا بولس فى (غلاطية ٥ : ١٩ — ٢١) قائمة بخطايا الجسد ، وتحوى القائمة الخطايا التالية : « زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ،حسد ، قتل، سكر ، ببطر ، وأمثال هذه». ويتضح من هذا أن هناك أكثر من مجرد الخطايا الجسدية ، فخطايا الجسد تحوى شيئا أكثر من الخطايا الجنسية وكل شهوات الجسد . وكلمة « جسد » فى العهد الجديد نعنى شيئا أكثر من مجرد الجسد والطبيعة الجسدية ، وأنها تعنى «الطبيعة البشرية البعيدة عن الله » انها تعنى الطبيعة البشرية الغير متجددة والغير مفدية ، وتعنى الطبيعة البشرية بلا مسيح ، انها تعنى الحياة بدون مثل عليا ، وبدون معونة المسيح ونعمته وتاثيره .. « فالشهوات الجسدية » و « خطايا الجسد » لا تعنى فقط الخطايا الكبرى ، بل تشمل كل خطايا الكبرياء والحقد والكراهية والبهتان والفكر الشرير ، التى هى طابع الطبيعة البشرية الساقطة الآثمة . فالمسيحى يجب أن يمتنع عن كل تلك الخطايا . ويذكر بطرس سببين ، يمتنع المسيحى من أجلهما عن تلك الخطايا .

١ — فالمسيحى يجب أن يمتنع عن تلك الخطايا لأنه (غريب ونزيل) . وهما كلمتان تستعملان للتعبير عن الشخص الذى يقيم فى بلد غريب،أو الذى يقيم مؤقتا فى مكان ما بعيدا عن وطنه فهو لا يعد مواطنا فى المكان المقيم فيه ، ولكنه ينتمى لدولة اخرى . واستخدمت الكلمتان فى وصف الآباء الاول فى تنقلاتهم ، وخاصة ابراهيم الذى تغرب فى أرض الموعد لأنه كان ينتظر المدينة التى صانعها وبارئها الله (عبرانيين ١١ : ٩ و ١٣) ، وللتعبير أيضا عن بنى اسرائيل عندما كانوا غرباء فى أرض مصر واستعبدوا فيها قبل ان يدخلوا أرض الموعد . (أعمال ٧ : ٦) .

ولذا فان هاتين الكلمتين تعنيان حقيقتين عظيمتين عن المسيحى :

(ا) فالمسيحى بحق غريب فى هذا العـالم ، ولأنه غريب فى العالم ، فانه لا يمكن أن يقبل قوانين هذا العـالم وطرته ومثله . قد يقبل الآخرون هذه القوانين والمثل ، ولكن المسيحى ينتمى لملكة الله ، ويجب أن يتبع قوانين تلك المملكة فى حياته . ان المسيحى يحيـا على الأرض ، ولذا فانه يجب أن يتمم كل ما عليه من مسئوليات والتزامات فى الأرض ، ولكن وطنه هو السماء ، ولذا فانه يجب أن يطيع قوانين السماء .

(ب) أن المسيحى يقيم على الأرض اقامة ليست دائمة . انه يسير فى طريقه نحـو وطن آخر ، ولذا فلا يصح أن يوجد فى حياته ما يعطـله عن الوصول لهدفه . لا يجب عليه ان يرتبك بأمور العـالم حتى أنه لا يستطيع منهـا فكاكا . لا يصح أن يخضع لعـادات وطرق تؤثر فى شخصيته لدرجة أنه لا يصلح بعدئذ للملكوت . لا يجب على المسيحى أن يدنس نفسه ، وبذلك يحرم من الوجود فى حضرة الله .

ان المسيحى يجب أن يمتنع عن الشهوات الجسدية لأن ناموسه هو ناموس الملكوت ، وغايته الفرح الأبدى فى حضرة الله .

اعظم رد واعظم دفاع

٢ ــ ولكن بطرس يقـدم لنا سببا قويا آخر لامتناع المسيحى عـن الشهوات الجسدية . فقد كانت الكنيسة الاولى معرضة لنيران المسيحى عن فكانت الاتهامات الكاذبة والشائعات المغرضة توجه دائما ضد المسيحيين ، والطريقة العملية الوحيـدة للقضاء على تلك الشائعات أن يثبت المسيحيون بحياتهم المقدسة كذب هذه الاتهـامات . « وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة » .

وفى اليونانية توجد كلمتان بمعنى « حسن » ، كلمة (Kalos) التى تعنى بديع وجذاب ومحبوب ، وكلمـة Agathos التى تعنى جيد فى النوع . وهذا ما تعنيه كلمة (Honestus) فى اللاتينية ، انها تعنى بديع ، جميل ورشيق . ولذا ، فان بطرس يقول ان المسيحى يجب أن تكون حياته وكل سلوكه محبوبا وبديعا وجميلا ، حتى يظهر للجميع أن كل الشائعات ضده باطلة ولا أساس لها من الصحة .

هنا اذن تبدو الحقيقة العظمى فى المسيحية ، فأعظم دفاع عن المسيحية هو المسيحى الحقيقى ، ولذلك فسواء أردنا أو لم نرد ، فان كل مسيحى هو بمثابة اعلان عن المسيحية . فهو اما أن يحبب الآخرين فى المسيحية بسلوكه ، واما ان يجعلهم يقللون من شأن المسيحية . ان أقوى ارسالية فى العالم هى حياة المسيحى ، وان اظهار الحياة المقدسة امام الناس ، كان يعد فى الكنيسة الأولى أمرا ضروريا لأن الاثنيين كانوا يقومون بحملات دعاية مغرضة ضد الكنيسة المسيحية . ومن بين شائعاتهم التى أطلقوها ما يأتى :

١ — لقد بدت المسيحية فى بادىء الامر وثيقة الصلة باليهود . فكان يسوع يهودى الجنس ، وكذلك بولس ، وكان مهد المسيحية فى اورشليم ، ولذا فان أول معتنقيها كانوا من اليهود قطعا . فكانت المسيحية ترتبط فى ذهن الوثنى باليهود ، وقد ظلت ردحا من الزمن تعد احدى طوائف الديانة اليهودية . ثم أن العداء للسامية من قديم الزمان ، فقد كان اليهود شعبا مكروها . يقدم لنا (فرند لاندر) عينة من الشائعات التى كانت تطلق ضد اليهود فى كتابه « الحياة والآداب الرومانية فى عهد أول امبراطورية » : «طبقا لما جاء فى رويات تاكيتوس فانهم (اليهود) علموا معتنقى اليهودية الجدد أن يحتقروا الآلهة قبل كل شىء وأن يبغضوا وطنهم الاصلى وألا يعيروا التفاتا لوالديهم وأولادهم واخوتهم وأخواتهم . وقال (جوفينال) ان موسى علم اليهود الا يروا الطريق لأى شخص أو يرشدوا المسافر العطشان الى نبع المياه ، ما لم يكن يهوديا . ويعلن (أبيون) (Apion) أنه فى حكم انطيوخس ابيفانس ، كان اليهود كل سنة يسمنون يونانيا ، ويقدمونه كذبيحة فى يوم معين فى احدى الغابات ويأكلون أمعاءه ثم يقسمون على أن يكرهوا اليونان كراهة أبدية . هذه هى الأشياء التى اعتقد الوثنيون بصحتها بخصوص اليهود ، ومن ثم فقد شملت الكراهية المسيحيين أيضا .

٢ — ولكن ، بخلاف تلك الشائعات التى كانت موجهة ضد اليهود ، كانت هناك شائعات أخرى ضد المسيحيين مباشرة . فقد اتهم المسيحيون بأكل لحوم البشر . وقد قام الاتهام نتيجة لتحريف ما قاله يسوع فى العشاء الاخير : « هذا هو جسدى » و « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى »

ولذا فقد اتهم المسيحيون بقتل طفل وأكله فى ولائمهم . واتهموا أيضا بممارسة حرية الاتصالات الجنسية وأنهم قوم يطلقون العنان لشهواتهم . وهذا الاتهام قام على اساس ان المسيحيين يدعون اجتماعهم Agape اى وليمة الحب ، وقد حرف الوثنيون القصد من تلك الاجتماعات فأذاعوا أنها حفلات ترتكب فيها الشائنات ، وتقوم على مجرد اللذات الحسية .

واتهم المسيحيون أيضا بافسادة التجارة . وهذا الاتهام يرجع لاتهام بولس لصائغى افسس (أعمال ١٩ : ٢٤ — ٤١) .

واتهموا أيضا بهدم العلاقات العائلية لما كان يحدث فى العائلات عندما يعتنق بعض أفراد العائلة الديانة المسيحية ، ويرفض باقى افراد العائلة ذلك . واتهموا بتهييج العبيد ضد سادتهم ، والواقع ان المسيحية قد اشعرت كل فرد بحقة وكرامته . واتهموا أيضا « بكراهية الجنس البشرى » على أساس أن المسيحى يعتبر أن هناك عداء مستحكما بين الكنيسة والعالم. وفوق هذا كله فقد انهموا بعدم ولائهم لقيصر ، لانه لا يمكن لاى مسيحى أن يسجد لتمثال الامبراطور أو يحرق له البخور أو ينادى بأن قيصر رب ، لانه لا يعترف سوى بيسوع المسيح وليس آخر .

هذه هى الاتهامات التى كانت موجهة ضد المسيحيين . وكانت الطريقة الوحيدة التى نادى بطرس باتباعها ازاء تلك الاتهامات ، أن يحيا المسيحى حياة تثبت بطلان هذه الاتهامات . عندما أخبر أفلاطون بأن هناك شخصا مايروج ضده شائعات مغرضة كان رده:«ان سلوكى سوف يثبت كذب هذا الشخص » وهذا هو نفس رأى بطرس . قال يسوع نفسه ، ولا شك أن قوله كان يجول بخاطر بطرس ، « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » . (متى ٥ : ١٦) وهذه الفكرة شيء مالوف لدى اليهود ، ففى احدى الكتب التى التى كتبت فيما بين العهدين القديم والجديد ورد هذا القول : « ان فعلتم الصلاح يا أولادى ، فان الناس والملائكة تباركم ، ويتمجد الله بسببكم بين الأمم ، ويهرب منكم الشيطان . » (عهد نفتالى ٨ : ٤) .

ومن حقائق التاريخ المذهلة ، أن المسيحيين قد اثبتوا بحياتهم بطلان

هذه الاتهمات التى روجها الوثنيون . ففى الجزء الأول من القـــرن الثالث الميلادى ، قام سيلسوس (Celsus) بأتوى هجوم منظم ضد المسيحيين اتهمهم فيه بالجهل والغباء واتباع الخرافات وكل شىء ما عدا فساد الاخلاق . وفى النصف الأول من القرن الرابع استطاع ايوسيبس ، مؤرخ الـــكنيسة العظيم . أن يكتب قائلا : « لقد نمت الكنيسة الجامعة فى المجد والاتساع والقوة ، وأشاعت فى امم الأرض من يونان وبرابرة روح التقوى، والبساطة والتواضع ، والطهارة ، التى تنبع من حياة افرادها كمـــــا اذاعت فلسفتها أيضا . وقد اختفت كذلك كل الاتهمات المغرضة ضد الكنيسة ، وقد ساد تعليمنا وحده وقد اعترف الجميع بعظمته وتسامحه وسمو عقائدنا الالهية عن جميع العقائد الاخرى . حتى انه لا يجرؤ أحد منهم الآن أن يلصق تهمة باطلة بعقيدتنا أو أى اشاعة كاذبة كما سر اعداؤنا القـــــدامى أن يفعلوا . . . (أيوسيبس والتاريخ الكنسى ٤ : ٧ : ١٥) حقيقة ان موجات الاضطهاد لم تكف حتى ذلك التاريخ ، لأن المسيحى لا يمكن أن يصرح بأن قيصر رب ، ولكن سمو حياة المسيحيين قد أخرس كل الاتهـــــامات والدعايات المغرضة ضـــد الكنيسة .

فأمامنا هنا باعث قوى، والهام صادق، وهو انه بحسن سيرتنا وسمو حياتنا اليومية يمكننا أن نجذب البعيدين الذين لا يؤمنون الى المسيحية .

واجب المسيحى

فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ . إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ . أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ . لأَنَّ هٰكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ .
(٢ : ١٣ — ١٥)

١ — كمواطن :

يبدأ بطرس هنا فى الكتابة عن واجب المسيحى فى مختلف قطـــــاعات

الحياة ، ويستهل ذلك بالكتابة عن واجب المسيحى كمواطن فى البلد الذى يحيا فيه . فالعهد الجديد لا يحبذ أى نوع من أنواع الفوضى . قال يسوع : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . (متى ٢٢ : ٢١) . وقد أكد بولس أن الحكام مرتبين من الله ويستمدون سلطانهم من الله ، وأن من يعمل الصلاح لا يخاف منهم (رومية ١٣ : ١ — ٧) . وفى الرسائل الرعوية يطلب من المسيحى أن يصلى لكل الذين فى منصب (١ تيموثاوس ٢ : ٢) فالعهد الجديد يطلب من المسيحى أن يكون مواطنا صالحاً ونافعا للبلد الذى يحيا فيه .

لقد قيل ان الخوف هو السبب فى بناء المدن ، وان الناس اختفت خلف الجدران حتى تكون فى مأمن . فالناس قد اتحدت معا واتفقت على أن تتبع قوانين معينة حتى يستطيع الشخص الشريف الصالح ان يؤدى عمله فى أمان ، وان يكون فى سلام ، وحتى يمتنع الشخص الشرير عن فعل الشر . والعهد الجديد يوضح لنا أن الله قد قصد أن تكون الحياة منظمة ، وأن الدولة معينة من الله لحماية هذا النظام .

وان فكرة العهد الجديد منطقية وعادلة ، لانه ينادى بان الشخص لا يحق له ان يتمتع بأية امتيازات تمنحها له الدولة ما لم يتحمل المسئوليات والواجبات التى تتطلبها الدولة منه . فلا يصح لرجل شريف ان يأخذ كل شىء لنفسه دون أن يعطى شيئا فى مقابل ذلك .

ولكن كيف نقيس ذلك على حياتنا العصرية ، وعلى واجبنا كمواطنين اليوم ؟ أشار كارنفيلد أن هناك اختلافا جوهريا بين الدولة فى وقت العهد الجديد ، والدولة كما نعرفها الآن . فقد كانت الدولة قديما دولة دكتاتورية ، كان الحاكم يحكم فيها حكما مطلقا ، وواجب المواطن الوحيد الخضوع والطاعة التامة للدولة ، ودفع الضرائب التى تحددها الدولة (رومية ١٣ : ٦ و ٧) ، فقد كان الاساس هو الخضوع للدولة .

ولكننا لا نعيش فى ظل دولة دكتاتورية ، ان دولتنا ديموقراطية ، وفى الدول الديموقراطية هناك شىء اكثر من مجرد الخضوع المطلق للدولة . الحكومة الديموقراطية ليست فقط حكومة الشعب ، انها أيضا لأجل الشعب وبالشعب . وان ما يطلبه العهد الجديد من المسيحى أن يوفى بمسئولياته والتزاماته من نحو الدولة . وفى الدول التى تتمركز فيها السلطة فى يد فرد ،

يعنى هذا الالتزام الخضوع التـــام . ولكن ما هـــو الالتزام فى دول ديموقراطية ؟ وبمعنى آخر ، اذا كان الخضوع للدولة هو الالتزام الوحيد على المواطن فى الدول الدكتاتورية ، فما هو المطـلوب من المواطن فى الدولة الديموقراطية ؟

حقا ، فى كل دولة يلتزم المواطن بقدر معين من الخضوع . كما ذكر كارنفيلد يجب أن يكون هناك « نوع من التنازل الارادى من الفـرد نحـو الآخـرين ، مفضلا صالح الآخرين على مصلحته الخاصـة ، محبا للعطاء أكثر من الأخذ ، وأن يخـدم أكثر من أن يخـدم » . ان الاساس فى الدولة الديموقراطية ليس الخضوع ، بل التعـــاون ، لان واجب المواطن ليس أن يخضع للحكم فقط ، بل أن يشترك فى الحـكم . ومن ثم ، فواجب المواطن أن يشترك فى حكم الدولة ، انه يجب أن يشترك فى الحـــكم المحلى للمدينة والأقاليم والمحافظة حيث يقطن ، انه يجب أن يشترك فى الحياة العامة وفى أدارة اتحادات العمال أو الرابطة أو النقابة ذات الصلة بتجارته او حرفته أو وظيفته . والواقع ، أنها لمأساة العصر الحالى أن قليلا من المسيحيين يوفون بالتزاماتهم من نحو الدولة والمجتمع الذى يعيشون فيه .

أن المسيحى يجب أن يذكر جيدا أن تعليم العهد الجديد ينادى انه يجب أن يعفى بالتزامه كمواطن فى بلده ، يجب أن يدرك جيدا أنه اذا كان واجب المسيحى فى الدول الدكتاتورية الخضوع والطاعة الا أن واجبـه فى الدول الديموقراطية أعظم وأكثر مسئولية.فواجبـه التعـــاون فى كل ما يتعـلق بمصالح الدولة والحكومة والادارة .

يبقى لنا أن نقول ان المسيحى عليه التزام أعظم من التزامه نحـــو الدولة . فبينما يتحتم عليـه أن يعطى كل ما لقيصر لقيصر ، فانه يجب أن يعطى ما لله لله . انه يجب أن يضع فوق كل اعتبار انه ينبغى أن يطاع أكثر من الناس (أعمال ٤ : ١٩ ، ٥ : ٢٩) . فقد يصح أن يجتاز المسيحى اوقاتا ينبغى عليه فيها أن يتمم واجبه نحو الدولة برفضه طاعتها ، وباصراره على طاعة الله ، لأنه ان عمل ذلك فانه يشهد للحق على الاقل ، وقديستطيع أن يجبر الدولة على ان تتخذ الحل المسيحى .

واجب المسيحى

كَأَحْرَارٍ وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ.

(٢ : ١٦)

يمكن تحريف اى تعليم مسيحى ليكون سترة نعمل الشر . فتعليم النعمة يمكن اساءة تفسيره على أساس انه يبيح ارتكاب الخطية . وتعليم محبة الله يمكن اساءة فهمه على انه اباحة لكسر ناموس الله . وتعليم الحياة الأبدية يمكن تحريفه على انه مناداة باهمال هذا العالم . وليس هناك تعليم يسهل تحريفه كتعليم الحرية المسيحية .

فهناك اشارات وردت فى العهد الجديد اسىء فهمها كثيرا . فبولس يخبر أهل غلاطية بأنهم قد دعوا للحرية ، فلا يصح أن يصيروا الحرية فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) ، ونقرأ فى رسالة بطرس الثانية عن أولئك الذين يعدون بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد (٢ بطرس ٢ : ١٩) . وحتى أعظم المفكرين الوثنيين ، قد نادوا بأن الحرية التامة هى فى الواقع نتيجة للطاعة الكاملة . قال سنيكا : « أن من يستعبد للجسد لا يمكن أن يكون حرا » و « الحرية فى طاعة الله » وقال شيشرون : « اننا عبيد للقوانين حتى نستطيع أن نتحرر » ، ونادى بلوتارك أن كل شخص شرير عبد ، وأعلن ابكتيتوس انه لا يمكن لأى شرير أن يكون حرا .

ويمكن لنا نحن أن نقول ان الحرية المسيحية مشروطة دائما بالمسئولية المسيحية . والمسئولية المسيحية مشروطة بالمحبة المسيحية . والمحبة المسيحية هى انعكاس محبة الله . ولذا فالحرية المسيحية يمكن تلخيصها فى عبارة أوغسطينوس الخالدة : «احب الله ، واعمل كما تريد» .

ان المسيحى حر لانه عبد الله . فحريتنا التامة فى خدمة الله . والحرية المسيحية لا تعنى أن نكون أحرارا لنفعل كما نريد فى تنفيذ ما تمليه علينا دوافع وميول طبيعتنا الساقطة . ان الحرية المسيحية تعنى الحرية أن نعمل لا حسب ما نريد نحن ، بل ما ينبغى عمله .

وفى هذا المقام ، علينا أن نعود للحقيقة العظمى التى ذكرناها من قبل . ان المسيحية (مجتمع) ، والمسيحى ليس فرد منعزل عن الآخرين . انه عضو فى هذا المجتمع ، وحريته داخل نطاق هذا المجتمع . ولذا فان الحرية المسيحية هى حرية الخدمة . ففى المسيح وحده يتحرر الانسان من الذات والخطية ويصبح عنده الدافع نحو الصلاح . فى المسيح وحده يتحرر الانسان من الأنانية ويسعى ليصبح خادما عظيما كما ينبغى أن يكون . ان الحرية فى أن يحمل الانسان نور المسيح ، وعندما يقبل المسيح ملكا وربا على حياته .

تلخيص واجبات المسيحى

أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ . أَحِبُّوا الإِخْوَةَ . خَافُوا اللهَ . أَكْرِمُوا الْمَلِكَ .
(٢ : ١٧)

نجد هنا تلخيصا لواجب المسيحى فى اربع نقاط :

١ ــ (اكرموا الجميع) . قد يبدو لنا انه لا يوجد ثمة داع لهذا القول ، ولكن فى الوقت الذى كتب فيه بطرس الرسالة كان ذلك القول ضروريا . وكما سنرى فيما بعد ، كان يوجد فى الامبراطورية الرومانية ٦٠ مليونا من العبيد ، وكان كل واحد منهم لا يعامل كانسان بل كمجرد سلعة ، فلا حقوق له على الاطلاق . فكأن بطرس يقول « اذكروا حقوق الانسان وكرامته ، اذكروا أن كل انسان فى هذا العالم شخص وليس سلعة » ، هل يمكن اعتبار الانسان كسلعة تباع وتشترى ؟ ، ان الرئيس قد يعامل مرءوسيه كأدوات للانتاج ، وحتى فى الدول التى تعمل لصالح أبنائها ، هناك خطر قائم أن يعامل أفراد الشعب كمجرد أرقام أو كبطاقات فى فهرس البطاقات . قال جون لورنس فى كتابه «المسيحى ينظر الى العالم»، ان احدى الحاجات الملحة للدولة « أن لا تنسى أن أولئك المدرجين فى المستندات والأوراق الرسمية ليسوا سوى مخلوقات الله ، وانه يجب معاملتهم على هذا الاساس ، وليس كمجرد أرقام فى تلك المستندات » ، وبمعنى آخر أن هناك خطرا فى عدم استطاعتنا أن نرى الرجال والنساء فى مكانتهم اللائقة بهم . ويتضح هذا ايضا فى دائرة المنزل . فعندما لا ننظر الى اى انسان الا

من زاوية خدمته لمصالحنا ، وتحقيق أهدافنا ، فاننا فى الواقع لا نعتبره انسانا بل سلعة . فالخطر الداهم ينجم من اعتبار اقرب المقربين الينا وكأنهم أدوات وجدت لراحتنا ــ اننا بذلك نعاملهم كمجرد سلع .

٢ ــ (أحبوا الأخوة) . ان احترام الناس داخل نطاق المجتمع المسيحى لهو شىء اقوى وأعمق من مجرد الاحترام . انها محبة ، فالمحبة يجب أن تسود الكنيسة . وأن أصدق تعريف للكنيسة هو انهـا « أسرة كبيرة » . ان الكنيسة هى عائلة الله الكبرى ، والمحبة تربط افرادها . وقد قال المرنم : « هوذا ما احسن وما اجمل أن يسكن الاخوة معا » . (مزمور ١٣٣ : ١) .

٣ ــ (خافوا الله) قال كاتب سفر الأمثال : « رأس الحكمة مخافة الله » (أمثال ١ : ٧) وكان يستحسن لو لم تكن الترجمة « رأس الحكمة مخافة الله » بل « أساس » الحكمة مخافة الله ، كما جاءت فى هامش الطبعة الاصلية . وأن كلمة (مخافة) هنا لا تعنى الرعب ، بل تعنى الرهبة والاحترام . وانها لحقيقة واضحة اننا لن نحترم الناس ونقدرهم قبل أن نخاف الله ونرهبه . واننا لايمكن أن نزن الأمور بميزانها الصحيح قبل أن نعطى الله حقه من العبادة والاحترام .

٤ ــ (أكرموا الملك) يعتبر ذلك الأمر من أغرب الأوامر الاربعة التى وردت فى هذا العدد ، وذلك لأن بطرس هو كاتب تلك الرسالة ، اذن فالملك المشار اليه هو نيرون . وأن تعليم العهد الجديد بهذا الخصوص ينادى بأن الحاكم مرسل من الله لحفظ النظام بين الناس ، وانه يجب أن يلقى احتراما حتى ولو كان نيرونا .

واجب الخدم

أَيُّهَا الْخُدَّامُ كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضاً. لِأَنَّ هٰذَا فَضْلٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ

مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ. بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ فَهذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ. لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ. الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا.

(٢ : ١٨ — ٢٥)

ان هذه الفقرة موجهة الى اكبر عدد من القــــارئين والسامعين لتلك الرسالة ، لان بطرس يكتب فيها للخدام والعبيد . الــذين كانوا يمثلــون السواد الأعظم فى الكنيسة الأولى .

والكلمة اليونانية التى استخدمها بطرس للتعبير عن (الخدام) ليست كلمة (Douloi) وهى اكثر الكلمات شيوعا للتعبير عن (العبيد) انه يستخدم كلمة (Oiketai) وهى تعبر عن العبيد الذين فى خدمة المنزل .

ولكى نفهم ما يقصده بطرس جيدا ، يجب أن نعى شيئا عن طبيعة العبــودية والخــدمة فى عصر الكنيســة الاولى . فقد كان فى الامبراطورية الرومانية حوالى ٦٠ مليونا من العبيد ، ولقد كان هنــاك عدد قليل من العبيد فى روما منذ أقدم العصــور ، ولكن الرق قد بدأ منذ الفتح الرومانى ، لأن العبيد كانوا يجلبون كأسرى حرب . وكان العبيد يعدون بالملايين فى وقت

كتابة العهد الجديد . ولم يقم العبيد بمجرد الاعمال المنزلية فحسب ، فقد كان منهم الاطباء والمعلمون والموسيقيون والممثلون والوكلاء والكتبة. ولميكن السادة يقومون بأداء أعمالهم ، فكان العبيد هم الذين يؤدون العمل لكى يحيا المواطنون فى رفاهية عاطلة . ولم يكن عدد العبيد يتناقص . ولم يكن يسمح للعبيد بالزواج ، ولكنهم كانوا يستخدمون كأداة للانجاب ، وكان الأطفال الذين ينجبون يعدون ملكا للسيد وليس لوالديهم ، تماما كما أن الحملان التى تولد فى قطيع من الغنم تعد ملكا لصاحب القطيع ، وليس للغنم .

وقد يكون خطأ أن نعتقد بأن جميع العبيد كانوا تعساء وغير سعداء ، فقد كان كثير من العبيد موضع حب وثقة بين أفراد العائلات ، ولكن مع ذلك ، فهناك حقيقة أساسية تطغى على كل شيء . فلم يكن العبد يعد شخصا فى القانون الرومانى ، بل كان سلعة ، ولم تكن له أية حقوق شرعية . فمهما أحسنت معاملته ، فانه ما يزال سلعة ، لا حق له فى امتلاك أى شيء ، حتى نفسه لم تكن ملكا له . فلم يكن هناك ما يسمى بالعدالة من ناحية العبد . قال ارسطوطاليس : « يمكن أن تكون هناك صداقة أو عدالة تجاه الجماد ، أو تجاه حصان أو ثور ولا حتى بالنسبة للعبد ، لأنه لا يوجد أى تشابه بين السيد والعبد ، فالعبد أشبه ما يكون بأداة صماء » يقسم (فارو) أدوات الزراعة الى ثلاث فئات ــ ناطقة وغير ناطقة وجماد ، فالناطقة « تشمل العبيد والغير ناطقة تشمل الماشية ، والجماد يشمل العربات » ، والفرق الوحيد بين العبد والحيوان أو عربة الحقل هو أن العبد قادر على الكلام . ويوجز (بيتر كريسولوجس) الامر قائلا : «أن كل تصرف من السيد نحو العبد ، ان كان بغير استحقاق أو بغضب ، طوعا أو كرها منه ، متذكرا أو ناسيا ، بعلم أو بغير علم ، فهو قضاء وعدلا وقانونا » ، أى أن ارادة السيد أو حتى أهواء السيد هى القانون الوحيد للعبد .

فالحقيقة الأساسية فى حياة العبد ، أنه حتى أن أحسنت معاملته فانه يظل سلعة ، لا حق له فى أى حقوق جوهرية للفرد ، ولا يعرف ما يسمى بالعدالة .

مشكلات الوضع الجديد

فى وسط تلك الظروف جاءت المسيحية برسالتها ، ان كل انسان له قيمة فى نظر الله ، وبالأخبار السارة أن الله يحب كل انسان . وكان نتيجة ذلك أن الحواجز الاجتماعية فى الكنيسة قد زالت . فكان (كالستوس) ، وهو واحد من أوائل الاساقفة فى روما ، عبـــدا . لقد كانت النسبة الغالبة من المسيحيين الأوائــــل نفـــرا متواضعـــا ، كان عــــدد كبير منهـــــم عبيـــدا ، وقد كان يحدث فى احدى الاجتماعات الأولى أن يقود الاجتماع أحد العبيد ، ويكون سيده عضوا فى الــــكنيسة . لقد كان ذلك موقفا ثوريا جديدا ، لــــه أمجاده وله مشكلاته ايضا . وفى هذه الفترة يحث بطرس العبد ان يكـــون صالحا وعاملا أمينا ، فـــهو يخبر العبيد أن يخضعوا للسادة ويطيعونهم . فقد كان يجول بخاطر بطرس من خطرين من أخطار الموقف الجديد .

١ ــ لنفترض أن كلا من السيد والعبد قد اصبح مسيحيا . فهناك خطر اذن أن يستغل العبـــد تلك العلاقة الجـــديدة ، فيهمـــل فى أداء عمـــــله ولا يؤدى واجبه،ويتباطأ فى القيام بالمفروض عليه.وقد يحس انه طالما انه هو وسيده مسيحيان فانه يفعـــل ما يحـــلو له ، وان ذلك مدعاة للافلات مـــن العقـــاب . فهناك كثير من الناس الذين كانوا يستغلون طيبة وعطف السادة المسيحيين . ويظنون أنهم ما داموا مسيحيين كسادتهم ، فان هذا يعطيهم الحق فى النجـــاة من العقاب . ولكن بطرس يوضح ان العلاقة بين المسيحى واخيه تحمل فى طياتهـــا العلاقة بين الانسان واخيه الانسان . فالمسيحى فى الواقع يجب أن يكون عاملا افضل من أى شخص آخـــر ، ومسيحيته ليست مدعاة لتهربه من العقاب اذا اخطأ ، بل انها يجب ان تسلحه باتباع الأوامر الصادرة اليه بأكثر دقة ، وتجعله يصدع لصوت ضميره أكثر من أى شخص آخر .

٢ ــ كان هناك ايضا خطر من أن الكرامة التى اتت بها المسيحية الى العبد ، قد تجعله يعصى ، ويسعى لابطال الرق كلية . كثير من دارسى العهـــد الجديد يندهشون لعدم وجود ما ينص على القضاء على الرق فى العهـــــــد الجديد أو حتى مجرد الاشارة الى أن الرق خطأ . والسبب فى ذلك بسيط .

فتشجيع العبيد أن يثوروا ضد سادتهم يؤدى الى خطــر ماحق . فقد قامت ثورات كهذه ، ولكنها سرعان ما أخمدت فى الحال . وتعليم كهــذا قد يجعل المسيحية تشتهر بــأنها ديانة ثورية انقــلابية . فهنــاك بعض الأشياء التى يجب أن تتم فى بطء ، وهناك بعض المواقف التى تحتاج للصبر ، وقد يؤدى فيها الاجراء السريع الى ما لا تحمد عقبــاه مع عدم التوصل الى النتائج المرجوة . (فخميرة) المسيحية كان يجب ان تتفاعل فى العــالم أجيالا طويلة قبل أن يصير استئصال الرق حقيقة واقعة . وأن بطرس يريــد أن يؤكــد ان العبيــــد المسيحيين يجب أن يظهروا للعالم أن مسيحيتهم لا تجعلهم متذمرين ثوريين أو عصــــاة ، بل عمالا يؤدون عملهم دون أن يكون هناك ما يخجلون منه ، وأن سرورهم هو فى أداء عملهم اليومى بأمانة . فقــد يحدث كثيرا أنه عندما لا تكون الظروف مواتية فان المسيحى يجب أن يؤدى واجبه على الوجه الاكمــــل بالرغم من تلك الظروف ، ويقبل ذلك حتى تؤدى (خميرة) المسيحية عملها فى النهاية .

نظرة جديدة الى العمل

ولكن المسيحية لم تكتف بتقديم حلول سلبية للمشكلة . لقد قدمت ثلاثة مبادىء عظمى يسترشد بها العبد والخادم .

١ــ فالمسيحية قد خلقت علاقة جديدة بين السيد والعبد. فعندما أرسل بولس العبد الهارب انسيمس الى فليمون ، لم يقترح ابدا ان يطلق فليمـــون سراح انسيمس . ولم يقترح انه لايصح ان يكون فليمون سيدا وانسيمس عبدا كل ما قاله ان فليمون يجب ان يقبل انسيمس لا كعبد ، ولكن كأخ محبوب (فليمون ١٦) . ان المسيحية لم تلغ الفــــوارق الاجتماعية ولا قضت على الفروق القائمة بين السيد والعبد ، ولكنها خلقت علاقة جديدة بينهما تتخطى حدود تلك الفوارق وتغيرها . فحيث توجــــد أخوة حقيقية ، فلا يهم تسمية شخص بالسيد والآخر بالعبد . ان الرابطــة الجديدة بينهما تحيل هـــذه الفوارق التى فرضتها ظروف المجتمع ، الى أخوة صادقة . ان الحل العملى لمشكلات العالم يكمن فى العلاقة الجديدة بين الانسان وأخيه والتى تأتى بها المسيحية .

٢ ــ ان المسيحية قد أتت بنظرة جديدة للعمل . فالعهـد الجديد يوضح لنـا أن كل ما نعمله يجب ان نعمله لأجل يسوع المسيح . يكتب بولس قائلا : « وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع » (كولوسى ٣ : ١٧) ، « فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله . (١ كورنثوس ١٠ : ٣١) . فمن المبـادىء المسيحية ان العمـل لا يعمل من اجل سيد أرضى ، ولا من أجل مجد شخصى ، وليس ايضا لأجل مغنم مادى ، ان العمل يعمل لأجل الله . فصحيح أن الشخص المسيحى يجب ان يعمل ليكسب لقمة العيش ويجب ان يعمل ليرضى سيده ، ولكن فوق كل ذلك فان عمل المسيحى يجب ان يكون تاما حتى لا يكون هنـاك ما يخشى منه أمام الله . ان المسيحى خادم الله فمهما كان متواضعا ، فانه ما دام للصالح العام فانه يعمل لأجل الله .

٣ ــ ولكن عند تطبيق هذه المبادىء على الموقف فى الـكنيسـة الاولى ــ هب ان الموقف لم يتغير ــ فهناك اذن سؤال هام يلح علينـــا . لنفرض أن شخصا ما مسيحيا ، وهب انه يعــامل الآخرين وفقا لنظرته المسيحية للأمور ، فيتمم عمله على الوجه الأكمل، ولكن لنفرض انه عومل فى مقابل ذلك بقسوة وظلم واهانة واساءة ــ فماذا اذن ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتضح من موقف « العبد المتألم » كمــا ورد فى العهـد القديم . لقد أجاب بطرس على هذا السؤال بأن ذلك هو ما حدث بالضبط مع يسوع . وأن يسوع هو نفسه « العبد المتألم » فالأعــداد من (٢١ ــ ٢٥) مملوءة باقتباسات مما جاء فى اشعياء (٥٣) . ففى ذلك الأصحاح نجـد الصورة المتكاملة لعبد الله المتألم، الذى تم كل شيء عنه فى شخص المسيح . فكان المسيح بلا خطية ، ومع ذلك فانه أهين وتألم ، ولكنه تحمل كل هذه الآلام والاهانات بسبب المحبة التى جعلته يأتى ليموت من اجل خطايا الجنس البشرى . وبذلك فانه ترك لنا مثـالا لكى نتبع آثار خطواته (عدد ٢١) والكلمة التى يستعملها بطرس تعبـيرا عن « مثالا » قد تعنى شيئين : فهى قـد تعنى الاطار الخارجى لاحـدى الصور أو الرسومات التى تحتاج الى تكملة، وقد تعنى السطر الأول فى احدى كتب تعلم الخط ، وهو السطر الذى يحاول الطفل كتابة سطور على نمطه ، فالمسيح قد قدم لنا نموذجا لنعمل مثله . فان كان علينا أن نتحمل الاهانة والظلـم والاسـاءة ، فاننا يجب ان نجتـاز فيما قد اجتاز هو من قبل . ولربمـا كان

يفكر بطرس فى حقيقة عظمى وقتئذ . فان آلام المسيح كانت لأجل خطية الانسان ، فقد تألم لارجاع البشر الى الله . وانه بسبب الآلام التى يتحملها المسيحى بثبات بالغ ، وبمحبة قوية فانه بذلك يقدم مثالا حيا للآخرين ، فيهتدون به الى الله . ولعل تلك الآلام التى يتحملها المسيحى تقود الناس الى الله ، وبذلك يكون المسيحى مشتركا فى آلام المسيح الفدائية عن البشر .

اسمان عظيمان من أسماء الله

١ — راعى نفوس البشر :

فى آخر عدد من هذا الأصحاح ، نجد اسمين عظيمين من أسماء الله ، فان الله هو (راعى نفوسنا وأسقفها) . واننا نحتاج للتأمل قليلا فى هذين الاسمين العظيمين .

١ — فالله (راعى نفوس البشر) ، وكلمة (راعى) من أقدم صفات الله . فقد قال المرنم فى أحب مزمور له « الرب راعى » (مزمور ٢٣ : ١) ، وقال اشعياء : « كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (اشعياء ٤٠ : ١١) .

والملك العظيم الذى ارسله الله الى اسرائيل ، كان ليرعاهم . فحزقيال يستمع لوعد الرب يقول له : «واقيم عليا راعيا واحدا فيرعاها عبدى داود هو يرعاها وهو يكون لها راعيا » (حزقيال ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤) .

وهو نفس اللقب الذى يتخذه المسيح لنفسه ، عندما أسمى نفسه « الراعى الصالح» ، وعندما قال « ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يوحنا ١٠ : ١ — ١٨) ، وقد اعتبر المسيح الرجال والنساء الذين لم يعرفوا الله والذين ينتظرون ما يمنحه المسيح اياهم ، أعتبرهم كغنم لا راعى لها (مرقس ٦ : ٣٤) وأن الامتياز العظيم الممنوح لخادم المسيح ان يرعى قطيع الله (يوحنا ٢١ : ١٦ ، ١ بطرس ٥ : ٢) .
وقد يصعب على أولئك الذين يعيشون فى مدن وبلاد صناعية أن يفهموا حقيقة منظر الراعى ، ولكن المنظر فى الشرق منظر فريد ومعبر .

وخاصة فى اليهـودية . فقد كان يوجد فى اليهـودية هضبة عالية تتوسطها ، وهنـاك خطر فى كلا الجانبين . فكان فى الغرب أراضى جرداء ، ومن الشرق الصخور المرتفعة الشديدة الانحدار والتى تنحدر انحـدارا فجائيا لمسافة ٢٠٠٠ قـدم حتى البحر الميت . فكانت الأغنـام ترعى على الهضبة الضيقة حيث الحشائش المتفرقة ، ولم تكن هنـاك اية أسوار لحماية القطيع من السقوط ، وكانت الخراف تتجول . ولذا ، فكان الراعى حـذرا للغاية لئـلا يلحق الضرر بالقطيـع . يصف السير جورج آدم سميث فى كتابه « جغرافية وتاريخ الارض المقدسة » راعى اليهودية بالقول : « غالبا ما تترك الاغنام عندنا دون راع ، ولكنى لا اذكر انى رايت قطيعا من الاغنام فى الشرق دون راع . ففى بلاد كاليهودية ، حيث تتناثر الحشائش هنا وهنـاك فى الاقليم دون أية أسوار ، وحيث توجد بها الممرات المضللة التى كثيرا ما توجد بها الحيونات المفترسة ، لا يمكن الاستغناء عن انسان يرعى القطيع . فعلى تلك الهضاب المرتفعة التى تعوى فيها الضباع بالليل ، تجد الراعى وهو ساهر ، وقـد اضناه التعب والبرد ، نجده حذرا مسلحا ، مستندا على عصاه متجها ببصره نحو قطيعه المتبعثر ، وكل واحد من افراد قطيـعه يحتل مكانا فى قلبـه ، عندما ترى ذلك تدرك لماذا احتل الراعى مكانا بارزا فى تاريخ بلاده ، ولماذا اطلق اسمه على ملكهم ، وجعل رمزا للرعاية والعـناية ، ولمـاذا اعتبره المسيح عنوانا لبذل النفس والتضحية » .

والواقع ، أن كلمة راع تبرز لنا بوضوح طبيعة محبـة الله الساهرة علينا ، والمضحية لأجلنا ، وذلك لاننا قطيعه « اننا شعبه وغنم مرعاه » . (مزمور ١٠٠ : ٣) .

٢ ـ أسقف نفوسنا :

(٢) ان كلمة « اسقف » هى ترجمة غير دقيقة للكلمة . لقـد وردت الكلمة باليونانية (Episkopos) ، ولهذه الكلمة اليونانية تاريخ حافل . فى الياذة هوميروس يدعى « هيكتور » بطل أهل طروادة (Episkopos) ، وهو الذى أنقذ مدينة طروادة وأمن حيـاة نسائها وأطفالها . فان كلمة (Episkopos) تستخدم للتعبير عن الآلهة التى تؤمن على المعاهدات التى يعقدها البشر وعلى الاتفاقات التى يتوصلون اليهـا ، والتى تحمى المنـازل والعائلات . فمثلا العـدل ، يعتبر الرقيب (Episkopos) الذى يضمن ان

الانسان يكفر عما ارتكب من اخطاء .

ففى (قوانين) افلاطون نجد أن حماة حمى الـــدولة هم أولئك الذين يشرفون على الألعاب التى يقوم بها الاطفال وعلى تغذيتـــهم وتعليمهم حتى (يشبوا اصحاء فى اجسادهم ، وحتى لا ينجرفوا فى تيار العادات الخاطئة) ، والناس الذين يدعوهم افلاطون بوكلاء التجارة (Episkopos) هم الذين « يشرفون على السلوك الشخصى ، ويلاحظون أى انحـــراف فى السلوك ، لمعاقبة أولئك الذين يستحقون العقاب » .

وفى القـــوانين والنظم الاثينية كان الـــ (Episkopos) هم الحكام والاداريون والمفتشون الذين يرسلون لمراقبة الولايات حتى يتأكدوا من تنفيـــذ القانون والنظـــام . وفى رودس كان خمســـــة من الولاة (Episkopoi) يهيمنون على القانون والنظام فى الدولة .

من ذلك نرى أن كلمة (Episkopos) متعددة المعانى ، ولكنها دائما تحمل معنى سام . انها تعنى حامى حمى الأمن العام ، والمهيمن على الكرامة والحق والامانة ، والرقيب على التعليم الدقيق والآداب العامة ، ومنفـــــذ القانون العام والنظام .

فعندما ندعو الله بأسقف (Episkopos) نفوسنا فاننا نعنى بذلك انه حامينا ، وولينا ، وقائدنا ، ومرشدنا .

ان الله راعى نفوسنا وحاميها . فبمحبته يرعانا ، وبقـــــوته يحمينا ، وبحكمته يرشدنا ويقودنا الى الطريق الصحيح .

الأصحاح الثالث

الأثر الطيب للسيرة الطاهرة

كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ . مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ .

(٣ : ١ و ٢)

يتحدث بطرس الآن عن المشاكل العائلية التى كان لابد أن تحدث بسبب المسيحية . فعندما يتحول أحد أفراد العائلة فيصير مسيحيا ، بينما يظل الطرف الثانى على ما هو عليه ، كان لابد أن تنشأ مشاكل نتيجة لذلك . وقد يبدو غريبا أن نصائح بطرس للزوجات ستة أضعاف نصائحه للأزواج ، ولكن هذا لأن مشاكل الزوجة تفوق بكثير مشاكل الزوج . فعندما يربح الزوج للمسيح ، فانه من الطبيعى أن يأخذ زوجته معه للكنيسة ، ومن ثم لا تكون هناك أى مشكلة . ولكن اذا صارت الزوجة مسيحية ، فان ذلك أمر لم يكن متوقعا حدوثه فى العالم القديم ، وكان يعد سببا فى مشاكل حادة . فلم يكن للسيدات أية حقوق فى جميع مجالات الحياة فى الحضارة القديمة . ففى القانون اليهودى ، لم تكن المرأة شيئا يذكر ، وكانت ملكا لزوجها تماما كما كان يمتلك قطيعا من الغنم والماعز ، لم تكن تستطيع أن تتركه مع أنه يستطيع أن يطردها فى أية لحظة . فان تغير المرأة ديانتها ، بينما يظل الزوج على ديانته ، فهذا شىء لم يكن يتصوره أحد . وكان على المرأة فى الحضارة اليونانية أن « تقبع داخل الدار وأن تكون مطيعة لزوجها » ، وكانت المرأة الصالحة هى المرأة التى ترى وتسمع وتتكلم بأقل قدر ممكن . فلم يكن لها أى كيان مستقل أو فكر مستقل عند زوجها ، ويستطيع زوجها أن يطلقها غالبا وفق أهوائه ما دام يرد لها ما دفعته من مال .

ولم تكن للمرأة أيضا حقــوق فى ظل القانون الرومانى . فكانت تعامل حسب القــانون كطفلة ، فعندما كانت فى عصمة والدها كانت تخضع لنفــوذ الأب وقد كان القــانون يخول له حق الحياة والموت لها ، وعند زواجهـــا كانت تخضع أيضا لنفوذ زوجها ، وكان خضوعا مطلقا حتى صارت تحــت رحمته تماما ، كتب كــاتو (Cato) الضابط الرومانى قائلا : « انك لو ضبطت زوجتك متلبسة بجريمة الخيانة الزوجية ، فلك الحق فى قتلهـــــا دون أن تعاقب قانونا » ولقد كان محرما على الســيدات الرومانيات شرب الخمر ، ولقــد ضرب (اغناطيوس) زوجته حتى الموت عندما وجدها تشرب الخمر . وطرد (سولبيكيوس جالوس) زوجته لأنها ظهرت فى الشوارع بدون برقع . وطلق (انتستيوس فيتوس) زوجته لأنه رآها تتكلم سرا مع امرأة متحــررة أمـــام الناس . وطلــق (بوليوس سيمبرنيوس) زوجتـــه لأنه رآها مرة تذهب الى الألعاب العامة . فقد كانت الحضارة القديمة تحرم على أية سيدة أن تتخذ قرارا بنفسها . فكم وكم اذن تكون مشكلة الزوجة التى تصير مسيحية بينما يظل زوجها فى عبادة آلهة أجداده ؟ ، انه يستحيل علينا أن ندرك خطورة الموقف بالنسبة للزوجة التى تجرؤ على ان تعتنق المسيحية فى ذلك الوقت . فما هى نصيحة بطرس ازاء موقف كهذا ؟ لنلاحظ أولا ما لم ينصح به بطرس . انه لم ينصح الزوجة أن تترك زوجهـــا ، وبهذا اتخذ نفس الموقف الذى اتخذه بولس (١ كورنثوس ٧ : ١٣ — ١٦) . فكل من بطرس وبولس يرى أن الزوجة المسيحية يجب أن تظل مع الزوج الوثنى ما لم يطردها . انه لم يقــل للزوجة أن تبشر أو ان تجــادل أو توبخ زوجهـــا . انه لم يقل للزوجة ان تنادى بأن ايمانها يعلن أنه لا فرق بين عبد وحر ، أممى ويهـــودى ، ذكر وانثى ، بل الجميع واحد فى نظر المسيح الذى تعرفت به . فما الذى قاله اذن ؟

انه يجدها شيئا بسيطا — ان تكون زوجة صــــــالحة . فبسيرتها الطاهرة ، يمكنها ان تكون عظـــة صامتة تتخطى حواجز العداوة والضغينة فتربح زوجها للسيد . انهـــا يجب ان تكون (خاضــــــعة) . وهو ليس الخضوع المستكين الذليل ، انه الخضوع الذى وصفه أحــدهم بالقــول « انه الخروج عن نطـــاق الذات » ، انه الخضوع القـــائم على موت الكبرياء ، والتحرر من الذات ، والرغبة الصادقة للخدمة . انه ليس خضوع

الخوف ، بل خضوع المحبة الكاملة .

انها يجب أن تكون « طاهرة » ، يجب أن تتسم حياتها بالعفاف والأمانة القائمتين على المحبة .

انها يجب أن تحيا فى (خوف) . ويجب ان تشعر على الدوام بأن العالم كله هو هيكل الله ، وأنها تحيا دائما فى حضرة المسيح .

ان الزوجة التى أصبحت مسيحية لا يصح أن ترتبك بأمور العالم المربكة . ان سلاحها الوحيد هو سيرتها الطاهرة ، وحياتها كعظة صامتة .

الزينة الحقيقية

وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ . بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ . فَإِنَّهُ هٰكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ . كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرٰهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ سَيِّدَهَا الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا صَانِعَاتٍ خَيْرًا وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ .

(٣ : ٣ — ٦)

تكلم (بنجل) احد المفسرين القدامى عن « الثياب التى كانت تتطلب مزيدا من الجهد والوقت » .

.. لقد رأينا من قبل أن المرأة لم تكن تأخذ بأى قسط فى الحياة العامة قديما ، فلم يكن للنساء ما يشغلهن أو يمتص وقتهن ، ولذا فقد ثار الجدل

حول السماح لهن بما يشغلهن فى الملبس والزينة . فنادى (كاتو) الضابط الرومانى ، بالبساطة فى الملبس . فرد عليه (لوكيوس فاليروس) قائلا : « لماذا يغمط الرجال النساء حقهن فى الزينة والملبس ؟ ليس للسيدات الحق فى تولى الوظائف العامة او الكهانة او احراز اى نصر فليس لهن أية حرفة يعملن بها ، فكيف اذن يشغلن اوقاتهن ان لم يتزين ؟ » . فالاهتمام الزائد بالتزين كان ولا يزال دليلا على عدم وجود اهتمامات اعظم تشغل الذهن .

ولقد هاجم الأخلاقيون القدامى الرفاهية الزائدة كما فعل معلمو المسيحية . قال (كونتليان) استاذ علم البلاغة الرومانى : « ان الرداء المحتشم هو الذى يضفى على لابسه وقارا واحتراما كما قال الشاعر اليونانى ، ولكن الملبس المثير للغرائز يفشل فى تزيين الجسم ، ولا يكشف الا عن تفاهة الفكر وانحطاطه » ، وقال الفيلسوف ابكتيتوس معبرا عن تفاهة الحياة التى تحياها المراة قديما : « عندما تبلغ الفتاة الرابعة عشرة من عمرها ، كان الرجال يسمونها « سيدة » . وهكذا عندما لا يجد السيدات امامهن مستقبلا سوى انهن يقاسمن الرجال فراشهن فانهن يبدأن فى تزيين أنفسهن ، فهذا هو كل عزائهن . ولذا فعلينا نحن الرجال تقع مسئولية افهامهن انهن لا يحترمن ولا يكرمن سوى عندما يكن متواضعات ومحتشمات » .

وهكذا نرى ان ابكتيتوس وبطرس يتفقان .

توجد فى العهد القديم فقرات تعدد بعض انواع الزينة ، وتهدد بيوم الدينونة الذى تزول فيه كل هذه الاشياء . والفقرة موجودة فى (اشعياء ٣ :١٨ ـــ ٢٤) فالفقرة تتحدث عن « زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والاساور والعصائب والسلاسل والمناطق والاحراز ، والخواتم وخزائم الانف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والاكياس ، والمرائى والقمصان والعمائم والأزر وحناجر الشمامات والبراقع » .

ويجدر بنا ان نشير الى الزينة عند اليونان والرومان ، فقد كانت هناك طرق عديدة جدا لتزيين الشعر ، فقد كان يمسوح ويصبغ تارة باللون

الاسود وغالبا باللون الاصفر . وكان الشعر المستعار منتشرا بكثرة حتى اننا نجده فى مقابر المسيحيين فى زمن الرومان ، وكان يستورد هذا الشعر المستعار من المانيا ، واحيانا من الهند . وكانت العصائب والامشاط تصنع من العاج وأصداف السلاحف ، واحيانا من الذهب المرصع بالجواهر .

وكان اللون الأرجوانى هو اللون المفضل لملابس السيدات . وقد كان وزن رطل الصوف الأرجوانى بعد تنقيته مرتين يكلف الف دينار . وقد استورد فى سنة ما من الهند بضائع من الحرير والعطور والجواهر بما قيمته مليون جنيه . وكانت تستورد بضائع مماثلة من بلاد العرب . وكانوا يفضلون استخدام الماس والأحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والعقيق والزبرجد .

ويحكى أن شخصا اسمه « ستروما نونيوس » كان عنده خاتم يقدر ثمنه بـ ٢١٢٥٠ جنيها ، وكانت اللآلىء تفضل على كل شىء ، فقد احضر يوليوس قيصر لسرفيليا لؤلؤة تساوى ٦٥٢٥٠ جنيها . وكانت الاقراط تصنع من اللآلىء ، وقد اخبرنا سنيكا عن السيدات اللاتى كن يلبسن أكثر من لؤلؤة فى أقراطهن ، وحتى الأحذية كانه تحلى باللآلىء . وكان نيرون عنده حجرة جدرانها مزينة باللآلىء . وقد رأى بلينى لوليا بولينا زوجة كاليجولا تلبس فستانا مرصعا باللآلىء والاحجار الكريمة ويبلغ ثمنه ٤٥٠,٠٠٠ جنيها .

جاءت المسيحية اذن الى عالم تسوده الرفاهية ويسير الى حافة الهاوية فى نفس الوقت . فما كان من بطرس سوى انه طلب التحى بما يزين القلب «الروح الوديع الهادى الذىهو قدام الله كثير الثمن». فتلك هى الجواهر التى تحلى النساء النقيات . الم تدع سارة ابراهيم بكل خضوع « سيدى » . (تكوين ١٨ : ١٢) ، ويدعو اشعياء سارة بأم رجال الله الأتقياء . (أشعياء ٥١ : ٢) ، وانه اذا تحلى الزوجات المسيحيات بفضائل التواضع ، والوداعة والعفاف ، فانهن يصرن بناتها ، ويصبحن ضمن أهل بيت الله .

فالزوجة المسيحية التى تحيـا فى مجتمع وثنى تجد أمامها كثيرا من الاغراءات أن تحيا حيـاة الرفاهية واللامبالاة ، لقد كانت فى موقف يجعلها تحت رحمة أهواء زوجها . ولكنها يجب أن تحيا حيـاة الخدمة المضحيـة والصلاح والثقة الهادئة المطمئنة ، ان هـذه الحيـاة هى افضل عظـة يمكن تقديمها لزوجها لتربحه للمسيح . فبدون كلمة تقدر أن تربح أولئك الذين يعصون كلام الله . ان هذه الفقرة تعد من الفقرات القليلة فى الكتاب التى تؤكـد جمال الحياة المسيحية الناصعة .

واجبات الزوج

كَذٰلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيٰوةِ لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ .
(٣ : ٧)

مع أن هذه الفقرة قصيرة ، الا أنها تحوى جوهر الفضائل المسيحية . ان أهم ما يميز تلك الفضائل هو انهـا ليست من جانب واحد ، انهـا متبادلة . فالمسيحية لا تضع كل الالتزامات والواجبات فى جانب واحد فاذا تحدثت عن واجبات العبيد ، فانها تتحدث أيضا عن مسئوليات السادة ، واذا تحدثت عن واجبات البنين ، فانها تتحدث كذلك عن مسئوليات الآباء . (أفسس ٦ : ١ ــ ٩ ، كولوسى ٣ : ٢٠ ــ ٤ : ١) . لقـد تحدث بطرس عن واجبات الزوجات ، والآن يتجه للحديث عن واجبات الأزواج . ان أى زواج يجب أن يقوم على واجبات متبادلة ، والتزامات متبادلة أيضا . فأى زواج تكوم فيه الامتيازات فى جانب ،والمسئوليات فى الجانب الآخر لهو زواج غير متكافىء ومعرض للفشل .

ولنلاحظ أن ذلك لم يكن مألوفا فى العـالم القديم ، فقد كانت فكرة جديدة جاءت بها المسيحية . فلم تكن للمرأة أى حقـوق قديما . لقـد

اقتبسنا من قبل قول (كاتو) عن حقوق الزوج ، ولكننا لم نكمل الحديث ، وها هو بقية الحديث ، قال كاتوا : « لو ضبطت زوجتك متلبسه بجريمة الخيانة الزوجية ، فلك الحق فى قتلها دون أن تخشى القانون ، ولكن اذا ضبطتك هى ، فانها لا تجرؤ على ان تمسك باصبعها ، والواقع أنه ليس لها الحق فى ذلك » ودلالة ذلك أن القانون الرومانى يضع كل الالتزامات على الزوجة ، وكل الامتيازات فى جانب الزوج . ولكن ما يميز التعاليم الاخلاقية التى تنادى بها المسيحية انها لا تمنح امتيازا دون أن يكون مقابله مسئولية والتزاماً .

فما هى اذن مسئوليات الزوج ؟

١ — انه يجب أن يكون (فطنا) ، مقدرا لظروف زوجته ، مراعيا مشاعرها . كانت أم (سومرست موم) الكاتب الروائى الشهير جميلة جدا ، وكانت الدنيا مقبلة عليها ، ولكن زوجها كان قبيحا . فسأل أحدهم أم سومرست قائلا لها : « لم تظلين مخلصة لذلك الرجل القبيح الذى تزوجتيه ؟ » . فكان ردها : « لأنه لا يسىء الى قط » ، فالفطنة وتقدير الزوج كانا بمثابة الرابطة القوية بين الزوجين ، التى لا تنفصم عراها .

واما القسوة التى يصعب احتمالها ، فقد لا تكون عمدا ، ولكنها غالبا نتيجة عدم التروى والتسرع .

٢ — انه يجب أن يتسم بروح الفروسية ، انه يجب أن يتذكر أن النساء الجنس الأضعف ، وأنه يجب معاملتهن برفق تام . فى العالم القديم لم تكن الفروسية معروفة ، ولكنها فى الشرق كانت — ولا زالت — منظرا مألوفا ، أن ترى الرجل يمتطى حمارا بينما تجلس زوجته خلفه ممسكة به .

ان المسيحية نادت بأن يعامل الرجل المرأة بترفق كامل .

٣ — انه يجب أن يذكر أن للنساء حقوقا روحية معادلة . فالمرأة (وارثة لنعمة الحياة) . لم تكن المرأة لتشارك فى العبادة عند اليونان

والرومان وحتى فى المجامع اليهودية ، ليس للسيدات نصيب فى العبادة . وحتى اذا سمح لهن بالدخول الى المجمع ، فانهن يجلسن بمعزل عن الرجال الذين يقومون بفروض العبادة ، وكن يحجبن وراء ستار ، ولذلك لانه ليس لهن الحق فى المشاركة فى العبادة . ولكن المسيحية جاءت بمبـــدأ ثورى . فالنساء لهن حوق روحية متساوية، على هذا الاساس يجب أن تتغير النظرة اليهن تغييرا شاملا ويعاملن كالجنس الآخر تماما .

٤ ــ وأخيرا ، فانه ما لم يدرك الرجل هذه الالتزامات ويســـــير بموجبها ، فانه يوجد (عائق) بينه وبين الله فى الصلاة . وقد عبر (بج) عن ذلك بقوله : « ان أنات الزوجة المتألمة تجعل الله لا يسمع صلوات الزوج » وهنا تبرز حقيقة عظمى ، فعلاقتنا بالله لا يمكن أن تكون سليمة اذا كـــانت علاقتنا بالآخرين غير سليمة ، فعندما نكون فى سلام مـــع بعضنا البعض ، حينئذ يمكننا أن نكون فى سلام مع الله .

علامات الحياة المسيحية

وَالنِّهَايَةُ كُونُوا جَمِيعًا مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ مُشْفِقِينَ لُطَفَاءَ. غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً. لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَوةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ. لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ لِيَطْلُبِ السَّلَامَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ. لِأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الْأَبْرَارِ وَأُذُنَيْهِ إِلَى طِلْبَتِهِمْ. وَلَكِنَّ وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ.

(٣ : ٨ ــ ١٢)

نجد بطرس هنا يجمع كل الصفات العظمى فى حياة المسيحى ، وكل الفضائل المسيحية :

١ — يضع بطرس فى مقدمتها « الوحدة المسيحية » . ويجدر بنا أن نشير الى كل ما ورد فى العهد الجديد عن الوحدة المسيحية ، حتى نرى كيف أن تلك الوجوه تحتل مكانا بارزا فى فكر العهد الجديد . وأن أساس كل شىء نجده فى كلمات يسوع عندما صلى لأجل شعبه ليكونوا واحدا ، ويكونوا مكملين الى واحد ، ليكونوا واحدا كما أنه والآب واحد (يوحنا ١٧ : ٢١ — ٢٣) .

ولقد تمت هذه الصلاة فى الأيام المجيدة الأولى للكنيسة ، لأن المسيحيين كانوا واحدا فى الجسد والنفس (أعمال ٤ : ٣٢) . ويحث بولس الشعب مرارا وتكرارا من أجل هذه الوحدة ويصلى لأجلها . ويذكر مسيحى رومية أنهم برغم تعددهم الا أنهم جسد واحد ، ويطلب اليهم أن يفتكروا فكرا واحدا . (رومية ١٢ : ٤ و ١٦) . وعندما يكتب لمسيحى كورنثوس ، يستخدم نفس الوصف عن المسيحيين كأعضاء فى جسد واحد برغم تعدد مواهبهم واختلافها (١ كورنثوس ١٢ : ١٢ — ٣١) ، ويطلب الى أهل كورنثوس المتخاصمين الا يكون بينهم انشقاقات بل يكونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد (١ كورنثوس ١ : ١٠) ، ويخبرهم بأن الخصومات والانقسامات من الجسد ، وهى تدل على أنهم يسلكون بحسب البشر ، وليس فيهم الفكر الذى كان فى المسيح . (١ كورنثوس ٣ : ٣) . ولاننا جميعا نشترك فى الخبز الواحد فاننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد (١ كو ١٠ : ١٧) . وأنهم فى النهاية يجب أن يكونوا فكرا احدا وأن يعيشوا فى سلام (٢ كو ١٣ : ١١) ، وأنه فى يسوع المسيح نقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ، واصبح اليهود واليونانيون وحدة واحدة (أفسس ٢ : ١٣ و ١٤) وعلى المسيحيين أن يحتفظوا بوحدانية الروح مع رباط السلام متذكرين أن لنا ربا واحدا وايمانا واحدا ومعمودية واحدة والها واحدا أبا للجميع (أفسس ٤ : ٣ — ٦) . ويطلب أيضا من أهل فيلبى أن يثبتوا فى روح واحد مجاهدين معا بنفس واحدة لايمان الانجيل وأن يتمموا فرح بولس عندما يفتكروا فكراً واحداً ولهم محبة واحدة بنفس واحدة ،وهو يطلب الى أفودية وسنتيخى أن تفتكرا فكرا واحدا فى الرب. (فيلبى ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢ ، ٤: ٢).

ففى كل جزء من أجزاء العهد الجديد ، نجد التركيز على الوحدة المسيحية ، لا كرجاء للمسيحيين ان يتحدوا بل كاعلان واضح أن المسيحى لايمكن ان يحيا الحياة المسيحية ما لم تكن له علاقة وثيقة بالآخرين ، ولا يمكن للكنيسة أن تكون هى الكنيسة المسيحية بحق ما دامت منقسمة على ذاتها . وانه لمن المؤسف أن يبقى الأفراد فى منازعات فى علاقاتهم الشخصية ، كما انه من المؤلم ايضا الا تستطيع الكنيسة تحقيق الوحدة الذاتية .

ويكتب كارنفيلد فى هذا الصدد قولا جميلا نقتبسه هنا برغم أنه مطول نوعا : « ان العهد الجديد لا يتحدث عن هذا الاتحاد فى المسيح كشىء كمالى مرغوب فيه مع انه غير لازم ، بل على انه شىء أساسى فى بنيان الكنيسة ذاتها ، فالانقسامات ، سواء كانت منازعات بين الاعضاء كأفراد أو التحزبات أو الانقسامات الطائفية الحالية تجلب العار على الانجيل ذاته وهى علامة على ان أعضاء الكنيسة (جسديون) . وكلما درسنا العهد الجديد بأكثر تدقيق ، كلما أحسسنا بألم وأسى بسبب خطية تلك الانقسامات ، واجتهدنا فى الصلاة وجاهدنا لأجل سلام الكنيسة ووحدتها على الأرض .

اننا لا نعنى بالوحدة الفكرية التى نجاهد لأجلها نوعا من التشابه والوحدة التى يحلو للبيروقراطيين تحقيقها ، انها وحدة تذوب فيها الخلافات القوية والفوارق بسبب اختلاف الجنس أو اللون او الذوق او المزاج أو المركز الاجتماعى أو الاقتصادى ، الى نوع من العبادة المشتركة والولاء المشترك . ان وحدة كهذه لا تتأتى الا عندما يتضع المسيحيون ويتحلون بالشجاعة الكافية ، ويعتبرون الوحدة المسيحية أهم من ذواتهم والاشياء المحببة لديهم ، فلا يتخذون الاختلافات العقائدية ، والتى لا تنبع سوى من عدم التعمق فى فهم الانجيل ، كذريعة للانفصال والفرقة ، بل كدافع للاجتهاد فى روح واحد مشترك لأجل سماع صوت المسيح واطاعته » وما زال هذا الصوت الالهى يتحدث الينا برغم حالتنا الراهنة هذه .

٢ — ويبرز بطرس بعد ذلك فضيلة التعاطف « بحس واحد » فالعهد الجديد يحتم علينا هذا الواجب . فعلينا ان نفرح مع الفرحين ، ونبكى مع

الباكين . (رومية ١٢ : ١٥) .

وعندما يتألم عضو تتألم معه جميع الاعضاء ، وعندما يكرم عضو تفرح معه جميع الاعضاء . (١ كورنثوس ١٢ : ٢٦) ، وهذا ينطبق على المسيحيين كاعضاء فى جسد المسيح .وان أبرز شىء فى هذا المقام أن التعاطف والانانية لا يجتمعان ، فطالما أن الذات هى كل شىء فى حياة الانسان ، لايمكن أن يوجد العطف . فالعطف يعتمد على الرغبة فى نسيان الذات ، وفى الخروج من نطاقها ، وفى محاولة المشاركة فى آلام الآخرين واحزانهم . والعطف يدخل القلب عندما يمتلكه المسيح .

٣ ــ والعلامة الثالثة للحياة المسيحية هى « المحبة الأخوية » . وهذا يرجع بنا للكلمات التى قالها يسوع : « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً ... بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضا لبعض » (يوحنا ١٣ : ٣٤ و ٣٥) . فالعهد الجديد يتحدث هنا بتحديد ظاهر ودقة بارزة حين يقول : «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة لاننا نحب الأخوة . من لايحب أخاه يبقى فى الموت . كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس » . (١ يوحنا ٣ : ١٤ و ١٥) . « ان قال أحد انى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب » (١ يوحنا ٤ : ٢٠) . فالحقيقة البسيطة هى أن محبة الله ومحبة الانسان تسيران جنبا الى جنب ، وليس لاحداها غنى عن الأخرى ، فان كانت هذه المحبة للاخوة غير موجودة فى حياة الفرد أو الكنيسة فان محبة الله لا تثبت داخل هذا الفرد أو هذه الكنيسة. وان أبسط امتحان لحقيقة ديانتنا يرجع لمحبتنا للآخرين .

٤ ــ والعلامة الرابعة التى يبرزها بطرس هى « الشفقة » . أن الشفقة تكاد تصبح من الفضائل المفقودة . فالحياة العصرية التى نحياها تطمس الذهن ، وتخدر الاحساس بالشفقة . قال كارنفيلد فى هذا الصدد : « لقد تعودنا سماع الاذاعة كل صباح محدثة ايانا عن أخبار الغارات التى تشترك فيها آلاف قاذفات القنابل . وتعودنا أيضا على سماع أخبار ملايين الناس الذين أصبحوا من اللاجئين » .

اننا نقرأ مثلا ، عن آلاف الجرحى والمصابين فى حوادث الطرق ، دون

ان تتحرك فينا اية عاطفة ، ناسين ان كل حادثة منها تعنى جسداً محطماً وقلباً كسيراً . ففى الأحوال الراهنة فى القرن العشرين يسهل علينا كثيراً أن نفقد عنصر الشفقة ، واسهل من ذلك أن نكتفى بمجرد لحظة عابرة من التأسف دون ان نتقدم لنقوم بأى عمل ايجابى .

ان الشفقة نابعة من طبيعة الله ذاته ، وتلك العاطفة اساسها يسوع المسيح ،فهى عظيمة المقدار لدرجة أن الله قد أرسل ابنه ليموت عن البشر،ان شفقة المسيح كانت عظيمة لحد أنها اقتادته للصليب ، فلا مسيحية بدون عنصر الشفقة .

٥ — وخامس شيء يضعه بطرس فى هذه القائمة هو (اللطف) أو التواضع . ان هذه الصفة مصدرها شيئان . انهما تنبع أولا من الاحساس بأننا خليقة الله . فنحن خلائق فى حضرة الله الخالق . فالمسيحى لطيف لأنه يدرك دائما بأنه يعتمد على الله كلية ، ولأنه يتذكر أنه من ذاته لا يستطيع ان يفعل شيئاً .

وتنبع ثانية من المقارنة التى يعقدها المسيحى . فقد يقارن المسيحى نفسه بجاره فيشعر انه ليس أقل منه فى شيء ، وعندما يقارن نفسه بزملائه ، لا يخاف من المقارنة فى شيء . ولكن نموذج المسيحى الذى يقيس عليه نفسه هو المسيح ، وعندما يقارن المسيحى ذاته بتلك المحبة الالهية المتجسدة ، وبذلك الشخص الكامل الذى لم توجد فيه خطية ما ، فانه يشعر بأخطائه دائما . عندما يتذكر المسيحى اعتماده الدائم على الله ، وعندما يضع نصب عينيه المثال المسيحى الكامل ، فانه يكون لطيفا ومتواضعا على الدوام .

٦ — واخيرا ، وفى النهاية تتوج تلك القائمة بالغفران . فالمسيحى مدعو لنوال الغفران الالهى ، ومطالب لغفران زلات الآخرين . ولا يمكن الفصل بينهما ، فعندما نغفر للآخرين زلاتهم فان الله يغفر لنا زلاتنا . (متى ٦ : ١١ و ١٤ و ١٥) . والعلامة المميزة للمسيحى انه يغفر للآخرين كما غفر له الله (افسس ٤ : ٣٢) .

واخيرا يلخص بطرس كالعـــــادة كل ما قاله باقتباس ما جاء فى مزمور (٣٤) ، عن الاشخاص المقبولين من الله والمرفوضين منه .

امان المسيحى وسط تهديد العالم

فَمَنْ يُؤْذِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِالْخَيْرِ . وَلٰكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ فَطُوبَاكُمْ . وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلَا تَخَافُوهُ وَلَا تَضْطَرِبُوا . بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الْإِلٰهَ فِي قُلُوبِكُمْ .

(٣ : ١٣ و ١٤ و ١٥)

ترينا هذه الفقرة تعمق بطرس فى دراسة العهد القديم . توجد فقرتان فى العهد القديم تصلحان كأساس لتلك الفقرة . وبطرس لم يقتبس هاتين الفقرتين كماهما،كما انه يمكنه كتابة هذه الفقرة ما ام يدرس هاتين الفقرتين. واول جملة فى هذه الفقرة تذكرنا بقول اشعياء (٥٠ : ٩) : «هوذا السيد الرب يعينني . من هو الذى يحكم على » وعندما يتحدث بطرس أيضا عن طرد الخوف ، فانه كان يفكر فيما ورد فى (اشعياء ٨ : ١٣) حيث يقول النبى : « قدسوا رب الجنود . فهـو خوفكم وهو رهبتكم » .

توجد ثلاثة افكار فى هذه الفقرة :

١ ــ يبدأ بطرس بالتركيز على ضرورة التمسك بمحبــــة الخير والصلاح . يتخذ الانسان عدة مواقف تجاه الصلاح . فقـد يكون الصلاح بالنسبة له حمـلا ، وقد يكون مدعاة للضيق كما قـد يكون الصلاح بالنسبة للانسان شيئا يرغب فيه رغبة غير محددة المعالم ، ولكنه على غير استعداد ان يدفع الثمن عرقا وجهـدا . والكلمة التى ترجمـت محبين للخير هـى الكلمة المترجمة «غيور» ، وقد كان «الغيورون» جماعة الوطنيين المتعصبين لبلادهم ، والذين تعهدوا واقسموا على تحرير بلادهم بكل وسيلة ممكنة . انهم على استعداد أن يضحوا بأرواحهم وبراحتهم ، وبأقاربهم وأحبابهم فى سبيل حبهم الجارف لبلادهم .

وبطرس يعنى بذلك أن نحب الصلاح بنفس القوة التى يحب بهـــــا الوطنيون المتحمسون بلادهم . قال السير جون سيلى : « ان القلب الذى لا يحب حبا عميقا ليس بالقلب النقى ، كمـــا أن الفضيلة التى تخلو من الحماس المتدفق لهى فضيلة عرجاء » .

فعندما يغرم الانسان بحب الصلاح ، فانه لا يعـــود ينجذب للطرق الخاطئة كما ان المسالك المضللة تفشل فى السيطرة على تفكيره .

٢ ـ يتحدث بطرس بعد ذلك عن موقف المسيحى من الآلم . لقـد اشير قبلا الى أننا محاطون بنوعين من الالم . فهنـاك الالم الذى نجتـاز فيه كبشر . فلأننا آدميون ، فلابد أن نجتاز الالم الجسدى والموت ، والندم والقلق الفكرى والضنى الجسدى . فكل هذه الاشياء موضوعة على كل انسان . ولكن هناك الم نجتاز فيه لاننا مسيحيون . فقد نواجه بشىء من الجفاء والاضطهاد،وقد نضحى من أجل المبدأ ونختار الطريق الصعب ثم نمر فى متاعب الحياة المسيحية . ولكن توجد فى الحيـاة المسيحية أيضا بركة خاصة تعيننا على كل الصعاب . السؤال الآن هو: من اين تاتى تلك البركة؟ وما أسبابها ؟

٣ ـ ويرد بطرس على ذلك بالقول ان المسيحى هو الشخص الذى يحتل المسيح المكان الاول فى حياته . فعلاقته بالله فى المسيح أسمى شىء عنـده فى الحياة فاذا كان قلب الانسان متعلقا بالامور الارضية والممتلكات المـادية ، والسعادة العالمية ، واللذات الحسية ، والراحـة والرفاهيـة الارضية ، فانه يكون أكثر تعرضا للخطر من اى انسان آخـر . لانه من طبيعة الاشياء التقلب ، ولذا فقد يفقد كل شىء فى لحظـــة ، قد يقلب له الدهر ظهر المحبة ويجـد نفسه فى النهـــاية محروما من كل شىء . ان شخصا كهـذا يسهل جدا أن يصاب بالأذى والضرر من كل جانب . ولكن من الناحية الاخرى ان كان شخص يعطى المسيح المكان الاول فى حياته ، وان كان أهم شىء بالنسبة له علاقته مع الله ، فهـــذه العلاقة لا يمكن أن تنتزع منه ، ولا يمكن لاى موقف أن يحرمه من التمتع بتلك العلاقة . ولذلك فهـو فى أمان تام . ان كنـــزه الثمين لا يمكن لأية حوادث أو متاعب أن

تمسه بأذى . انه حتى فى وسط الآلام يتمتع المسيحى بالبركة . فعندما يتألم لأجل المسيح،فانه يظهر ولاءه للمسيح ويشارك فى آلام المسيح. وعندمايكون الألم ناجما عن مواقف بشرية ، فانه لا يمكن أن يحرمه من أعز شىء عنده فى الحياة . لا يمكن لاحد أن يتهرب من الالم ، ولكن آلام المسيحى لا تؤثر على أقدس الاشياء التى يعتز بها ، وأغلاها على قلبه .

الدفاع عن المسيح

مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ. وَلَكُمْ ضَمِيرٌ صَالِحٌ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ يَشْتِمُونَ سِيرَتَكُمُ الصَّالِحَةَ فِي الْمَسِيحِ يُخْزَوْنَ فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ.

(٣ : ١٥ ب و ١٦)

لابد أن يدافع المسيحى عن عقيدته التى يؤمن بها ، وعن الرجاء الذى يتمسك به فى وسط عالم كان ولا يزال يضمر له العداء . ويتحدث بطرس هنـا عن دفاع المسيحى عن عقيدته المسيحية .

١ ــ يجب أن يكون دفاعنا منطقيا . فالمسيحى يجب أن يقدم تعبيرا منطقيا عـن حالته وموقفـه الذى يتمسك بـه . كان اليونانـى المثقـف يعتقـد أنه من دلائل ذكاء الانسان قـدرته على التعبيـر عن أعماله ومعتقداته تعبيرا منطقيا . ويعبر عن ذلك (بج) بقوله : « ان الـذكى هو الذى يناقش مسائل السلوك مناقشة تتسم بالذكاء والود » .

ولـكى نقوم بذلك يجب أن نعـرف ما نؤمن به ، ونفكر فيه مليا ، ويجب أن تكون عندنا القـدرة على التعبير عنه بذكاء ومنطق . اننا يجب أن ندافع عن عقيدتنا دفاع من اكتشف شيئا جـديدا يؤمن به ، وليس كمن يسرد قصة عتيقة مل من تكرارها .

انه من مآسى الزمن الذى نعيش فيه انه يوجد العـدد الكبير من

أعضاء الكنائس الذين لو سؤلوا عمـا يعتقدون لما استطاعوا الاجابـة بشيء ، ولو سئلوا لمـاذا يعتقدون بما يعتقدون به لأصـبحوا عاجزين عن الرد . ان المسيحى يجب أن يعمل الفكر فيما يعتقد حتى يستطيع مجاوبـة من يسأله عما يعتقد وعن سبب اعتقاده .

٢ ـ يجب أن يكون دفاعه « بوداعة » . هناك اناس كثـيرون يدافعون عن عقائدهم بنوع من الزهو والغطرسة ، وكأن كل من لا يوافقهم فى الراى يعد غبيا أو حقـيرا لا ضمير له . انهم يحـاولون أن يفرضوا معتقداتهم على الآخرين قسرا وعنوة . ولكن المسيحية يجب أن تقدم للآخرين بروح المودة والحكمة والتسامح الذى يجذب الناس لمعرفة الحق .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار انه يمكن جذب الكثيرين الى الايمـان المسيحى بينما لا يمكن اجبار أحد على ذلك .

٣ ـ يجب أن يكون الدفاع أيضا « بخـوف » ، أى ان أى دفاع مـن جانب المسيحى يجب أن يتسم بروح مسيحية ، وبطـريقة يرضى عنها الله ليست هنـاك مناظرات اتسمت بالحدة والمرارة مثل المناظرات اللاهوتية . والشيء المؤسف انه ما من خلافات سببت مرارة كهذه كالخلافات الدينية . ففى أى تقديم للمسيح أمام الناس وفى أى دفاع عن العقيدة المسيحية يجب أن تكون لغـة المحبة هى اللغة السائدة طوال الحديث .

٤ ـ ويقرر بطرس أخيرا أن أفضل دفاع هو الحياة المسيحية . ليكن المسيحى ذا ضمير صالح ، وليواجه النقـد بسيرة صالحة غير ملومة . فان سلوكا كهذا يخرس كل تشهير ودعاية كاذبة ، ويجرد الانتقـاد من كل سلاح . ان دفاع المسيحى الذى لا يقاوم هو الحيـاة المسيحية . قال أحدهم : « ان المسيحى هو الشخص الذى تـكون حـياته سببا فى هداية الكثيرين الى الله .

عمل نعمة المسيح المخلصة

ليست الفقرة (٣ : ١٧ ـ ٤ : ٦) من أصعب الفقرات فى رسالة

بطرس فحسب ، بل انهـا من اصعب الفقرات فى العهـد الجديد كله ، وانها اساس مادة من أصعب مواد الايمـان ، وهى التى تقول ان المسيح « كرز للأرواح التى فى السجن » . ولذا يستحسن قراءة الفقرة كلها ، ثم دراستها بعد ذلك بالتفصيل .

لِأَنَّ تَأَلُّمَكُمْ إِنْ شَاءَتْ مَشِيئَةُ اللهِ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ خَيْرًا أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ شَرًّا . فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثَمَةِ لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ .
(٣ : ١٧ و ١٨ (أ))

لقـد قلنا ان هذه الفقرة من أصعب الفقـرات فى العهـد الجديد كله ، ولكنها تبدأ بعبارات يفهمها أى واحد . ان بطرس يريد أن يقول انه حتى اذا اضطر المسيحى أن يتألم ظلمـا من أجل ايمانه ، فانه يسلك الطريق الذى سلك فيه ربه ومخلصه . ان المسيحى المتألم يجب ان يذكر أن ربه قـد تألم من قبـل . وبرغم ضيق مجـال هذين العـددين الا أن بطرس يذكر أمورا عظمى عن عمل المسيح وعن موته .

١ ـ انه يوضح ان عمل المسيح فريد فى نوعه . « فالمسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا » ، انهـا مرة واحدة لم تتكرر ، « لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة » (رومية ٦ : ١٠) ، ان ذبائح الكهنة كانت تقدم كل يوم ، ولكن المسيح قدم نفسه كذبيحة كاملة مرة واحدة (عبرانيين ٧ : ٢٧) والمسيح قـدم مرة لكى يحمل خطـايا كثـيرين (عبرانيين ٩ : ٢٨) ، ونحن مقدسون بتقديم جسد يسوع مرة واحـدة (عبرانيين ١٠ : ١٠) ، والعهـد الجديد يؤكد مرارا أن الذى حدث على الصليب لن يكون هناك داع لحدوثه ثانية ، وأن الخطية قد هزمت تماما . وانه على الصليب قد اجرى الله العمل الذى يكفل غفران خطية الانسان ، وكل خطية ارتكبها جميع البشر فى جميع الأزمنة . ان ذبيحة المسيح على الصليب ، تختلف عن أى ذبيحة أخرى ، وفيهـا الكفاية التامة ، وليست هنـاك أى ضرورة لحدوثهـا ثانية .

٢ ــ انه يوضح أن الذبيحة كانت لأجل الخطية . فالمسيح مات مرة لأجل الخطايا . وهذه هى العقيدة المسيحية . فبولس يقول ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب (١ كورنثوس ١٥ : ٣) ، وانه بذل نفسه لأجل خطايانا (غلاطية ١ : ٤) ، وأن كل رئيس كهنة ، ويسوع المسيح هو رئيس الـكهنة الكامل ، يقدم ذبائح عن الخطايا (عبرانيين ٥ : ١ و ٣) ، وأن المسيح كفارة لأجل خطايانا (١ يوحنا ٢ : ٢) . والعبارة التى وردت فى اليونانية (لاجل خطايانا) تعنى ذبيحة الخطايـا . فعبارة « ذبيحـة الخطية » مذكورة فى (لاويين ٥ : ٧ ، ٦ : ٣٠) وهذا يعنى أن بطرس يقرر أن موت المسيح يعنى الذبيحة التى تكفر عن خطايا الشعب . أو بأسلوب آخر نقول ان الخطية هى العائق فى علاقة الناس بالله وعمل الذبيحة اعادة تلك العلاقة المفقودة . فموت المسيح على الصليب ــ مهما تعددت التفسيرات له ــ كان كفيلا باعادة العلاقة المقطوعة بين الانسان والله . وقـد عبر عن ذلك تشارلس وسلى بالقول :

انني لا أخشى أية دينـونة
فيسـوع هـو كل شىء لى
واننى أحيـا فيـه وحـده
مسربلا بثيـاب البر الالهى
وبذلك اقترب من العرش الابدى بجساره
وأطالب بالاكليل الذى نلته فى المسيح

قد لا نتفق كلنا فى تفسير ما حدث على الصليب ، لانه حقا كما قـال تشارلس وسلى فى نفس الترنيمة « انه لسر عجيب » ، ولكننا نتفق فى شىء واحد ــ فعن طريق صليب المسيح قد أصبحت لنا علاقة مع الله .

٣ ــ انه ايضا يقرر أن تلك الذبيحـة كانت (كفارية) . ان المسيح مات مرة لاجل خطايانا ، البار من اجل الاثمة . فان يقاسى البـار من أجل الاثمة شىء غير عادى ، وقد يبدو لأول وهـلة ان ذلك ظلم . قال أدون روبرتسون فى هذا الصدد : « ان الغفران دون سبب هو وحده الذى يمحو

الخطية التى لا مبرر لها » : ان المسيح قد تألم لاجلنا ، والسر العظيم هو أن الذى لم يستحق أن يتألم ، تحمل الالم لاجلنا نحن الذين كنا نستحق هذا الالم . انه ضحى بذاته حتى يستعيد علاقتنا بالله .

٤ ــ انه يقرر أن عمل المسيح كان لكى « يقربنا الى الله » . ان المسيح مات مرة لأجل خطايانا ، البار لاجل الاثمة لكى « يقربنا الى الله » . والكلمة اليونانية المترجمة « لكن يقربنا الى الله » . الكلمة لها اساسان . فهى ترجع لأصل يهودى .

(ا) انها مستخدمة فى العهد القديم للتعبير عن تقريب الكهنة أمام الله . فوصية الله تقول : « وتقدم هرون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء » (خروج ٢٩ : ٤) . فاليهود كانوا يعتقدون أن الكهنة وحدهم لهم حق الاقتراب الى الله . فعامة الشعب لهم حق الوجود فى المعبد ضمن القسم المخصص للأمميين أو للسيدات أو للاسرائيليين ، ولكن ليس لهم الحق فى الدخول بعد ذلك ، فالرجل العادى ليس له الحق فى الاقتراب من المكان المخصص للكهنة ، فى المكان القريب من الله ومن الكهنة ، الرئيس وحده له الحق فى دخول قدس الاقداس . ولكن يسوع المسيح يقربنا الى الله ، انه يفتح الباب لجميع الناس لكى يقتربوا الى الله .

(ب) والكلمة لها أصل يونانى كذلك ، فهى تعنى « حق الاقتراب » ، لنا « حق الدخول الى النعمة » (رومية ٥ : ٢) « وحق القدوم الى الآب » (أفسس ٢ : ١٨) ، « وبه لنا جراة وقدوم بايمانه عن ثقة الى الله » (أفسس ٣ : ١٢) .

وقد كانت تلك الكلمة باليونانية ذات معنى خاص . ففى البلاط الملكى ، كان هنالك موظف وكانت وظيفته أن يقرر من يستحق أن يوجد فى حضرة الملك ، ومن لا يستحق أن يعطى هذا الحق . وعلى هذا الاساس ، فان يسوع المسيح ، هو الذى يقرب الناس الى حضرة الله ، وهو الذى يفتح الطريق أمامهم للاقتراب منه ، عن طريق العمل الفدائى الذى تممه .

وعندما نتقدم قليلا فى قرائتنا للفقرة ، نجد حقيقتين عظيمتين أخريين ، واضحتين فى كلام بطرس عن عمل المسيح .

فى(٣ : ١٩) يقول بطرس ان يسوع ذهب وكرز للارواح التى فى السجن وفى (٤ : ٦) يقول ان الموتى قد بشروا . وسوف نرى ، أنه من المحتمل جدا ان يكون المسيح قد بشر بالانجيل فى مقر الموتى فى الفترة بين موته وقيامته ، أى انه بشر بالانجيل لأولئك الذين لم يستمعوا ، للذين لم يستمعوا طيلة حياتهم له ، وهنا نجد فكرة عظمى ، فهذا يعنى أن عمل المسيح غير محدود فى مداه ، وانه يصل الزمن بالأبدية ، وهذا العالم بأى عالم آخر . وهى تعنى ايضا أنه ما من انسان دب على الارض يعتبر محروما من نعمة وانجيل الله .

٦ — واخيرا ، فان بطرس يرى عمل المسيح متوجا بالنصر التام النهائى . فهو يقول ان المسيح بعد قيامه وصعوده للسماء ، جلس فى يمين الله ، وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (٣ : ٢٢). وهذا يعنى أنه ما من شىء فى الأرض والسماء خارج نطاق مملكة المسيح .

انه قد جاء بالصلح بين البشر وبين الله، ففى موته جاء بالاخبار السارة للموتى ، وفى قيامته هزم الموت وقوات وملائكة مخضعة له ، وجلس فى يمين عرش الله . وفى هذا منبع الاعتقاد العظيم بأنه ما من خليقة فى السماء أو على الأرض خارج نطاق ملكوت المسيح وسلطانه . فالمسيح المتألم اصبح المسيح المنتصر ، والمسيح المصلوب أصبح المسيح المتوج .

النزول الى الجحيم

مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ . الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ . إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ . فَإِنَّهُ لأَجْلِ هذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضًا لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ لِيَحْيُوا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ .

(٣ : ١٨ ب — ٢٠ ، ٤ : ٦)

لقد قلنا من قبل اننا نواجه هنا فقرة من اصعب الفقرات ،ليس فقط فى رسالة بطرس ، ولكن فى العهد الجديد كله ، واذا كان علينا أن نفهم ما تعنيه فعلينا أن نستمع لنصيحة بطرس لنا حين يأمرنا أن « ننطق أحقاء ذهننا » أثناء دراستنا .

وفى هذه الفقرة تتمركز عقيدة «النزول الى الجحيم» ، ويجب أن نلاحظ أولا أن هذه العبارة غير دقيقة . فالفكرة التى نجدها فى العهد الجديد ليست أن يسوع نزل الى الجحيم بل الى « هادس » Hodes فى سفر الاعمال (٢ : ٢٧) نجد — كما نجد فى كل الترجمات الحديثة — هذا القول ولاتترك نفسى فى الهـــاوية » (هادس) ، وليست لا تترك نفسى فى (الجحيم) » . والاختلاف هو كما يلى : ان الجحيم هو مكان العذاب ، وعقاب الأشرار ، ولكن (هادس) فى الفكر اليهودى ، هو المكان الذى يجتمع فيه الموتى .

فقـــد كان اليهود يؤمنون بعقيدة غامضة عن الحياة بعد الموت . انهم لم يفكروا فى مجرد وجود السماء وجهنم فقط ، انهم كانوا يعتقدون فى وجـــود عالم غامض ، تتحرك فيه الأرواح كالاشباح فيما يشبه الظلام حيث لانور ولا قوة ولا بهجة . هذا هو (هادس) ، انه أرض الظلال ، تهيم فيها أرواح البشر جميعا بعد موتهم . وقد كتب اشعياء يقول : « لأن الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . لايرجو الهابطون فى الجب أمانتك » . (اشعياء ٣٨ : ١٨). وكتب المرنم : « لانه ليس فى الموت ذكـرك فى الهـــاوية من يحمـــدك » . (مزمور ٦ : ٥) . « ما الفائدة من دمى اذا نزلت الى الحفرة . هل يحمدك التراب . هل يخبر بحقك » (مزمور ٣٠ : ٩) « أفلملك للأموات تصنع عجائب أم الاخيلة تقوم تمجدك . هل يحدث فى القبر برحمتك او بحقك فى الهلاك. هل تعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان » (مزمور ٨٨ : ١٠ — ١٢) « ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى أرض السكـــــوت » . (مزمور ١١٥ : ١٧) « كل ما تجـــده يدك لتفعله فافعله بقوتك لانه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليهـــا » (جامعة ٩ : ١٠) .

هذه هى العقيدة اليهودية بخصوص الحياة بعد الموت. انه عالم من الظلال والنسيان وزوال الفقرة ، يحرم الناس فيه من الحياة والنور والله .

ويمضى الزمن ، برزت فكرة وجود درجات من العقاب . فبعض الناس يستمرون للأبد فى هذه الهاوية ، وللبعض الآخر نعتبر بمثابة سجن تظل فيه الأرواح حتى الدينونة النهائية ، حين يمحقهم غضب الله (اشعياء ٢٤ : ٢١ و ٢٢ ، ٢ بطرس ٢ : ٤ ، رؤيا ٢٠ : ١ — ٧) ولذا ، فيجب أن نذكر أن (الهاوية) لا تعنى منهم كما تفهموا ، بل أن المسيح نزل الى الموتى فى عالمهم الغامض هذا .

• • •

ان عقيدة النزول الى (الهادس) — كما يجب أن نسميها — مبنية على عبارتين وردتا فى هذه الفقرة . فعبارة تقول ان يسوع ذهب « وكرز للأرواح التى فى السجن » (٣ : ١٩) ، ثم عبارة تقول ان الانجيل « بشر به للموتى » (٤ : ٦) وقد اختلف المفكرون فى تفسيرهذه العقيدة .

١ — بعض المفكرين لا يؤمنون بهذه العقيدة أساسا . انهم يبطلونهما كلية ، وذلك للاستناد على دعامتين :

(أ) ان بطرس يقول ان المسيح بشر بالروح للأرواح التى فى السجن ، الأرواح التى عصت قديما فى أيام نوح ، وقت بناء الفلك فيقولون ان هذا يعنى أن المسيح كرز فى زمن نوح نفسه ، اى أن المسيح كان يكرز ويبشر للناس الأشرار فى ايام نوح بالروح ، وان المسيح لم يكرز لهم بعد أن ماتوا وذهبوا (للهادس) ، فى الفترة ما بين موته وقيامته ، بل فى ايام نوح كرز المسيح بالروح ، قبل تجسده ، للناس الخطاة . وان هذه الفكرة تبطل عقيدة النزول الى الهاوية كلية ، وتجعل تلك الكرازة للناس قديما فى زمن نوح . وكثيرون من الدارسين قد قبلوا تلك الوجهة ، ولكننا لا نعتقد أنها الفكرة المستقاة من كلمات بطرس .

(ب) ولكن لو تأملنا فى ترجمة (موفات) ، لوجدنا أنه ينادى بشىء مختلف عن هذا . فترجمته تقول : « أن المسيح قد مات بالجسد ، ولكنه أحيى فى الروح والذى فيه ايضا ذهب أخنوخ وبشر للأرواح التى فى السجن اذ عصت قديما حين كانت اناة الله تنتظر فى أيام نوح اذ كان الفلك يبنى » أن موفات يبرز اخنوخ فى الفقرة ، مع أن أخنوخ لم يرد اطلاقا فى الطبعة الأصلية فكيف توصل موفات اذن الى هذه الترجمة ؟ ان اسم أخنوخ لم يرد فى

اى مخطوطة يونانية للكتاب ، ولكن الدارسين يخضعون النص اليونانى احيانا لطريقة تسمى « emendation » اى (تلافى الأخطاء) . وهذه الطريقة تعنى ما يأتى :

قد يظن بعض الدارسين احيانا أن هناك خطأ فى النص كما هو : اى أن الكاتب قد نقله خطأ ، وأنه بهذه الصورة التى هو عليه لا يفيد معنى . ولذا فانهم يقترحون تغيير كلمة أو اضافة كلمة ، هذا مع ان التغيير أو الاضافة لا تظهر فى أى مخطوطة يونانية .

وفى هذه الفقرة اقترح (رندل هارس) أن كلمة أخنوخ قد سقطت أثناء نقل ما كتبه بطرس ، ولذا وجب ارجاعها ثانية .

قد يجد بعض القراء متعة فى معرفة كيف أدخل (رندل هارس) تعديله ، مع أن هذا يلزم ابراز النص اليونانى،ولذا فاننا سنوضح الطريقة التى اتبعها نورد هنا فى السطر العلوى الكلمات اليونانية بحروف انجليزية واسفلها الترجمة العربية لها :

thanatotheis	men sarki	
مماتا	فى الجسد	
zoopoiètheis	de pneumati	
محيى	فى الروح	
en hà	kai tois	en phulakè
الذى فيه	ايضا الى	فى السجن
pneumasi	poreutheis	ekèruen
الأرواح	ذهب	كرز

هذه هى الفقرة باليونانية ، وترجمة كلماتها بالعربية . لقد اقترح رندل

هارس انه بين كلمة (kai) و(tois) قد سقطت كلمة (أخنوخ) . وتفسيره لذلك ، انه حيث أن نقل ما بالكتب يتم عادة عن طريق الأملاء ، فان الـــكتبة معرضون لأن تسقط منهم الكلمات المتتابعة ، اذا تشابهت فى الفاظها . وفى هذه الفقرة نجد تشابها فى اللفظ بين :

en hà Kai و Enoch

ولذا فان رندل هارس ظن أنه من المحتمل جـــدا ان كلمـــة أخنوخ قد حذفت خطأ لهذا الغرض .

ما الداعى لادخال (أخنوخ) فى هـــذا المشهد ؟ ان اخنوخ كان دائمــــا شخصية غامضة جذابة . « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢٤) وفى فترة ما بين العهدين القديم والجديد ، رويت أســـاطير عديدة عن أخنوخ ، وقد دونت كتب كثيرة تحمل اسمه . واحدى هذه الاساطير تقول انه مع أن أخنوخ بشر ، الا انه عمل « كمبعوث الله » للملائكة الذين اخطأوا بقدومهم الى الأرض واغرائهم لبنات الناس (تكوين ٦ : ٢) . وقد قيل فى سفر اخنوخ انه أرسل من السماء ليعلن لأولئك الملائكة مصيرهم النهـــائى (أخنوخ ١٢ : ١) ، وقال لهم انه بسبب مسلكهم هـــذا ، ليس لهم سلام أو غفران الى الأبد (اخنوخ ١٢ و ١٣) . ولذا ، فانه حسب ما تقول الاسطورة اليهودية ، ان أخنوخ ذهب الى هادس معلنا المصير المحتـــــوم للملائكة الساقطين . ولذا فان رندل هارس اعتقد ان هذه الفقرة تشير الى أخنوخ وليس الى يسوع، وقد وافق موفات على وضع اخنوخ فى الترجمة . وانه رأى يتسم بالمهارة ويبعث على الاثارة ، ولكنه يجب أن يرفض دون شك ، لانه ليس دليل هناك عليه البتة ، وليس من الطبيعى ادخال اخنوخ الى المشهد ، حيث أن الحديث كله يدور عن عمل المسيح .

• • •

رأينا لذلك ان محاولة ابطال ما جاء بهذه الفقرة قد فشلت .

٢ ـــ والمحاولة الثانية لتفسير الفقرة هى محاولة « التحديد » . وهـــذه الوجهة هى وجهة عدد من المفسرين الكبار للعهد الجديد ـــ فهم يعتقدون أن

بطرس يقول ان يسوع ذهب للهــادس وكرز هناك ، ولكنه لم يكرز لــكل سكان هادس . فعدد من المفسرين يحدون هذه الكرازة بمختلف الطرق كمــا يأتى :

(ا) قيل أن يسوع كرز فى هادس ، لأرواح البشر الخطاة العصاة فى أيام نوح . والذين يعتنقون هذا الرأى يقولون انه حيث أن هؤلاء الخطاة فى زمن نوح كانوا من الشر والعصيان بمكانحتى أن الله أرسل الطوفانوأهلكهم (تكوين ٦ : ١٢ و ١٣) ، فاننا نعتقد انه لا يوجد انسان خارج رحمة الله .

فقد كان هؤلاء الناس من أردأ الخطاة ، ولكنهم اعطــوا فرصة أخرى للتوبة ، ولذا فان أراد البشر لا زالت لديهم فرصة للتوبة فى المسيح .

(ب) قال آخرون ان يسوع كرز للملائكة الســــاقطين ، ولكنه لم يكرز بالخلاص لهم بل بالمصير المحتوم وبالهــــلاك المريع لهم . لقد سبق أن ذكرنا هؤلاء الملائكة . وقصتهم مذكورة فى (تكوين ٦ : ١ ــ ٨) . لقد رأوا أن بنات الناس حسنات ،فجاءوا الى الأرض ، واغروهن ، وانجبــوا منهن أطفــالا ، وبسبب عملهم هذا ، قد استنتج أن شر الانسان عظيم وان تصوراته شريرة كل يوم .

ويتحدث بطرس فى (٢ بطرس ٢ : ٤) من الملائكة الساقطين ومن انهم طرحوا فى سلاسل الظلام فى جهنم وسلموا محروسين للقضاء . وانهم هم الذين ــ كما يعتقد بعضهم ــ قد بشر لهم أخنوخ .

ويوجد من يعتقد أن المسيح لم يكرز لهم بفرصة أخرى للتوبة والرحمة بل كدليل على انتصاره الكامل ، قــد اعلن لهــم المصير المحــتوم والهلاك الابــدى .

(ج) يعتقد آخرون ان المسيح قد كرز لأولئك الذين كانوا ابرارا فى الماضى فقط ، وانه قادهم من الهادس الى فردوس الله .

والفكرة تتلخص فيما يلى : لقد رأينا كيف أن اليهود كانوا يؤمنون بان كل

الموتى تذهب لهادس ، ارض الظلال والنسيان . وان هذا ينطبق على الناس قبل مجيء المسيح ، ولكن المسيح قد فتح أبواب السماء للجنس البشرى ، وانه عندما عمل ذهب الى هادس وبشر بالأخبار السارة لكل الابرار فى جميع العصور واقتادهم الى الله . والواقع ان هذه صورة رائعة . والذين ينادون بهذا الراى يقولون ان المسيحى لا يجتاز الآن فى هادس بسبب ما عمله المسيح ، بل ان باب فردوس الله مفتوح أمامه حالما ينتهى المشهد الأرضى .

٣ — هناك أيضا الوجهة القائلة بأن ما يقصده بطرس هو ان يسوع المسيح ذهب بين موته وقيامته الى عالم الموتى ، وبشر بالانجيل هناك . فبطرس يقول ان يسوع بعد مات بالجسد : واقيم فى الروح ، وانه كرز بالروح . وهذا يعنى أن يسوع اتخذ جسما بشريا ، وانه كان خاضعا لحدود الزمان والمكان فى أيام تجسده ، وانه مات بهذا الجسد الذى حطم وعذب وسال دمه فوق الصليب . ولكنه عندما قام ثانية فانه بجسد روحانى ، متحررا من ضعفات البشر ، ومن قيود الزمان والمكان ، بحيث أصبح الكون كله هو الحيز الذى يوجد فيه . اذن فتبشير الموتى قد حدث أثناء تلك الحالة الروحية .

واننا نتساءل الآن : ما هى الحقائق وراء هذا التعليم ؟

ان هذا التعليم ينطوى على تقسيم مادى قد عفا عليه الزمن . فالتعليم ينادى بالنزول الى الهادس . فكلمة (نزول) توحى بأن الكون مكون من ثلاثة أدوار ، الفردوس من فوق مثبت فوق السماء ، وهادس من تحت الأرض ، ولكن بغض النظر عن هذا التقسيم الجغرافى المادى ، فان التعليم يحوى حقائق أبدية ثابتة وثمينة . انه يحوى ثلاث حقائق عظمى .

(ا) ان كان المسيح نزل الى هادس ، اذن فيسوع مات حقا ولم يكن موته نوعا من التظاهر او التمثيل . ولا يمكن تفسير موته على انه نوبة اغماء فوق الصليب وماشابه ذلك . فانه قد اختبر الموت حقا ، وقام حقا ، وذلك يجعلنا أيضا نفكر فى المسيح الذى اجتاز كل الاختبارات البشرية من ميلاد وحياة وموت . وان ابسط ما يقال عن هذا التعليم ، انه يؤكد أن المسيح مشابه لنا فى كل شىء حتى فى الموت .

(ب) ان كان المسيح نزل الى هادس ، فان هذا يعنى انتصـــار المسيح الشامل،وهذه الحقيقة نجدها واضحة فى العهد الجديد.فبولس يصرح بأن كل ركبة « ماقى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض يجب أن تجثوا باسم يسوع » (فيلبى ٢ : ١٠) . ويعلمنا سفر الرؤيا أن ترانيم الحمد تنبعث من كل خليقـة « فى السماء ، وعلى الارض ومن تحت الأرض » (رؤيا ٥ : ١٣) . والذى صعد الى السماء هو الذى نزل أولا الى أقســام الأرض السفلى (أفسس ٤ : ٩ و ١٠) . فالخضوع الــكلى من كل ما فى الكون نجده واضحا فى تعليم العهــد الجديد .

(جـ) لو نزل المسيح الى هادس وبشر هناك ، اذن ليست هناك أى بقعة فى الكون لم تصلها رسالة النعمة . توجد فى هــذه الفقرة الاجابة على أكثر الأسئلة غموضا فى الايمان المسيحى ـــ ماالذى سوف يحدث لأولئك الذين عاشوا قبل المسيح ، وللذين لم يصلهم الانجيل ؟ أنه لا خلاص بدون توبة ، وكيف يتوب من لم يسمع عن محبة الله ؟ ان كان لا يوجد اسم به ينبغى أن نخلص الا اسم يسوع ، فما مصير أولئك الذين لم يسمعوا عن هذا الاسم ؟ علق (جوستن مارتر) قديما على هذه النقطة بالقول :

« ان الرب ، اله اسرائيل القدوس ، تذكر موتاه النائمين فى باطن الأرض وجاءهم ليخبرهم ببشائر الخلاص المفرحة » .

نعم .. ان النزول الى هادس يحوى الحق الثمين الذى يعلن انه ما من انسان عاش على ظهر هــذه الأرض ، قد حرم من رؤية المسيح ومن تقــديم خلاص الله له .

يوجد الكثيرون الذين اذ يهتمون بعقيدة « النزول الى الجحيم » ، قد يعتبرون العبـــارة خالية من اى معنى لهم ، ولذا فقد فضلـوا تركها جانبا ونسيانها . وقد يحسن ان نفكر فيها كصورة شعرية جميلة أكثر من ان تكون تعليما لاهوتيا ، وجميل ان تكون هذه العقيدة غذاء للقلب من ان تكون عقيدة يؤمن بها العقل .

ولكن لايصح أن ننسى أنها تحوى ثلاث حقائق عظمى ـــ الحقيقة الاولى

أن المسيح لم يذق طعم الموت فحسب ، بل شربه حتى الثمالة ، وحقيقة انتصار المسيح الشامل ، وحقيقة انه ما من مكان فى هـــذا الكون لم تصـل اليه نعمة الله .

معمودية المسيحى

الَّذِى مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ أَىْ الْمَعْمُودِيَّةُ . لَا إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِى هُوَ فِى يَمِينِ اللهِ إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةٌ وَسَلَاطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ .

(٣ : ٢١ و ٢٢)

تبدو الفقرة من عدد ١٨—٢٢ وكأنها بعيدة عن صلب الموضوع الذى كان يتحدث بطرس فيه . فقد كان بطرس يتحدث عن الناس الاشرار الفاسدين الذين عصوا الله فى أيام نوح ، وأخيرا لقوا حتفهم . ولكن ثمانى أنفس قـد خلصت فى الفلك — نوح وزوجته ، وأولاده سام وحام ويافث ، وزوجاتهم . وقد خلصوا بالماء فى الفلك . ونجد أن فكرة خـلاصهم بالماء تحول تفكير بطرس فجاة الى المعمودية المسيحية ، لأن المعمودية هى ايضا نجاة بالماء . وكأن بطرس يقول حرفيا ان المعمودية هى (مثال) لنوح وأهله فى الفلك . وهذه الكلمة (مثال) تقودنا للتفكير فى العهد القديم بطريقة خاصة . فهناك كلمتان مرتبطتان ببعضهما اشد الارتباط . هناك كلمة (tupos) التى تعنى (ختم) ، وكلمـــة : (antitupos) وتعنى (بصمة الختم) ، وهناك صلة وثيقة بين الختم وبصمته — فكلاهما يشبه الآخر تماما . واذا فان هنـــاك اشخاصا وحوادث فى العهد القديم لها آثارها أو ما يشبهها تماما فى العهد الجديد ، فحوادث العهد القديم وشخصياته بمثابة الختم ، ولها ما يقابلها فى العهد الجديد وكأنها بصمة هذا الختم ، وكلاهما متشابهان . أو قد نقول : ان حادث العهد القديم يرمز ويشير الى حادث العهد الجديد . وأن علم البحث عن الرموز أو الاشياء واشباهها من العهدين القديم والجديد ، قد تطور كثيرا .

ومن الأمثلة البسيطة الواضحة على ذلك ، خروف الفصح ، وكبش الفداء اللذان يرمزان الى يسوع الذى حمل خطايانا ، ووظيفة رئيس الكهنة فى تقديم ذبائح عن خطايا الشعب تشير الى عمل المسيح الفدائى لخلاصنا . وهنا يرى بطرس أن نجاة نوح وعائلته بالماء يشير الى المعمودية .

فى هذه الفقرة يتحدث بطرس عن ثلاثة أشياء عظمى عن المعمودية . ويجب أن نتذكر أولا أنه فى تلك الحقبة من تاريخ الكنيسة ، كان يجرى العماد للبالغين ، عماد أولئك الذين انضموا للمسيحية من الوثنية ، والذين أعلنوا أيمانهم ، وساروا فى حياة وسلوك مختلف عما كانوا عليه .

١ — أن المعمودية ليست تطهيرا جسديا ،حسب انها تطهير القلب والنفس والحياة تطهيرا روحيا .انها ليست حماما لغسل الجسم، انها غسل للحياة بالنعمة ، وأن تأثيرها يجب أن يبقى فى نفس الانسان وعلى حياته .

٢ — ان بطرس يسمى المعمودية « سؤال ضمير صالح نحو الله » (عدد ٢١) وتبرز أمامنا هنا صورة رائعة . ان الكلمة التى يستخدمها بطرس هى كلمة « سؤال » ، وقد كانت هذه الكلمة باليونانية تعبر عن عمل فنى ، لقد كانت كلمة ذات صلة بالقانون ، ففى كل عقد عمل كان هناك سؤال محدد واجابة عليه تجعل العقد سارى المفعول . لقد كان السؤال هو : « هل تقبل شروط العقد وتتعهد بمراعتها ؟ » ، وكانت الاجابة أمام الشهود هى « نعم ». فبدون هذا السؤال والاجابة عليه ، كان يعد العقد باطلا . والاصطلاح الفنى باليونانية عن هذا السؤال واجابته هو نفس الكلمة المستخدمة هنا وكأنى ببطرس يقول : ان الله يقول للشخص القادم من الوثنية عند المعمودية المسيحية : « هل تقبل شروط خدمتى ؟ هل تقبل امتيازاتها ومواعيدها كما تقبل مسئولياتها والتزامها ؟ » ، فيجيب الشخص المعمد قائلا : «نعم» ،ونحن نستعمل كلمة (فريضة) اى(فريضة العماد)، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية التى تعنى (يمين الولاء) الذى يردده الجندى الداخل فى خدمة الجيش . ويوجد نفس المشهد فى هذه الفريضة . فنحن لا يمكن أن نسأل هذا السؤال وننتظر الاجابة سوى فى معمودية الكبار ، أما فى الصغار فيجب توجيه السؤال للوالدين ، ولكن كما قلنا من قبل ، ان المعمودية فى الكنيسة الأولى كانت معمودية الكبار الذين يأتون لاعتناق المسيحية من الوثنية ، أما

اليوم فيجب توجيه السؤال للمنضمين الى الكنيسة . فعندما ننضم لعضوية الكنيسة ، فان الله يوجه لنـــا هذا السؤال : « هل تقبل شروط خدمتى بمـــا فيها من امتيازات والتزامات ؟ » . ونحن نجيب : « نعم » . يجب ان يفهم اعضاء الكنيسة اهمية عضويتهم للكنيسة .

٣ — أن تأثير واهمية المعمودية ترجع لقيامة يسوع المسيح . فنعمة الرب المقام تطهرنا . فنحن اثناء المعمودية نتعهد امام الرب المقـــام ، ونحن أمامه كذلك نطلب القوة والنعمة لكى نحفظ تعهـــــداتنا بالنسبة له . وان التعهدات التى تؤخذ على الوالدين اثناء معمودية أطفالهم ، يجب تطبيقهـــا علينا كذلك عند انضمامنا للكنيسة بمحض اختيارنا .

الاصحاح الرابع

واجبات المسيحى

فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية فإن من تألم فى الجسد كف عن الخطية . لكى لا يعيش أيضاً الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله . لأن زمان الحيوة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة . الأمر الذى فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدفين . الذين سوف يعطون حساباً للذى هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات .

(٤ : ١ — ٥)

مطلوب من المسيحى ان يهجر طرق الوثنية والفساد ، ويحيا كما يريد منه الله . ان بطرس يقول : « فان من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، ماذا تعنى هذه الآية ؟ يصعب أن نحدد ما تعنيه . ولكن هناك ثلاثة احتمالات واضحة لذلك .

١ — هناك اعتقاد راسخ عند اليهود بأن الالم فى حد ذاته أكبر مطهر ، وانه كما أن النار تطهر الذهب ، هكذا فالألم يطهر النفس . ويتحدث باروخ

الـكاتب عن اختبارات شعب اسرائيل قائلا : « ولذلك فانهم قـد ادبو حتى يتقدسوا » (١٣ : ١٠) . ويقول اخنوخ مشيرا الى تطهير ارواح الناس : « وكلما ازداد الم اجسادهم حدة ، فان تغييرا مماثلا بمقدار الالم يحـدث فى أرواحهم الى الأبد ، لانه أمام رب الارواح ليس من يتفوه بكلمة كذب»(٩:٦٧). ويتحدث كاتب سفر المكابيين الثانى عن آلام الشعب قائلا : « اناشد كل من يقرأ هذا السفر الا ييأس أو يخاف أو يرتعب بسبب هذه المصائب ، لأن كل هذا العقاب ليس للهلاك بل لتأديب أمتنا.فان عدم ترك الخطاة ليعلموا زمنا طويلا حسب رأيهم بل معاقبتهم فـورا علامة احسـان عظيم . لأن الرب (ليس كما على الأمم الاخرى) يطيل اناته ليعاقبهم بملء الخطايا فى العذاب هكذا قضىأن يكون علينا لئلا نترك الى الانقضاء فيجازينا اخيرا حسبخطايانا. لاجل هذا فحينما يوبخ بالبلايا شعبه لا يخذله » فالفكرة هنا أن الالم يقدس ، وأن اكبر عقوبة يصبها الله على اى انسان أن يهمله ويتركه دون عتاب . «طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب وتعلمه من شريعتك » . (مزمور ٩٤ : ١٢)، وقال اليفاز : « هوذا طوبى للرجل الذى يؤدبـه الله . (أيوب ٥ : ١٧) . « لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله » (عبرانيين ١٢ : ٦) .

ان هذه الفكرة تعنى أن التأديب بالألم هو واسطة الشفاء من الخطية . انها فكرة عظيمة . انها تمكننا ، كما قال برونتج من أن « نرحب بكل ضائقة تد تجعل الارض طريق أمامنا وعرا » ، ان هذه الفكرة تجعلنا نرى المعانى الكامنة فى اختبارات الحياة ، وأن نشكر الله من أجل الاختبارات المؤلمة التى تخلص نفوسنا . ولكن بالرغم من عظمة هذه الفـكرة ، فانها قد لا تكون الفكرة التى قصدها بطرس .

٢ ــ يعتقد (بج) أن ما يقصده بطرس من عبارة « من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، ان ذلك الألم الذى يجتاز فيه الشعب هو الالم الناتج عن الاضطهاد ، وعدم التقدير وسوء المعاملة بسبب التمسك بالايمان المسيحى .

ويوضح (بج) ذلك بالقول : « ان من يحتمل الالم بوداعة وخوف ، ومن يحتمل كل ما يأتى به الاضطهاد عليه ، ولا يشترك فى الطرق الشريرة ، فانه لا يفعل الخطية ، ولا يصبح للاغراء أى تأثير عليه بعد » لأن من مـر فى الاضطهاد ،ولم ينكر اسم المسيح ، ودافع عن الايمان ، فانه يخرج من ذلك وله شخصية ثابتة وايمان راسخ ، فلا يمكن لاى اغراء أن يمسه بسوء . ثم

هناك فكرة عظيمة أخرى ، وهى أن كل تجربة وكل اغراء ليس القصد منه أن يجعلنا نسقط ، بل يجعلنا اقوى وأمتن وفى حالة افضل وكل اغراء نتغلب عليــه يجعلنا فى موقف يسهل علينا فيه مقاومة الاغراء الآخر ، وكل تجربة نتغلب عليها تمكننا من مواجهـــة اى تجربة أخرى ، ومن تحـدى الضربة القادمة . وانها لفكرة رائعة ، ولكن من المشكوك فيه أن تكون هى الفكــرة المقصــودة .

٣ ــ هناك تفسير آخر ، ومن المحتمــل أن يكون التفسير الصحيح . يقول بطرس : « من تألم فى الجسد كف عن الخطية » ، لقــد كان بطــرس يتحدث عن المعمودية ، وأوضح صــورة للمعمودية فى الكتاب نجـــدها فى رومية (٦) . ففى هذا الاصحاح يتحدث بولس عن اختيار المعمودية قائلا : «اننا دفنا معه بالمعمودية للموت وقمنا مع المسيح لنسلك فى جدة الحياة» . انها تعنى الموت عن الخطية، والقيامة لنحيا للبر . انها تمثى التشبه بالمسيح فى كل شىء ، فى حياته ، وتجاربه وآلامه وموته وأخيرا قيامته . ونحن نعتقد أن هذا هو ما يقصده بطرس هنـــا . لقد تكلم من قبل عن المعمودية ،والآن يقول:«ان من اشترك بالمعمودية فى آلام المسيح وموته،قد قام فى جدة الحياة معه ، حتى أن الخطيــة لن تسودكم » (رومية ٦ :١٤) . ويجب أن نذكر ثانية ، أن هذه المعمودية المشـــار اليها هى معمودية الــكبار ، معمـــودية الشخص الذى يأتى للمسيحية طواعية واختيـــارا من الوثنية ، ففى أثناء معموديته فانه يشارك المسيح آلامه وموته ، كما يشاركه أيضا حياته المقامة وقوته المقامة ، ولذا فانه ينتصر على الخطية .

عندما يحدث ذلك ، فان الشخص يودع حياته الســـابقة فى الخطية . فتنتهى من حياته سيطرة الكبرياء واللذات العالمية ، وتبدأ حياة الله فيـــه . ليس ذلك بالأمر الهين ، لان رفقاء الانسان السابقين يضحكون عليه وعلى « النقاوة » التى تتسم بها حياته . ولكن المسيحى يعلم جيدا ان دينونة الله قادمة ، وأن كل ما فى الأرض سيزول وأن المسرات الأبدية التى سينـــالها ستعوضه ألف مرة عن الملذات الوقتية الزائلة التى قد هجرها .

فَإِنَّهُ لِأَجْلِ هٰذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ وَلٰكِنْ لِيَحْيَوْا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ .

(٤ : ٦)

ان هذه الفقرة الصعبة،تنتهى بآية يصعب تفسيرها.فتبرز أمامنا ثانية فكرة تبشير الانجيل للموتى . هناك ثلاثة معان مختلفة لكلمة « موتى » .

١ — فقد قصد بها موتى الخطية ، ليس الموتى بالجسد ، ولكن هؤلاء الذين تحت تأثير الخطية القاتل .

٢ — قصد بها آخرون — الموتى الذين ماتوا قبل المجيء الثانى للمسيح . انهم موتى ، ولكنهم سمعوا بالانجيل قبل موتهم ، وانهم سيتمتعون بالمجد .

٣ — فسرها آخرون على أنها تعنى ببساطة كل الموتى . وليس من شك فى أن هذا هو المعنى الصحيح ، فبطرس كان يتحدث عن نزول المسيح الى مقر الموتى ، وهنا يعود لفكرة كرازة المسيح للموتى .

ولكن ما معنى القول : انهم مع أنهم (قد دينوا حسب الناس بالجسد) ، (بشر بالانجيل لهم لكى يحيوا حسب الله بالروح ؟) .

ليس من معنى كاف قدم لتفسير هذه الآية ، ولكننا نعتقد أن افضل تفسير هو كما يأتى : ان الموت هو أجرة الخطية ، وهذا ينطبق على كل انسان . ولقد قال بولس فى هذا الصدد : « وكأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » ، (رومية ٥ : ١٢) .

فلو لم توجد خطية ، لما كان هناك موت . فالموت عقوبة الخطية ، ولذا فالموت فى حد ذاته دينونة . ولذا ، فان بطرس يقول ، ان الموت يعنى دينونة

الجميع . فلأنهم بشر فهم تحت دينونة الموت . ولكن برغم ذلك فان بطرس يتحدث عن تلك الفكرة المدهشة عن أن المسيح نزل الى عالم الموتى وبشر بالانجيل هناك ، وهذه الحقيقة عينها تعنى أنه برغم أن الموتى قد دينوا بحكم الموت الا أن الموتى ما زالت لهم فرصة أخرى ليزكوا الانجيل ، وليحيوا بروح الله .

وأن هذه الآية من اعجب الآيات فى الكتاب المقدس ، لانه اذا كان تفسيرنا يقرب من الحقيقة ، فانه يجعلنا ندرك شيئا مثيرا جدا عن انجيل الفرصة الثانية .

اقتراب النهاية

وَإِنَّمَا نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ ٱقْتَرَبَتْ.

(٤ : ١٧)

اننا نجد هذا التنبيه فى كل العهد الجديد ، فبولس يحضنا قائلا انها ساعة لنستيقظ من النوم ، لأنه قد تناهى الليل وتقارب النهار (رومية ١٣ : ١١ و ١٢) ،ويكتب الى أهل فيلبى قائلا : « أن الرب قريب » (فيلبى ٤ : ٥) ويكتب يعقوب « ان مجىء الرب قد اقترب » (يعقوب ٥ : ٨) ، ويقول يوحنا « انها الساعة الأخيرة » (١ يوحنا ٢ : ١٨) .ويقول يوحنا أيضا فى سفر الرؤيا«أن الوقت قريب» ، فيسمع صوت المسيح المقام شاهدا « نعم . أنا آتى سريعا » (رؤيا ١ : ٣ ، ٢٢ : ٢٠) .

يوجد كثيرون يعتبرون هذه الفقرات من العهد الجديد كالغاز ، لأنهما اذا فسرت حرفيا ، فان ذلك يعنى أن كتاب العهد الجديد مخطئون . فقد مر تسعة عشر قرنا دون أن تأتى النهاية . ان هذه الفقرات تمثل مشكلة أمام دارسى الكتاب المقدس ، ولكن هناك أربعة احتمالات لتفسير هذه العبارات :

١ — إن الافتراض الأول الذى نواجهة ان كتاب العهد الجديد كانوا مخطئين ، وأنهم كانوا يتوقعون مجىء المسيح ونهاية العالم فى عصرهم وجيلهم ، ولكن كل هذا لم يحدث . لو اعتقدنا هذا الاعتقاد فانه يكون من

المستغرب أن تترك الكنيسة المسيحية هذه الكلمات كما هى فقد كان يمكن حذف تلك الكلمات من وثائق العهد الجديد ، ومع ذلك فقد تركت كما هى . فالعهد الجديد لم يثبت على ما هو عليه الآن سوى فى القرن الثانى . وعندما ثبت نهائيا ، فان عبارات كهذه قد ثار حولها جدل كبير . والتفسير المقبول لذلك ان اهل الكنيسة الاولى لم يفكروا مطلقا انهم كانوا على خطأ ؛ واعتقدوا فى صحة تلك الكلمات .

٢ — هناك تفسير آخر ينادى بأن النهاية قد جاءت فعلا . فمجىء المسيح كان بمثابة تتويج للتاريخ ، فبه غزت الأبدية الزمن ، وبه تدخل الله فى مجرى الحوادث البشرية ، وفيه تمت جميع النبوات . وفيه جاءت النهاية. فبولس يتحدث عن نفسه وعن شعبه أنهمهم الذين انتهت اليهم أواخر الدهور (١ كورنثوس ١٠ : ١١) ، ويتحدث بطرس فى عظته الأولى عن نبوءة يوئيل فى انسكاب الروح وعما سوف يحدث فى الأيام الأخيرة ، ويقول ان هذه الأيام هى تحقيق لما جاء فى النبوة ، وأن الناس يعيشون فعلا فى الايام الأخيرة التى تحدث عنها النبى (أعمال ٢ : ١٦ — ٢١) .

فلو قبلنا ذلك ، فان هذا يعنى أن التاريخ قد انتهى بمجىء المسيح . وأن المعركة قد انتهت بالفوز ، وأنه لم يتبق سوى فلول قليلة تقف موقف المعارضة ، ستكتسح نهائيا . ان ذلك يعنى أننا نعيش فى هذه اللحظات فى « أواخر الأيام » ، وذلك طبقا لما اسماه احدهم « خاتمة التاريخ » .

ان هذه الوجهة شائعة وصحيحة ، ولكنها تسبق الحوادث .

فالشر منتشر كما هو ، والانسان عاص كما كان ، والعالم لم يزل رافضا للمسيح ، ولم يتقبله بعد كملك . قد نكون فى « أواخر الأيام » ، ولكن الفجر ما زال بعيدا عنا .

٣ — هناك أيضا من يفسرون كلمة «قريب» فى ضوء التاريخ . فالتاريخ لا حدود له . ولتوضيح ذلك قالوا ، فلنفرض اننا نشبه الزمن كله بعمود فى ارتفاع مسلة كليوباترا ، ووضعنا طابع بريد واحد فى اعلاه ، فان التاريخ المدون يمثل طول ذلك الطابع بينما يمثل التاريخ الغير مدون اى عصور ما قبل التاريخ باقى طول ذلك العمود . فعندما نفكر فى الزمن بهذه الطريقة ،

فان كلمة « قريب » تضحى كلمة نسبية . فقد كان المرنم على حق حرفيـــا وتاريخيا عندما قال : « ان الف سنة فى عينى الله كهـــزيع من الليل » (مزمور ٩٠ : ٤) . وفى هذه الحــالة فان كلمة « قريب » قد تعنى قرونا وأجيالا ، دون أن يكون هناك أى خطأ فى استعمالها .

ولكن من المؤكد أن كتاب الكتاب لم يقصدوا استعمال كلمة « قريب » بهذا المعنى ، لأنهم لم يكن عندهم فكرة عن التـــاريخ بهـــذا المعنى المشار اليه .

٤ ـ توجد خلف كل ذلك حقيقة بسيطة . وهى حقيقة شخصية ولا يمكن التهرب منهـا . فبالنسبة لـكل واحد منا « الوقت قريب » ، ولكل واحد منا الساعة تجرى وتقترب . فيمكن أن يقال عن كل انسان انه سيموت . فالرب قريب لـكل واحد منا . ونحن لا يمكن أن نتنبأ بالساعة أو اليوم الذى سنذهب فيه لملاقاة الهتــا ، ولذلك فالحياة يجب أن نحيـــاها فى ظل الأبدية .

قال بطرس « انما نهاية كل شىء قد اقتربت » . قد يـكون المفـكرون الأوائل على خطأ عندما ظنوا قديما ان نهاية العـالم قد دنت ، ولكنهم تركوا لنا تحذيرا ، وهو أن النهاية قريبة من كل شخص منا ، وأن هذه التحذيرات لهى بالغة الأهمية بالنسبة لنا ، نظرا لتلك الحقيقة ؛ الآن كما كانت قديما .

الحياة فى ظل الأبدية

فَتَعَقَّلُوا وَٱصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ . وَلٰـكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَكُنْ مَحَبَّتُـكُمْ بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً لِأَنَّ ٱلْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ ٱلْخَطَايَا .

(٤ : ٧ ب ، ٨)

عندما يتحقق الانســان من قرب مجىء المســيح ، فانه يخضع نفسه

لسلوك معين . وبطـــرس يطـــالب هنـــا بأربعة اشيـــاء علـــى المسيحى ان يتبعهـــا :

١ ـــ انه يقول اننا يجب ان (نتعقل) . والعقل الذى يستخدمه بطرس اشتقه اليونان من الفعل الذى يعنى (يحفظ سالما) واهم ميزة للتعقل رؤية الأمور فى وضعها الصحيح ، ان التعقل يؤدى الى معرفة ما هو مهم وما هو غير مهم ، فهـــو لا يقود الى الاندفاع الفجائى او الانجراف فى تيار الاهواء ، وهو لا يؤدى الى التعصب الغير متزن ولا الى عدم المبـــالاة والاهمال . اننا نرى الأمور فى وضعها الصحيح ، ونزنها بميزانها الدقيق فقط عندما نراها فى ضوء الابدية .

فعندما يحل الله مكانته الـــلائقة به فى حياتنـــا ، نجد أن كل الأشيـــاء تحتل أيضا مكانها الصحيح .

٢ ـــ انه يقول أيضا اننا يجب ان (نصحوا) أى أن نكون يقظين . ان هذا الفعل فى الأصل يعنى « حالة الصحو » ، على النقيض من « حالـــة السكر » ، ثم اصبح بعدئذ يعنى « التصرف بعقل وفطنة » . ان ذلك لا يعنى أن المسيحى يفقد فرحه ليصبح فى جو من الـــكآبة ، بل يعنى أنه لا يصح أن يتصرف فى الحياة تصرفات طائشة خالية من الشعور بالمســـــئولية . فأخذ الأمور على محمل الجد يعنىتقدير اهمية الاشياء ، وتقدير عواقبها فى الزمن الحاضر والأبدية ، والاحساس بنتائجها وأثرها علينا وعلى الآخرين ، وعدم اعتبار الحياة ملهاة نتلهى بها بل تقديرها حق قدرها ، مع الايمـــان بأننـــــا مسئولون عن كل ما نعمل ، وأننا سوف نعطى حسابا عن كل عمل خيرا كان أم شرا .

٣ ـــ أنه يقول اننا يجب ان نعمل ذلك حتى نصلى كمـــا ينبغى . أى كان بطرس يريد أن يقول اننا يجب أن تكون لنا حياة الصلاة . فعندما يكون عقل الانسان غير متزن ، وعندما يسمح بالأحقـــاد أن تتملك عليه ، وعندما يتصرف فى الحيـــــاة تصرفا طائشا أنانيا ومتجـــــردا من المسئولية ، فمن الواضح انه لا يمكنه أن يصلى كما يجب . انه سوف لا يعرف ماذا يطلب ، وبذلك يطلب رديئا . اننا نتعلم الصلاة ، عندما نتصرف فى الحيـــــاة بحكمة وتعقل ، عندئذ نقول : « لتكن ارادتك » فى كل شىء . ان أهم داع للصلاة

هو الرغبة الملحة ، لا لنحصل على ما نشتهى ، بل أن نكتشف ارادة الله من نحونا .

٤ ـ انه يقول (لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة) . أى انه يحثنا على ان نداوم المحبة لبعضنا البعض . والكلمة التى يستخدمها بطرس ليصف المحبة المسيحية لها معنيان : انها تعنى المحبة الدائمة الثابتة الغير متقلبة . ان محبتنا يجب الا تتقلب . ولكن الكلمة تعنى اكثر من ذلك ، انها تعنى المحبة التى تمتد الى الامام كما يتقدم العداء فى الجرى . ويذكرنا كارنفيلد .أن ذلك يعنى « أنه عندما يقفز الحصان تكون كل عضلة فى جسمه فى وضع مشدود ، كالرياضى » ، ان أمامنا هنا حقيقة مسيحية اساسية . فالمحبة المسيحية ليست رد فعل عاطفى سهل . انها تتطلب بذل جهد عقلى وروحى . انها تتطلب تحريك كل عصب وعضلة بالمعنى الروحى . انها تعنى محبة أولئك الغير جديرين بالحب ، انا تعنى المحبة برغم الاساءة والاهانة ، انها تعنى المحبة ،حتى عندما تقابل بالجفاء .

ان المحبة المسيحية هى المحبة الثابتة ، التى تتطلب كل جهد بشرى .

ولذا ، فان المسيحى فى ضوء الأبدية يجب أن يحفظ نفسه فى حالة التيقظ والتعقل ، وأن يكون مصليا ومحبا .

قـوة المحبـــة

يقول بطرس : « ان المحبة تستر كثرة من الخطايا » . ان هذا القول يعنى ثلاثة أشياء ، ولا داعى للمفضالة بينها ، فكلها تؤدى المعنى ، وكلهـا قيمة .

١ ـ ان القول قد يعنى ان محبتنا يمكن أن تتغاضى عن خطايا كثيرة . قال صاحب الأمثال : « المحبة تستر كل الذنوب » (أمثال ١٠ : ١٢) .

فان أحببنا شخصا ، فانه من السهل علينا ان نغفر له . وذلك لا يعنى ان المحـبة عمياء ، ولكن المحبة تتجه الى الشخص بكل ما فيـه ، حتى الى اخطائه . ان المحبة تساعـد على الصبر . فمـن السهل أن نصبر علـى اخطاء أولادنا من أن نحتمل أولاد الغرباء . فان كنا حقا نحب الاخرين ، فاننا يمكن أن نتقبل اخطاءهم ونحتمل سخافاتهم ، حتى أننا نصبر على قساوتهم وجفوتهم ايضا . فالمحبة حقا تستر كثرة من الخطايا .

٢ ـ قد يعنى أيضا أنه اذا كنا نحب الآخرين ، فان الله يتغاضى عن كثير من الخطـايا التى فينـا . فى الحياة صنفان من الناس . فقد نصادف اناسا لا يرتكبون اخطاء جسيمة تكون عرضـة لحديـث الناس ، فليس فى حياتهم ما ينتقدون عليه ، انهم مستقيمون ، أخلاقيون ومحترمون ، ولكنهم قليلوا العطف ، ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا يرتكب الآخرون أخطاء ، ولذا فهم جامدون غير مرنين . ونقابل صنفا آخر من النـاس يرتكبون أخطـاء عديدة ، ويقعون تحت تأثير العادات الضارة الغير لائقة ، التى تجعل الآخرين يتقولون عليهم بما لا يجب ، ولكنهـم شفوقون عطـوفون ، انهم يغفـرون ويساعدون ويعملون على راحة الآخرين ، ولا يدينونهم . ان القلب يعطـف على النوع الثانى من الناس ، ونقول أيضا ان الله هكذا . فالله يحب الانسان الذى يحب ويساعد الآخرين .

٣ ـ ان القول قد يعنى أيضا : ان المحبة : تستر كثرة من خطايانـا . ان ذلك القول لهو صحيح كل الصحة . ان معجزة النعمة هى انه برغم اننا خطاة فالله أحبنا ، ولهذا أرسل ابنه .

انه قول مبـــارك ، وكيفما فسرناه ، فما زالت المحبة تستر كثرة من الخطـــايا .

المسئولية المسيحية

كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضــاً بِلَا دَمْدَمَةٍ . لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَوُكَلَاءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ .

(٤ : ٩ و ١٠)

فى هذا الجزء من الرسالة ، يسيطر على عقل بطرس التفكير فى قرب النهاية . ومن الاهمية بمكان أن نلاحظ انه لا يحث الناس نتيجـــة لذلك أن يبتعدوا عن العالم ويكرسوا جهودهم فى شبه حملة خاصة لخلاص نفوسهم ، بل انه يحثهم على أن يذهبوا للعالم لخدمة الآخرين . ان قرب النهـــاية كان مدعاة لا للانفصال عن العالم فى محاولة كسب خلاص قائم على الأنانية ؛ بل ان بطرس كان يعتبره سببا فى الاهتمام بالعـــالم فى محاولة جديـــة لخدمـــة الآخرين .

فبطرس يرى أن الانسان السعيد هو الذى جاءتـــه النهاية لا تجـــده منعزلا فى صومعة ، أو متعبـــدا فى دير ، بل منهمكا فى العـــالم فى خدمـــة بنى جنسه .

١ ـــ ان بطرس يحث الشعب ـــ قبل كل شىء ـــ أن يكون مضيافا . فلولا كرم الضيافة لما وجدت الكنيسة الأولى . فالمرسلون الأوائل الذين كانوا يسافرون لنشر الانجيل لم يكن لهم مكان ينزلون فيه لولا ضيافـــة المسيحيين لهم .

فالفنادق الموجودة وقتئذ كانت مكلفة ، وقذرة ، وموبوءة . فلولا ضيافة المسيحيين الأوائل ، لفشل عمل المرسلين الأوائل . وهكذا نجـــد أن بطرس

ينزل عند سمعان رجل دباغ (أعمال ١٠ : ٦) ، وبولس ورفاقه ذهبوا الى مناسون القبرسى وهو تلميذ قديم (أعمال ٢١ : ١٦) وكثيرون غيرهم اذ فتحوا بيوتهم للرسل . سهلوا عمل الكرازة المسيحية .

ولكن الضيافة لم تكن قاصرة على المرسلين فقط ، لقد كانت الكنائس المحلية فى حاجة اليها . لم تكن هناك أية مبانى للكنائس لمدة مائتى عام تقريبا منذ بدء انتشار المسيحية ، ولذا فقد كانت الكنيسة مضطرة للاجتماع فى منازل أولئك الذين كانوا على استعداد أن يقدموا بعض الحجرات من منازلهم ، لهذا الغرض . ولذا نقرأ عن الكنيسة التى كانت فى بيت اكيلا وبريسكلا (رومية ١٦ : ٥ ، ١ كورنثوس ١٦ : ١٩) ، والكنيسة التى كانت فى بيت فليمون (فليمون ٢) فلولا أولئك الذين فتحوا بيوتهم ، ما كانت الكنيسة قد اجتمعت للعبادة على الاطلاق .

فلا عجب اذن ، ان كان يذكر مرارا وتكرارا ، أن واجب الضيافة محتم على المسيحيين . فالمسيحى يجب أن يعكف على اضافة الغرباء (١ تيمو ثاوس ٣ : ٢) ، وارامل الكنيسة يجب أن يضفن الغرباء (١ تيمو ثاوس ٥ : ١٠) .

والمسيحى لا يصح أن ينسى اضافة الغرباء وان يذكر ان بها (بالمحبة) اضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون (عبرانيين ١٣ : ٢) . والأسقف يجب أن يكون مضيفا للغرباء (تيطس ١ : ٨) ، ويجب أن يذكر أنه قيل لأولئك الذين على اليمين : « كنت غريبا فآويتمونى » ، وللذين على اليسار « كنت غريبا فلم تأوونى » (متى ٢٥ : ٣٥ و ٤٣) .

فقد كانت الكنيسة فى البداية تعتمد على كرم ضيافة أعضائها ، وليومنا هذا ، ان أعظم هبة يمكن أن تقدم هى اضافة البيت المسيحى لشخص غريب فى مكان غريب .

٢ — أى موهبة يتمتع بها الفرد ، يجب أن يضعها طوعا واختيارا لخدمة المجتمع . هذه فكرة مألوفة فى العهد الجديد ، يفصلها بولس فى (رومية ١٢ : ٣ — ٨ ، ١ كورنثوس ١٢) . فالكنيسة فى حاجة الى كل موهبة يتمتع بها كل فرد .

قد تكون موهبة فى الحديث ، او الموسيقى ، او القدرة على زيارة الآخرين . وقد تكون مهارة خاصة يمكن استخدامها فى خدمة الكنيسة . وقد تكون منزلا او نقودا يمتلكها احدهم . ان اى موهبة او عطية قد توضع تحت تصرف الكنيسة .

والمسيحى يجب أن يعتبر نفسه وكيلا لله . فقد كان الوكيل يقوم بوظيفة هامة فى العالم القديم . قد يكون عبدا ، ولكن كل ما يملكه سيده تحت تصرفه . لقد كان هناك نوعان من الوكلاء : الموزع الذى كان مسئولا عن كل ما يتعلق بتصريف الشئون المنزلية والذى يوزع المؤن المنزلية ، وشريف الأرض الذى كان مسئولا عن املاك سيده ، والذى كان يمثل سيده امام المستأجرين . لقد كان الوكيل يعلم جيدا انه ما من شىء تحت سيطرته ملك له ، ولكن كل شىء ملك لسيده . وكان لا يملك تنفيذ اى شىء سوى بعد استشارة سيده ، وهو مسئول عن كل ما يعمل أمام سيده .

والمسيحى يجب أن يقتنع تماما بأن كل ما يمتلكه من متاع مادى أو صفات شخصية ليس لذاته ، بل أن الكل لله ، وانه يجب أن يستخدم ما عنده كما يريد الله منه أن يعمل ، وانه مسئول مسئولية تامة أمام الله . ان كان الأمر كذلك ، فان المسيحى يجب أن يتأكد أن عليه استخدام كل ما يملك فى خدمة الآخرين .

مصدر وغاية كل كفاح مسيحى

إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ . وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ لِكَىْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِى كُلِّ شَىْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِى لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ آمِينَ .
(٤ : ١١)

يتجه تفكير بطرس هنا الى وجهين من أوجه نشاط الكنيسة المسيحية ، النشاط التبشيرى ، ونشاط الخدمة العملية . والكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن « اقوال » هى كلمة (Logia) ، وهى تستخدم للدلالة

من أمور الهية. فالوثنى كان يستخدمها بقصد التعبير عن الاعلانات التى تأتيه من الآلهة أو هكذا اعتقد ، والمسيحى يستخدمها للتعبير عن كلمات الوحى وكلمات المسيح . ولذا فكاني ببطرس يقول : « ان كانت تقع مسئولية التبشير على أحد ، فعليه الا يبشر مقدما آراءه الخاصة أو يظهر أى تحيز ، بل عليه أن يبشر بالرسالة التى يمنحها الله اياه . » ، قيل عن احد المبشرين العظام انه كان « يستمع الى الله قبل أن يتكلم الى الشعب » ، وقيل عن مبشر آخر انه « عندما كان يبشر ، كان يسكت قليلا أثناء تبشيره ، وكأنه يستمع لصوت يأتيه من بعيد » . هنا يكمن السر فى قوة الكرازة .

ثم أن بطرس يذهب للقول ، انه اذا كان مسيحى يقوم بتأدية اية خدمة مسيحية ، فعليه ان يؤديها (كما من قوة يمنحها الله) وكأنه يقول : (عندما تقوم بخدمة مسيحية ، لا يصح أن تؤديها كما لو كنت تتفضل بالقيام بخدمة شخصية او تتبرع مما عندك ، بل يجب أن تؤدى الخدمة وانت مدرك تماما انك تعطى ما أعطاك الله) .

ان تفكيرا كهذا يحفظ المعطى من كل كبرياء ، ويترك للمعطية كرامتها .

ان الهدف من كل شىء ان يتمجد الله . ان هدف الكرازة ليس الاعلان عن المبشر ، بل تقريب الناس من الله . وليس الهدف من الخدمة تقديم الشكر للمعطى واذاعة صيته ، بل لتوجيه نظر الناس الى الله .

يذكرنا سلوين أن شعار عهد البركة للرهبان يكون من أربعة حروف وهى (LOGD) والتى تعنى باللاتينية (ليتمجد الله فى كل شىء) . أن الكنيسة تعود لمجدها ، وتكثر النعمة لها ، اذا كف اعضاؤها عن تمجيد أنفسهم ، وعملوا بدلا من ذلك على تقديم المجد لله . ويجدر بنا أن نضع هذه الحروف أمامنا (LOGD) دائما حتى لا ننسى أن كل شىء يجب أن يعمل لمجد الله ، ولانكار الذات .

حتمية الاضطهاد

أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ . . بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهِجِينَ .

(٤ : ١٢ و ١٣)

من الطبيعى ان يخشى الأمميون الاضطهاد اكثر من اليهود . فالاممى العادى لم يختبر الاضطهاد ، ولكن اليهود قد مروا فى اضطهادات كثيرة ، فالاضطهاد جزء من تراثهم . ولقد كان بطرس يكتب لمسيحيين كانوا امميين قبلا ، ولذا كان يحاول مساعدتهم فى فهم حقيقة الاضطهاد . ليس من السهل أن يصبح الانسان مسيحيا . فالحياة المسيحية تتطلب العزلة ، وقد تؤلب الآخرين على الشخص المسيحى وتجر عليه المشاكل والاضطهاد ، وتجعله يضحى بالكثير . ولذا يحسن التفكير فى بعض المبادىء الهامة ، التى يلفت بطرس نظرنا اليها .

١ — يعتقد بطرس أن الاضطهاد ضرورى . فالانسان الطبيعى دائما يكره وينبذ ، ولا يقبل بارتياح كل ما هو مختلف ، والمسيحى بالضرورة مختلف عن العالم . فهذا الاختلاف الذى يظهر فى الحياة المسيحية ، يضفى على المسألة نوعا من الحدة والتوتر . فالمسيحى يأتى بمثل جديدة أمام العالم ، وهو يواجه العالم مقدما المسيح بطريقته الخاصة . أى أن المسيحى يقوم مقام الضمير فى أى مجموعة من البشر يتعامل معها ، وكثيرون يودون اسكات لذعات الضمير . فالصلاح الذى يبدو فى حياة المسيحى يعتبر قذى واساءة ، فى عالم يعد الصلاح عقبة فى طريقه .

٢ — من رأى بطرس أن الاضطهاد امتحان . انه امتحان من زاويتين . فاخلاص اى شخص لأى مبدأ يمكن اختباره برغبة الشخص فى أن يضحى ويتألم فى سبيل هذا المبدأ ، ولذا فان اى نوع من الاضطهاد هو بمثابة

امتحان لايمان الفرد . ولكن من زاوية اخرى يمكننا ان نقـــول ان المسيحى الحقيقى فقط هو الذى يضطهد . فالمسيحى الذى يشارك العالم والذى يخلط ويجمع فى حياته بين النقيضين ، سوف لا يتعـــرض حتما للاضـــطهاد . فالاضطهاد ، من الناحيتين ، هو امتحان لصحة ايمان الشخص .

٣ ــ والآن نتجه بعيـوننا الى اشياء عظمى ، فالاضطهاد هو مشاركة فى آلام يسوع المسيح . عندما يتألم ويضحى انسان من اجل مسيحيته ، فانه يسلك نفس الطريق التى سلكها سيده ، ويشـــارك فى حمل الصليب الذى حمله سيده ايضا . ان هذه الفكرة مألوفة فى العهد الجديد . « ان كنا نتألم معه لــكى نتمجد ايضا معه » . (رومية ٨ : ١٧) . وان اشتياق بولس ان يدخل (فى شركة آلام المسيح) (فيلبى ٣ : ١٠) . « ان كنا نصبر ، فسنملك أيضا معه » (٢ تى ٢ : ١٢) .ان كنا نذكر ذلك : فان اى تضحية او آلام فى سبيل المسيح تعد امتيازا وليست عقوبة .

٤ ــ الاضهاد طريق المجد .والصليب هو الطريق الى التاج .ولا يمكن ان يكون المســـيح مديونا لاحد ، فاكاليله وفرحه معــدان للشخص الذى اتبعه ولم يحد عنه فى جميع الظروف حلوها ومرها .

بركات الالام من اجل المسيح

إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ لأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ . أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيُجَدَّفُ عَلَيْهِ وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيُمَجَّدُ . فَلاَ يَتَأَلَّمْ أَحَدُكُمْ كَقَاتِلٍ أَوْ سَارِقٍ أَوْ فَاعِلِ شَرٍّ أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورِ غَيْرِهِ . وَلٰكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ فَلاَ يَخْجَلْ بَلْ يُمَجِّدُ اللهَ مِنْ هٰذَا الْقَبِيلِ .

(٤ : ١٤ ــ ١٦)

يتحدث بطرس هنـــا عن أمور عظمى . فهـــو يقول ، انه ان كان أحد يتألم من اجل المسيح فان روح المجـــد يحل عليه . وقد وردت هذه العبارة

باليونانية لتعنى حرفيا (وجود المجد يحل عليكم) ، ونحن نعتقد أنها تعنى شيئا واحدا . فاليهود كانوا يعتقدون فيما يسمونه (الشكينة) وهى الوهج المضيء عند حضور الله ذاته . واننا نجد ذلك بوضوح فى العهد القديم . فموسى يقول : « وفى الصباح ترون مجد الرب » (خروج ١٦ : ٧) « وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام » أثناء تقديم الناموس لموسى (خروج ٢٤ : ١٦) وفى خيمة الاجتماع ، كان الله يجتمع مع شعب بنى اسرائيل فيتقدس بمجد الرب (خروج ٢٩ : ٤٣) . وعندما اكملت خيمة الاجتماع « غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن » . (خروج ٤٠ : ٣٤) . وعندما جيء بتابوت العهد الى هيكل سليمان ، نقرأ عن أن « السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب ، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب » (ملوك الأول ٨ : ١٠ و ١١) .

من ذلك نرى انه كثيرا ما نجد فكرة (الشكينة) أى مجد الله المضيء بنور منظور ، تتكرر باستمرار فى العهد القديم .

واعتقاد بطرس هو أن شيئا من هذا القبيل يحل على الشخص الذى يتألم لأجل المسيح . وعندما كان اسطفانوس يحاكم ، وعندما أصبح من المؤكد أنه سيحكم عليه بالموت،كان كل من ينظر اليه ، يرى وكأن وجهه وجه ملاك (أعمال ٦ : ١٥) . فالتعبير باسم المسيح يضحى مجدا ، نفس مجد الله يحل على الشخص المتألم لأجل المسيح .

ويذهب بطرس الى القول اننا يجب أن نتألم كمسيحيين ، (وليس كفاعلى شر) والشرور التى يبرزها بطرس فى هذا المجال واضحة ، حتى يصل الى آخرها ، وهى باليونانية (allotriepiskopos) ، ولم يعثر على هذه الكلمة فى اليونانية ، وقد يكون أن بطرس ألفها . وسنحاول أن نكتشف معناها . انها قد تحوى ثلاثة معان ، كلها تصلح . ان الكلمة مصدرها كلمتان . كلمة (allotrios) التى تعنى « ملك للآخرين » ، وكلمة (episkopos) التى تعنى «ينظر أو يتطلع الى» ، والكلمة لذلك تعنى النظر أو التطلع فيما يخص الآخرين .

١ ــ والنظر الى ما يمتلكه الآخرون قد يعنى اشتهاءه . وهذا هو

تفسير الكتاب المقدس اللاتينى لتلك الكلمة ، كما فسرها « كلفن » كذلك ، فقد فسرت على أساس ان المسيحى لا يجب ان يكون طماعا .

٢ ــ فالنظر الى ما يمتلكه الآخرون قد يعنى الاهتمام الزائــد بشئون الآخرين ، والتدخل الغير مرغوب فى امورهم . وهــذا هو اكثر المعــانى صحة . فهناك مسيحيون يتدخلون تدخلا غير محبب فى شــئون الآخرين ، وبذلك يحدثون ضررا بالغا بتدخلهم الذى لا يتسم بالحكمة أوحسن التصرف، أو بالنقــــد والاعتراض على أمور الآخرين . فالمسيحى لا يصح أن يكون هكذا ، ونحن نعتقد أن هذا المعنى من افضل المعانى المقدمة لشرح هــذه الكلمة .

٣ ــ ولكن هناك احتمال ثالث . فكلمة allotrios تعنى (ما يخص شخصا آخر) ، اى (كل ما هو أجنبى وغريب عن النفس) . فلو فسرنــا الكلمة على هذا الأساس ، فان الكلمة تعنى التطلع الى كل ما هو غريب وأجنبى عن النفس . وبالنسبة للمسيحى ، فان هــذا يعنى ، ســوء تصرفه وقيامه بأمور لا تليق به كمسيحى . وهذا يعد تحــذيرا للمسيحى الا يشغل نفســه باهتمامات او مطامع مادية أو اى عمل يعطلــه عن سيره فى الحياة المسيحية .

ان كل المعانى الثلاثة محتملة ، وكل التحذيرات الثـــلاثة مناسبة ، ولكننا نعتقد أن المعنى الثالث هو انسبها . فبطرس يوصى بانه اذا كان لابد من ان المسيحى يتالم لأجل المسيح ، فانه يجب أن يتألم بحيث يمجـــد الله والاسم الذى دعى عليه ، فسلوكه وحياته اكبر دليل على انه لم يكن يستحق الالم الذى تعرض له . فبسلوكه فى الحياة ، وبطريقته فى تحمل الآلام ، يمجد المسيحى الاسم الذى ينتسب اليه .

تسليم كل الحياة لله

لِأَنَّهُ الْوَقْتُ لِابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللهِ . فَإِنْ كَانَ أَوَّلاً مِنَّا فَمَا هِيَ نِهَايَةُ الَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللهِ . وَإِنْ كَانَ الْبَارُّ

بِالْجَهْدِ يَخْلُصُ فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِىءُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ . فَإِذاً الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ .

(٤ : ١٧ — ١٩)

يؤكد بطرس ضرورة عمل الصلاح ، لأن الدينونة قادمة . والقضاء سيبدأ من بيت الله . فحزقيال يسمع صوت الله ، معلنا الدينونة على شعبه ، فالصوت يقول : « ابتدئوا من مقدسي » (حزقيال ٩ : ٦) . فحيث تعظم الامتيازات الممنوحة ، يكون القضاء أشد . واذا كان القضاء سيشمل كنيسة الله ، فماذا سيكون مصير أولئك الذين قسوا قلوبهم ، ورفضوا الدعوة المقدمة من الله ؟! وبطرس يدعم أقواله مستشهدا بما جاء في (امثال ١١ : ٣١) « هوذا الصديق يجازى في الارض فكم بالحرى الشرير والخاطىء » .

وأخيرا ، فان بطرس يناشد شعبه الاستمرار في عمل الخير ، وان يستودعوا حياتهم لله مهما يحدث لهم ، فهو الخالق الذى يجب أن يتكلوا عليه . والكلمة التى يستخدمها بطرس للتعبير عن تسليم الحياة لله تعبر عن (ايداع نقود عند صديق موثوق فيه) . ففي الأيام الغابرة لم يكن هناك بنوك ، وكانت هناك أماكن قليلة آمنة يمكن ايداع النقود فيها . ولذا ، فقبل أن يقوم الانسان برحلة ، كان دائما يترك نقوده عند صديق مؤتمن . وهذه الثقة كانت تعد من أقدس الأشياء في الحياة . وكان الصديق مرتبطا برد المبلغ ، وذلك حسب ما يتطلبه الشرف والدين .

يحكي لنا هيرودوتس (٦ : ٨٦) قصة عن هذه الثقة . فقد اتى شخص ماليزى الى اسبرطة ، لأنه كان قد سمع عن شرف أهل أسبرطة ، فأودع ماله عند أحدهم وكان يدعى (جلوكس) . وقال له انه في الوقت المناسب سيأتى أولاده ويطالبون بالنقود ، ويأتون بما يثبت شخصيتهم بما لا يدع مجالا للشك . وقد مر الوقت ، وجاء الأولاد . فأنكر (جلوكس) اى مال أودع في حيازته ، وقال انه لا يتذكر شيئا من هذا القبيل ، وطلب مهلة لمدة اربعة

شهـــور ليفـــكر فى الأمر . فرحل الأولاد وهم حزانى . فاستشار جلوكس الآلهة ، فحذروه من أن يعمل عمـــلا كهذا ، وانه يجب ان يعطيهم النقود ، فعمل كذلك وارجع النقود ، ولـــكنه مات بعد قليل ، وماتت كل اسرته ، ولم يتبق من كل عائلته فرد واحد فى وقت هيرودوتس ، لأن الآلهة غضبت منه من مجرد تفكيره فى خيانة الثقة التى منحت له . فمجرد التفكير فى خيانة العهـــد كان يعد خطية مميتة .

فلو استودع شخص حياته لله ، فان الله لا يمكن ان يخيب امله . وان كانت ثقة كهذه يقدسها الناس ، فكم وكم بالنسبة لله ؟

وقد قال يســـوع نفس هـــذه الـــكلمات حين قال : « يا ابتاه فى يديك استودع روحى » (لوقا ٢٣ : ٤٦) . فيسوع قد استودع حياته بلا تردد فى يد الله ، واثقا أن الله لا يمكن ان يتركه أو يخيبه . وهكذا نحن . فما زالت النصيحة القديمة افضل النصائح ، وهى (ثق بالله واعمل الصلاح) .

الاصحاح الخامس

شيوخ الكنيسة

أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن . ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى .

(٥ : ١ — ٤)

هنـــاك فقرات قليلة فى الكـــتاب توضـــح اهمية وظيفة الشيوخ فى الكنيسة الاولى . ان بطرس يكتب خاصة الى الشـــيوخ ، وهو الذى يعد رئيس الرسل ، لا يتردد فى أن يلقب نفسه أخوكم الشيخ . وانه لجدير بنا أن نتامل قليلا فى تاريخ واصل تلك الوظيفة . والتى تعدمن أقدم وأهم الوظائف فى الكنيسة .

١ — ان هذه الوظيفة لهـــا أصل يهودى . ان بداية ظهور هـــذه الوظيفـــة يرجع للوقت الذى كان بنو اسرائيل فيه يتجـــولون فى البرية فى طريقهم نحـــو أرض الميعـــاد . فعندما شعر موسى بثقل مسئولية قيـــادة الشعب على كاهله وحده ، اختار سبعين شيخا جعل الرب روحه عليهم (١١ : ١٦ — ٣٠) وبعد ذلك أصبح الشيوخ من العلامات المميزة للتراث اليهودى ، فنجـــد أن الشيوخ « أصدقاء للأنبياء » (ملوك الثانى ٦ : ٣٢) « وكمستشـارى الملوك » (ملوك الأول ٢٠ : ٨ ؛ ٢١ : ١١) ، وزمـــلاء للرؤساء فى تنفيذ وتصريف شئون الأمة (عزرا ١٠ : ٨) ، وكان لكل قرية ومدينة شيوخها الذين يجتمعون عند باب القـــرية أو المدينة لتنفيذ العدالة

(تثنية ٢٥ : ٧) . وكان الشيوخ رؤساء المجمع ، انهم لم يقوموا بخدمة الوعظ ، ولكنهم كانوا مسئولين عن نظام المجمع والاشراف عليه ، وكانوا يشرفون على أعضائه . وكان الشيوخ أيضا يكونون الشطر الأعظم من السنهدريم ، المحكمة العليا لليهود ، ويذكرون دائما جنبا الى جنب مع رؤساء الكهنة والحكام والكتبة والفريسيين . (متى ١٦ : ٢١ ، ٢١ : ٣٣ ، ٢٦ : ٣و٥٧ ، ٢٧ : ١و٣ ، لوقا ٧ : ٣ ، اعمال ٤: ٥ ، ٦ :١١ ، ٢٤:١) وفى سفر الرؤيا نجد هناك أربعة وعشرين شيخا حول العرش فى السماء . (رؤ ٤ : ٤) . فواضح أن نظام الشيوخ جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية فى طقسها الدينى والاجتماعى .

٢ — أن لهذه الوظيفة أصل اغريقى . وخاصة فى المجتمعات المصرية ، حيث نجد ان الشيوخ هم قادة المجتمع ، وانهم مسئولون عن تصريف الشئون العامة ، كما ان مستشارى المدن مسئولون عن تصريف شئون المجتمع فى المدينة . فنجد ان سيدة قد اعتدى عليها تطلب تنفيذ العدالة من الشيوخ . وعندما كان القمح يجمع كضريبة عند زيارة أحد الحكام ، نجد أن الموظفين المسئولين عن ذلك هم « شيوخ الحصادين » وهم يشرفون على اصدار اللوائح العامة ، وتصريف شئون الأرض ، وجمع الضرائب . وفى آسيا الصغرى ، كان يطلق على اعضاء المجالس والشركات لقب شيوخ . وحتى فى المجتمعات الدينية الوثنية نجد ان « شيوخ السكهنة » كانوا مسئولين عن حفظ النظام . ففى معبد (سوكنو بايوس) نجد شيوخ الكهنة يحاكمون كاهنا متهما باطالة شعره ويلبس الملابس الصوفية — وهى تهمة لحقت بذلك الكاهن لأنه ترفه ترفها لا يليق بكاهن .

فقبل ان تأتى المسيحية ، كان هذا اللقب ينم عن الكرامة والوقار عند اليهود وفى العالم اليونانى الرومانى .

وظيفة الشيخ فى المسيحية

وعندما نتجه بأنظارنا للكنيسة المسيحية، نجد أن وظيفة الشيخ وظيفة اساسية . فكانت عادة بولس أن يعين شيوخا فى كل كنيسة بشر فيها ، وانشأها . وقد أقيم الشيوخ فى كل كنيسة فى أول رحلة تبشيرية

(أعمال ١٤ : ٢٣) وقد ترك تيطس فى كريت ليعين شيوخا فى كل مدينة (تيطس ١ : ٥) .

وكان الشيوخ مسئولين عن التنظيم المالى بالكنيسة ، فقد سلم لهم . بولس وبرنابا المال المرسل لاعانة فقراء أورشليم فى وقت المجاعة (أعمال ١١ : ٣٠) .

وكان الشيوخ يحتلون المراكز القيادية فى الكنيسة ، فنجدهم يشتركون فى اصدار قرارات مجلس أورشليم ، التى بموجبهما فتح باب الكنيسة على مصراعيه للأمم ، ومن هذا نفهم أن هؤلاء الشيوخ كانوا بمثابة رؤساء الكنيسة وقادتها (أعمال ١٥ : ٢ ، ١٦ : ٤) . وعندما جاء بولس فى زيارته الاخيرة لأورشليم ، كان يحدث المشايخ بما تم معه : وهم أيضا الذين اقترحوا عليه الاعمال التى يجب أن يقوم بها . (أعمال ٢١ : ١٨ ــ ٢٥) .

ومن بين الفقرات المؤثرة فى العهد الجديد : الفقرة التى يودع فيها بولس شيوخ أفسس . فالشيوخ ــ كما وصفهم بولس ــ هم رعاة لقطيع الله ، ومدافعون عن الايمان . (أعمال ٢٠ : ٢٨ و ٢٩) . ويعلمنا يعقوب أن الشيوخ يقومون أيضا بخدمة الشفاء الالهى فى الكنيسة عن طريق الصلاة والمسحة بالزيت (يعقوب ٥ : ١٤) .

ومن الرسائل الرعوية نفهم أن الشيوخ كانوا حكاما ومعلمين ، وانهم كانوا يتقاضون أجرا عن عملهم فى الكنيسة . (تيموثاوس الاولى ٥ : ١٧ ، عبارة « كرامة مضاعفة » يحسن ترجمتها « أجرة مضاعفة ») .

فعندما يحتل واحد منصب الشيخ فى الكنيسة ، فان شرفا كبيرا يخلع عليه ، لأنه ينخرط فى سلك أقدم وظيفة دينية فى العالم ، والتى يرجع تاريخها فى المسيحية واليهودية الى أربعة آلاف سنة مضت . عندما يأخذ شخص تلك الوظيفة فان مسئولية كبرى تقع على كاهله ، لانه معين لرعاية قطيع الله ، ولحماية الايمان .

تبعات وامتيازات الشيوخ

وفى هذه الفقرة يوضح بطرس مجموعة من التبعات والامتيازات

المنوحة للشيوخ . ويجب ملاحظة ان كل ما يقـــوله بطرس لا ينطبق على الشيوخ فحسب ، بل على كل من يعمل فى حقل الخـــدمة المسيحية ، داخل وخارج الكنيسة .

فالعضو يجب ان يقبل الوظيفة (طواعية واختيارا) ، ولكن هذا لايعنى ان يتحين الفرص للحصول على تلك الوظيفة ، ولا يعنى قبوله الوظيفة دون فهم ما تنطوى عليه من مسؤلية . ان أى شخص مسيحى يتردد فى قبول أى وظيفة عليا ، لأنه يعلم عدم استحقاقه وعدم جدارته ، صحيح ان الخدمة المسيحية تنطوى أيضا على نوع من الاجبـــار . فقد قال بولس : « الضرورة موضوعة على فويل لى ان كنـــت لا أبشر » (كورنثوس الأولى ٩ : ١٦) . وقال أيضا « محبة المسيح تحصرنى » (كورنثوس الثانية ٥ : ١٤) . ولكن هناك من يقبلون الوظيفة ويعتبرونها كأنها واجب ممل ، وعبء ثقيل ،كما لو كانت حمـــلا لا يقدرون عليه .

فمن الممكن أن يطلب من شخص القيام بعمل ما ، ومن جانبه فانه يمكن ان يقـــوم به ، ولكنه قـــد يؤديه بطريقة تنم عن مضضه وضيقه ، حتى أنه يفسد كل شيء . ان بطرس لا يقول ان الانسان يجب أن يتهافت على الوظيفة بعـــدم اكتراث أو بروح الغرور ، ولكنه يقول ان كل مسيحى يجب أن يقبل على الخدمة المسيحية بروح التقدير برغم ادراكه بعدم أحقيته .

والشيخ اذ يقبل هـــذه الوظيفة ، (لا يصح أن يكون طامعا فى الربح القبيح) . وهى صفة كان يكرهها الاغريقى كثيرا . كتب (ثيوفراستوس)الروائى الاغريقى العظيم ، فى وصفه لتلك الشخصية التى تتصف بهذه الصفة قائـــلا : « ان الدناءة ـــ كما يمكن ترجمتها ـــ هى الرغبـــة فى الربح القبيح . والشخص الدنيء هو الشخص الذى لا يقدم طعاما كافيا لضيوفه ، بينما يأخذ لنفسه نصيب الأسد » .

وهو يغش النبيذ بالماء ، ولا يذهب للمسرح الا عندما يحصل على تذكرة مجانية ولا توجد عنـــده نقود تكفى لدفع الأجرة ، فيستعير دائما من رفـــاق السفر . وعندما يبيع القمح فانه يستخدم مكيالا قاعه مرتفع الى أعلى ، ومع ذلك يحـــاول تسوية السطح . ويحاول أن يحسب ما تبقى من الطعام بعـــد الغـــذاء لئلا يأكل منه الخدم شيئا . ثم أنه يتهرب من تقديم اية هدية عنـــد زفاف أحد معارفه . ان الدناءة صفة قبيحة » .

وواضح انه كان فى الكنيسة الاولى اناس يتهمون المبشرين والخدام بانهم يحرصون على وظائفهم بسبب الفائدة التى تعود عليهم منها . فبولس يعلن مرارا وتكرارا انه لم يشته متاع أحد ، وانه عمل بيديه ليفى بحاجاته ، وانه لم يثقل على احد (أعمال ٢٠ : ٣٣ ، تسالونيكى الاولى ٢ : ٢٩ ، ١ كورنثوس ٩ : ١٢ ، كورنثوس الثانية ١٢ : ١٤) . ومن المؤكد ان كل المناصب الكنسية قديما ، كانت ذات أجور منخفضة جدا ، والتحذير الدائم بالا يكون ذوو المناصب محبين « للربح القبيح » يبين انه كان هناك منهم اناس يشتهون مالا اوفر (١ تيموثاوس ٣ : ٣ و ٨ ، وتيطس ١ : ٧ و ١١) . وما يوضحه بطرس هنا ، وهو جدير بالاهمية لأنه حقيقى ، أنه ما من شخص مسيحى يقبل منصب او يؤدى خدمة بسبب ما ينتفع به منها . ان رغبته يجب أن تنحصر فيما يقدمه لا فيما يأخذه منها .

ان الشيخ يجب أن يقبل الوظيفة ، ولا يصح أن يكون سائدا على الانصبة ، بل أن يكون راعيا ومثالا للقطيع . ان الطبيعة البشرية أحيانا تفضل الشهرة والقوة على المال . فهناك اناس يحبون السلطة ، حتى ولو كانت تلك السلطة على نطاق ضيق . فملتون تصور الشيطان مفضلا أن يحكم فى جهنم من أن يخدم فى السماء . وتحدث شكسبير عن الانسان المتكبر المتسربل فى ثياب السلطة ، الذى يقوم باداء حيل ماكرة تجعل حتى الملائكة تبكى .

ان أهم ما يميز الراعى هو اهتمامه المتزايد بالرعية ، والقيام على التضحية لاجل الخراف . وان اى شخص يقبل اى منصب كنسى بقصد الشهرة او اظهار السلطة أو التحكم ، فانه يفسد كل شىء .

لقد قال يسوع لتلاميذه الذين يطمعون فى المناصب : « أنتم تعلمون ان الذين يحسبون رؤساء الامم يسودونهم وأن عظماءهم يسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من اراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما » . (مرقس ١٠ : ٤٢ — ٤٤) .

المثال الطيب الذى يقدمه الشيوخ

فى عدد (٣) توجد عبارة يصعب ترجمتها ، ومع ذلك فهى عظيمة

الاهمية . ففى الطبعة الاصلية وردت العبارة بمعنى انه لا يصح ان يسود الشيوخ على انصبة الله . ولكن من الملاحظ أن كلمة (الله) مكتوبة بحروف صغيرة مما يعنى أنها ليست موجودة فى اليونانية ، وان المترجمين قد أضافوها لتوضيح المعنى . وقد فسرناها نحن على أن الشيوخ لا يصح ان يطغوا على اولئك الذين قسم لهم أن يرعوهم .

والعبارة التى وردت فى الطبعة الاصلية بمعنى (أنصبة الله) ذات مغزى خاص :

١ ــ انها قد تعنى « قرعة أو نصيب » . وهى مستخدمة بهذا المعنى (متى ٢٧ : ٣٥) ، الذى يوضح كيف أن الجنود تحت الصليب كانوا يلقون قرعة ليعرفوا من يمتلك ثياب يسوع .

٢ ــ انها قد تعنى أيضا « الوظيفة التى تأتى نتيجة قرعة » . وهى الكلمة المستخدمة فى أعمال (١ : ٢٦) والتى تبين كيف أن التلاميذ قد القوا قرعة ليروا من سيرث وظيفة يهوذا الخائن .

٣ ــ انها تعنى كذلك « الميراث المقسوم لشخص ما » ، وهى مستخدمة فى (كولوسى ١ : ١٢) ، حيث نجد الحديث عن ميراث القديسين

٤ ــ وفى اليونانية القديمة ، تعنى الكلمة غالبا « قطعة أرض مقسمة على المواطنين بواسطة السلطات المدنية » .

واذا حاولنا تفسير ذلك نقول ان وظيفة الشيوخ وأية وظيفة أخرى لا تعطى لنا بسبب اى استحقاق فينا ، انها دائما مقسومة لنا من الله . انها ليست شيئا نستحقه ، انها شىء يمنح لنا بنعمة الله .

ولكننا يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك . أن « كليروس » تعنى شيئا مقسوما ، انها الشى المعين لأى انسان . والآن فى (تثنية ٩ : ٢٩) نقرأ أن اسرائيل هو ميراث الله ، والكلمة المستعملة هى (Kleros) اى أن اسرائيل هو الشعب المخصص لله ، والمكرس له ، بارادة الله واختياره .

ان (اسرائيل) اكليروس الله ، والكنيسة اكليروس الشيخ ، فكما أن (اسرائيل) معينة لله ، فكذلك واجبات الشيخ فى الكنيسة مقسومة له ومرتبة له . ان هذا يعنى أن موقف الشيخ أو اى شخص يحتل اى منصب كنسى فى الخدمة المسيحية ، من شعبه ، تماما كموقف الله من شعبه .

ثم هناك فكرة أخرى عظيمة . (فى عدد ٢) توجد عبارة فى المخطوطات اليونانية لم ترد فى الطبعة الاصلية . وقد ترجمناها كما يأتى :

« ارعوا رعية الله التى بينكم نظارا لا عن اضطرار بل بالاختيار (كما يريد منكم الله) » والعبارة التى ترجمناها « كما يريد منكم الله) وهى تعنى باليونانية بكل بساطة (مثل الله) ، فبطرس يقول للشيوخ « ارعوا رعية الله كما يرعاها الله » ، فكما كان اسرائيل من نصيب الله ، فالناس الذين تخدمهم فى الكنيسة أو اى مكان آخر هم من نصيبنا ، وموقفنا منهم يجب أن يكون كموقف الله ، اننا يجب أن نرعاهم كالله .

يا لها من رؤيا مجيدة ! يا له من مثال طيب ; ويا له من واجب مقدس ! ان واجبنا ان نظهر للناس طول اناة الله ، وغفرانه ، ومحبته العاملة لخلاصنا ، وعطيته التى لا يعبر عنها . ان الله قد عين لنا عملا لنقوم به ، ولذا فاننا يجب أن نقوم به كما يقوم به الله . هذا هو اسمى مثال للقيام بالخدمة المسيحية فى الكنيسة .

ذكريات عن المسيح

ان موقف بطرس — وهو يستعرض تلك الفقرة — من اجمل المواقف . فهو يبدأ الحديث مع من يتكلم اليهم بالقول « أنا اخوكم الشيخ » ، انه لا يتحدث بتعال عليهم ، انه يحدثهم كزميل لهم . وانه لا يعزل نفسه عنهم وكانه اسمى منهم . انه يبين انه شريك لهم فى الاختبار المسيحى . والمشاكل التى تعترضهم فى طريق المسيحية . ولكن بطرس يختلف عنهم فى شىء واحد ، ان له ذكريات عن يسوع ، وهذه الذكريات تضفى صبغة خاصة على الفقرة . فالذكيات تتزاحم فى ذهن بطرس اثناء حديثه .

١ ـــ انه يصف نفسه (كالشاهد لآلام المسيح) لاول وهلة قد نشك فى هذه العبــارة لأنه مكتوب ، انه بعد القبض على يسوع فى البستان « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (متى ٢٦ : ٥٦) . ولكن عنــد التفكير قليلاً ، سنجد انه قد اعطى لبطرس أن يشاهد آلام المسيح عن كثب أكثر من اى شخص آخر ، مما حز فى نفسه أكثر من اى شخص آخر أيضا .

فبطرس تبع يسوع حتى فناء دار رئيس الكهنة ، وعندئذ أنكر بطرس يسوع ، فى وقت الضعف ، ثلاث مرات ، وتمت المحاكمة ، وأخذوا يسوع وهنا نجد اكثر العبارات فى العهد الجديد اثارة للشجن :«فالتفت الرب ونظر الى بطرس . .فخرج بطرس الى الخارج وبكى بكاء مرا»(لوقا ٢٢: ٦١و٦٢). ففى هذه النظرة رأى بطرس ، آلام قلب القائد الذى يخونه تابعه فى ساعة الشدة، فالحق أن بطرس كان شاهدا لآلام المسيح عند انكار الناس له،ولهذا السبب عينه نجد أن بطرس كان شغوفا وغيورا حتى يظهر الناس ولاءهــم واخلاصهم لسيدهم فى الخدمة .

٢ ـــ انه يصف نفسه (كشريــك للمجد العتيد ان يعلن). وان لهــذه العبارة ما يدعمها مما حدث فى حياة بطرس ، وما هو عتيــد أن يستعلن فى المستقبل . فبطرس قد سبق أن لمح وتذوق شيئا من هذا المجد على جبــل التجــلى .

فهناك كان الثلاثة متثقلون بالنوم « فلما راوا مجده » لوقا ٩ : ٣٢). لقد رأى بطرس المجد . ولكنه علم ايضا ان هناك مجداً آخرا ، لأن يسوع وعدهم بالمشاركة فى المجد عنـــــدما ياتى ابن الانسان ليجلس على كرسى مجده . (متى ١٩ : ٢٨) . فبطرس اذن قد تذكر الاختبــار الذى مر به ، والوعد الذى قاله المسيح له .

٣ ـــ لا شك انه عندما تحدث بطرس عن رعاية قطيع الله ، كان يفكر فى العمل الذى كلفــــه به المسيح ، عنـــــدما امره بأن يرعى غنمــه (يوحنا ٢١ : ١٥ ـــ ١٧) . فمكافأة المحبة كانت تعيينــه راعيا ، ولذا فان بطرس يتذكر العمل المكلف به من قبل المسيح .

٤ — عندما تحدث بطرس عن يسوع كرئيس الرعاة، فان اكثر من فكرة قد تزاحمت فى ذهن بطرس ، فان يسوع قد شبه نفسه بالراعى الذى يعرض حياته للخطر بحثا عن الخروف الضال حتى يجده (متى ١٨ : ١٢ — ١٤ ، لوقا ١٥ : ٤ — ٧) . والمسيح أرسل تلاميذه الى خراف بيت اسرائيل الضالة (متى ١٠ : ٦) ، والمسيح قد تحنن على الجماهير التى كانت مطروحة كغنم لا راعى لها (متى ٩ : ٣٦ ، مرقس ٦ : ٣٤) ، وفوق الكل ، فان يسوع قد شبه نفسه بالراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠ : ١ — ١٨) . انه لمنظر فريد ، منظر المسيح كالراعى ، وامتياز بطرس كراع لقطيع المسيح لهو — فى نظره — من أعظم الامتيازات التى تمنح لخدام المسيح .

ثوب التواضع

كَذَلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ وَكُونُوا جَمِيعاً خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ لأَنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً .

(٥ : ٥)

يعود بطرس هنا للحديث عن انكار النفس ، فان ذلك هو الدليل على أن الشخص مسيحى . ويدعم اقواله باقتباس ما جاء فى العهد القديم : « الله يقاوم المستكبرين، واما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (امثال ٣:٣٤) .. نجد هنا أيضا أن ذكريات بطرس عن المسيح تحتل مكانا ساميا فى حياته ، وانها تسيطر على تفكيره ولغته . فبطرس يطلب من شعبه أن « يتسربلوا بالتواضع » ، والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن (تسربلوا) هى كلمة غير عادية ، فهذه الكلمة تطلق على الثوب الذى يثبت بعقدة ، فوق الجسم . وكانت تستخدم بصفة عامة عن الملابس الوقائية ، فالكلمة تعبر عن الاكمام التى توضع فوق اكمام الثوب وتربط خلف الظهر وكانت تستخدم ايضا للتعبير عن « مريلة » الخادم . لقد ارتدى يسوع نفسه مرة مئزرة كهذه . ففى العشاء الأخير قال يوحنا عن يسوع أنه « أخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدا يغسل أرجل التلاميذ » (يوحنا ١٣ : ٤ و ٥) .

فيسوع اتزر بثياب التواضع ، ولذا فان اتباعه يجب ان يفعلوا كذلك . ونفس هذه الكلمة تستخدم للتعبير عن نـــوع آخر من الثياب الطويلة التى كانت تلبس للدلالة على الـكرامة والشهرة .

ولذا ، فلاكتمال المنظر ، يجب أن نضع الصورتين معـــا . فيسوع اتزر وقام بالخدمة ، أكثر أنواع الخدمة تواضعا . لقد غسل ارجل التلاميذ، ولذا فاننا يجب ان نلبس ثياب التواضع فى خدمة المسيح وخدمة الآخرين . ولكن نفس هذا الثوب سوف يصبح رداء للكرامة ، لان خادم الجميع هـــو الاعظم فى ملكوت السموات .

قوانين الحياة المسيحية (١)

فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ القَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِى حِينه . مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِى بِكُمْ .

اُصْحُوا وَاسْهَرُوا لِأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ . فَقَاوِمُوهُ رَاسِخِينَ فِى الإِيمَانِ عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هٰذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمْ الَّذِينَ فِى الْعَالَمِ .

وَإِلٰهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِى دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِىِّ فِى الْمَسِيحِ يَسُوعَ بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيراً هُوَ يُكَمِّلُكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ وَيُقَوِّيكُمْ وَيُمَكِّنُكُمْ . لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ . آمِينْ .
(٥ : ٦ ــ ١١)

يتحدث بطرس هنا بلغـــة الامر ، واضعـــا بعض قوانين الحياة المسيحية .

١ ــ فهناك قانون التواضع امام الله . فالمسيحى يجب ان يضع نفسه

تحت يد الله القوية. والتعبير (يد الله القوية) هو تعبير شائع في العهد القديم ، فقد استخدم كثيرا بالنسبة لانقاذ الله لشعبه عندما أخرجهم من مصر . فقال موسى : «لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر » (خروج١٣:٩) «أنت قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة » (تثنية ٣ : ٢٤) . والله قد اخرج شعبه من مصر بيد شديدة (تثنية ٩ : ٢٦). فالفكرة هنا أن يد الله القوية هي المهيمنة على مصير شعبه ، ان كان يقبل ارشاده ويخضع له . فبعد تجارب الحياة المتنوعة ، قال يوسف لاخوته الذين حاولوا مرة القضاء عليه : « أنتم قصدتم لي شرا ، أما الله فقصد به خيرا » (تكوين ٥٠ : ٢٠). فالمسيحي لا يبغض ابدا تجارب الحياة او يثور ضدها ، لأنه يعلم أن يد الله القوية على دفة حياته ، وأن مصير حياته بيد الله .

٢ — ثم هنـــاك أيضا قانون الطمأنينة المسيحية . فالمسيحي يجب أن يلقي كل همـــه على الله . قال المرنم : « الق على الرب همك . فهـــو يعولك » (مزمور ٥٥ : ٢٢) . وقال يسوع « لا تهتموا للغـــد » (متى ٦ : ٢٥ — ٣٤) . والسبب في هذه الثقة هو تأكدنا ويقينيتنا أن الله يهتم بنا . فكما قال بولس ، ان الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا اجمعين ، فكيف لا يهبنا معه كل شيء . (رومية ٨ : ٣٢) . وهذا يجعلنا نتاكد أنه بسبب اهتمام الله بنا ، فان الحيـــاة هي لخيرنا ، وبهذه اليقينية ، فاننا نتبل كل اختبارات الحياة ، عالمين ان كل الاشياء تعمل معـــا للخير للذين يحبـــونه (رومية ٨ : ٢٨) .

٣ — ثم أيضا قانون المجهود المسيحي ، والسهر المسيحي : أننا يجب أن نصحـــوا وأن نستيقظ . فسكوننا نلقي كل حملنا عـــلى الله ، لا يعطينا الحق في أن نجلس صامتين ولا نفعل شيئا . لقـــد كانت نصيحة كرمويل الى كل واحد من جنوده : « ثق بالله ، واستعد للقتال » ، فالثقة والمجهود يسيران جنبا الى جنب . فبطرس علم جيدا كيف أن السهر ضروري ، لانه تذكر كيف أنه في جسثيماني نام هو والتلاميذ الآخرون ، بينما كان يجب عليهم أن يسهروا مع المسيح (متى ٢٦ : ٣٨ — ٤٦) . فالمسيحي هـــو الشخص الذي يثق ، ولكنه في نفس الوقت ، يبذل كل مجهوده وقواه في العمل في خدمة المسيح .

٤ — وهناك أيضا قانون المقاومة المسيحية . فالشيطان يتحفز ليبحث

له عن فريسة . وهنا تذكر بطرس أيضا كيف ان الشيطان قد غلبه عندما انكر ربه . فالشيطان خصم الانسان العنيد ، وايمان الشخص يجب أن يكون كسور منيع لا تنفذ منه سهام العدو ، بل تتحطم وترتد عنه خائبة . فالشيطان (كالبلطجى) يتقهقر عندما يقاوم بشجاعة وعنف بقوة المسيح وبالشركة معه .

٥ — واخيرا ، يتحدث بطرس عن قانون الالام المسيحى : انه يقول انه بعد أن يجتاز المسيحى فى الالم ، فان الله يكلمه ويثبته ويقويه ويمكنه .

أن كل كلمة يستخدمها بطرس تحمل صورة حية . فكل منها تخبرنا شيئا عن قصد الله من الألم الذى يجيزنا فيه .

(أ) فمن طريق الألم فان الله (يكملنا) * وهذه الكلمة يصعب ترجمتها . فهى فى الأصل تستخدم للتعبير عن اصلاح الكسور وهى نفس الكلمة المستخدمة فى (مرقس ١ : ١٩) عن اصلاح الشباك .

انها تعنى اعادة الشىء المفقود الى مكانه ، واصلاح المكسور ، واعادة الجزء الناقص ، ولذا ، فان قبول الالم بتواضع وثقة ومحبة ، يضيف الى شخصية الانسان ما نقص منه ، ويصلح من ضعفاته ، ويمده بالعظمة الحقيقية .

قيل عن السير ادوارد الجرا انه استمع مرة الى بنت صغيرة كانت تغنى احدى اغنياته التى الفها ، وكان صوتها يمتاز بنقاوة بالغة ووضوح وعمق ، وكانت ذات فن فى الأداء جعلها تتغلب بسهولة على كل الصعوبات الفنية فى المقطوعة ، وعندما انتهت من الغناء ، قال السير ادوارد برفق : « ستصبح عظيمة حقا عندما يحدث لها شىء يحطم قلبها » . يحكى (بارى) كيف فقدت امه ابنها المحبوب ويقول : « هذا هو السر فى أن والدتى قد

---

* وردت فى الانجليزية بمعنى (يردنا) (المعرب) .

اكتسبت عينين حانيتين ، وان الامهات الآخريات كن يذهبن اليها عندما يفقدن أطفالهن ، ليشعرن بالعزاء » فالألم قد جعل منها ، ما لا يمكن للحياة السهلة أن تفعله ، فالله قصد لنا الألم ، ليجعل صدى النغمات الحلوة يتردد فى حياتنا .

(ب) وعن طريق الالم ، فان الله (يثبت) الانسان ، والكلمة تعنى يثبت كالجرانيت . فالم الجسم ، وأسى القلب يفعل شيئا من اثنين للانسان . فاما أن يجعله ينهار ، واما أن يخرج منه بقوة فى الشخصية لا يمكن الحصول عليها بدونه . انه يخرج من الألم ، كالرياضى بعد أن يمر فى التدريب الصعب، وقد صلب عوده وقوى جسمه لتحمل أى صعاب . انه يخرج من الألم كالصلب بعد اجتيازه فى النار .

(ج) عن طريق الالم ، (يقوى) الله الانسان ، والفعل يعنى (يملأ بالقوة) . وهنا نجد نفس المعنى يتردد ثانية . فالحياة بلا مجهود أو نظام تصبح حياة هزيلة ضعيفة . لا أحد يعرف أهمية الايمان بالنسبة له ، ما لم يمتحن ايمانه فى بوتقة الالم . ان الايمان الذى اجتاز فى الالم والحزن والياس والخسارة ، وخرج منها أكثر ضياء ووهجا لهو ايمان ثمين حقا . ان الريح يطفىء الشعلة الضعيفة ، ولكن نفس الريح يحيل الشعلة القوية الى ضوء أكثر وهجا . وهكذا بالنسبة للايمان .

(د) أن الله (يمكن) الانسان عن طريق الألم . والفعل يعنى (يضع الأساس) . فعندما نقابل الألم والحزن نصل الى أساس الايمان ، وعندئذ فقط نكتشف ما هى الأشياء الغير متزعزعة . فعندما تصاب حياتنا بالأخطار، نعرف حقا ما هى الاشياء الزائلة والتى ليست سوى زينة واهية ،وما هى الاشياء الجوهرية الأساسية.ففى تجارب الحياة ، نكتشف الحقائق العظمى التى هى أساس الحياة ، والتى لا يمكن الاستغناء عنها .

اننا يجب أن نتذكر أن الألم لا يمكن أن يصنع كل هذه الاشياء لكل شخص . فقد يقود الألم الانسان الى المرارة والتذمر واليأس . وقد ينزع ايمانه كلية ان كان عنده شىء من الايمان . ولكن اذا قبل الالم فى محبة

وثقة ، مع اليقين بأن يد الاب ما أبدا تضر الابن ، عندئذ فقط نخرج من الألم بفوائد ما كان يمكن أن تتحقق عن طريق الحياة الهينة السهلة .

الاخ الامين

بِيَدِ سِلْوَانُسَ لأَخِ لأَمِينِ كَمَا أَظُنُّ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَاعِظاً وَشَاهِداً أَنَّ هٰذِهِ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ الحَقِيقِيَّةُ الَّتِي فِيهَا تَقُومُونَ .

(٥ : ١٢)

يشهد بطرس هنا أن ما كتبه هو نعمة الله ، ويأمر شعبه أن يثبتوا فيها برغم الصعاب .

انه يقول انه كتب ذلك(بيدسلوانس)والعبارة اليونانية تعنى أن سلوانس كان وكيله وأداته فى الكتابة . وسلوانس هى الصيغة الكاملة للاسم سيلا ؛ وغالبـــا هو نفس سلوانس الذى ورد ذكره فى رسائل بولس ، وسيلا الذى ورد فى سفر الأعمال وعندما نستجمع كل ما ورد عن سيلا أو سلوانس ، نجد أنه كان حقا من قادة وأعمدة الكنيسة الأولى .

فقد أرسل سلوانس مع برنابا يهوذا الملقب برسابا إلى انطاكية ومعهما القرار الخطير لمجمع اورشليم القاضى بفتح أبواب الكنيسة للأمميين ، وقد ذكر فى نفس الحادثة انهما كانا من الرجال المتقدمين فى الكنيسة . (أعمال ١٥ : ٢٢ و ٢٧) . ولم يسلما الرسالة فقط كمجرد حاملين لهـا ، بل وعظا الاخوة بكلام كثير وشدداهم لانهما كانا نبيين . (أعمال ١٥ : ٣٢) وفى أول رحلة تبشيرية ترك مرقس بولس وبرنابا وعاد أخيرا الى أورشليم من بمفيلية (أعمال ١٣ : ١٣) ، واستعدادا للقيـــام بالرحلة التبشيرية الثانية رفض بولس أن يأخذ مرقس معه ثانيا ، وكانت النتيجة أن برنابا اتخذ مرقس كرفيق له ، وأخذ بولس سلوانس كرفيقه (أعمال ١٥ : ٣٧ — ٤٠) . ومن ذلك الوقت فصاعدا كان سلوانس يعد يد بولس اليمنى.فكان مع بولس فى فيلبى، وهنـــاك قبض عليه وسجن مع بولس (أعمال ١٦ : ١٩ و ٢٥ و ٢٩) ،

وانضم الى بولس فى كورنثوس ، وبشر بالانجيل معه هناك . (أعمال ١٨ : ٥ ، ٢ كورنثوس ١ : ١٩) .

وهكذا نجد شدة ارتباط سلوانس ببولس حتى أنه ذكر فى رسالتى تسالونيكى مع بولس وتيموثاوس كالمرسلين للرسالة . (١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ١) . فواضح أن سلوانس كان شخصية بارزة فى الكنيسة الأولى .

وكما رأينا فى المقدمة ، انه من شبه المؤكد أن سلوانس كان اكثر من مجرد ناسخ لرسالة بطرس الاولى ، أو حامل الرسالة الذى سلمها .

ومن احدى صعوبات الرسالة الأولى امتياز اللغة اليونانية التى كتبت بها . فاللغة ذات صبغة خاصة من الامتياز حتى أنه من المستحيل أن يكون بطرس الصياد الجليلى هو الذى كتبها . أما سلوانس فلم يكن رجلا ذا أهمية خاصة فى الكنيسة فقط ، ولكنه كان أيضا مواطنا رومانيا (أعمال ١٦ : ٣٧) ، وقد نال حظا من التعليم يفوق بكثير مما ناله بطرس . ويحتمل جدا أن يكون سلوانس قد كتب جزءا كبيرا من هذه الرسالة .

لقد سمعنا انه فى الصين عندما كان يريد أحد المرسلين أن يكتب رسالة الى شعبه ، فانه غالبا ما يكتبها بأحسن لغة صينية يفهمها ، ثم يعطيها لواحد من الصينيين المسيحيين ليصححها ، وينقحها ، أو قد يخبر أحد المسيحيين الصينيين ما يريد أن يقوله ، ويتركه ليكتب ذلك على الورق ثم يوقع عليها المرسل بعد ذلك . فمن المحتمل أن هذا هو ما فعله بطرس . فاما انه أعطى الرسالة لسلوانس لينقحها فتبدو فى لغة يونانية سليمة ، أو انه أخبر سلوانس ما كان يريد أن يقوله وترك سلوانس ليدون ذلك على القرطاس ، ثم أضاف بطرس هذه الثلاثة أعداد الأخيرة كتحيته الشخصية .

لقد كان سلوانس واحدا من الرجال الذين لم تكن الكنيسة لتستغنى عن خدماتهم . ولكنه كان مكتفيا بأن يحتل المقعد الثانى ، وأن يكون مجرد اسم ، لا أن يأخذ مكان الصدارة بل مكانا ثانويا ، طالما ان عمل الله يسير

نحو التقدم . لقــد اكتفى سلوانس بأن يكون مساعدا لبولس ، حتى ولو كان ذلك يعنى مجرد ذكر اسمه فى نهاية الرسالة ولكن التاريخ يسجل أمام الجميع انه كان المساعد الأمين لـكل من بطرس وبولس ، فقد كانا يعتمدان عليه كثيرا . واننا نريد أمثال سلوانس فى الكنيسة . كنيسة العصر الحديث كما كان فى الكنيسة الأولى ، نريد هؤلاء الذين وان لم يستطيعوا أن يكونوا كبطرس أو كبولس ، ولكنهم يكونون كسلوانس الخادم الأمين الذى لا يمكن لبولس أو بطرس أن يستغنى عن خدماته .

التحيــــة

تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ وَمَرْقُسُ ابْنِي .
(٥ : ١٣)

مع أن هذا العدد يبــدو سهلا ، الا انه يحتــاج لـكثير من الدراسة المضنية فهو يبرز بعض المشاكل التى يصعب حلها .

١ ــ من الذى أرسل هذه التحية ؟ ، تقول الطبعة الاصلية « الكنيسة التى فى بابل المختارة معكم تسلم عليكم » ، ولكن عبارة « الكنيسة » مكتوبة بحروف صغيرة مما يعنى أنها لم ترد فى اليونانية ، بل وردت فقط عبــارة « المختارة معكم فى بابل » ، والعبارة فى صيغة المؤنث .

هناك احتمالان لذلك .

(أ) هناك احتمال أن الطبعة الأصلية صحيحة . وهــذا هــو رأى موفات حين يترجم العبارة هكذا « أختكم الكنيسة فى بابل » ، فيمكن تفسير العبارة على انــها تعنى أن عروس المسيح هى التى تسلم عليهم . وأن هذه الوجهة من النظر تنادى على العموم بأن الكنيسة هى المقصودة هنا .

(ب) ولكن يجب أن نذكر انه لم ترد كلمة « كنيسة » فى اليونانية ، وأن هــذا قد يشير أيضا الى سيدة مسيحية معــروفة جيدا . فان كان الأمــر كذلك ، فان أفضل اقتراح هو أن الاشارة هنا الى زوجة بطرس .

نحن نعلم أن زوجة بطرس قد اصطحبته في رحلاته التبشيرية (١ كورنثوس ٩ : ٥) . يقول اكليمندس الاسكندري (ستروماتيس ٧ : ١١ : ٦٣) انها ماتت شهيدة ، ونفذ فيها حكم الموت أمام أعين بطرس ، بينما كان يشجعها بقوله : « اذكري الرب » . لقد كانت زوجة بطرس شخصية معروفة في الكنيسة الأولى .

ونحن لا نريد أن نبدي حكما قاطعا هنا ، فربما من المحتمل ان تكون الاشارة للكنيسة ، ولكن ليس من المستحيل أن بطرس يشير هنا الى زوجته ورفيقته في الخدمة ، في التحية التي يرسلها .

٢ — أين كتبت هذه الرسالة ؟ ان التحية مرسلة من (بابل) .

هناك ثلاثة احتمالات لذلك :

(أ) لقد كانت هناك (بابليون) في مصر . لقد كانت قريبة من القاهرة ، وكان قد أسسها اللاجئون البابليون من أشور ، ولذا فقد دعيت باسم مدينة أسلافهم . ولكن في الوقت الذي كتبت فيه الرسالة كانت عبارة عن معسكر حربي تقريبا ، ولم يرتبط اسم بطرس بمصر ابدا ، ولذا فاننا لا نعتقد أن تكون بابليون هذه هي مكان كتابة الرسالة .

(ب) كانت هناك مدينة (بابل) في الشرق . فقد اخذ اليهود أسرى الى بابل هذه . ومنهم كثيرون لم يعودوا لمواطنهم . لقد كانت بابل هذه مركزا للدراسات اليهودية . فأعظم تعليق على الناموس اليهودي يسمى « التلمود البابلي » . ولقد كان يهود بابل يشكلون قوة كبيرة ، حتى أن يوسيفوس أصدر نسخة خاصة من دراساته التاريخية لهم ، فليس من شك في أنه كانت هناك فيبابل مستعمرة خاصة بهم، ولذافمن الطبيعي أن يبشربطرس رسول اليهود ويعمل هناك . ولكننا لا نجد اسم بطرس مرتبطا ببابل ، فليس هناك أي دليل ملموس على وجوده هناك . ولقد أعتبر كثير من العلماء (مثل كالفن وارزمس) ان بابل هذه هي المدينة الشرقية العظيمة المشار اليها في الرسالة ، ولكن على العموم ، فاننا نعتقد أن كل الاحتمالات تخالف ذلك .

(جـ) كانت روما تسمى ببابل من اليهود والمسيحيين على السواء .

فاننا نجـد فى سفر الرؤيا وصفا لبابل بانهـــا الزانية التى سكرت بدم القديسين والشهداء (رؤيا ١٧ و ١٨) . فكل ما كانت تتميز به بابل قديما من طابع خاص ، كالشر والشهوة والرفاهية والخطيئة قد تجسد فى روما . ان اسم بطرس مرتبط بروما ، وهناك احتمال أن تكون الرسالة قد كتبت من هنـــاك .

٣ — وأخيرا ، من هو مرقس الذى يدعوه بطرس بابنه ، والذى يرسل باسمه التحية ؟ لو اعتبرنا أن المختـــــارة هى زوجة بطرس ، فان مرقس قد يكون ابن بطرس . ولكن فى هذه الحالة فان هناك احتمالا أكبر ان يكون مرقس هو مرقس الذى كتب الانجيل . فالتقليد دائمـــا يـــربط بين بطـــرس ومرقس ، ويشير الى أن بطرس له صلة بانجيل مرقس . ان بابياس الذى عاش حوالى نهاية القرن الثانى ، والذى كان جامعـــا للحوادث الأولى ، يصف انجيل مرقس فيقول : « ان مرقس الذى كان مفسرا لاقوال بطرس ، كتب بدقة ولكن ليس بالترتيب ، كل ما جمعه مما قاله يسوع او فعله لانه لم يكن تابعا ليسوع ولم يكن يسمع اقواله مباشرة ، وأنه كان تابعا لبطرس ، كما قلت ، مؤخرا ، وقد عمل بطرس على أن يقدم تعاليمه لتفى بحـــاجة الشعب ، دون محاولة تقديم كلمات الرب بصورة منتظمـــة . ولذا ، فان مرقس لم يكن مخطئا فى تدوين بعض الاشياء من الذاكرة ، لأن اهتمامه الأوحد كان الا يحذف أو يبطل اى شىء مما قد سمعه » .

ان انجيل مرقس ، حسب قول بابياس ، ليس سوى عظات بطرس . ويقول ايريناوس ايضا انه بعد موت بطرس وبولس فى روما : « كتب الينا مرقس ، تلميذ بطرس ومفسر أقـــواله ، كل ما بشر به بطرس » . انه من الاقوال المتواترة أن مرقس يعد بحق كابن لبطرس ، ويحتمل جدا أن تكون تلك التحية منه .

والآن لنلخص كل ما جاء بهذا العدد . « فالمختارة فى بابل » قد تكون الكنيسة أو زوجة بطرس ، باعتبارها هى أيضا شهيدة وبابل قد تكون المدينة الشرقية القديمة ، ولكن الاحتمال يتجه الى انها روما المدينة العـــريقة فى الشر . ومرقس قد يكون ابن بطرس والذى لا نعرف عنه شيئا ، ولكن من المحتمل جدا أن يكون مرقس كاتب الانجيل ، الذى كان يعد كابن لبطرس .

سلام المحبـــــة

سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ. سَلاَمٌ لَكُمْ جَمِيعِكُمُ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ.

(٥ : ١٤)

اكثر ما يثير الاهتمام هنا الأمر بأن يقبل كل واحد الآخر بقبلة المحبة .

لقد كانت القبلة جزءا مكملا للعبادة المسيحية والشركة ، وانه من المتعة لنا أن ندرس كيف نشأت وكيف أبطأت بالتدريج في الكنيسة .

لقد كانت عادة اليهود أن التلميذ يقبل معلمه على خده ، وأن يضع يديه على كتف معلمه ، وهذا ما فعله يهوذا مع المسيح (مرقس ١٤ : ٤٤) وكان اليهود يعتبرون القبلة تحية الترحاب والاحترام ، ولنا أن نعرف مقدار تقدير المسيح لها ، عندما نعلم أنه حزن عندما لم تعط له (لوقا ٧ : ٤٥) . وأن رسائل بولس تنتهي دائما بتلك الوصية أن نسلم على بعضنا البعض بقبلة مقدسة (رومية ١٦ : ١٦ ، ١ كورنثوس ١٦ : ٢٠ ، ٢ كورنثوس ١٣ : ١٢ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢٦) .

ولقد كانت القبلة في الكنيسة الأولى تمثل جزءا هاما من العبادة المسيحية . فيتساءل ترتليان قائلا: «كيف تكون العبادة كاملة عندما تخلو من قبلة المحبة ؟ » وأية ذبيحة تلك التي ينفض الناس بعدها دون سلام ؟ » . فالقبلة ، كما يرينا ترتليان ، كانت تسمى « بالسلام » ، وكان للقبلة أهمية خاصة في خدمة العشاء الرباني . فأوغسطينوس يقول انه عندما كان المسيحيون يجتمعون للتناول من مائدة الرب ، « كانوا يظهرون صفاءهم الداخلي ، بالقبلة الظاهرية » . لقد كانت القبلة دائما تؤدى بعد انصراف الأعضاء الجدد قبل عمادهم ، حيث لا يتبقى سوى أعضاء الكنيسة فقط ، وبعد الصلاة مباشرة قبل احضار مائدة الرب . يقول جوستن مارتر في هذا الصدد : « بعد أن نفرغ من الصلاة ، يحيى كل منا الآخر بقبلة . ثم يحضر الى رئيس الاجتماع الخبز وكأس النبيذ » (١ : ٦٥) .

ولقد كان يسبق القبلة هذه الصلاة : « لأجل عطية السلام والمحبة الطاهرة ، الغير مدنسة بالرياء أو بالمكر » ، ولقد كانت القبلة دليلا على أن «نفوسنا متحدة ، وعلى نسياننا كل الاخطاء» (القديس سيريل من أورشليم ، المحاضرات التعليمية ٢٥ ــ ٥ ــ ٣) . لقد كانت القبلة علامة على نسيان كل الاهانات وعلى غفران كل الاخطاء ، وأن كل المجتمعين على مائدة الرب واحد فى الرب .

لقد كانت هذه عادة جميلة ، ولكن واضح ، للأسف ، أنها كانت عرضة لاساءة استخدامها . فيبدو بوضوح ، من كثرة الانذارات المقدمة ، أن تلك العادة الجميلة قد اسيء استخدامها . فيصر (أثينو جوراس) على أن القبلة يجب أن تؤدى باهتمام بالغ لأنه « اذا تدنست بأى فكر شرير ، فانها تحرمنا من نوال الحياة الأبدية » .

ويقول أوريجانوس : ان قبلة السلام يجب أن تكون «مقدسة ، طاهرة ومخلصة » وليست كقبلة يهــوذا . ويدين أكليمندس الاسكندرى الطريقة المعيبة فى استخدام القبلة ، التى يجب أن تحوطهـــا الرهبة لان « بعض الاشخاص يسيئون استخدام القبلة مما يجعل الكنيسة تدوى بصوتها ، مما يترك مجالا للشبهات الدنسة ، والاقــوال الشريرة » (بايداج ٣ : ١١) . ويتحدث ترتليان عن تردد الزوج الوثنى فى قبول المسيحية عندما يفكر فى أن زوجته قد تقبل فى الكنيسة بهذه الطريقة .

وقد قضى على المشاكل الناجمة عن القبلة بالتدريج فى كنيسة الغرب . وفى القرن الرابع اقتصرت القبلة على أولئك الذين ينتمون لنفس الجنس ــ فالكهنة يحيون الاسقف ، والرجال يحيون الرجال والنساء للنساء . وقــد ظلت القبلة على هذا المنوال حتى القرن الثالــث عشر فى كنيسة الغرب . وقد كانت القبلة تستبدل احيانا باشياء أخرى . فقد كانت تستخدم أحيانـــا لوحة معدنية أو خشبية عليها صورة المصلوب فى بعض الاماكن . فكان يقبلها الــكاهن أولا ثم الجمهور ، الذى كان كل منهم يقبلها ويعطيها للآخر ، كدليل على حبهم المتبادل فى المسيح وللمسيح . وما زالت هــذه العــادة سارية المفعول فى الكنائس الشرقية ، كما انها ما زالت باقية فى الكنيسة اليونانية ، واما الكنيســة الأرمنية قد استعاضت عن القبلة بانحناءة رقيقة .

ولقد كانت القبلة تستخدم أيضا فى مواقف أخرى فى الكنيسة الأولى . فعند العماد ، كان يقبل الشخص المعمد أولا من معمده ، ثم من كل الجمهور كدليل على الترحيب به فى عائلة المسيح . وكان كذلك يقبل الأسقف المرتسم حديثا « قبلة فى الرب » .

وكانت تستخدم ايضا فى الزواج كتدعيم له وموافقة عليه ، وهو شىء طبيعى ماخــــوذ من الوثنية . والذين كانوا ينازعون الموت كانوا يقبلون الصليب أولا ثم يقبلون من جميع الحاضرين . وكان الموتى يقبلون قبــــل دفنهم .

وأما بالنسبة لنا نحن ، فقد نعتبر القبلة تقليدا كان متبعا منـــذ زمن بعيد . كان يتبع منذ أن كانت الكنيسة أسرة واحدة ، وشركة متينة ، وعندما كان المسيحيون يعرفون بعضهم بعضا جيدا ويحـــبون بعضهم حقا . ومن مآسى الكنيسة فى العصر الحديث ، وان أعضاءها وجمهورها الكبير لا يعرف بعضه بعضا ، كما أنه لا يريد معرفة بعضه الآخر ، وأنه لا يستخدم القبلة الا كطقس فقط . انها عادة محببة قد بطلت ، عندما فقدت الشركة المسيحية دعائمها بداخل الكنيسة .

يقول بطرس « سلام لكم جميعكم الذين فى المسيح يسوع » ولذا ، فان بطرس يستودع شعبه لسلام الله الذى هو أعظم من كل مصاعب وأحزان الحياة .

رسالة بطرس الثانية

مقدمة رسالة بطرس الثانية

السفر المهمل ومحتوياته :

قد يحق لنا القول ان رسالة بطرس الثانية هي احد الأسفار المهملة في العهد الجديد ، فقليلون يقراونه بتدقيق ، واقل القليل من يدرسه بالتفصيل . ويقول سكوت ان رسالة بطرس الثانية « اقل شأنا من رسالة بطرس الاولى ، من كل الوجوه » ، ويذهب الى حد القول « انها اقل شأنا من كل كتب العهد الجديد » . وكما سنرى ، انها أدرجت بصعوبة ضمن اسفار العهد الجديد ، وان الكنيسة ظلت لمدة طويلة تجهل عنها كل شيء. ولكن ، قبل أن نبحث في تاريخ الرسالة ، دعنا نتامل قليلا في محتويات الرسالة :

اناس فاسدون :

لقد كتبت رسالة بطرس الثانية لايقاف نشاط بعض الناس الذين كانوا يناوءون الكنيسة العداء . فتبدأ الرسالة بتأكيد أهمية القول ان المسيحي هو الشخص الذى هرب من الفساد الذى فى العالم (١ : ٤) ، وأنه يجب أن يتذكر دائما تطهير خطاياه السالفة (١ : ٩) .

فعلى المسيحى واجب أن يظهر فى حياته الفضيلة والصلاح والقداسة، تلك الفضائل التي تؤدى الى فضيلة المودة والمحبة الأخوية . (١ : ٥—٨).

ولتبرز صفات أولئك الذين يوبخهم بطرس فى رسالته الثانية . انهم يحرفون الكتب المقدسة لتخدم اغراضهم (١ : ٢٠ ، ٣ : ١٦) ، وأنه بسببهم يجدف على الايمان المسيحى (٢ : ٢) . وأنهم طامعون فى الربح ، ويتجرون بالآخرين (٢ : ٣ ، ٢ : ١٤ و ١٥) . وأن مصيرهم الهلاك كمصير الملائكة الساقطين (٢ : ٤) ، وكمصير الناس قبل الطوفان (٢:٥) ، واهل سدوم وعمورة (٢ : ٦) ، وبلعام النبى الكذاب (٢ : ١٥) . وأنهم

حيوانات لا تحكمهم سوى غرائزهم الحيوانية (٢ : ١٢) ، وتسيطر عليهم شهواتهم (٢ : ١٠ ، ٢ : ١٨) . وعيونهم مملوءة فسقا (٢ : ١٤) . وانهم جسورون ، معجبون بأنفسهم ويفترون على ذوى الامجاد (٢ : ١٠ و ١٨).

وانهم يحسبون تنعم يوم لذة وهم يتنعمون فى غرورهم (٢ : ١٣) . ويتحدثون عن الحرية وهم انفسهم عبيد شهواتهم (٢ : ١٩) . وهم ليسوا مخدوعين فحسب ، ولكنهم يخدعون الآخرين ويضلونهم (٢ : ١٤ ، ٢ : ١٨). وهم أردأ ممن لم يعرفوا الحق ، لانهم مع علمهم بطريق البر ، فانهم يرتدون الى الشر ، مثل كلب قد عاد الى قيئه أو كخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة (٢ : ٢٠ — ٢٢) .

يتضـــح من ذلك الآن بطرس يصف أولئك الرافضين للناموس الأدبى ، والذين يستخدمون نعمة الله كسترة لارتكاب الشرور . ويحتمل أن يكونوا ضمن طائفة الغنوسيين الذين كانوا ينادون بانه ليس شيء صـــالح سوى الروح ، وأن المادة فى جوهرها شر ، ولذا فان كل ما نعمله بأجسادنا لايهم ، وانه يمكننا ان نشبع كل رغباتنا دون أن يكون لذلك اى تأثير . لقـد كانوا يحيون حياة مجردة من كل فضيلة ، ويشجعون الآخرين على عمـل ذلك ، وانهم يبررون ما يفعلونه بتحريف طريق البر ، وتحريف كلمة الحـق لترضى اهـــواءهم .

انكار المجىء الثانى :

ثم ان هؤلاء الناس ، انكروا أيضا المجىء الثـــانى (٢ : ٣ و ٤) ، وقالوا بأن هذا العالم ثابت وجامد ، تظل فيه كل الاشياء على ما هى عليه ، وأن الله متباطىء جدا ، حتى أنهم افترضوا أن المجىء الثانى لن يحدث أبدا . ورسالة بطرس الثانية ترد على ذلك بالقول ان هذا العـــــالم ليس جامدا ، وأنه قد سبق أن هلك بالطوفان ، وانه سوف يهلك بالنار الهـلاك الأخير (٣ : ٥ — ٧). وأن ما يحسبونه تباطؤاً من جانـب الله ، ليس سوى امهال وطول اناة من ناحيته ليعطى الناس فرصة أخرى للتوبة (٣:٨ و ٩) . ولكن يوم الهلاك قادم (٣ : ١٠) . واننا ننتظر أرضا جديدة وسماء جديدة ، وأن الصلاح والتقوى ضرورة أساسية لخلاصنا فى اليوم الأخير (٣:١١—١٤). وبولس الرسول يتفق مع ما يقوله بطرس ، برغم أن رســـائله قد يصعب

فهمها ، مما يجعل المعلمين الكذبة يحرفون أقواله عن عمد (٣ : ١٦) . وأن واجب المسيحى أن يثبت فى الايمان ، وأن ينمو فى النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح (٣ : ١٧ و ١٨) .

شكوك الكنيسة الاولى :

هذه هى محتويات الرسالة . ولقد كان ينظر الى هذه الرسالة بعين الشك لفترة طويلة ، وعدم الاكتراث . واننا لا نجد لهـا اثرا حتى بعد سنة ٢٠٠ م،ولانجدها مدرجة ضمن لائحة موراتورى التى يرجع تاريخها الى سنة ١٧٠ م ، والتى كانت تعتبر اول قائمة رسمية بأسماء اسفار العهد الجديد . ولم يرد ذكرها ايضـا فى الطبعة اللاتنية القـديمة للكتاب المقـدس ، ولا فى العهد الجديد للكنيسة السورية الأولى .

وهذا يرجع لان علمـاء الاسكندرية اما انهم لم يعرفوها او لانهم كانوا يشـكون فيها . ان اكليمندس لم يكتب شيئا عن هذه الرسـالة ضمن ما كتبه عن محتويات اسفار الكتاب المقدس . ويقـول اوريجانوس انه : « ربما قد ترك لنا بطرس غير رسالته المعترف بها من الجميع ، رسـالة اخرى ، وهو أمر غير مؤكد » .

وعلق ديديموس على الرسالة ، ولكنه ختم مؤلفه بالقول : « لا يجب أن يغيب عن بالنا أن هذه الرسالة مشكوك فى صحتهـا ، قد تقرا امام الناس ، ولكنها ليست ضمن أسفار الكتاب القانونية » . وقال ايوسيبس عالم قيصرية العظيم ، والذى قام بأجراء بحوث قدمة فى الأدب المسيحى فى عصره : « ان رسالة بطرس المعروفة بالرسالة الأولى ، معتـرف بها من الجميع ، وقد استشهد بها كثير من الشيوخ القدامى فى كتاباتهـم ، وهـذا لا يدع مجالا للشك فى صحتها ، ولكن الرسالة المعروفة باسم رسالة بطرس الثانية فنحن نعرف ، حسبما تسلمناه ، أنها غير قانونية ، هذا بالرغم من أن بهـا فائدة كبيرة للكثيرين ، وانها تقرا دائما جنبا الى جنب مع الأسفـار الأخرى للكتاب المقدس » .

ولم تدرج الرسالة الثانية ضمن أسفار العهـد الجديد حتى القـرن الرابع .

الاعتراضات :

يكاد يجمع العلماء ــ المعاصرون منهم والقدامى ــ على أن بطرس ليس هو كاتب الرسالة الثانية . وحتى جون كلفن قد اعتبر أنه من المستحيل أن يتحدث بطرس عن بولس كما تتحدث هذه الرسالة عنه (٣ : ١٥ و ١٦) ، بالرغم من أنه يؤمن بأن شخصا آخرا كتب الرسالة بناء على طلبه . ولكنه لم يكن على استعداد أن يعتقد بأن الرسالة كما هي قد جاءت من يد بطرس ذاته . فما هي اذن الاعتراضات على أن بطرس هو كاتب الرسالة الثانية المرتبطة باسمه .

١ ــ أن الكنيسة الأولى قد ترددت كثيرا في قبولها . فلو كانت حقا من نتاج بطرس ، لما ترددت الكنيسة في قبولها والترحيب بها منذ البدء .

ولكن ما حدث كان على عكس ذلك ، كما رأينا . فلم يرد أي استشهاد للرسالة في أي مناسبة لمدة القرنين الأولين ، ثم نظر اليها بعين الشك والريبة طوال قرن آخر ، ولم تقبل سوى في أواخر القرن الرابع .

٢ ــ وأن محتويات الرسالة أيضا تجعل من الصعب الاعتقاد بأن بطرس هو كاتبها . فلم يرد في الرسالة ذكر آلام المسيح أو قيامته أو صعوده ، ولا من ذكر للكنيسة كاسرائيل الحقيقي . ولم يرد شيء عن الايمان كالشيء الذي يجمع بين الرجاء الذي لايقهر واليقين الثابت ولم يذكر شيء عن الروح القدس أو الصلاة أو المعمودية أو دعوة الناس بالحاح أن يتبعوا المثال المقدم لهم في شخص يسوع المسيح ، كل تلك الأمور التي لو انتزعت من رسالة بطرس الأولى لما تبقى شيء يذكر ،ومع هذا فلم يذكر شيء منها في الرسالة الثانية .

٣ ــ انها مختلفة عن الرسالة الأولى كل الاختلاف في أسلوبها ومعناها . وقد عرف ذلك منذ وقت جيروم . لقد كتب جيروم يقول : « ان سمعان بطرس كتب رسالتين تسميان بالعامتين أو الجامعتين ، وأن كثيرين ينكرون صحة نسبة الرسالة الثانية الى بطرس بسبب اختلاف

اسلوبها عن الرسالة الاولى » ، وان اليونانية التى كتبت بها الرسالة صعبة جدا . فيصف كلوج هذا الاسلوب الذى دونت به الرسالة بانه متكلف وغامض ، ويقول ايضا ان هذه الرسالة هى السفر الوحيد فى العهد الجديد الذى يتحسن اسلوبه بالترجمة . كتب الأسقف شيز يقول : « ان الرسالة يغلب عليها طابع البلاغة المتكلفة والمصطنعة ، ومحاولة التظاهر بالفصاحة . فالكاتب يبدو طموحا فى كتابة اسلوب يفوق قدرته الادبية » ، ويستنتج من ذلك انه من الصعب الاقتناع بأن بطرس هو كاتب هذه الرسالة . ويقول موفات ان : « رسالة بطرس الثانية اكثر طموحا وملاءمة لروح العصر من رسالة بطرس الأولى ، ولكن اسلوبها الذى يتميز بالغموض وعدم وضوح الفكرة يجعلها فى مكانة اقل من رسالة بطرس الأولى » ، هذا وقد يمكن القول — كما ادعى جيروم — انه بينما كان سلوانس هو اليد اليمنى لبطرس فى كتابة الرسالة الأولى ، فان بطرس قد استخدم شخصا آخرا فى كتابة الرسالة الثانية ، ومن هنا يتضح سر اختلاف الأسلوب فى الرسالتين .

ولكن مايور يعقد مقارنة بين الرسالتين . فيقتبس بعض الفقرات العظمى فى رسالة بطرس الأولى ، ثم يقول : « انى اعتقد انه ما من شخص قرأ هذه الكلمات الا واحس ، انه لا توجد كلمات اكثر تعبيرا وأدق وصفا لسر المسيحية الناهضة فى بداية عهدها ، وعن القوة التى قهرت العالم ، من تلك الكلمات والعبارات التى يتجسم فيها الايمان والرجاء والمحبة والفرح والتى تتخلل رسالة بطرس الأولى ، وانه لم ترد عبارات فى مثل هذه القوة لا فى رسائل بولس ولا حتى فى رسائل يوحنا . اما بالنسبة لرسالة بطرس الثانية فلا يمكن لأحد ان يدلى بتصريح كهذا . نعم انها مملوءة بالاثارة والعمق ، الا انه ينقصها روح العطف ، وشعلة المحبة التى تميز الرسالة الأولى ... وان تغير الظروف لا يمكن أن يكون سببا فى تغير النغمة الذى نلمسه حالما نفرغ من قراءة الرسالة الاولى لنتجه لقراءة الرسالة الثانية » .

ان استنتاج ذلك العالم المحافظ هو أنه ما من تعليل لاختلاف الأسلوب بين الرسالتين سوى اختلاف شخصية من كتب الرسالة الأولى عن الثانية، والاختلاف الكلى بين جو الرسالتين .

فمن الناحية اللغوية توجد ٣٦٩ كلمة فى رسالة بطرس الأولى لم ترد فى رسالته الثانية ، كما أنه يوجد ٢٣٠ كلمة فى الرسالة الثانية لم ترد فى الرسالة الأولى . ان هذا ليس مجرد اختلاف فى الأسلوب . فالكاتب قد يغير أسلوبه ومفرداته بسبب اختلاف المستمعين واختلاف المناسبة . ولكن الاختلاف بين الرسالتين هو اختلاف جوهرى وشامل حتى أنه من غير المحتمل أن يكون شخص واحد كتب الرسالتين .

٤ ــ هناك بعض الدلائل من رسالة بطرس الثانية تشير بوضوح الى ان الرسالة ترجع لتاريخ متأخر . فلابد أنه قد مر وقت طويل حتى أن الناس بدأوا يفقدون الأمل فى المجىء الثانى كلية (٣ : ٤) . ثم نجد الحديث من الرسل كرجال الماضى (٣ : ٢) . والآباء ــ وهم مؤسسو الايمان المسيحى ــ لم يكونوا فى زمن الرسالة سوى ذكريات شاحبة عن الماضى البعيد ، فقد مرت أجيال بين كتابة الرسالة وبين بدء ظهور الايمان المسيحى (٣ : ٤) .

وتوجد اشارات تحتاج لمرور الزمن حتى يمكن تفسيرها . كالاشارة الى قرب موت بطرس (١ : ١٢ ــ ١٤) ، وهى قريبة الشبه بنبوة يسوع فى (يوحنا ٢١ : ١٨ و ١٩) ، هذا مع أن الانجيل الرابع لم يكتب حتى سنة ١٠٠ م .

ومن الاشارة الى رسائل بولس (٣ : ١٥ و ١٦) ، ومن هذه الفقرة التى وردت فيها الاشارة يتضح أن رسائل بولس كانت منتشرة فى كل مكان ، وأنها أصبحت عامة ، ثم أنها كانت تعتبر ضمن أسفار الكتاب المقدس جنبا الى جنب مع « الرسائل كلها » (٣ : ١٦) . وان رسائل بولس لم تجمع وتنتشر سوى حتى سنة ٩٠ م ، ومن المؤكد أنها لم تحتل مكانة مقدسة جنبا الى جنب مع باقى الكتب المقدسة سوى بعد مرور وقت طويل على كتاباتها .

وهذا يثبت أنه من المستحيل أن يكتب مثل هذا الكلام عن رسائل بولس سوى حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى .

ان الادلة كلهـــا تكاد تجمع على ان رسالة بطرس الثانية كتبت فى وقت متأخر . وانه لم يستشهد بهـــا حتى القرن الثالث . وان علمــــــاء الكنيســة الاولى العظام لم ينسبوها لبطرس ، هذا مع انهم لم يشكوا مطلقا فى اهميتها . والرســـالة نفسها ايضـا بها اشارات تحتاج لوقت طويل حتى يمكن تفسيرها . وان اهم ما يميز رسالة بطرس الثانية هو انهـــا آخر سفر كتب فى العهـــد الجــــديد ، وآخر سفر ايضـــا ادرج ضمن اســـــفار العهـــد الجديد .

اسم بطــــــرس :

ولكن ، كيف ارتبطت الرسالة باسم بطرس ؟ ان الجواب على هذا السؤال ، هو انها ارتبطت به عن قصـــد . قد يبدو ذلك غريبا ، ولـــكننا يجب ان نتذكر ان تلك كانت عادة شائعة وطبيعية قديما . فرســـــائل افلاطون لم يكن افلاطون هو كاتبها ، بل ان تلميذا لافلاطون هو الذى كتبها باسم معلمه . وقد اتبع اليهود ذلك التقليد كثيرا فى كتاباتهم . وقد كتبت كتب كثيرة فى فترة ما بين العهـــدين القديم والجديـــد تحمل اسماء كسليمان واشعياء وموسى وباروخ وعزرا واخنوخ وكثيرون غيرهم .

وفى زمن العهـــد الجديد ، يوجد أدب بكامله يحمل اسم بطـــــرس ، فهناك انجيل بطرس ، وعظات بطرس ، ورؤيا بطرس .

هناك حقيقة واضحة تفسر هذا التقليد المتبع فى الكتابة وتجعلهــــا معقولة . فقـــد كان الهراطقة أنفسهم يكتبون كتبا مضللة وملحدة تحمـــل اسماء الرســـل العظام وقد ادعو ان تلك الكتب هى التعاليم السرية لمؤسسى الكنيسة العظام وانهم تسلموها منهم شفاها . وقد ردت الكنيسة بالمثل على هذه الكتب ، فاصدرت كتبا ابرز فيهـــا رجالها التعـــاليم التى كان لابد ان يقولها الرسل فى مواجهة ذلك . فليس هناك اى وجه غرابة بالنسبة لكتاب يحمل اسم بطرس ، مع ان بطرس لم يكتبه . فان يكتب احد المعـــــلمين المجهولين كتابا كهذا كان يعد عملا لا غضاضة فيه فى ذلك العصر . قد يكون ذلك الشخص متواضعا اذ يقدم الرسالة التى أعطاها له الروح القدس

تحت اسم بطـــــرس ، لانـــه يحس أن اسمه غير جـــدير أنَ ينسب الى الرسالة .

ان رسالة بطرس الثانية ليست رسالة سهلة ، ولكنها رسالة ذات اهميـــة عظمى ، لانهـــا كتبت الى أناس كانوا يقللون من شـــأن الآداب المسيحية والتعاليم المسيحية ، وكان يجب ن يوقف كل ذلك عند حده قبـــل ان يستفحل خطر تلك التعاليم المضللة .

الأصحاح الأول

الشخص الذى فتح الأبواب

سِمْعَانُ بُطْرُسُ عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَرَسُولُهُ إِلَى الَّذِينَ نَالُوا مَعَنَا إِيمَاناً ثَمِيناً مُسَاوِياً لَنَا بِبِرِّ إِلٰهِنَا وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
([illegible])

تستهل هذه الرسالة باشارة جميلة لكل ذى عين بصيرة ، ومعرفة كافية بالعهد الجديد . ان بطرس يكتب : « الى الذين نالوا معنا ايمانا ثمينا مساويا لنا » ـــ وهو يسمى نفسه (سمعان بطرس) .

من هم أولئك الناس ؟ ، هنـــاك جواب واحد على ذلك :

لابد أن أولئك النـــاس كانوا من الأمم ، تمييزا لهم عن اليهــــود الذين كانوا فى مركز فريد كشعب الله المختـــار . فالذين لم يكونوا قبــــلا شــــعبا صاروا شعب الله المختار (١ بط ٢ : ١٠) ، والذين كانوا أجنبيين وغرباء عن عهد الموعد ، وبعيدين صاروا قريبين (افسس ٢ : ١١ ـــ ١٣) ان بطرس هنا يوضح ذلك ، مستخدما كلمة لها مدى عميق فى آذان الذين سمعوها . فايمانهم ثمين ومساو لايمان بطرس .

والـــــكلمة باليونانية هى (isotimos) ، ان كلمـــــة (isos) تعنى (مساو) و (Time) تعنى (كرامة) . وقد كانت تلك الكلمة تعبر عن الغرباء والأجانب الذين كانوا يمنحــون حــق الاقامة كمواطنين فى بلد غريب عنهم . فيوسيفوس ، مثلا ، وهو يكتب عن انطاكية ، يقـــــول ان اليهود فى انطاكية كانوا يمنحون كل حقـــوق المواطنين ، أى انهم كانوا

مساوين للمكدونيين واليونان سكان المدينة الاصليين ، فى الكرامة والامتياز . ولذا فان بطرس يوجه رسالته الى أولئك الذين كانوا من الأمميين المحتقرين، ولكنهم حصلوا على حقوق كمواطنين مثلهم مثل اليهـــود ، والرســـل أيضا ، فى مدينة وملكوت الله .

هناك شيئان يجب ملاحظتهما عن هذا الامتياز العظيم والعجيب المقدم للأمميين : (أ) لقد منح لهم هذا الامتياز كنصيب . أى أنهم لم يكتسبوه عن جدارة وأنهم لم يستحقوه ، لقد صار لهم هــــذا النصيب ليس بسبب أى استحقاق فيهم ، تماما كمـــا ينال أحدهم جائزة عن طريق القاء قرعة ، وليس بسبب أى مجهـــود خاص ، وبمعنى آخر ، فانه يمكن القـــول ان الامتياز والكرامة اللذين نالوهما كانا بسبب النعمة .

(ب) ثم أن الامتياز الذى حصلوا عليـــه جاء اليهم نتيجة عدل الهمـــم ومخلصهم يسوع المسيح . لقد نالوا هذا الامتياز لأن الله لا يحابى بالوجوه ، فالله ليس عنده « أمة مختـــارة » أو جنس سام ، وأن نعمة الله وفضله وامتيازاته مقدمة دون محاباة لكل أمم الارض .

والآن ، ما علاقة ذلك بالاسم « سمعان » الذى يدعى بـــه بطرس ؟ يدعى بطرس فى معظم الاحيـــان بهذا الاسم فى العهـــد الجديد ، ولقـــد كان اسمه قبـــلا سمعان ، قبل أن يلقبـــه يسوع بصفـــا أو بطـــرس (يوحنا ١ : ٤١ و ٤٢) ، ولكن هنـــاك حادثة أخرى فقط فى العهـــد الجديد ، دعى فيهـــا بطرس باسم (سمعان) فأين وردت هذه الحادثة ؟ لقـــد ذكرت فى قصة مجمع أورشليم فى (أعمـــال ١٥) ، فقد قرر مجمع الكنيسة فتح الابواب على مصراعيها للأمميين .

فيعقوب يقول بهذه المناسبة : « سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولا الامم ليأخذ منهم شعبا على اسمه » (اعمال ١٥ : ١٤) ، دعى بطرس بسمعان فى تلك المناسبة العظمى عندما فتح أبواب الكنيسة على مصراعيها للأمم . وهنـــا فى هذه الرسالة يبدأ بطرس بالتحية للامميين ، الذين نالوا بنعمة الله ، حق الاقامة كمواطنين فى ملكوت الله كاليهود والرسل ايضا ، ونجد انه يلقب باسم سمعان ، والمناسبة الاخرى فقط التى لقب فيهـــا

بهذا الاسم كانت عندما كان الاداة الفعالة فى منح هذا الامتياز للأمميين .

فعندما يدعى بطرس (سمعان) ، فان الاسم يذكرنا بأن بطرس هو الرجل الذى فتح الأبواب . انه فتح الأبواب لكرنيليوس ، قائد المائة الأممى (أعمال ١٠) ، واستخدم سلطانه كرسول فى فتح الابواب للأمميين فى مجمع أورشليم (أعمال ١٥) . فان يدعى بطرس باسم (سمعان) ، فان هذا يذكرنا بأنه الشخص الذى فتح الابواب الموصدة .

الخـدمة المجيـدة

ان بطرس يلقب نفسه (بعبد) يسوع المسيح . والكلمة تعنى اكثر من مجرد (خادم) ، انها تعنى (عبد) . ان هذا اللقب يدل على التواضع ، وأن أعظم الرجال يعتبرون هذا اللقب دليلا على الكرامة . فموسى القائد العظيم ، والمشرع كان يلقب بعبد الله (تثنية ٣٤ : ٣٥ ، مزمور ١٠٥ : ٢٦ ، ملاخى ٤ : ٤) . ويشوع القائد العظيم أيضا يسمى بعبد الله (يشوع ٢٤ : ١٩) . وداود أعظم الملوك كان عبد الله (٢ صموئيل ٣ : ١٨ ، مزمور ٧٨ : ٧٠) .

وبولس فى العهد الجديد كان يلقب بعبد يسوع المسيح (رومية ١ : ١، فيلبى ١ : ١ ، تيطس ١ : ١) ، ويفتخر كل من يعقوب (يعقوب ١ : ١) ، ويهوذا (يهوذا ١) بهذا اللقب . وفى العهد القديم ، يلقب الانبياء بعبيد الله (عاموس ٣ : ٧ ، اشعياء ٢٠ : ٣) . وفى العهد الجديد نجد أن خادم المسيح هو اللقب الذى يطلق على الانسان المسيحى ، انه عبد (doulos) المسيح (أعمال ٢ : ١٨، ١ كورنثوس ٧ : ٢٢ ، أفسس ٦ : ٦ ، كولوسى ٤ : ١٢ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٤) ان هذا اللقب يدل على معنى سام عميق .

١ ــ فعندما يدعى المسيحى بعبد الله ، فان هذا يعنى أنه ملك لله . ففى العالم القديم ، كان السيد يمتلك العبيد تماما كما يمتلك ادواته الصماء . ان الخادم يمكنه أن يستبدل سيده ، ولكن العبد لا يستطيع . فالمسيحى يعتبر ملكا لله .

٢ ــ المسيحي كعبد لله يعنى أنه تحت تصرف الله بالتمام . قديما كان السيد يعمل ما يحلو له بالعبـــد ، فقد كان يتصرف بالعبد كما يتصرف بأدواته الصماء ، فقد كان يملك حق الحياة والموت بالنسبة للعبد . ان المسيحي ملك لله ، اذ أن الله يرسله حيث شاء ، ويفعل به ما يريد .

ان المسيحي هو الشخص الذى يعتبر أنه ليس له حقوق ذاتية ، لأنه يسلم كل حقوقه تسليما تاما لله .

٣ ــ ان تسمية المسيحي بعبد الله تعنى أنه يطيع الله طاعة عمياء . فقد كان أمر السيد فى الناموس القديم هو القانون الوحيد للعبد . وحتى لو أمر العبد بأن يفعل شيئا مخالفا للناموس ، فانه لم يكن يستطيع ان يعترض على ذلك، لأن أمر السيد هو ناموسه الوحيد. فالمسيحي عليه أن يسأل هذا السؤال فى مواجهة أى موقف : «يارب . ماذا تريد منى أن افعل ؟ » ، ان أمر الله هو ناموسه الوحيد .

٤ ــ تسمية المسيحي بعبد الله تعنى أنه يجب أن يكون دائما فى خدمة الله . فالعبد قديما لم يكن لديه أى وقت خاص به ، لا اعياد ولا أوقات فراغ ، ولا اتفاق يحدد ساعات العمل . فكل وقته كان ملكا لســـيده . والمسيحي بالمثل ، لايمكنه أن يقسم وقته قسمين وقت لله ، ووقت لنشاطه الخـــاص ليعمل ما يريد . فالمسيحي يجـــب أن يخصص كل لحظـــــة من حياتـــه فى خدمة الله .

ونشير أيضا الى نقطة اخرى . فبطرس يتحدث هنـــا عن عدل الهنا ومخلصنا يسوع المسيح . وبعض النسخ تترجمها هكذا « بر الله ومخلصنا يسوع المسيح » ، كما لو كان يشار الى شخصين ، الله والمسيح ، ولـــكن (موفات) والطبعة الامريكية للكتاب تريبنا فى اليونانية ، أن المشـــــار اليه شخص واحد فقط ، فالعبـــارة وردت هكذا « الهنـــا ومخلصنا يســـــــوع المسيح » ، واهمية ذلك ترجع لأن العهد الجـــديد نادرا ما يستخدم ذلك . فالعبارة كما وردت تسمى المسيح بالله . والآية المشابهة لهـــا هى صرخة توما عنـــدما تعرف على الرب اذ قال : « ربى والهى » (يوحنا ٢٠ : ٢٨) وليس هذا مثار جدل ، أو موضوع بحث لاهوتى ، لأن بطرس وتوما اذ يدعـــوان

المسيح بالله ، فانهما يعبران عن شعورهما القلبى بالتعبد لله ، وليس تعبيرا عن موضوع لاهوتى ، ففى أعماق مشاعرهما القلبية ، احسا بأن التعبيرات البشرية تعجز عن أن تعبر عن ذلك الشخص الذى يدعوانه بالرب .

المعرفة الثمينة

لِتَكْثُرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَيَسُوعَ رَبِّنَا .

(١ : ٢)

ان بطرس يكتب هنا عبارة قد تبدو غريبة . فالنعمة والسلام تأتى من (المعرفة) ، معرفة الله ويسوع المسيح ربنا . ماذا يقصد بذلك ؟ هل يعزى الاختبار المسيحى الى شىء يعتمد على المعرفة ؟ أم ، أنه يقصد شيئا خلاف ذلك ؟ .

لنبحث أولا فى الكلمة التى يستخدما تعبيرا عن المعرفة . فالكلمة هى (epignôsis) ، وقد تعنى هذه الكلمة معنيين .

(أ) قد تعنى ازدياد المعرفة . فالكلمة (gnôsis) هى الكلمة اليونانية الدالة على المعرفة ، وهنا نجدها مسبوقة بحرف الجر (epi) الذى يعنى (نحو) أو فى اتجاه ، اذن فكلمة (epignôsis) يمكن تفسيرها على انها المعرفة التى تتجه دائما فى اتجاه الشىء الذى يراد معرفته. فالنعمة والسلام تكثر للمسيحى أكثر وأكثر ، بمعرفته ليسوع المسيح أفضل وأفضل . فكلما تثبت المسيحى من معرفته ليسوع المسيح ، كلما أدرك معنى النعمة واختبار السلام . وكلما تعرفنا بالمسيح معرفة أفضل ، كلما أدركنا عظمة النعمة ، وتأكدنا من اختبار السلام الذى يفوق كل عقل .

(ب) والكلمة تعنى معنى آخر ، فهى باليونانية تعنى دائما (ملء المعرفة).ان (بلوتارك) يستخدم هذه الكلمه مثلا للتعبير عن المعرفة العلمية بالموسيقى تمييزاً لها من المعرفة الناجمة عن مجرد الهواية . ولهذا فان الكلمة هنا قد تعنى المعرفة بالمسيح ، تلك المعرفة التى نسميها « أعظم علم بالحياة » ، فالعلوم الأخرى قد تجلب مهارة جديدة أو معرفة جديدة أو قدرات خاصة ، ولكن سيد العلوم كلها ، هو معرفة يسوع المسيح ، فتلك المعرفة وحدها هى القادرة على أن تأتى بالنعمة التى يحتاجها الانسان

والسلام الذى يسعى البشر للحصول عليه .

ولكن هناك أكثر من ذلك . فقد كان بطرس يستخدم الفـــاظا كانت شائعة الاستعمال فى عصره ، وكانت مليئة بالمعنى . فقد كانت كلمـــة (المعرفة) مستعملة كثيرا فى العقائد الوثنية فى الوقت الذى كتبت فيه هـذه الرسالة .

خذ مثلا لذلك ، فاليونان عرفوا (Sophia) التى تعنى (الحكمة) ، بأنها معرفة الأمور البشرية والالهية معا . ولقد كان باحثو اليونان يبحثون عن الله وعن معرفته بطريقتين رئيسيتين :

(أ) لقد كانوا يبحثون عنه بالتفـــكير الفلسفى . فقد كانوا يحاولون الوصول الى الله بقوة الفكر المطلق . وهذا كان يقتادهم لمواجهة صعاب جمة،لان الله غير محدود،وعقل الانسان محدود،والمحدود لايمكن أن يدرك غير المحدود . لقد قال صوفر قديما : « االى عمق الله تتصل ام الى نهـاية القدير تنتهى ؟ » (ايوب ١١ : ٧) ان معرفة الله يمكن التوصل اليهـــا ، ليس بسبب اكتشاف العقل البشرى ، بل لأن الله أراد أن يظهر نفسه .

هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى ، فانه اذا كانت الديانة تبنى على تفكير فلسفى ، فواضح اذن انها تكون حينئذ للقليلين فقط على احسن الفروض ، لانه لا يمكن للجميع أن يكونوا فلاسفة ، وعندئذ يترك البسطاء بعيدين عن الله . ان بطرس لا يمكن أن يقصد بالمعرفة هذا المعنى .

(ب) وقد كانوا أيضا يبحثـون عن تلك المعــرفة بالله عن طريق التصوف . لقد كانوا يبحثون وراءها عن طريق اجتيـــازهم فى اختبــارات صوفية غامضة للبحث فى الأمور الألهية ، حتى يمكن للواحد منهم أن يقـول لله : « أنا هو أنت وأنت أنا » ، لقد كان ذلك هو طريق الديانات الغامضة ، فقد كانت كلهـا فى جوهرها تعبر عن مأساة درامية بطلهـــا اله يقاسى ويموت ويقوم ثانية . وقد كانت تلك التعاليم السرية تعـد جيـدا لتقـدم للناس الذين يراد تعليمهم بتعاليم تلك الديانات ، وكان لابد من الصيام الطويل والامتناع عن جميع المسرات وتهيئة الجو النفسى الملائم قبل تأدية الفرائض الدينية ، وذلك عن طريق الموسيقى والضوء المعين المعـد لـكل مناسبة ،

وحرق البخور . وكان الهدف من كل ذلك ، اعداد المعتنقين لتلك الديانات اثناء مشاهدتهم لتلك الطقوس الغـــامضة ، أن يندمجوا فى ما يشاهدونه حتى يتحدوا مع ذلك الاله المتألم ثم المائت ثم المقام .

وهنا نواجه مصاعب أيضا . فليس الجميع متصوفين ، وليس الكل بقادرين على اجتياز هذا الاختبار . ثم أن اختبار كهذا لا يلبث ان يزول أمام الواقع . قد يترك اثرا ، ولكنه لا يمكن أن يكون اختبارا دائما ، فالتصــوف هو امتياز يتمتع به الاقلية ، وهو دائمـــا اختبار فوق العادة .

(هـ) فان كانت معرفة المسيح لا يمكن التوصل اليها بالافكار الفلسفية أو بالاختبارات الصوفية ، فما هى اذن ؟ وكيف يمــكن التوصل اليهـا ؟ . يوضح لنا العهـد الجديد أنها « معرفة شخصية » ، ان بولس لا يقول « انى عالم (بمـا) آمنت » ولكنه يقـــول « انى عالم (بمن) آمنت » (١ تيموثاوس ١ : ١٢) فالمعرفة المسيحية بالمسيح هى معرفة شخصية به ، انها معرفة المسيح كشخص وانشـاء علاقة شخصية معـه تنمو على مر الأيام .

وعندما يتحدث بطرس عن النعمة والســـلام الذى يكثر بمعرفة الله ويسوع المسيح ، فانه لا يتحدث عن المعرفة العقلية كأساس للديانة ، ولكنه يقول ان المسيحية تعنى علاقة شخصية بيسوع المسيح .

قدرة المسيح الالهية

كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْإِلٰهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ . اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الْإِلٰهِيَّةِ هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ . وَلِهٰذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً وَفِي

الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً . وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفاً وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْراً وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى . وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً وَفِي الْمَوَدَّةِ الْأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً .

(١ : ٣ — ٧)

فى الجزء الأول من هذا القسم ، فى عدد (٣ و ٤) ، نجد صورة عظمى ورائعة ليسوع المسيح .

١ — فهو (مسيح القوة) : ففيه القوة الالهية ، التى لا يمكن أن تهزم أو تفشل فى النهـــاية . من مآسى الحياة فى عالمنا البشرى ، أن المحبة الارضية دائمـــا تبوء بالفشـــل ، لأن المحبـــة هذه لا تستطيع أن تعطى ما تريد ان تعطيه ، ولا تستطيع أن تفعل ما تريد ، ولذا فهى تقف عاجزة حيال الشخص المحبوب الذى يواجه الخطر . ولكن لا يجب أن يغيب عن بالنا ان محبة المسيح لاتقهر ، اذ انهـــا المحبة المنتصرة دائما ، وذلك لأن قوة المسيح تظـــاهرها وتساندها .

٢ — انه (مسيح الكرم) : فهو يهب لنا كل ما هو ضرورى لحياتنا ، وكل ما هو لازم لاكمال مسيحيتنا وتقوانا . ويجب ملاحظة أن الكلمة التـــى يستخدمها بطرس تعبيرا عن التقوى تعنى الديانة العملية . ان بطرس يريد أن يقول ان يسوع المسيح يخبرنا عن كل ما يتعلق بالحياة ، ثم يمكننا من أن نحياها كما يجب ، وهو يعطينا الديانة التى لاتعنى الهروب من الحياة ، بل تعنى الاندماج فى الحياة والانتصار عليها .

٣ — انه مسيح (المواعيد الثمينة والعظمى) : ان ذلك لا يعنى أنـــه ياتى لنـــا بجميع المواعيد العظمى والثمينة ، بقـــدر ما يعنى ان تلك المواعيد تصبح لنا بالمسيح وفيه . وقد عبر بولس عـــن ذلك ، بأسلوب مختلف حين قال ان « مواعيد الله فيها النعم والآمين فى المسيح » (٢ كورنثوس ١ : ٢٠) اى أن المسيح يقول : « نعم .. ليكن كذلك » لجميع مواعيد الله .

فهو يثبتها ويضمنها لنا . قيل — انه ما مادمنا نعرف المسيح ، فكل وعد

يصادفنا فى الكتاب ، فاننا نستطيع ان نقول عنه فى الحال « هذا الوعد لنا » .

٤ ـ انه المسيح الذى به « نهرب من الفساد الذى فى العالم » لقد قابل بطرس اناسا كانوا يستخدمون نعمة الله كستيرة وعذر لارتكاب الشرور . لقد أعلنوا أن النعمة هى اعظم شىء فى العالم ، وان النعمة كافية لتغطية كل خطية . ولذا ، فليس ثمة داع للقلق . فالخطية لا تهم لان نعمة المسيح تكفى لغفرانها ، والخطية تقدم لتلك النعمة فرصا جديدة لكى تكثر وتعمل . ولكن هذا القول مصدره اناس يحبون الخطيـــة ، وعندهم نية الخطأ . ولكن يســوع المسيح هو الشخص الذى يستطيع ان يخلصنا من جاذبية شهوة العالم ، ويطهرنا وينقينا بحضوره وقوته . فالسير مع المسيح يعنى النجاة من فساد العالم . صحيح انه ما دمنا نعيش فى هذا العالم ، فان الخطية لابد أن تغرينا ، ولكن بحضور المسيح معنـا ، فاننا يمكن أن نتحصن ضد اغرائها .

٥ ـ انه المسيح الذى يجعلنا « شركاء الطبيعة الالهية » وهنـا يستخدم بطرس تعبيراً يعرفه المفكرون الوثنيون جيدا . فقد كانوا يحدثون كثيرا عن المشاركة فى الطبيعة الالهية . ولكن هناك فرق واضح ـ فقد كانوا يؤمنون بان الانسان كما هو ، به شىء من الطبيعة الالهيـة ، واعتبروا الانسان الهيا فى ذاته . وكل ما على الناس أن يعملوه هو أن يحيوا فى اتفاق مع الطبيعة الالهية الكامنة فيهم .

ولكن هذا مخالف لما هو مشاهد فى الحياة فنحن نرى امامنا المرارة والكراهية والشهوة والجريمة ، ونرى فى كل مكان الفشل الاخلاقى ، والعجز الروحى ، وعدم تحقيق المثل العليـا . اننا فى كل عصر نشاهد عجز الانسان التام من الوصول الى الاهداف الروحية او تحقيق المثل العليا . ولكن المسيحية تنادى بانه فى مقدور البشر أن يشاركوا الطبيعة الالهية . ان المسيحية تواجه واقع البشر كما هو ، ولكنها فى نفس الوقت لا تضع حدودا لما يمكن أن يحققه الانسان .

قال يسوع « لقد اتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يوحنا

١٠ : ١٠) . كما قال أحد الآباء القدامى عن يسوع : « أنه يمكننا من أن نصير مثله » . ان الانسان بمقدوره أن يشارك الطبيعة الالهية ــ ولــكنه لا يمكن أن يصل الى تحقيق هذا الهدف سوى فى المسيح يسوع ، ففيه وحده يمكن تحقيق ذلك .

الاستعداد للسير فى الطريق

فى هذه الفقرة يحثنا بطرس على تجميع كل قوانا لاعداد أنفسنا بمجموعة من الفضائل العظمى . والكلمة التى يستخدمها « وهبت » لنا كلمة ذات أهمية كبرى ، وهو يستخدم نفس الكلمة فى عدد (١١) حين يتحدث عن أنه (قــدم لنا بسعة الدخول الى الملكوت الابدى) .

وتعــد هذه الــكلمة ضمن احدى الــــكلمات اليونانية المعبرة ذات الماضى الحافل . فالفعل (epichorégein) مشتق من الاسم (Chorégos) والذى يعنى حرفيا(قائد الفرقة الموسيقية) . ربما كان من أعظم ما أهــداه الاغريق للعالم ، واثينا بالذات ، هى تلك التمثيليات الدرامية والروائية التى كتبها اناس مثــــل اسكيلوس ، وسوفوكليس ، ويوروبيدس ، والكتب الأدبية والفنية التى ما زالت تعد من أعظــم ما يعتز به العــالم . لقــد كانت الروايات تحتاج لفرق موسيقية كبرى ، لانها كانت جزءا لا يتجزأ من نفس التمثيليات . ولذا كان انتاج مثل هذه التمثيليات مكلفا للغاية . وقد كان فى أثينا قديما مواطنون يأخذون على عاتقهم مهمة جمع وتدريب واعداد الفرق الموسيقية. وكانت هذه التمثيليات تقدم فى المناسبات والأعياد الدينية الهامة. فمثــلا ، فى مدينة ديونيسية قدمت ثلاث تمثيليات درامية وخمس فكاهية ، وخمس أخرى من الاغانى الحماسية التعبدية . وكان لابــد من البحث عن أشخاص يقومون بتدريب واعداد الفرق اللازمة لمثل هذه الحفــــلات . وأن تمثيليات كهــذه كانت تكلف الشخص مبلغ ٣٠٠٠ دراخما ، وكان يعــد من الشرف تدريب واعداد مثل هذه الفرق الاعداد اللائق . وأن الرجال الذين كان يوكل اليهم هذه المهمة ، يتبرعون من مالهم الخاص لهم ، وبدافع حبهم لبلدهم ، هؤلاء النــاس كان يطلق عليهم لقب (Chorégoi) ، والفعل (Chorègein) يعنى القيام بهذه المهمة . والكلمة لذلك ، تعنى الاعداد

بسعة ووفرة ، أنها لا تعنى الاعداد الضعيف الذى لا يكلف كثيرا ، انها تعنى الانفاق بسخاء وعن طيب خاطر ، وبذل كل الامكانيات وللنقـــود اللازمة الجديرة بحفل ممتاز .

وقد تطور استعمال الكلمة بعد ذلك ، واتسع مدلولها وأصبحت لاتعنى فقط اعداد الفرق المسرحية ، بل تعنى أيضا أى اعداد من أى نوع ، فقـد تطلق الـكلمة على اعداد الجيش بكل ما يلزمه من امدادات ومؤن ، كمـا تعنى اعداد النفس بكل ما يلزمها من فضائل جميلة فى الحياة . ولكن الفكرة تحمل دائما الاعداد بسخاء وعن سعة .

ولـذا فان بطرس يحث شعبـه ان يسلحـوا انفسهم بكل فضيلة ، ولا ينبغى أن يكون هذا التسلح بأقل قـدر ممكن من الفضـائل ، بل يجب التسلح بأكبر عدد ممكن منها . ان الكلمة التى يستخدمها بطرس تحثنا بالا نقنع سوى بمستوى عال رفيع من الحياة الفضلى .

ولكن يجب الا يفوتنا شىء آخر . ففى عدد ٥ و ٦ يذهب بطرس الى القول اننا يجب أن نضيف فضيلة الى اخرى حتى نصل الى المحبة المسيحية ، وذلك حسب الطبعة الاصلية . وهنا يذكرنا بالفـكرة الرواقية القائلة بانه يجب أن يكون فى الحياة تقدم أخلاقى مطرد وهو ما أسموه (Prokopè) وهى كلمة يمكن أستخدامها للتعبير عن (تقدم الجيش نحو هدفه) . ويجب ان يكون فى الحياة المسيحية مثل هذا التقدم الاخلاقى المستمر . يستشهد موفات بمثل يقول : « ان الحياة المسيحية لا يجب ان تكون عبارة عن حركة مبدئية يعقبهـا قصور ذاتى مزمن » فقد يغلب أن يكون الأمر هكذا . لحظة من الحماس فى بدء الحياة المسيحية ، ثم فشل فى تحقيق المطـالب المسيحية بعد ذلك .

وهذا يأتى بنا الى فكرة أساسية اخرى . فبطرس يأمر شعبه ان يبذلوا « كل اجتهاد » للقيام بذلك . اى انه فى الحيـاة المسيحية يجب أن يتلاقى المجهود البشرى مع نعمة الله . كما قال بولس « تمموا خلاصكم بخـوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم ان تريدوا وأن تعملوا من أجـل المسرة » (فيلبى ٢ : ١٢ و ١٣) . صحيح أن الايمان هو أساس كل شىء ، ولـكن

الإيمان الذي لا يظهر في الحياة العملية ليس ايمانا على الاطلاق . كمـــا يعلن بولس . فالايمان ليس ضروريا فقط لتصديق مواعيد المسيح ، ولـكنه ضروري أيضا لتتميم مطاليب المسيح . يشير بج الى أن أرسطوطاليس في احد مؤلفاته قد كتب مناقشة عن سر السعادة ، يقول فيها انه توجد ثلاث نظريات تدور حول سر السعادة . (١) فالسعادة قد تأتي بالمران والتعـليم وتكوين عادات صالحة . (٢) وهي هبة من الله كما تسم للواحد . (٣) والسعادة وليدة الصدفة ، وهي تحت رحمة ظروف متقلبة . والحقيقة من وجهة النظر المسيحية ـــ ان السعادة تعتمد على هبة من الله وعلى مجهوداتنا الخاصة . وكذلك نحن لا نكسب الخلاص اى نحصل عليـــه بمجهودنا ، ولكننا في نفس الوقت يجب أن نبذل كل اجتهاد للتقدم نحو الغرض ، وهو الحيـــاة المسيحية المبـــاركة . ويعلق بنجل على هذه الفقرة ، فيطلب منا مقارنة ذلك بمثـــل العشر عذارى ، الخمس الحكيمات والخمس الجاهلات ، فيقول : « ان الشعلة قد وهبت لنا من الله وبدون اى مجهود خاص ، ولكن الزيت هو نتيجة المجهود البشرى المخلص ، حتى يمكن للشعلة أن تضطرم وتنير » .

ان الايمان لا يجرد الانسان من الاعمال ، وسخاء الله لا يعفى الانسان من بذل المجهود . ان الحياة في أسمى حالة لهـــا وانبلهـــا ، هي ارتباط بين مجهوداتنا ونعمة الله .

سلم الفضـــــائل

لنتأمل اذن في قائمة الفضائل التي يجب اتباعها بكاملها ، ويجب أن نشير هنا الى أن قوائم الفضائل هذه كانت شائعة قديما ، فلم تكن الـكتب بهذا الشيوع ، كما كانت غالية الثمن ، وكان من المتعذر الحصول عليها . ولذا كان معظم أنواع التعليم يحصل عليه الطـــالب شفاها ثم يحـــاول أن يستذكره عن طريق قوائم تسهل عليه جمع المعـــلومات وحفظها . وأن قوائم الفضائل أمر شائع في العهـــد الجديد . فبولس يذكر ان ثمر الروح هو محبة ، فرح ، سلام ، طـــول أناة ، لطـــف ، صـــلاح ، ايمـــــان ، وداعة ، تعفف (غلاطية ٥ : ٢٢ و ٢٣) . وفي الرسائل الرعوية ، نجـــد أن رجـــل الله يجب أن يتبع البر والتقـــوى والايمـــان والمحبـــة والصبر والوداعة (١ تيموثاوس ٦ : ١١) . وفي كتـــــاب « راعى هرمس »

(الرؤى ٣ : ٨ : ١ — ٧) نجـد هذه الفضائل : الايمـــان والتعفف ، والبسـاطة والبراءة ، والوقار والفهم والمحبة . وفى « رسالة برنابا الثانية » نجد أن الايمان يحتاج للاحتمال وخـوف الله وان الصبر والتعفف ضروريان لنا ، وعندما نتحلى بهذه الفضـائل فان ذلك يقودنا لامتلاك الحكمة والتعقل والفهم والمعرفة . لنتأمل اذن فى هذه القائمة من الفضائل الواحـدة بعـد الاخرى :

١ — تبدأ هذه القائمة (بالايمان) . فالايمان هو اساس كل شىء . والايمان هو الاعتقاد بأن ما يقوله يسوع المسيح حق ، وهو الثقة التامة فى مواعيده ، والانصياع الكامل لوصاياه . انه اليقين الكامل بأن قبول المسيح والثقة فى أقواله هو الطريق الى السـعادة والسلام والقوة هنـــا وفى الأبدية .

٢ — يضاف الى الايمان ، ما تسميه الطبعة الاصلية « الفضيلـة » ، وما نسميه نحن « الشجاعة » . والـكلمة باليونانية هى (areté) ، وهذه الـكلمة نادرة فى العهـد الجديد ، انها الكلمة اليونانية المثلى للتعبير عن (الفضيلة) . انها تعنى (التفوق والامتياز) ، وهى قد تعنى شيئين :

(أ) ان (aretè) اليونانية تعنى التفوق المجـدى الذى يأتى بالنتائج الباهرة . والكلمة تستخدم للتعبير عن الارض الخصـبة المثمرة التى تأتى بالمحصول الوفـيرة ، وتستخـدم ايضـا للتعبـير عن اعمـال الآلهـة العظيمة النافعة .

وهى تعنى الفضيلة التى تخلق المواطن الصالح النافع ، أنهـا الفضيلة التى تجعله خبيرا فى فن المعيشة .

(ب) والكلمة تعنى غالبا باليونانية « الشجاعة » . يقول بلوتارك ان الله هو مصدر « الشجاعة » ، فـلا عذر للجبن ، وفى سفر المكابيين الثانى نقرأ قصـة اليعازر وكيف انه فضل الموت على أن يبطن نواميس الله والآباء ، وتنتهى القصة بان موته يعد نموذجا للشجاعة النادرة النبيلة ، وتذكارا مجيدا للفضيلة ، ليس فقط للشبان ، ولكن للأمة كلها (٢ مكابيين ٦ : ٣١) .

ولا داعى للمفاضلة هنا بين هذين المعنيين ، فكلاهما صائب .

فالايمان لا يظهر فى الانزواء فى صومعة بعيدا عن الناس ، او فى احد الأديرة البعيدة ، ولكنه يتلألأ فى الحياة المثمرة فى خدمة الله والانسان ، ثم أن الايمان يظهر فى الشجاعة تعلن عن صاحبها وعن مصدرها .

٣ ــ ويضاف للشجاعة « المعرفة » . والكلمة هى (gnôsis) وتوجد كلمتان مشابهتان لهذه الكلمة فى المعنى مع وجود اختلاف ظاهرى ، فالكلمة اليونانية (Sophia) تعنى الحكمة بمعنى « معرفة الامور البشرية والالهية ، واسبابها » ، فالكلمة Sophia ، تعنى معرفة العلل الأولى ، والأشياء الروحية العميقة . ومن الناحية الأخرى نجد أن كلمة (gnôsis) تعنى « المعرفة العملية » ، انها معرفة ما يجب عمله تجاه موقف معين ، انها المعرفة التى تؤدى الى تطبيق المعلومات التى أتت بها الحكمة . انها المعرفة التى تمكن الانسان من حسن التصرف ، ومواجهة ظروف ومواقف الحياة مواجهة حكيمة ناجحة . ولذا فالايمان يلزمه الشجاعة والفاعلية ، اللذان يحتاجان بدورهما الى الحكمة العملية لمواجهة الحياة .

٤ ــ يضاف الى هذه العملية « التعفف » أو « ضبط النفس » . أن الكلمة باليونانية تعنى حرفيا (القدرة على ضبط النفس) وهى فضيلة تحدث عنها ، وكتب فيها عظماء الاغريق كثيرا .

فقد أفرد أرسطو طاليس أربع حالات مختلفة تحدد موقف الانسان من نزواته : فالحالة الأولى هى التى تخضع فيها النزوات للعقل خضوعا تاما ، فالمعركة تنتهى بفوز العقل . اننا نسمى هذه الحالة (بالاعتدال التام) . والحالة الثانية هى على النقيض تماما . فالعقل هنا يخضع للنزوات تماما ، ويخسر الانسان المعركة ، حيث تسود النزوات ، ويمكن تسمية ذلك « بالشهوة الجامحة » . وبين هاتين الحالتين نجد الحالة التى تدور رحى الحرب فيهما بين المنطق والنزوات ، ولكن النزوات تسيطر ، وتستمر المعركة ، ولكنها معركة خاسرة . اننا نسمى هذا الموقف « بالتناقض » .

وهناك أيضا حالة حيث تدور المعركة بين العقل والنزوات وينتصر

العقل ، وتستمر المعركة ، ولكنها معـــــركة رابحة ، اننا نسميها « ضبط النفس » أو « التعفف » .

ان ضبط النفس هذا يعد من أعظم الفضائل المسيحية ، والمكانة التى تفسحها التعاليم المسيحية لهذه الفضيلة ، مكانة بارزة مما يعـــد دليلا على صحة هذه التعاليم . فالتعاليم المسيحية لا تنادى بأن الانسان مجرد من كل نزوة ورغبة أو عاطفة ، بل انها تفترض وجود هذه النزوات والرغبـــات فى الانسان ، ولكنها تبقى تحت سيطرة ارادة الانسان ، ولذا فانها تبقى خادمة له ، وليست سيدا يتحكم فيه .

٥ ــ ويضاف الى « التعفف » فضيلة « الثبات » ، والكلمة باليونانية هى (hupomonè) . ان « كريستوم » يدعو هذه الفضيلة (بملكة الفضائل) وهى مترجمة « الصبر » ، ولكن الصبر كلمة سلبية فكلمة (hupomoné) اليونانية توحى بالشجاعة .

يعرف شيشرون هذه الفضيلة بأنها « الالم الاختيارى اليومى وتحمل الصعاب لأجل الفائدة المرجوة ، والكرامة » . ويكتب ديدموبس الاسكندرى معلقا على سجايا أيوب فيقول : « ان تجشم البار للصعاب والآلام التى تقابله لا يعنى أنه فاقد الحس ، ولكن الفضيلة تحتم عليه أن يحتقر الآلام والمتاعب التى يحس بها فى سبيل الله » .

ان هذا الثبات المسيحى لا يعنى قبـول الالم هكذا ببساطة ، انه يعنى (عمل ايجابى فى مواجهتـــــه) . قال كاتب العبرانيين عن يسوع : انه « احتمل الصليب مستهينا بالخـــــزى من أجل السرور الموضوع أمامه » (عبرانيين ١٢ : ٢) . هذا هو الثبات . فالثبات المسيحى يعنى تحمل كل مـــا تأتى به الأيام بشجاعة ، وتحويل اقسى الظروف والحوادث الى خطوات فى فى الطريق الى الأمام قدما نحو المسيح .

٦ ــ يضاف الى الصبر أو الثبات فضيلة « التقوى » . والـــكلمة الاصلية يصعب ترجمتها ، وحتى كلمة « تقوى » توحى بشىء غير جذاب . ان كلمة (eusebeia) كلمة ذات شعبتين . فالرجل الذى يتميز بهذه الصفة يعبد الله بالتمام ، ويعطى الله حقه ولكنه أيضا يخـــــدم الآخرين ويعطيهم

حقهم . فالرجل الذى يتميز بهذه الصفة تربطه بالله علاقة سليمة كما تربطه بالبشر علاقة سليمة ايضا . فهذه الصفة تعنى التقوى والديانة ، من الناحية العملية وليس من الوجهة النظرية فحسب .

ولكى نفهم معنى هذه الكلمة تماما ، يستحسن أن نتأمل فى الرجل الذى كان يعتبره الاغريق خير ممثل لهذه الصفة ، هذا الرجل هو سقراط ، ان اكسينيفون يصفه بأنه « كان تقياً ومتديناً جداً حتى انه لم يكن يخطو خطوة واحدة بدون ارادة السماء ، وانه كان مستقيما وعادلا حتى أنه لم يوقع بأنفه الأذى على أى انسان ، وكان معتدلا وضابطا لنفسه حتى أنه ما اختار أبدا الطريق الاسهل ، وأنه كان عاقلا وحكيما حتى انه ما اخطأ أبدا فى التمييز بين الخطأ والصواب » (اكسينيفون ، ميمورابليا ١ : ٥ : ٨ — ١١) .

ويصف (واردفولر) الفكرة الرومانية حيال الشخص الذى يتميز بهذه الصفة بأنه «مرتفع عن المطامع والأهواء الفردية والانانية ، ففضيلة التقوى تعنى الاحساس بالواجب الذى لا يفارق الانسان ، الواجب ، أولا نحو الآلهة ، ثم نحو الأب والعائلة ، نحو الابن والابنة ، ونحو المواطنين ثم نحو الامة » .

ان كلمة (eusebeia) هى اقرب كلمة يونانية لكلمة (ديانة) . وكلما حاولنا تعريفها لنرى معناها ، فاننا ندرك أهمية الناحية العملية التى تنبر عليها الديانة المسيحية . فعندما يصبح الانسان مسيحيا ، فانه يواجه بواجب مزدوج ، واجب نحو الله ، وواجب ازاء الآخرين .

٧ — ويضاف الى التقوى ، (المودة الأخوية) . والكلمة تعنى (محبة الاخوة) . هناك من يعتبر أن التعبد الدينى يفصل الانسان عن الآخرين فمطالب الآخرين تعكر صفو صلاتهودراسته لكلمة الله ، وخلوته الروحية . وبذلك تضحى العلاقات البشرية وكأنها نوع من المضايقة . ان ابكتيتوس ، الفيلسوف الرواقى العظيم ، لم يتزوج ، وقد قال متهكما على فكرة الزواج ، بأنه بفلسفته يقدم للعالم اكثر بكثير مما لو انتج « طفلين أو ثلاثة اطفال » ، وقال : « كيفيمكن لشخص يتفرغ لتعليم الجنس البشرى أن ينشغل باحضار وعاء يضع فيه ماء ، ليعطى حماما لابنه ؟ » ! .

ان بطرس يقول ان هناك خطأ فى الديانة التى تنادى بأن المطالب الشخصية والعلاقات البشرية تشكل تهديدا على الشخص المتدين ، او ان تلك المطالب تحول بين الانسان والدين .

٨ ــ واخيرا ، فسلم الفضائل بأسره يجب أن ينتهى بالمحبة المسيحية . فان المودة الاخوية ليست كافية ، فالمسيحى يجب ان يتصف بالمحبة التى تشبه فى مداها وعمقها محبة الله التى تجعله يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين . ان المسيحى يجب أن يتميز بهذه المحبة نحو جميع الناس ، تلك المحبة التى اظهرها الله من نحو المسيحى .

فى الطريق

لأَنَّ هٰذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ تُصَيِّرُكُمْ
لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لأَنَّ
الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هٰذِهِ هُوَ أَعْمَى قَصِيرُ الْبَصَرِ قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ
خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ . لِذٰلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا
دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ . لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ لَنْ تَزِلُّوا
أَبَداً . لأَنَّهُ هٰكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا
وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ .

(١ : ٨ ــ ١١)

يحث بطرس شعبه هنا على الاستمرار فى صعود سلم الفضائل الذى ابرزه لهم ، وأن يثابروا على الصعود حتى النهاية . فكلما ازدادت معلوماتنا عن موضوع ما ، أصبحنا اهلا لمعرفة اكثر عن هذا الموضوع . وذلك لأن من له يعطى ويزاد ، والتقدم يقود الى مزيد من التقدم . ويقول موفات فى هذا

الصدد : « اننا نعرف عن المسيح اكثر بمقدار ما نحيا معه ولأجله » . كما تقول الترنيمة :

ليعترف كل قلب باسمك

ويعبدك دواما أبدا

وبالبحث عنك ، يلتهب حبا

ليراك أكثر وأكثر

فصعود سلم الفضائل يقربنا أكثر وأكثر من يسوع المسيح ، وكلما ارتقينا اكثر ، كلما ازددنا قدرة على دوام الترقى .

ومن الناحية الأخرى . اذا رفضنا بذل أى مجهود للترقى ، فانه لابد أن : (أ) نصير (عميانا) ، وبدون النور الهادى الذى يقودنا لمعرفة المسيح . فبطرس يوضح هنا أن السير بدون المسيح يعنى السير فى الظلام ، وعدم القدرة على رؤية الطريق . (ب) ونصير أيضا — حسب وصف بطرس — قصار النظر . ان قصر النظر فى الحياة يعنى رؤية الامور فقط كما تبدو فى الحال ، وعدم القدرة على النظر الى مدى بعيد ، ان قصر النظر الروحى يعنى تركيز عيوننا على الأرض ، وعدم التفكير فيما هو ابعد من ذلك . ولكن هذه الجملة قد تعنى « تقفل عيوننا » ، فمن السهل أن نغلق عيوننا على ما لا نريد أن نراه ، فنرى فقط الاشياء التى نريد أن نراها حيال انفسنا وحيال العالم . فالسير بدون المسيح يعنى خطر قصر النظر أو اغماض عيوننا عن الحقيقة .

ثم يذهب بطرس الى القول أن عدم القدرة على تسلق سلم الفضائل يعنى (نسيان تطهير الخطايا السالفة) . يشير بطرس هنا الى المعمودية ، ففى ذلك الوقت كانت المعمودية للبالغين فقط ، فقد كان قرارا حاسما ذلك الذى اتخذه الشخص أن يترك طرقه القديمة ليتحول الى الطريق الجديد . فالانسان الذى لا يبدأ ، بعد المعمودية ، بالصعود فى سلم الفضائل ،فانه لم يدرك أو يتحقق من معنى الاختبار الذى اجتاز فيه . وقد يعتبر كثيرون أن

المعمودية بهذا المعنى مرادفة للانضمام لعضـــوية الكنيسة ، فالذى ينضم لعضوية الكنيسة ثم يظل على ما هو عليه ،فانه لم يفهم بعد معنى عضوية الكنيســة ، لأن انضمامنا للكنيســة يعنى بداية تقدمنا وصــعودنا ســلم الفضــائل .

ويسبب كل ذلك ، فان بطرس يحث شعبه أن يجتهدوا ليجعلوا دعوتهم ثابتة ، ان هذا الطلب ذو أهمية بالغــة . صحيح أن الدعوة من الله ، فهو الذى أهلنــا لنكون ضمن رعية شعبه ، فبدون نعمته ورحمته ، لما استطعنا أن نعمل شيئا ولما توقعنا اى شيء . ان دعوته هى دعوة الشركة معــه . ولكن هذا لا يعفينا من بذل اى جهد . لناخذ تشبيها لذلك ، يساعدنا فى فهم الحقيقة ، والقياس مع الفارق :

لنفرض أن رجلا ثريا رحيما ، التقط غلاما فقــيرا ، محروما من كل شيء ، وعرض عليه فرصة التعلم الجامعى بالمجــان . ان هذا الشخص يقدم لهذا الغلام فرصة ما كان يحلم بها ، فهو امتياز عظيم لم يكن يتوقعه . ولــكن هــذا الغــلام لا يمكن أن يتمتع بهذا الامتياز ، ما لم يعمل ويدرس ويتعب ، وكلمــا أتعب نفسه أكثر ، كلما استمتع بالامتياز المقدم له . فلكى يصبح الامتياز نافذ المفعول يجب أن يتوفر عنصران : المنحــة المجانية ، ثم المجهود الشخصى . وهكذا بالنسبة لموقفنا مع الله .

فان الله قد دعانا برحمته ونعمته دعوة مجانية لم نكن لنستحقهــا ، ولــكننا فى نفس الوقت ، يجب أن نبذل جهدا لــكى نستمتع بهذا الامتياز وهذه الدعوة .

فان سرنا قدما فى هذا الطريق ، فان بطرس يقول لنا ، انه (يقــدم لنا بسعة الدخول الى ملكوته الأبدى) ، ثم لا نعثر بعــد ذلك فى الطريــق (لن تزلوا أبدا) ، ان بطرس لا يقصد بهذه العبارة أننا لن نخطىء أو نرتكب أى خطأ ، انه يصور لنا نوعا من الزحف ، ولذا فانه يعنى أننا لن نعثر فى هذا الزحف المقدس ، ونترك فى المؤخرة . فلو بدانا السير قدما نحـــــو العلاء ، سيكون المجهود عظيما ، ولكن معونة الله تكون اعظم ، وبرغم كل

المجهود المضنى ، فانه يمكننا الا نعثر ، بل نستمر فى التقدم حتى نصل الى نهاية المطاف .

اهتمام الراعى

لِذٰلِكَ لاَ أُهمِلُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ دَائِماً بِهٰذِهِ الأُمُورِ وَإِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ وَمُثَبَّتِينَ فِى الْحَقِّ الْحَاضِرِ . وَلٰكِنِّى أَحْسِبُهُ حَقّاً مَا دُمْتُ فِى هٰذَا الْمَسْكَنِ أَنْ أُنْهِضَكُمْ بِالتَّذْكِرَةِ . عَالِماً أَنَّ خَلْعَ مَسْكَنِى قَرِيبٌ كَمَا أَعْلَنَ لِى رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ أَيْضاً . فَأَجْتَهِدُ أَيْضاً أَنْ تَكُونُوا بَعْدَ خُرُوجِى تَتَذَكَّرُونَ كُلَّ حِينٍ بِهٰذِهِ الأُمُورِ .
(١ : ١٢ — ١٥)

هنا يظهر اهتمام الراعى . يرينا بطرس فى هذه الفقرة شيئين عن تبشير المبشر ، ثم عن تعليم ومناشدة المعلم . فالتبشير أولا : هو تذكير الناس بما يعرفونه قبلا . انه ارجاع الحقائق التى نسوها لذاكرتهم ، اذ انهم يرفضون استرجاعها أو انهم لم يقدروها حق قدرها أو لم يدركوها تماما . فقد يحدث غالبا أن يكون عمل المبشر والمعلم أن يقول للناس : « تذكروا ما تعرفونه ، وعيشوا وفقا لهذه المعرفة » ، ثم يذهب بطرس بعد ذلك الى التوبيخ والتحذير والتهديد ، ولكنه يقول قبل كل ذلك كلاما أشبه بالمديح . فهو يبدأ تحذيره بقوله ان شعبه عالم ومثبت فى الحق ، فلا يصح أن ننسى أنه غالبا ما يستطيع المبشر أو المعلم أو الأب أن يحقق نتائج أفضل بالتشجيع اكثر من التوبيخ .

واننا نستطيع أن نأتى بنتائج ايجابية أفضل فى اصلاح الناس ، بحفظ كرامتهم وماء وجوههم ، بدلا من اتهامهم وتوبيخهم . لقد كان بطرس حكيما لأنه عرف جيدا أن أفضل طريقة لجعل الناس ينصتون له أن يبين لهم أنه يثق فيهم . .

فى هــذه الفقرة يشير بطرس الى موته الجسدى . انه يتحدث عن جسده كمـــا يتحدث عن خلع خيمـــة ، وهكذا فعل بولس ايضـــا (٢ كورنثوس ٥ : ٤) .

ولقد اعتاد قـدامى الـكتاب المسيحيين دائمـا ان يشبهوا الجسد بخيمة . فقـد كتب كاتب (الرسالة الى ديوجنيتس) قائلا : « ان النفس الخالدة تسكن فى خيمة فانية » ، والتشبيه يرجع الى رحلات الآباء فى العهد القديم ، فلم يكن لهم موطن اقامة ، لقـد كانوا يعيشون فى خيام لانهم كانوا فى طريقهم وسياحتهم نحو أرض الميعاد . ان المسيحى يعرف جيدا ان حياته فى العالم ليست اقامة دائمة ، ولكنها رحلة نحو العالم الآتى ، نحو الأبدية . ونجـد نفس الفكرة فى عدد (١٥) ، فبطرس يتحدث عن موته ، (كخروجه) ، ورحيله .

وان هذه الكلمة التى استخدمها بطرس (خـروج) ، قـد استخدمت للتعبير عن رحيل بنى اسرائيل من مصر ، وتوجههم نحو ارض الميعـــاد . ولذا ، فان بطرس لا ينظر الى الموت على انه النهاية ، ولا على انه التحول الى العدم والظلام ، ولكن على انه التوجه نحو أرض ميعاد الله .

ويقـول أن يسوع المسيح قد أخبره بقرب نهـايته . قد تكون هـذه اشارة لمـا انبأ به يسوع بطرس ، تلك النبـوة التى وردت فى (يوحنـا ٢١ : ١٨ و ١٩) ، عندما انبأه يسوع أنه يأتى يوم يعلق على خشبة . وأن ذلك اليوم كان قد قارب مجيئه .

ثم يذكر بطرس أنه يجتهد أن يجعلهم يتذكرون كل حين هذه الأمـور بعـد خروجه من هذا العالم ، قد تكون هـذه اشارة الى انجيل مرقس . فالتقليد يقول ان انجيل مرقس هو خلاصة عظات بطرس . أن ايريناوس يقـول انه بعد موت بطرس وبولس ، فان مرقس الذى كان تلميذ بطـرس قد دون كل ما اعتاد بطرس ان يبشر به . ويقـول بابياس الذى عاش فى نهاية القرن الثانى ، والذى كان يجمع كل ما يتعلق بأخبار الكنيسة فى أيامها الأولى ، مرددا نفس ما قاله (ايريناوس) فيقول : « ان مرقس الـذى كان

مفسراً لأقوال بطرس ، قد كتب بكل دقة ــ ولكن بدون ترتيب ــ كل ماجمعه عما قاله يسوع أو عمله. وأنه لم يكن سامعا من الرب نفسه ، ولم يكن تابعا له ، ولكنه كان تابعــا لبطرس ، كمــا قلت ، وترجـــع تبعيته لبطرس لوقت متأخر ، ولم يحاول بطرس أن يقــدم كلمات الرب بصورة منتظمـــة . ولذا فان مرقس لم يكن مخطئا فى تــدوين بعض الأشياء من الذاكرة ، لأن اهتمامه الوحيــد كان تدوين كل ما ســـمعه دون أن يحذف أو يبطل منه شيئا » .

فالتقليد دائمــا يربط بين تبشــير بطرس وانجيــل مرقس ، وقد تعنى الاشارة الى خروج بطرس هنا الى أن تعليم بطرس سيكون فى متناول ايدى الشعب فى انجيل مرقس بعد وفاة بطرس .

وعلى اى حال ، فان هدف الراعى (بطرس) أن يقدم لشعبه الحق الالهى اثناء حياته على الأرض ، وانه سيجتهد فى جعلهم يتذكرون هذا الحق باستمرار بعد موته .

انه لم يكتب لهم ليتذكروا اسمـــه ، بــل ليتذكــروا اسم يســـوع المسيح .

الرسالة الالهية والحق الالهى

لِأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الْآبِ كَرَامَةً وَمَجْداً إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهٰذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأَسْنَى هٰذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ. وَنَحْنُ سَمِعْنَا هٰذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ.

(٢ بط ١ : ١٦ — ١٨)

يأتى بطرس هنـا الى الرسـالة التى كان يريد أن يقدمهـا لشـعبه .

فقد كانت رسالته عن « قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه » . كمـا سنرى بوضوح حالما نتقدم فى دراسة الرسالة ، أن الهدف العظيم من هـذه الرسالة ، تذكير الناس بيقينية مجىء يسوع المسيح الثانى . وان الهراطقة الذين يهاجمهم بطرس كانوا ينكرون المجىء الثـانى ، وذلك لأن تأخر ذلك المجىء قد جعل الناس يشكون فى امكانية حدوثه ، ولذا فان رسالة بطرس الثانية هى الرسـالة التى كتبت اساسا لتأكيد حقيقـة المجىء الثانى للمسيح .

لقد كانت هذه هى رسالة بطرس . فبعد أن دون بطرس هذا الحق ابتدأ يتحدث عن السلطان المعطى له ليقرر هذا الحق وهنا نراه يدلى بشىء، يبدو لأول وهلة ، غريبا . فهذا السلطان قد أعطى به لأنه كان مع يسوع على جبل التجلى ، وهناك رأى الكرامة والمجـد المقـدمين للمسيح ، وسمع صوت الله يتحدث معه . اى ان بطـرس يستشهد بقصة التجلى لا كتدعيم لقيامة يسوع ، كمـا هو شـائع ، ولـكن كدليل على مجـد المسيح وانتصاره فى مجيئه الثانى .

وان حادثة التجلى ذاتها قد ذكرت فى (متى ١٧ : ١ ـ ٨ ، مرقس ٩ : ٢ ـ ٨ ، لوقا ٩ : ٢٨ ـ ٣٦) . فهـل كان بطرس على حق فى الاستشهاد بها كشىء مماثل لمجىء المسيح الثانى أكثر منها دليلا على القيامة ؟

هناك شى فريد يتعلق بحـادثة التجلى . ففى الأناجيل الثلاثـة ، متى ومرقس ولوقا ، يرد ذكرها مباشرة بعد نبوة يسوع التى تقول ان هناك قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته (متى ١٦ : ٢٨ ، مرقس ٩ : ١ ، لوقا ٩ : ٢٧) وهذا يبين بكل تأكيد أن هناك ارتباطا وثيقـا بين التجلى والمجىء الثانى .

ومهما قيل ، فانه من المؤكـد ، ان غرض بطرس فى هذه الرسالة ان يذكر شعبه بضرورة الايمان الحى بمجىء المسيح الثـانى ، وانه يبنى أحقيته فى اعلان ذلك على أساس ما رآه على جبل التجلى .

فى عدد (١٦) من هـذه الفقرة نجد كلمة عظيمة الاهمية فبطرس يقول : « لقد كنا معاينين عظمته » . والكلمة المستخدمة للتعبير عن رؤية العين (معاينين) هى (epoptes) . وفى اللغة اليونانية المستخدمة فى زمن بطرس ، كانت هذه الكلمة تعد كلمة ذات اصطلاح فنى . فلقد تحدثنا من قبل عن الديانات الغامضة . وأن تلك الديانات كانت كلها تحوى روائيات عاطفية ، تمثل فيها قصة اله يعيش ويقاسى ويموت ، ثم يقوم ثانية لكى لا يسود عليه الموت بعد . ولم يكن يسمح للعابد بحضور هذه التمثيليات الا بعد ان يجتاز مرحلةطويلة من الاعداد والتعليم،بعدها يجتاز فىالاختبار الذى يجعله يتحد مع الاله المائت والمقام . وعندما يصل الى هذه المرحلة — اى المرحلة التى كان يسمح له فيها بحضور هذه الروائيات — فانه كان يعد مؤمنا ، والاصطلاح الفنى الذى يطلق عليه حينئذاك هو هذه الكلمة (epoptes) اى انه قد اصبح معمدا ونال امتياز ان يكون شاهد عيان للاختبارات الالهية.ولذا فان بطرس ينادى بأن المسيحى هو شاهدعيانلآلام المسيح . فبعين الايمان يرى المسيحى الصليب ، وباختبار الايمان يموت مع المسيح عن الخطية ، ويقام للبر . فايمانه قد جعله واحدا مع المسيح فى موته وقيامته وقوته .

اقوال الانبياء

وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ وَهِيَ أَثْبَتُ الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ . عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ . لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ .

(١ : ١٩ — ٢١)

أن هذه الفترة صعبة ، لانها ــ بجزيئها ــ تحتمل معنيين مختلفــين وسنتأمل فى هذين المعنيين ، ولنبحث فى المعنى الاقل احتمالا اولا :

١ ــ ان العبارة الأولى فى هذه الفقرة قد تعنى : « أن النبوة تقدم لنا تأكيــدا افضل عن المجىء الثانى » ، لو كان بطرس يعنى ذلك حقا ، فانه بذلك يقصد أن أقوال الأنبياء أكثر تأكيدا على صحة المجىء الثانى من الاختبار الذى اجتاز فيه على جبل التجلى . ومع ان ذلك امر بعيد الاحتمال . الا انه ليس من المستحيل أن يكون ذلك قصـــده .

ففى الزمن الذى كتب فيه بطرس الرسالة ، كان هناك اهتمام عظيم بأقوال النبوة ، وكان أعظم دليل على صحة المسيحية بالنسبة لهم هو تحقيق النبوة . واننا نجد حالات كثيرة تجدد فيها كثــيرون فى ايام الكنيسة الأولى ليس عن طريق قراءة أسفار العهد الجديد ، بل عن طريق قراءة أسفار العهد القديم ، والتأكد من أن حياة المسيح كانت تتميما لأقوال النبوة . وتأييدا لذلك يمكن القول ان أعظم دفاع عن المجىء الثانى هو أن الانبياء تنبأوا عنه .

٢ ــ ولكننا نعتقد ان الاحتمال الثانى أفضل . فهذه الفقرة قد تعنى ايضا أن ما رآه بطرس على جبل التجلى ، يؤكــد أن ما تنبأ به الأنبياء عن المجىء الثانى صحيح . لو فسرنا العبــارة على هــذا الأساس ، فانها تعنــى أن مجد المسيح على جبل التجلى هو اكبر دليل على أن الانبياء كانوا على حق عنــدما أنبأوا بمجىء الرب الثانى .

فمجــد المسيح على قمة الجبل ورؤى الانبياء : كلها تؤكد أن المجىء الثانى حقيقة حية يجب أن يتوقعها جميع الناس ويستعدوا لها .

ولــكن ــ كما قلنا من قبل هنــاك احتمال مزدوج أيضــا بخصوص الجزء الثانى من الفقرة . فالطبعة الأصلية تقول « لم تأت نبوة فى الكتاب ذات تفسير خاص » .

١ ــ قال قــدامى المفسرين ان هــذه العبارة تعنــى أنه « تفســير الأنبياء للحوادث التاريخية ، أو ذكرهم عن كيفــية اماطة اللثام عن تــلك

(م ٢٤ ــ تفسير العهد الجديد)

الحوادث ، فانهم لم يكونوا يعبرون عن آرائهم الخاصة ، ولكنهم كانوا يقدمون للناس الرؤى التى اظهرها الله لهم» . الواقع ، ان هذا المعنى كامل ومحتمل لقــد كانت العلامة على بطلان رسالة النبى فى العهــد القديم انه كان يتحدث عن نفسه ، ولم يكن يقول شيئا من عند الله . ان ارميا يدين هؤلاء الأنبيــاء الكذبة بالقول انهم«يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب» (ارميا ٢٣ : ١٦) . وحزقيال يقــول : « ويل للأنبياء الحمقى الذاهبــين وراء روحهــــم ولم يروا شيئا » (حزقيال ١٣ : ٣) . ويصف هيبوليتس الطريقة التى يتــكلم بها الأنبياء عن الحق فيقول : « انهم لم يتكلموا بقوتهــم ولم يعلنوا ما يريدون ، ولكنهم اعطـــوا حكمة صـــــــالحة ليقولوا الــكلام الصحيح الذى جاءهم برؤى » .

لو فسرنا العبــارة على هــذا النحو ، فانها تعنى أنه عندما تكــلم الانبياء لم يعلنوا عن رأيهم الشخصى او يتنبأوا من عندهم ، فليس هناك اى اجتهاد فردى ، لقـــد كانت الرؤيا من الله ، ولذا فان كلماتهم يجب أن تلقى اذنا صـــاغية .

٢ ــ هذا ، ويمكن تفسير العبــارة على نحو آخر ، فقــد يقصد بها على ان نبوة الــكتاب ليست من (تفسيرنا) الخاص . فقد كان بطرس وقتئذ يواجه موقفا كهــذا ، اذن الهراطقة والاشرار كانـوا يفسرون النبــوات حسب أغراضهم ، وكانوا يحاولون شرح الرسالة النبوية بطريقة تلائم وجهة نظرهم وأغراضهم الخاصة . ان كان الأمر كــذلك ، وهو ما نعتقده ، فان بطرس يقول : «لايمكن لأحد أن يقرب الكتب المقدسة ويفسرها وفق أهوائه وآرائه الشخصية ، انه لا يمــكن ان يفسر الكتب المقدسة والنبوة بطريقة خاصة حسب ما يريد » .

ان هذا يعد امرا بالغ الاهمية . فبطرس يصرح بانه ما من انسان له الحق ان يفسر الــكتب المقدسة بنفسه ولاجل نفسه ، أو يفسر شيئا من عنــده . فكيف يمكن تفسير الــكتب المقدسة اذن ؟ ؛ للاجابة على هـــذا السؤال . تسأل سؤالا آخرا . كيف تلقى الأنبياء رسالتهم ؟.

ان الأنبياء تلقوا رسالتهم من الروح . لقد قيل أحيـــانا ان روح الله

استخدم الأنبياء كما يستخدم الـكاتب قلمه ، أو كما يستخدم الموسيقى آلته الموسيقية.ويمكن القول ايضا ان الانبياء كانوا سلبيين تماما كالآت صماء فى يد الله ، وعلى أى حال ، فان الروح هو الذى اعطى النبى رسالته . ونستنتج من ذلك أنه لا يمكن تفسير الرسالة النبوية وفهمها أيضا الا بمعونة الروح . كما قال بولس « قارنين الروحيات بالروحيات » (١ كورنثوس ٢ : ١٤و١٥) وكما قال اليهود عن الروح القدس ان له وظيفتين — فهو يأتى بالحق للناس، كما انه يمكنهم من فهم ذلك الحق والتعرف عليه . ولذا ، فان الكتب المقدسة لا يمكـن تفسيرها بأى اجتهـاد شخصى أو أى ابتـكار خاص أو بـأى هوى شخصى ، فالكتب المقدسة يجب تفسيرها بمعـونة الروح القـدس ، حيث أن الروح القدس هو مصدرها .

ماذا يعنى ذلك من الناحية العلمية ؟ انه يعنى شيئين :

(ا) ففى كل الأجيال والعصور ، كان الروح يعمل فى دراسى الـكتاب المقدس ، الذين بارشاد الله ، قاموا بتفسير الكتاب المقدس ، فلو اردنا تفسير الكتاب ، لا يصح أن ندعى بغرور أن تفسيرنا هو التفسير الصحيح . ولكننا يجب أن ندرس مؤلفات الكتاب العظام لنتعـلم منهم ، ما لقنه الروح لهـم .

(ب) ولكن هناك ما هو اكثر من ذلك . فالمكان الوحيد الذى يستقر فيه الروح بصفة خاصة هو الكنيسة ، والمكان الوحيد الذى يعمل فيه الروح بنوع خاص هو الكنيسة ، ولذا فان الكتب المقدسة يجب أن تفسر فى ضـوء تعليم وايمـان وتقليد الكنيسة . فالله ابونا فى الايمان ؛ ولكن الكنيسة امنـا فى هذا الايمـان . فان كان أحدهم يجـد أن تفسيره للـكتاب المقـدس يختلف مع تعليم الـكنيسة ، فانه يجب أن يفحص نفسه ليرى ان كان يتبع آراءه الشخصية بدلا من انصياعه لارشاد الروح القدس .

ان بطرس يصر على أن الكتب المقـدسة لا تحمل أى آراء بشرية ، ولكنها اعلان الله للجنس البشرى عن طريق روح الله ؛ ولذا فان تفسير هذه الكتب لا يصح أن يكون نتيجة أية آراء خاصة ، بل بقيادة نفس الروح الذى عمل فى قلوب دارسى الكتاب الأمناء ، والذى ما زال يعمل بصفة خاصـة فى الـكنيسة .

الاصحاح الثانى

الانبياء الـــكذبة

وَلَـكِنْ كَانَ أَيْضاً فِى الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيْضاً مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ الَّذِينَ يَدُسُّونَ بِدَعَ هَلاَكٍ وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِى اشْتَرَاهُمْ يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلاَكاً سَرِيعاً .

(٢ : ١)

ان قيام الانبياء والمعلمين الكذبة فى داخل الكنيسة ليس بالأمر المستبعد، لأن الانبياء الكذبة فى كل عصر كانوا يحاولون تضليل شعب الله ، وجلب الدمار والمصائب على الأمة . ويجدر بنـا ان ندرس قصة هـؤلاء الانبيـاء الكذبة فىالعهـد القديـم ، لنرى صفاتهـم ، وذلك لان تلك الصفات كانت موجودة فى الانبياء الكذبة الذين كانوا فى زمن بطـرس ، وما زالوا حتى وقتنا هـذا .

١ ـــ ان الانبياء الكذبة كان كل همهم أن ينتشر اسمهم لا أن ينـادوا بالحق . فكانت طريقتهم أن يخبروا الناس ما يريدون سماعه .كان الأنبيـاء الكذبة يقولـون « سلام . سلام . سلام . ولاسلام » (ارميـا ٦ : ١٤) . لقد كانوا يرون رؤى السلام ، بينما كان يقـول الـرب الاله انه لا سـلام (حزقيال ١٣ : ١٦) .

وفى أيام يهوشافاط ، عمل صدقيا ، النبى الكذاب ، قرنى حديد وقال انه بهذه ينطح اسرائيل الأراميين حتى يفنوا ، وهدد ميخا ، النبى الصادق ، بالدمار اذا ذهب يهوشافاط الى الحـرب ، لقد كان صدقيا بالطبع محبوبا ،

ولذا فان رسالة قبلت ، وذهب يهوشافاط للحرب مع الأراميين ، وهلك (ملوك الأول ٢٢) .

وفى أيام ارميا ، تنبأ حنانيا بقرب نهاية قوة بابل ، بينما تنبأ ارميا بعبودية كل الشعب لبابل ، وبالطبع كان النبى الذى أخبر الشعب ما يجب أن يسمعوه محبوبا لديهم (ارميا ٢٨) .

ويحدثنا ديوجينس ، الفيلسوف الزاهد العظيم ، عن المعلمين الكذبة فى عصره ، والذين كان كل همهم أن ينالوا اعجاب الجماهير .

ان أهم ما يميز النبى الكذاب انه يخبر الناس بما يحب أن يسمعوه ، ولا يخبرهم الحقيقة التى يجب أن يسمعوها . ان هدفه الشهرة ، وأمله نوال المديح .

٢ ـ لقد كان الأنبياء الكذبة يهتمون بالمغنم الشخصى . كما قال ميخا : «كهنتها يعملون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة » (ميخا ٣ : ١١) « انهم يعملون ما لايجب من أجل الربح القبيح » (تيطس ١ : ١١) ، انهم يظنون أن التقوى تجارة ، وجمع المال (١ تيموثاوس ٦ : ٥) .

اننا نرى مثل هؤلاء الناس الذين كانوا يستغلون الشعب المسيحى فى الكنيسة الاولى . قد قيل فى (الديداخ) ، وهو كتاب يسمى « تعليم الرسل الاثنى عشر » ، أو ما يمكن تسميته باول كتاب لنظام الخدمة ، قيل فيه ان النبى الذى يطلب مالا او غذاء ، نبى كاذب . لقد قال عنهم (الديداخ) « انهم يتاجرون فى المسيح » ان النبى الكذاب شخص طماع يعتبر الناس أداة للاستغلال لتحقيق مآربه .

٣ ـ ان الانبياء الكذبة يعيشون حياة الاستهتار والانحلال . فاشعياء يقول : « الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر ، تاها من المسكر » (اشعياء ٢٨ : ٧) وارميا يقول : « وفى انبياء اورشليم رأيت ما يقشعر منه . يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون ايادى فاعلى الشر .. ويضلون

شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم » (ارميا ٢٣ : ١٤ و ٣٢) . ان حياة الانبياء الكذبة مدعاة لارتكاب الشرور وليست حضا على عمل الصلاح .

٤ — ان النبى الكاذب — قبل كل شىء — هو شخص يقود الناس بعيدا عن الله بدلا من أن يقودهم الى الله . فالنبى أو الحالم الذى يقود الناس لكى « يذهبوا وراء آلهة أخرى » يجب ان يقتل بلا رحمة . (تثنية ١٣ : ١ — ٥ ، ١٨ : ٢٠) .

تلك كانت صفات النبى الكاذب قديما ، وصفة المعلمين الكذبة الذين كانوا يحاولون تضليل شعب الله فى زمن بطرس ، وما زالت لعصرنا هذا . تلك هى صفات المعلمين الكذبة .

خطايا الانبياء الكذبة ونهايتهم

فى هذا العدد ، يعدد لنا بطرس بعض الاشياء المتعلقة بهؤلاء الأنبياء الكذبة وأعمالهم .

١ — انهم (يدسون بدع هلاك) . ان كلمة (بدعة) باليونانية (hairesis) لها ماض عجيب ومثير فى نفس الوقت . انها مشتقة من الفعل اليونانى (haireisthai) الذى يعنى « يختار » ، لقد كانت فى الأصل كلمة ذات معنى جليل . لقد كانت تعنى ببساطة نوعا من العقيدة ومنهجا من السلوك اختاره الانسان لنفسه . ففى العهد الجديد نفسه نقرأ عن شيعة (hairesis) الصدوقيين والفريسيين والناصريين (أعمال ٥ : ١٧ ، ١٥ : ٥ ، ٢٤ : ٥) . لقد كان يمكن التحدث عن مذهب (hairesis) افلاطون ، وانت لا تقصد اكثر من مجرد أولئك الذين يدينون بمبادىء افلاطون الفكرية والفلسفية .

وكان ممكنا التحدث عن مجموعة من الأطباء ، يؤمنون بطريقة معينة فى العلاج ويمارسونها على انهم ينتمون الى مذهب (hairesis) معين .

فلم تكن هذه الكلمة (hairesis) تعنى أكثر من مجرد اعتقاد اختاره الشخص لنفسه ، وتمسك به . ولكن سرعان ما ظهرت هذه الكلمة بثوب

مخالف فى الكنيسة المسيحية . فبولس يضع الانشقاقات والبدع جنبا الى جنب كشيئين يجب نبذهما (١ كورنثوس ١١ : ١٨ و ١٩) ، والبدع من اعمال الجسد ، والشخص المبتدع يجب أن ينذر مرة ومرتين ثم يعرض عنه (تيطس ٣ : ١٠) .

فلم هذا التغيير فى معنى هذه الكلمة ؟ ان الفرق يرجع الى انه قبل مجىء المسيحية وقبل مجىء يسوع ، الذى هو الطريق والحق والحياة ، لم تكن هناك حقائق مصدرها الله.فكان امام الانسان عدد من العقائد المختلفة وكان عليه أن يختار منها ما يريد الايمان به . ولكن بعد مجىء المسيح ، ظهر الحق الالهى للبشر ، وكان على الناس اما قبول الحق او رفضه .

وبمعنى آخر ، فبعد اعلان الله فى المسيح ، لم يعد هناك داع لاختيار العقيدة الاصلح ، ان الأمر اصبح ينحصر فى قبول اعلان الله او رفضه . فالشخص المبتدع اذا هو الشخص الذى يؤمن بما يريد ان يؤمن به من عقائد بدلا من قبول حق الله الذى يجب الايمان به .

فما كان يحدث فى ايام بطرس ، هو أن بعض الناس الذين كانوا يدعون النبوة ، كانوا يحضون الناس سرا أن يؤمنوا بالاشياء التى يريدونهم أن يؤمنوا بها بدلا من الاشياء التى أعلن أنها هى الاشياء الحقيقية . انهم لم يعلنوا انفسهم مناهضين للمسيحية ، بل على النقيض ، واعلنوا انهم خلاصة الفكر المسيحى وباكورته ، وبهذا أغووا كثيرين من الناس بعيدا عن حق الله لاتباع آراء بشرية ، بطريقة سرية وتدريجية ، لأن هذه هىالبدعة أو الهرطقة .

٢ ـ هؤلاء الناس (أنكروا الرب الذى اشتراهم) . أن فكرة شراء المسيح للناس فكرة مألوفة فى العهد الجديد . انها مأخوذة مما قاله هو ذاته ، فقد قال انه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مرقس ١٠ : ٤٥) . فالناس كانوا عبيدا للخطية والشر ، والمسيح قد اشتراهم بتقديم حياته لأجلهم ، ومن ثم قد منحهم الحرية ، وفك قيودهم .

قال بولس « اشتريتم بثمن » (١ كورنثوس ٧ : ٢٣) . « المسيح افتدانا من لعنة الناموس » (غلاطية ٣ : ١٣) . وفى سفر الرؤيا نجد

الترنيمة الجديدة التى يرنمها اهل السماء قائلين ان المسيح قد اشتراهم بدمه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (رؤيا ٥ : ٩) . وهذا يعنى شيئين : انه يعنى أن المسيحى قد صار ملكا للمسيح بالتمام ، بحق الشراء . ويعنى أيضا أن الحياة التى كلفت ثمنا كهذا لا يمكن أن تضيع هباء على الخطية أو على اشياء رخيصة تافهة .

ان المبتدعين والهراطقة فى زمن بطرس كانوا (ينكرون) الرب الذى اشتراهم . ماذا يعنى ذلك ؟ ربما يعنى أنهم يقولون انهم لا يعرفون المسيح ، وربما تعنى أنهم ينكرون سلطانه . ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، أو أنهم ليسوا أمناء مع انفسهم الى هذا الحد .

لقد رأينا من قبل كيف أن هؤلاء الناس قد ادعوا انهم مسيحيون ، بل واكثر من ذلك لقد ادعوا انهم أحكم من جميع المسيحيين واكثرهم تقدما .

لنأخذ موقفا مشابها لذلك . لنفرض أن رجلا يقول انه يحب زوجته ، ولنفرض أنه يتعمد أن يكون غير أمين لها ، فهو اذا بأعماله وخيانته لها ينكرها ، ويكذب أقواله التى يدعى فيها حبه لها . ولنفرض أن شخصا يزعم أنه صديق حميم لشخص آخر ، ثم لنفرض أنه غير مخلص أو معين لذلك الشخص الذى يدعى صداقته ، فهو اذا بأعماله ينكر تلك الصداقة ويكذب كل ادعاءاته بخصوص ذلك.وبالمثل فان أولئك الناس الأشرار الذين كانوا يضايقون الشعب فى زمن بطرس كانوا يقولون انهم يحبون المسيح ويخدمونه ، ولكن ما كانوا يعلمون ويعظون به وما كانوا يعملونه كان يعد انكار له . فان اسوأ انكار للمسيح هو محاولة ابطال ما عمله المسيح بتحريض الشعب الذى مات لأجله للاتجاه نحو الشر .

٣ — ان (الهلاك) نهاية هؤلاء الناس . لقد كانوا يدسون بدع هلاك ، ولكن هذه البدع المهلكة سوف تعجل بهلاكهم هم . فأسرع وسيلة محققة للوقوع تحت دينونة هى تعليم الناس ارتكاب الشرور .

وَسَيَتْبَعُ كَثِيرُونَ تَهْلُكَاتِهِمْ . الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُجَدَّفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ . وَهُمْ فِي الطَّمَعِ يَتَّجِرُونَ بِكُمْ بِأَقْوَالٍ مُصَنَّعَةٍ الَّذِينَ دَيْنُونَتُهُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ لاَ تَتَوَانَى وَهَلاَكُهُمْ لاَ يَنْعَسُ .
(٢ : ٢ و ٣)

فى هذه الفقرة القصيرة نرى أربعة أشـــــياء عن المعلمين الـكذبة وتعاليمهم .

١ ــ ان سبب تعليمهم الكاذب هو (الطمع) ، والكلمة باليونانية هى (pleonexia) ، ان (pleon) تعنى (أكثر) وكلمة (exia) مشتقة من الفعـــل (echein) وهو يعنى (يمتلك) . فكلمة (pleonexia) هى (الرغبة فى امتلاك شىء أكثر) ، ولكن الـكلمة اكتسبت معنى خاصا . فليس خطأ امتـلاك شىء أكثر ، فهناك حالات كثيرة يكون فيها الرغبـــة فى تملك ما هو أكثر ، شىء لا غبار عليـه انهـا تعد رغبة شريفة ، فى حالات مثل الفضيلة أو المعرفة أو المهارة . ولكن كلمة (pleonexia) تعنى الرغبـــة فى امتلاك شىء محظور . ومن ثم فهى الطمع فى المال وفى امتـــــلاك متاع الآخرين ، والرغبة الشريرة نحـو شخص ما ، والطموح الغير مقـدس فى الحصول على الشهرة أو القوة . ان التعليم الكاذب مصدره الطموح الشرير فى امتلاك شىء لا يحق امتلاكه . ان المنادى بالتعليم الكاذب يحاول أن يضع نفسه مكان المسيح ، لأن قصـــده أن تحل افكاره مكان الحق الذى أتى به المسيح . والمعلم الكاذب متهم بأنه يحاول اغتصاب المـكان الذى يجب أن يحتله المسيح .

٢ ــ ثم لنتامل فى طريقة التعليم الـكاذب . ان الطريقة هى استعمال (الأقوال المصنعة) فالضلال يسهل مقاومته عندما يقدم للناس فى صورة واضحة ، ولكن عندما يتستر فى ثياب الحق ، فانه يضحى خطرا . هناك محك

واحد ، فأى تعليم يجب امتحانه بأقوال المسيح نفسه.وعندئذ تنكشف حقيقته ويظهر بطلانه .

٣ ــ ثم لنلاحظ تأثير التعليم الباطل . ان تأثيره مزدوج . انه يشجع (كثيرين ليتبعوا تهلكاتهم) ، وهذه حالة الشخص الذى فقد الشعور بالخجل ، لقد مر بالمرحلة التى كان يخجل فيها من خطيته ويود لو يخفيها ، وأصبح يأخذ ما يريد أخذه ومتى وأين أراد ، ولم يعد يهمه الاسم الحسن الذى دعى عليه ، ولا يهمه حكم الناس عليه ، أو ديونة الله . ثم لا يجب أن ننسى القصد من تعليم هؤلاء المعلمين الكذبة . انهم كانوا يحاولون أن يستخدموا نعمة الله كتبرير للخطية . لقد كانوا يقولون للناس ان النعمة لا تفرغ ، ولذلك فهم أحرار ليخطئوا كما يريدون ، لأن النعمة كفيلة بالغفران .

لقد كانوا يقدمون نعمة الله بطريقة تجعل هذه النعمة مبررا للخطية .

ولكن هذا التعليم الباطل له تأثير آخر ، نبسببه كان (يجدف) على المسيحية . فما دام فى المسيحية أناس يتصرفون هكذا ، فواضح ان الناس تكره المسيحيين والكنيسة المسيحية . فكل مسيحى هو اعلان للمسيحية ، صالحا كان أم ضارا ، وليس هذا فى الأيام الغابرة فقط ، بل حتى يومنا هذا . فقد كان اتهام بولس لليهود أنه بسببهم يجدف على اسم الله (رومية ٢ : ٢٤) وفى الرسائل الرعوية نجد مناشدة للشابات أن يكن عفيفات خاضعات حتى لا يجدف على كلمة الله (تيطس ٢ : ٥) . فأى تعليم يخرج اشخاصا ينفرون الناس من المسيحية بدلا من جذبهم اليها ، فهو تعليم باطل ، مصدره اعداء المسيح .

٤ ــ ثم لنتأمل فى نهاية التعليم الكاذب ، وتلك النهاية هى (الهلاك) السريع . فقد صدر الحكم على الانبياء الكذبة قديما . لقد اعلن العهد القديم مصيرهم المحتوم (تثنية ١٣ : ١ ــ ٥) . قد يبدو كما لو كان هذا الحكم غير سارى المفعول اليوم ، ولكن الحكم لا يتغير ، وسوف يأتى اليوم الذى سيدفع فيه المعلمون الكذبة أجرة ضلالهم . فلا يمكن لأحد أن يضل شخصا آخرا دون ان يقع تحت طائلة العقاب .

لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ . وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحاً ثَامِناً كَارِزاً لِلْبِرِّ إِذْ جَلَبَ طُوفَاناً عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ . وَإِذْ رَمَّدَ مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ حَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالاِنْقِلاَبِ وَاضِعاً عِبْرَةً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يَفْجُرُوا وَأَنْقَذَ لُوطاً الْبَارَّ مَغْلُوباً مِنْ سِيرَةِ الأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَارَةِ . إِذْ كَانَ الْبَارُّ بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ يُعَذِّبُ يَوْماً فَيَوْماً نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ . يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ وَيَحْفَظَ الأَثَمَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مُعَاقَبِينَ . وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَرَاءَ الْجَسَدِ فِي شَهْوَةِ النَّجَاسَةِ وَيَسْتَهِينُونَ بِالسِّيَادَةِ . جَسُورُونَ مُعْجِبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ لاَ يَرْتَعِبُونَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى ذَوِي الأَمْجَادِ . حَيْثُ مَلاَئِكَةٌ وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً لاَ يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ افْتِرَاءٍ .

(٢ : ٤ — ١١)

هذه الفقرة تجمع بين القوة والغموض بشكل واضح . انها تمتاز بعمق بلاغتها حتى هذا اليوم ، ولكنها تشير الى أمور كان لها أثرها العميق فى آذان من سمعوها قديما لأول مرة ، اذ انها كانت مألوفة لديهم ؛ ولكنها غامضة بالنسبة لنا فى هذا العصر . انها تسرد ثلاثة أمثلة مألوفة للخطية ونتائجها المدمرة ، وترى كيف أنه فى حالتين منها قد محيت الخطية ليحل محلها البر برحمة ونعمة الله . ولنتأمل فى هذه الأمثلة واحدا تلو الآخر :

١ ـ خطية الملائكة :

قبل أن نسرد القصة التى تعتبر أساسا لهذه الفكرة اليهودية ، توجد كلمتان منفصلتان يجب أن نتأمل فيهما . يقول بطرس ان الله قد طرح الملائكة الذين أخطأوا فى « سلاسل الظلام » . تقول الطبعة اليونانية ان الله طرح الملائكة فى « تارتاروس (Tartarus) ، والفعل هو (tartaroun) وهذه الكلمة لا ترجع لأصل عبرى على الاطلاق ، بل انها يونانية الأصل . ففى الأساطير اليونانية كانت «تارتاروس» تعد الجحيم السفلى ، والمسافة بينها وبين « هادس » كالمسافة بين الأرض والسماء .

لقد كانت المكان الذى أعد خصصا ليطرح فيه العمالقة والجبابرة الذين عصوا على « زيوس » أبو الآلهة والبشر ، ولذا ، فقد كانت « تارتاروس » هى الجحيم السفلى والهاوية السحيقة التى طرح فيها أولئك الذين عصوا على القوة الالهية ، ليعاقبوا عقابا أبديا .

والكلمة الثانية الى يجب ان نتأمل فيها هى الكلمة التى تتحدث عن « هاوية الظلام » ، فهناك شيء من الشك بخصوص هذه الكلمة . توجد كلمتان يونانيتان فى هذه الفقرة ، غير شائعتين وقد يختلط معناهما . الكلمة الأولى هى الكلمة (Siros) أو (Seiros) ، لقد كانت هذه الكلمة فى الأصل تعنى صومعة كبيرة من الطين لخزن الغلال ، ثم أصبحت تعنى الامكنة السفلى والحجرات التى تحفظ فيها الغلال ، وكانت تستخدم كصوامع . وقد أدخلت هذه الكلمة (Siros) الى اللغة الانجليزية فأصبحت (Silo) التى ما زالت تعبر عن الأبراج التى تحفظ فيها الغلال . ثم تطورت الكلمة فأصبحت تعنى الحفرة الى يصطاد فيها ذئب أوحيوان مفترس. فان كانت هذه هى الكلمة التى استخدمها بطرس (وهى كذلك وفقا لأحدث المخطوطات) فهى تعنى اذن الملائكة الأشرار طرحوا فى الهاوية السفلى العظمى ، معاقبين فى الظلام . وهذه تتفق مع فكرة وجود (تارتاروس) فى أسفل « هادس » . ولكن هناك كلمة مشابهة وهى (Seira) التى تعنى « سلسلة » وهى الكلمة التى تستخدمها الطبعة الأصلية حين تتحدث عن « سلاسل الظلام » (عدد ٤) ، وهى نفس الكلمة التى استخدمها يهوذا حين تحدث عن

« قيود أبدية » للملائكة الساقطين (عدد ٦) ، لأن الكلمة التى يستخدمها يهوذا هى (Desmoi) التى تعنى « سلاسل » أو « قيود » ، والمخطوطات اليونانية تستخدم أحيانا كلمة (Seiroi) التى تعنى « حفر » وكلمة (Seirai) التى تعنى « سلاسل » . ولكن أفضل المخطوطات تستخدم (Seiroi) اى « مهاوى » ، ولذا فان عبارة « مهاوى الظلام » معناها أفضل من « سلاسل الظلام » ، ولذا فاننا نعتبر أن كلمة (Seiros) صحيحة .

ان قصة سقوط الملائكة قصة تضرب بجذور عميقة فى التراث اليهودى ، وقد اصابها كثير من التعديل بمضى الزمن . ان القصة الأصلية مذكورة فى سفر التكوين (٦ : ١ ــ ٥) وهنا نجد الملائكة يدعون «ابناء الله» حيث جرت العادة دائما فى العهد القديم . وفى سفر (ايوب) نجد أن « بنو الله جاءوا ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم » (أيوب ١ : ٦ ، ٢ : ١ ، ٣٨ : ٧) . ويتحدث المرنم عن « أبناء الله » (مزمور ٨٩ : ٦) وقد جاء هؤلاء الملائكة واغروا النساء الارضيات ، وكانت ثمرة هذه الشهوة انجاب جنس من العمالقة ، وقد اتى هؤلاء بالشر على الأرض .واضح أن هذه قصة قديمة جدا تعود الى الوقت الذى كان الجنس البشرى فيه فى المهد ، أننا نجد هذه القصة كاملة فى (سفر أخنوخ) ، وقد استعار بطرس أقواله من هذا الكتاب الذى كان مألوفا جدا فى ذلك الوقت .

وكان يسمى الملائكة فى سفر أخنوخ (بالمراقبين) ، ويسمى قائدهم «سيمجازا» أو «عزازيل» . وبناء على أوامره نزاوا الى جبل (هرمون) فى أيام يارد أبو أخنوخ ، واتخذوا زوجسات من الأرض ، ولقنوهن فن السحر وبعض الفنون الاخرى التى منحتهن قوة ، وانجبوا نسلا من الجبابرة (النفيليم) أى الجبابرة الذين سكنوا أرض كنعان ، والذين كان الشعب يخافون منهم . (عدد ١٣ : ٣٣) . وقد أصبح هؤلاء الجبابرة من اكلة اللحوم ، وقد انغمسوا فى كل انواع الشهوات والجرائم ، وخاصة التعالى على الله والبشر . وتوجد اشارات عديدة الى هؤلاء الجبابرة وكبريائهم فى الادب (الأبوكريفى) . ففى سفر الحكمة (١٤ : ٦) نجد

كيف هلك هؤلاء الجبابرة . وفى سفر حكمة يشوع (١٦ : ٧) نجد كيف سقط هؤلاء الملائكة بحماقتهم . فلم تكن عندهم حكمة ، ولذا فانهم هلكوا فى غباوتهم (باروخ ٣ : ٢٦ — ٢٨) . ويقول يوسيفوس عنهم أنهم كانوا مغـرورين ويحتقرون كل ما هو صـــالح ، وكانوا يثقون فقط فى قوتهم (١ : ٣ : ١ antiquities) . وايوب يقول ان الله ينسب للملائكة حماقة (أيوب ٤ : ١٨) . ان هــذه القصة العتيقة لها اثرها ايضا فى رسائل بولس . ففى كورنثوس الأولى ١١ : ١٠ يقول بولس ان النساء يجـب أن يغطين روعسهن من (أجل الملائكة) . ان هذه العبارة الغريبة مرجعها الاعتقاد بأن جمال شعر النساء الطويل فى الأيام الغابرة قد أغرى الملائكة ، وبولس هنا يحض على عدم تكرار ذلك من جانب النساء حتى لا يغوين الملائكة . وقد كان نتيجة خطأ هؤلاء الملائكة ، أن انتشر الألم والبؤس والقسوة فى الأرض على يد هؤلاء العمالقة . فأرسل الله رؤساء ملائكته . فقيد رافائيل عزازيل من يديه ورجليه وطرحه فى الظـــلام ، وذبح جبرائيل الجبابرة ، والقى (بالمراقبين) أى الملائكة الساقطين فى مهاوى الظلام فى اسافل الجبال لمدة سبعين قرنا ، ثم قيدوا الى الأبد فى نار أبدية .

تلك هى القصة التى كانت تجول بخاطر بطـرس ، والتى كان قراؤه يعرفونها جيدا . فعندما اخطأ الملائكة ، اتاهم الله بالهلاك ، فطرحوا الى الابد فى مهاوى الظلام وأعماق الجحيم . تلك هى نتيجة خطية العصيان .

ولكن القصـة لم توقف عنـد هذا الحد ، فانهـا تتكرر مرة أخرى فى اسلوب آخر فى هذه الفقرة أيضا من رسـالة بطرس الثانية . فعدد (١٠) يتحدث عن أولئك الذين يذهبون وراء شهوة الجسد ويستهينون بالسيادة . والكلمة المستخدمة هنـا هى (Kuriotés) وهى لقب يطلق على احدى مراتب الملائكة . انهم يتكلمون بالشر على أمجاد الملائكة . والكلمة المستخدمة هنا هى (Doxai) وهى أيضا لقب من القاب الملائكة . انهم يشهرون بالملائكة ويتحدثون بالشر عليهم .

وهنا تتخذ القصة طورا آخر ، فواضح أن قصة الملائكة هذه قصـة قديمة وبدائية ، اذ أنها تنسب الى الوقت الذى كان فيـه الجنس البشرى فى المهد . واذ ابتدأ البشر يتطورون ويحللون هذه القصة ، وجدوا أنها — بهذا

الوضع — تحوى شيئا من الغمـوض وتخطى الحقيقة ، لانهـــا تنسب الشهوة للملائكة الأطهار . ولذا فقد برزت فكرتان لتحليل القصة ، احداهما يهودية والأخرى مسيحية . فقد قيل أولا ، ان القصة لا دخل لها بالملائكة على الاطلاق ، فقيل ان بنى الله ليسوا سوى جماعة من البشر الصالحين الذين كانوا من نسل شيث وان بنات الناس هن النساء الشريرات اللواتى كن بنات قايين ، وأنهن أغوين الناس الصالحين . ولكن ليس هناك دليل كتابى يـؤيد هذا التفسير الذى لا يستند الى عبارات كتابية .

وقيل ثانية ان القصة رمزية فقط . فقد ادعى فيلون مثـــلا ، أن القصة لم يقصد بها ان تفسر حرفيا ، وأنا تصـــف سقوط النفس البشرية تحت اغراء الملذات الحسية . ويقول أغسطينوس انه لا يمكن تفسير القصة حرفيا ، وانه لا يمكن أن ينسب ما ورد فى القصة الى الملائكة . وقال سيريل الاسكندرى ان القصة لا يمكن أن تؤخذ حرفيا،لأنه ألم يقل المسيح ان الناس فى الحياة الأبدية يكونون كالملائكة لا يزوجون ولا يتزوجون ؟ (متى ٢٢ : ٣٠) وقال كريسيستوم (Chrysesrtom) ان القصة لو اتخذت حرفيا . فانـــها لا يمكن الا ان تكون تجديفا . وقال سيريل ان القصة لو فسرت تفسيرا حرفيا على انها تعنى الملائكة فانها بذلك تكون باعثا على الخطية .

فواضح أن القصـــة اعتبرت خطرة . ومن هنـــا نجد تفسير ما يعنيه بطرس عندما يتحدث عن الناس الذين (يستهينون بالسيادة) ، ويتكلمون بالشر أو (يفترون على ذوى الامجاد) بالتشـهير بهم . فالناس الذين كان يعارضهم بطرس كانوا يتخذون من عقيدتهم عذرا لاستباحة الشرور والفساد الأخلاقى . فقد أوضح سيريل الاسكندرى أن القصة كانت تتخذ فى عصره ذريعة لارتكاب المفاسد . فمن المحتمل اذن أن ما حدث فى عصر بطرس هـــو أن الناس الاشرار وقتهـــا كانوا يذكرون مثل الملائكة الســــاقطين كتبرير لخطاياهم هم . لقد كانوا يقولون : « مادام الملائكة الذين جاءوا من السماء قد اتخذوا نساء فانيات ، فلماذا لانفعل نحن كذلك ؟ ، ان ما فعله الملائـــكة ، يبرر مـا نرتكبه نحن من شرور » ، لقـــــد كانوا بذلك يحتقرون الملائكة ، ويشهرون بهم ، وكانوا يعتبرون سلوكهم تبريرا لخطاياهم .

ولكن الفقرة تذهب الى ما هو أبعد من ذلك . ففى عدد (١١) تنتهى

القصة بغموض ، انه يقول (ان الملائكة وهم اعظم قـوة وقدرة لا يقدمون عليهم لدى الرب حكم افتراء) . ماذا يعنى بطرس بذلك ؟ .

مرة اخرى ، يشير بطرس الى اشياء كانت واضحة فى عصره ، ولكنها غامضة بالنسبة لنا اليوم ، لاننا لا نعرف القصص والتقاليد التى يشير اليها . فقد تكون اشارته الى احدى قصتين :

(أ) قد تكون اشارته الى القصة التى اشار اليها يهوذا فى (يهوذا ٩) أن القصة هى أن رئيس الملائكة ميخائيل قد كلف بدفن جسد موسى ، وقـد طالب الشيطان بالجسد على أساس أن الأمر يخصه ، وأن موسى قد قتل مصريا ذات مرة . ولكن ميخـائيل لم يتهم الشـيطان ، ولـكن كل ما قاله « لينتهرك الرب » . والمهم هنا هو انه حتى ميخائيل رئيس الملائكة لم يورد حكم افتراء ضد الشيطان . ولكنه ترك الأمر لله .

فان كان ميخايل لم يشهر أو يتكلم بالشر على ملاك شرير (الشيطان) ، فكيف يمكن للناس أن يفتروا على ملائكة الله ؟ .

(ب) ولكن بطرس قد يكون مشيرا هنـا الى تفاصيل أخرى عن قصة (أخنوخ) . فأخنوخ يقول انه عندما أصبح سلوك الجبابرة على الارض لا يطاق ، قدم الناس شـكاواهم الى رؤساء الملائكة ميخائيل ، ويوريل وجبرائيل ، ورافائيل . فاخذ رؤساء الملائكة الشـكوى الى الله ، ولكنهم لم يثوروا ضـد الملائكة الأشرار الذين تسببوا فى ذلك ، ولم يفتروا ضدهم ، ولم يشهروا بهم ، ولكنهم بكل بساطة تركوا الامر للهليتصرف (أخنوخ ٩) فحتى رؤساء الملائكة لم يفتروا على الملائكة الاشرار ، ولكنهم تركوا كل شيء لله .

فالموقف كما هو ظاهر من حديث بطرس ، هو أن الناس الاشرار وقتئذ والذين كانوا عبيدا للشهوة ادعوا أن الملائكة وما ارتكبوه يعد مبررا لهم على خطاياهم ، وأخذوا يشهرون بالملائكة ،فبطرس بذلك يذكرهم بانه ولا رؤساء الملائكة قد جراوا على التشهير بالملائكة ، فكيف اذن يمكن للبشر ان يفعلوا ذلك ؟ .

ان هذه فقرة غريبة وصعبة فى نفس الوقت ، ولكن معناها واضح . فحتى الملائكة الذين وقعوا فى خطيئة الشهوة عوقبوا ، فكم عقابا أشر يكون للبشر ؟ ، فالملائكة الذين عصوا على الله لم يمكنهم الافلات من نتـــــائج عصيانهم ، فكيف يفلت البشر ؟ .

وليس للناس أن يلقوا اللوم على الآخرين ، ولا حتى على الملائكة ، فتمردهم وعصيانهم وشهوتهم ، كل هذا هـــو الذى ادى الى وقوعهم فى الخطيـــة .

٢ ــ الناس فى وقت الطوفان ونجاة نوح :

والمثل الثانى الذى يضربه بطرس للدليل على هلاك الأشرار ، يمكن أن يقال عنه انه نتيجة للأول . فالخطية التى اتى بها الملائكة الساقطون أدت الى خطية الناس التى انتهت بالهلاك بالطوفان (تكوين ٦ : ٥) .

وفى اثناء هـــذا الهلاك ، لم ينس الله الذين تعلقوا به ، والذين قاوموا الشر ، والذين عاشوا فى الصـــلاح . فقـــد أنقذ نوحا وسبعة آخـــرين . والسبعة الآخرون كانوا زوجته ،وأبناؤه سام، وحام ، ويافث ، وزوجاتهم. والتقليد اليهودى يضع لنوح مكانة فريدة ، فلم يعتبره فقط الشخص الذى انقذه الله من الطوفان ، ولكن اعتبره الكارز الذى أدى دوره كاملا فى محاولة ارجاع الناس عن طرقهم الرديئة .

يقول يوسيفوس : « اضطجع كثير من الملائكة مع النساء وانجبوا اطفالا ، كانوا عصـــاة واحتقروا كل صلاح بسبب اتكالهم على قوتهم ... ولـــكن نوح غضب وحزن على سلـــوكهم ، وحاول أن يحضهم على تغـــيير طرقهم وسلوكهم » . (antiquities ١ : ٣ : ١) لقـــد عرف نوح بانه المبشر المرسل من الله الى عالم شرير .

والتركيز فى هـــذه العبـــارة يقع على نوح الذى نجا ، وليس على الرجال الذين هلكوا . فنوح يبرز كعينة من الناس الذين شملهم خلاص الله فى الوقت الذى هلك فيه الأشرار . وكانت أبرز صفتين فى نوح هما :

١ ــ ظل نوح أمينا ومطيعــــــا لله فى وسط جيل عاص وغير مطيع

(م ٢٥ ــ تفسير العهد الجديد)

وخاطىء . وجاء بولس أخيرا ليحث الشعب الا يشاكلوا هذا الدهـــر ، بـــل يتغيروا عن شكلهم (رومية ١٢ : ٢) قـــد يقـــال ان اخطـــر خطيـــة هـــى التشابه مع العالم ، فالتشابه مع الآخرين سهل دائما ، ولكن الاختلاف عنهم صعب . ولكن من أيام نوح حتى الآن ، كل من يخدم الله عليه أن يكون على استعداد ان يختلف مع العالم .

٢ ـــ تحكى لنا القصة التى جاءت بعد ذلك عن صفة أخرى من صفات نوح . لقد كان نوح مبشر البر . والكلمة التى استخدمت للتعبير عن (مبشر) هى (Kèrux) ، التى تعنى حرفيـــــا (مبعوث او رسول) . كان أبكتيتوس يدعو الفيلسوف رسول الآلهة ، المبعوث من الآلهة للبشر . والمبشر هو الشخص الذى يأتى باعلانات للبشر من الله . ويبرز هنـــــا أمر بالغ الاهمية . فالرجل الصالح لا يهتم فقط بخلاص نفسه ، ولكنـــه يهتم بالمثـــل بخلاص نفوس الآخرين . انه لا يعزل نفسه عن الناس ليعيش وحيدا من أجل الحفاظ على نقاوته وبرارته . انه يهتم بتقديم رسالة الله الى الناس . فليس اهتمامه الأوحد بخلاص نفسه ، بل بنجاة الآخرين كذلك . فالخلاص ليس انانيا ، والانسان لا يمكن ان يحتفظ بالنعمة التى أخذها لنفسه فقط ، بل ان واجبه يحتم عليه أن يأتى بالنور للذين يجلسون فى الظــــــلام ، وبالهداية للضالين ، وبالتحذير للذين يذهبون بعيدا . فالرجل الصالح يسير فى طريقه دائما نحو الله . ويكون للآخرين بمثابة اعلان يشير الى الله ، وصوت يدعو الناس الى الله .

٣ ـــ هلاك سدوم وعمورة ونجاة لوط :

والمثل الثالث الذى يقدمه بطرس للتدليل على الخطية وعقابها ، وعلى الصلاح وثوابه ، هو هلاك سدوم وعمورة ونجاة لوط .

وهذه القصة المرعبة وردت فى (تكوين ١٨ و ١٩) . وتبـــدأ القصـــة بالتماس ابراهيم من الله الا يهلك البار مع الأثيم،وتوسله الى الله بأنه،ان كان هناك عشرة رجال صالحين فقط فى هاتين المدينتين ينقذ من فيهما (تكوين ١٨ : ١٦ ـــ ٣٣) . ثم تترى بعد ذلك سلسلة من أكثر الحوادث رعبا فى العـــهد القديم . فيأتى الملائكة الى لوط فيحثهم على أن يمكثوا معه ، فيحيط بمنزله

رجال سدوم . طالبين أن يخرج لوط لهم هؤلاء الملائكة ليفعلوا معهم الشر ، وليتمموا شهوتهم القبيحة الشاذة (تكوين ١٩ : ١ — ١١) . وقد كانت هذه الفعلة بما فيها من اساءة للضيوف والضيافة ، واهانة الملائكة ، واضطرام الشهوات التي لا تقف عند حد ، كانت هذه بمثابة الختم على المصير المحتوم لهذه المدن .

وعند ما جاء الدمار من السماء عليهـــــا ، تم انقـــاذ لوط وعائلته ، ما عدا زوجته التي نظرت الى الوراء فصارت عمود ملح (تكوين ١٩ : ١٢ — ٢٥) « وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة أن الله ذكر ابراهيم وارسل لوطا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي سكن فيها لوط » (تكوين ١٩ : ٢٩) . هذه قصة أخرى تدل على عقاب الخطية ، ونجاة البر . ونرى فى لوط — كما رأينا فى نوح — صفات الرجل البار .

١ — كان لوط يعيش وسط الشر ، ومنظر الشر أمام عينيه دائما كان محزنا لنفســه ومعذبا لروحه . يذكرنا موقفات بما قاله نيومان : « أن صمام الأمن ضد الخطية ينتج من فزعنا منها » ، هذا شيء بالغ الأهمية . فالذى يحدث غالبا ، انـــه عندمـــا تظهر الشرور لأول مرة ، يفـــزع الناس منهـــا ويصدمون بها ، ولكن بمضي الوقت ، يكفون عن الفزع من الشر ، وينظرون الى الشرور على انها امر عادى . هناك كثير من الاشـــياء التى ينبغى أن نصطدم بها ، ونفزع منها . ففى عصرنا ، توجد مشكلة البغاء والانحـــلال الخلقى ، ومأساة المسكر وحمى المقامرة التى انتشرت فى طول البـــــلاد وعرضها ، وانهيار الرابطة الزوجية وتفكك الأسرة ، والجريمة والقتل ، والاحياء الفقيرة التى وصل بها الفقر الى أحـــط الدركات . والمحزن بـل والمؤلم هنا ، هو أن هذه الاشياء لم تعد تحرك ساكنا فى الناس . انها تعد امور عادية وسط خضم هذا العصر . قد تعتبر هذه من الاشياء المؤسفة والتى يلعب فيها سوء الحظ دورا كبيرا ، ولكنها لا تعد أمورا تقشعر منهـــــا الأبدان أو تصطدم بالقيم والمثل ، ويستحسن لخيرنا بل ولخـير العالم ، أن نشعر دائما بالحساسية البالغة ضد الخطية .

٢ — عاش لوط فى وسط الشر ، ولكنه لم يتاثر به . ففى وسط شر ســدوم ظـــل امينـــا لله ومطيعـــا له . فالشخص وان كـــان يعيش

وسط الشر ولكنه يبقى أمينا لله بنعمته ، فانه اذ يتـذكر حضـور الله الدائم معه ، فان ذلك يكون واقيا له من عدوى الخطية وترياقا له ضد سمومها . فليس هناك ما يستوجب أن يكون الانسان فريسة وعبدا للبيئة التي يتواجد فيها .

٣ ـ وعندما ساءت الأمور عما هي عليـه ، كان لوط على استعداد أن يكسر الحلقة التي تربطه بالبيئة التي يعيش فيها . لقد كان على استعداد أن يفعل ذلك ، بالرغم من انه لم يرد أن يفعل ذلك . ولأن زوجته لم تكن على استعداد أن تقطع صلتها بسدوم ، فانها هلكت . توجد عبـارة غريبة في قصة العهد القديم ، والعبارة تقول انـه « لما توانى لوط أمسك الرجـلان بيده» (تكوين ١٩ : ١٦) . قد تأتي ظروف نجد فيها أن السماء تحـاول أن ترغمنا على أن نبعد عن الشر وعن تأثيره المغرى . فقد يجتاز اى انسان في مثل هذا الموقف حيث يخير بين الاقامة في مكان ما أو أن يجد الأمان في مكان آخر ، ليبدأ بداية جديدة بقطع صلته بالماضي ، وقد يجتاز الواحد في موقف يحتم عليه أن يخلص نفسه بالابتعاد عن وظيفته وبيئته وموقفه الراهن ، ليبدأ من جديد . ولقد كان سر نجاة لوط ، وهلاك زوجته لانها فشلـت في التخلص من براثن الماضي .

صورة الشرير

تقدم لنا الأعداد من (٩ ـ ١١) في هذه الفقرة صورة للشرير . فيرسم لنا بطرس ـ بمهارة فائقة وبلمسات نابضة من قلمه ـ الصفـات البارزة للانسان الذي يطلق عليه لفظ (الشرير) .

١ ـ انه يذهب وراء « شهوة الجسد » ، ان حياة الشرير تسودها شهوات الجسد الدنسة . ان شخصا كهذا متهم بخطيئتين :

(ا) فكل انسان يتميز بطابعين مختلفين . فهناك الجـانب المـادي أو الطبيعة المادية ، فله غرائز ودوافع وميول يشترك فيها مع الحيـوان . وهذه الغرائز صالحة ـ ما دامت تستخدم في مكانها الصحيح ـ اذ انهـا ضرورية لحفظ النوع الانساني واستمرار الجنس . ولـكن هذه الغرائز

يجب الا تتخطى حدودها . فالطبيعـــة البشرية خليط يدخل فى تركيبه عدة عناصر مختلفة . وواضح أن قيمة أى خليط وفائدته تتوقف على المهارة فى وضع كل عنصر بمقدار ثابت لايتجاوزه ، فأى زيادة أو نقص فى اى مادة من مواد الخليط يضعف من تأثيره . فالانسان له طبيعة مادية كما أن له طبيعة روحية ، والرجولة تتوقف على صحة المزج بين هاتين الطبيعتين فالانسان الذى تسوده الشهوة ، انسان سمح للطبيعة الحيوانية فيه أن تحتل مكانا غير مكانها الصحيح ، لقد اختل فيه التوازن ، وأساء فهم الرجولة الحقة . والانسان الذى يذهب وراء شهوة الجسد ، اذن لم يفهم النسب الصحيحة التى وضعها الله لتكوين الطبيعة البشرية المتكاملة .

(ب) ولكن سبب اختلال التوازن هذا ، مرجعه الأنانية . فأصل الشر فى الحياة التى تسودها الشهوة يرجع للافتراض القائل بأنه ما من شىء مهم سوى اشباع الرغبات الذاتية ،والتعبير عن الاحساسات الفردية. ان حياة كهذه لا تلقى أى اهتمام أو احترام من الآخرين ، اذ تضع ذاتها فى المركز . ان الأنانية والشهوة يسيران جنبا الى جنب .

ان الرجل الشرير هو الشخص الذى سمح لجانب واحد من طبيعته أن يطغى على الجانب الآخر ، وأنه فعل ذلك لأنه أنانى وغير مقدر لمصالح الآخرين واحساساتهم .

٢ ـــ انه « جسور » . والكلمة باليونانية هـــى (tolmètés) المشتقة من الفعل (tolman) الذى يعنى « يجرؤ » . هناك نوعان من الجرأة :

الجرأة النبيلة وهى دليل الشجاعة الحقة والاقدام . والجرأة الشريرة التى تجعل صاحبها يقدم على عمل أشياء لا يحق لـــه الاقدام عليها . وقـــد عبر شكسبير عن ذلك بقوله : « ان كل ما اجرؤ عليه هو أن اكون رجلا ، ومن يجرؤ على شىء غير ذلك ، فهو ليس بشىء على الاطلاق » . فهنـــاك اشياء لا يحق لأى انسان أن يفعلها ، ومن يفعلهـــــا فانه يتحدى الضمير ويتحدى ناموس الله . ان الرجل الشرير هو من يجرؤ على تحدى ارادة الله برغم علمه بها .

٣ ـــ انه « معجب بنفسه » . ان الكلمة باليونانية هي (authadés) التى اشتقها اليونان من كلمتين (autos) اى نفس و (hadôu) اى «مسر» ، وقد استخدموها للتعبير عن الرجل الذى لا هم له سوى ارضاء ذاته . فالكلمة فيها دائما عنصر العناد ، فالذى يتميز بهذه الصفة لا يقنعه المنطق ولا الادراك ولا التوسل ولا الرقة من ان يبتعد عن عمل اشياء يريد ان يعملها وقرر ان يفعلها . كما قال ر . س ترنش : « ان شخصا كهذا يتمسك برايه لدرجة العناد ولا يعترف سوى بحقوقه ، ضاربا صفحا عن حقوق وآراء ومصالح الآخرين » .

فالشخص « المعجب بنفسه » ، يصمم على المضىء فى طريقه باصرار وغرور وهمجية . ان الرجل الشرير هو الشخص الذى لا يعير التفاتا لتوسلات البشر ولا للارشاد الالهى .

٤ ـــ انه « يفترى على ذوى الأمجاد » . لقد رأينا من قبل كيف أن هذه العبارة اشارة للقصص والتقليد العبرى ، والتى تعتبر غامضة بالنسبة لنا ، ولكنها تحمل معنى أشمل من ذلك . فالرجل الشرير لا يعرف الا عالمه الذى يعيش فيه ، أما العالم الغير منظور فليس بذى اهمية له ، والعالم الروحى فى نظره غير موجود ، والمؤثرات السماوية لا تأثير لها عليه ، انه لا يسمع أى اصوات تأتيه من وراء هذا العالم . انه من الأرض ، فهو أرضى . انه الانسان الذى نسى وجود السماء ، والأعمى والأصم عن كل مناظر أو اصوات تأتيه من السماء .

خداع النفس وخداع الآخرين

أَمَّا هؤُلاَءِ فَكَحَيَوَانَاتٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ طَبِيعِيَّةٍ مَوْلُودَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْهَلاَكِ يَفْتَرُونَ عَلَى مَا يَجْهَلُونَ فَسَيَهْلِكُونَ فِى فَسَادِهِمْ . آخِذِينَ أُجْرَةَ الإِثْمِ . الَّذِينَ يَحْسِبُونَ تَنَعُّمَ يَوْمٍ لَذَّةً . أَدْنَاسٌ وَعُيُوبٌ يَتَنَعَّمُونَ فِى غُرُورِهِمْ صَانِعِينَ وَلاَئِمَ مَعَكُمْ . لَهُمْ

عُيُونٌ مَمْلُوَّةٌ فِسْقاً لاَ تَكُفُّ عَنِ الْخَطِيَّةِ خَادِعُونَ النُّفُوسَ غَيْرَ الثَّابِتَةِ. لَهُمْ قَلْبٌ مُتَدَرِّبٌ فِي الطَّمَعِ. أَوْلاَدُ اللَّعْنَةِ.

(٢ : ١٢ — ١٤)

يكتب بطرس هنا قائمة اتهام مطولة ، فهى ملتهبة بأسلوب التحقير الجارح فالاشرار كالحيوانات ، انهم عبيد غرائزهم التى يتقاسمونها مع الحيوانات . ولكن الحيوان مولود للاقتناص والموت ، هكذا يقول بطرس ، فليس له مصير غير ذلك . ومع ذلك ، فالملذات الجسدية مهلكة ، فأن تكون الحياة لا هدف سوى اللذة ، امر يؤدى الى الهلاك . ان لذة كهذه فانية وتحمل بذور الفناء والهلاك . ان اللذه هى هدف الشخص الذى يهب نفسه للأمور الجسدية ، ومشكلته أنه فى النهاية يفقد حتى اللذه نفسها . ان ما يريد أن يؤكده بطرس — وهو شئ حقيقى — أنه اذا كان الشخص يكرس ذاته لهذه الملذات الحسية ، ويجعلها هدفه الأوحد ، فانه فى النهاية يحطم ذاته جسميا وروحيا وعقليا ، حتى أنه يحرم من التمتع بها.

ولايضاح ذلك ببساطة نقول : ان الشره فى النهاية يفقد شهيته للطعام ، والسكير يدمر صحته ، والشهوانى يهدم جسده ، والمدمن يحطم شخصيته ويقضى على سلامة عقله . ان الرجل الذى يهب ذاته لهذه الأشياء يبحث عن اللذة ، وقد يتمتع بما يسميه لذة لمدة وجيزة ، ولكنه فى النهاية يخرب صحته ، ويقضى على كيانه ، ويذهب بعقله وشخصيته ، ويحس بأنه فى جهنم وهو ما زال على الأرض .

هؤلاء الناس يعتبرون تنعم يوم لذة ، وكذلك يجرون وراء المسرات التافهة ويسعون خلف كل لذة رخيصة . انهم يعكرون صفو العلاقات المسيحية ، انهم كالعيوب التى ان وجدت فى الذبيحة اصبحت غير لائقة لتقديمها لله . ثم اننا يجب أن نلاحظ ان ما يقوله بطرس ليس حقيقة دينية فقط ، انه أيضا حقيقة منطقية . فان ملذات الجسد ، وملذات التنعم والولائم ، ونشوة المسكر ، والتحلل من كل ضوابط اخلاقية تخضع لناموس الفناء ، انها تفقد جاذبيتها وسحرها شيئا فشيئا : حتى أنه يلزم فى كل مرة الانغماس فيها اكثر للوصول الى الهدف . فالتنعم يجب أن يزيد ، والمسكر

يجب أن تترع كئوسه الى ما لا نهـاية وكل شئ يجب أن يكثر حتى تصير اللذة أشد وأكثر حدة . وبمضى الزمن ، يصبح الانسان أقل تمتعا بها ، وتقل قدرته على التمتع بهذه الاشياء ، وهذا طبيعى . ان من يسلك هذا الطريق فانه يخضع نفسه لحياة لا تبشر بمستقبل ، وللذة يعقبها الألم .

ولذا فان بطرس يذهب فى عدد (١٤) الى القـــول الذى يصعب ترجمته ، ولكنه ترجم الى اللغة الانجليزية هكذا « لهم عيون مملوءة فسقا »، والعبارة كما وردت باليونانية تعنى حرفيا « لهم عيون مملوءة (زانية) » ويغلب أن يـكون المعنى هو انهم يتمنون أن تـكون كل امرأة زانية . انهم ينظرون الى كل امرأة بعين الشهوة ، باحثين عن الوســـائل التى يمكن اغراؤها بها لاشباع شهواتهم . قال معلمو اليهود : « ان اليد والعين هما سماسـرة الخطية » ، كما قال يسوع ، انهم ينظرون لكى يشتهوا (متى ٥ : ٢٨) ، لقد بلغوا الحد الذى لا يمكن أن ينظروا فيه دون أن يحسبوا حساب الشهوة . كما قال بطرس عن ذلك ، ان قلوبهم متدربة فى الطمع فى الحصول على الأشياء التى لا يحق لهم تملكها . لقد سبق أن فسرنا الـكلمة لتعنى الرغبة فى تملك الأشياء التى لا يحق لهم مجرد اشتهائها ، لا تملكها . ان الصورة التى يرسمها بطرس مرعبة حقا . ان الكلمة (متدرب) تستخدم للتعبير عن الرياضى الذى يعد نفسه للألعاب ، فهؤلاء النـاس قد دربـوا وأعدوا انفسهم ، ودربوا عقولهم وقلوبهم لكى لا يفكروا سوى فى الشهوة المحرمة . لقد حاربوا ضمائرهم وصرعوها ، وصارعوا مع الله حتى أبعدوه عن ميدان حياتهم ، وكافحوا باصرار أيضا ضـــد مشاعرهم الطيبة حتى خنقوها ، لقد دربوا انفسهم على التركيز فى الأشياء المحرمة . ان حيـاتهم عبارة عن معركة حامية الوطيس ضد الفضيلة . وتدريب مستمر لتعلم فنون الخطيـة .

بقى فى هذه الفقرة اتهام آخر . انه من الشر أن يخدع هـؤلاء الناس أنفسهم ، ولكن ما هو اشر من ذلك أن يخدعوا الآخرين . انهم يصيدون النفوس الغير ثابتة فى الايمان . والكلمة المستخدمة باليونانية للتعبير عن ذلك هى (deleazein) التى تعنى « يمسك أو يصيد بطعم » ان الانسان يصبح شريرا حقا عندما يحاول أن يجعل الآخرين أردياء مثله . ان كل انسان

يجب أن يحمل مسئولية خطاياه ، ولكن ان يضيف الى ذلك ثقل خطايا الآخرين ، فهذا ما ليس بوسع اى انسان .

طريق الضلال

قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ . وَلَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى تَوْبِيخِ تَعَدِّيهِ إِذْ مَنَعَ حَمَاقَةَ النَّبِيِّ حِمَارٌ أَعْجَمُ نَاطِقاً بِصَوْتِ إِنْسَانٍ .

(٢ : ١٥ و ١٦)

ان بطرس يشبه الأشرار فى عصره بالنبى بلعام . لقد ورد بلعام فى الفكر اليهودى والأساطير اليهودية كمثل على الانبياء الكذبة الاشرار . لقد وردت قصته فى سفر العدد (٢٢ ــ ٢٦) . لقد انزعج بالاق ملك موآب عند تقدم الاسرائيلين المستمر ، ولكى يحاول ايقاف هذا التقدم ارسل لبلعام ليأتى ويلعن الاسرائيليين أمامه ، واعداً اياه بهدايا قيمة اذا اتى . ولكن بلعام رفض ان يلعن الاسرائيليين أولا ، ولكن القصة تبين بوضوح ان بلعام اشتهى الهدايا القيمة التى عرضها ، بالاق ، حتى وان كان خائفا من أن يأخذها .

ولكن عندما توسل بالاق لبلعام مرة أخرى ، لعب بلعام بالنار حتى انه قبل ملاقاة بالاق . وفى طريقه لملاقاته وقف حماره فى منتصف الطريق لأنه راى ملاك الرب واقفا فى الطريق ووبخ بلعام .

واضح ان بلعام لم يأخذ ما اراد بالاق أن يغريه به ، ولكن ان اراد اى انسان أن يقبل رشوة فانه يسمى «بلعام» فى التقليد اليهودى . بعد هذه القصة فى عدد (٢٥) ، ترد قصة أخرى انها تحكى كيف اغرق الاسرائيليون لعبادة البعل والاندماج مع نساء موآب .

ومع أن سفر العدد لم يذكر من كان المغرى ، الا ان الاعتقاد اليهودى

يذكر أن بلعام كان وراء هذا الاغراء ، وانه المسئول عن ضلال بنى اسرائيل . وعندما امتلك الاسرائيليون الأرض قيل « وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف » (عدد ٣١ : ٨) . لقد أصبح بلعام لذلك يمثل النبى الكاذب . يتميز بلعام بصفتين نجدهما تتكرران فى الناس الأشرار فى زمن بطرس .

١ — لقد كان بلعام (طماعا) . توضح قصة سفر العدد كيف أن لعاب بلعام كان يسيل رغبة منه فى الحصول على ذهب بالاق ، وكانت عيناه تشتهيان هذا الذهب . صحيح انه لم يأخذ الذهب ؛ ولكن الرغبة الشريرة فى تملكه كانت مسيطرة عليه . ان الأشرار فى زمن بطرس كانوا طماعين ، وكل همهم السعى وراء الأشياء التى يمكن أن يحصلوا عليها ؛ فقد كانوا يحاولون انتهاز فرصة عضويتهم للكنيسة فى السعى وراء المكاسب الغير شريفة .

٢ — ان بلعام علم اسرائيل أن يخطىء . فقد عرف بلعام فى التاريخ على انه الرجل الذى علم اسرائيل ان يخطىء . انه قاد الشعب وراءه بعيدا عن الطريق المستقيم الى الطريق الملتوى ، وحرضهم على ان ينسوا وعودهم لله ، واخلاصهم له . والناس الأشرار فى زمن بطرس ، كانوا يحرضون المسيحيين على أن يبتعدوا عن الطريق المسيحى ، وان يكسروا تعهداتهم التى تعهدوا فيها بالولاء للمسيح .

فالرجل الذى يحب المكاسب ، والذى يخدع الآخرين ويغرقهم بارتكاب الشر ، يقع تحت دينونة .

خطر الارتداد

هؤُلاَءِ هُمْ آبَارٌ بِلاَ مَاءٍ غُيُومٌ يَسُوقُهَا النَّوْءُ . الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ . لأَنَّهُمْ إِذْ يَنْطِقُونَ بِعَظَائِمِ الْبُطْلِ يَخْدَعُونَ بِشَهَوَاتِ الْجَسَدِ فِي الدَّعَارَةِ مَنْ هَرَبَ قَلِيلاً مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الضَّلاَلِ . وَاعِدِينَ إِيَّاهُمْ بِالْحُرِّيَّةِ وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ

عَبِيدُ الْفَسَادِ . لِأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبَدٌ أَيْضاً . لِأَنَّهُ إِذَا كَانُوا بَعْدَ مَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ يَرْتَبِكُونَ أَيْضاً فِيهَا فَيَنْغَلِبُونَ فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الْأَوَائِلِ . لِأَنَّهُ كَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَ مَا عَرَفُوا يَرْتَدُّونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلَّمَةِ لَهُمْ . قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ وَخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ .

(٢ : ١٧ — ٢٢)

ما زال بطرس يسرد فى قائمة الاتهام ضد الاشرار .

انهم يتملقون فقط لكى يخدعوا ، انهم كآبار بلا ماء ، وكغيوم يسوقها النوء . تصور مسافرا يسير فى الصحراء يخبرونه بأن أمامه ينبوع ماء ليستطيع ان يطفىء ظمأه منه ، ثم تصوره وهو يصل الى هذا الينبوع ليجده جافا وعديم الجدوى . وتصور فلاحا يصلى لأجل سقوط المطر الذى تتعطش له محاصيله ، ثم يرى سحابة يتوقع ان تأتيه بالمطر ، ولكن الريح يدفعها بعيدا دون أن تروى محاصيله .

وقد عبر (بج) عن ذلك بقوله : « ان المعلم بدون معرفة كالبئر بلا ماء » . ان هؤلاء الناس هم كالرعاة الذين كتب عنهم « ملتون » : « ان أغنامهم الجائعة تنظر اليهم دون أن تجد طعاما » ؛ ان هؤلاء الناس يعدون بانجيل ، ولكنهم فارغين فليس لديهم ما يقدمونه للنفس المتعطشة .

ان تعاليمهم خليط من الغرور والعبث . فالحرية المسيحية تتعرض للخطر من جرائهم . ان بولس يخبر شعبه انهم قد دعوا للحرية ، فلا يصح

أن يجعلوا الحرية فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) . وبطـــــــرس يخبر الشعب انهم أحرار ، ولكنهم لا يصح أن يتخذوا الحـــــرية سترة للشر (١ بطرس ٢ : ١٦) . ان هؤلاء المعلمين الكذبة قدموا للناس الحرية التي تجعلهم يخطئون كما يريدون ، هذه هي حريتهم . لا أن يثيروا في الناس دوافع النبل، بل دوافع اشباع الشهوة . انهم أرضوا في الانسان أردأ ما فيه، وليس افضل ما فيه . وقد أوضح بطرس السبب في ذلك . انهم فعلوا ذلك لأنهم هم انفسهم عبيد لشهواتهم .

قال سينكا : « ان عبودية الانسان لنفسه أشق أنواع العبوديـــة » ، وتحدث برسيوس عن معلمي عصره « الذين كانوا يرضعون الملذات »، التي كانت سائدة وقتئذ. ولقد قدم المعلمون للناس الحرية، بينما هم انفسهم كانوا عبيدا ، والحرية التي كانوا يقـــدمونها هي حرية الاستعباد للشهوة . ان رسالتهم كانت مملوءة بالغرور ، لأنها كانت ضد رسالة المسيح والكنيســة ، ان رسالتهم عبث لان كل ما اتبعهم صار عبدا . هذه هي تعاليمهم ، وتلك هي هرطقتهم ، انهم يتخذون النعمة مسوغا وتبريرا للخطية ، بدلا من أن تكون دافعا محركا للترقي في مسالك البر والفضيلة والحياة النبيلة .

وما داموا قد عرفوا طريق المسيح الحقيقي مرة ، ثم ارتدوا الى ما هم عليه ، فان موقفهم يكون أخطر . انهم كالرجل الذي قيل عنـــه في المثل ان أواخره اشر من أوائله (متى ١٢ : ٤٥ ، لوقا ١١ : ٢٦) .

لم ذلك ؟ . ان الشخص الذي لم يعرف الطريق الصحيح ، لا يمكن أن يلام بسبب عدم اتباعه له ، واذا لم ير الحقيقة ابدا ولم يسمع رسالة المسيح مطلقا ، لا يمكن أن يدان بسبب عدم قبوله وطاعته اياه . ولكن اذا عرفه ، ومع ذلك سار في الطريق الآخر باختياره ، فانه يخطيء ضـــــد النور ، انه عرف الطريق الأفضل ثم اختار الأردأ ، انه يكون قد أخطأ وهو عالم تماما بما يفعـــل . فان كان الأمر كذلك ، كان من الأفضل له لــو لــم يعرف الحق ، لأن معرفته للحق هي سر دينونته . ان الانسان لا يصـــح أن ينسى المسئولية التي تلقيها عليه معرفته .

وينهى بطرس حديثه بالاحتقار لاولئك النـــاس . ان الناس الأشرار يشبهون كلبا قد عاد الى قيئه (أمثال ٢٦ : ١١) ، او كخنزيرة تنظفت ثم عادت لمراغة الحماة . ان هؤلاء الناس قد عرفوا المسيح ، ولكنهم اختاروا طريق الضلال بأنفسهــم حتى أنهــم يفضلــون ان يتمرغــوا فى أوحـــال الخطيئة من أن يرتقوا الى قمم الفضيلة . انه لشيء خطير حقا أن يجعـــل الانسان نفسه محاطا بأغلال الخطية التى لا يستطيع منها فكاكا ، وأن تفقد الفضيلة جمالها فى نظره فى آخر الأمر .

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

مبادىء الوعظ

هٰذِهِ أَكْتُبُهَا الآنَ إِلَيْكُمْ رِسَالَةً ثَانِيَةً أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ فِيهِمَا أُنْهِضُ بِالتَّذْكِرَةِ ذِهْنَكُمُ النَّقِيَّ لِتَذْكُرُوا الأَقْوَالَ الَّتِي قَالَهَا سَابِقاً الأَنْبِيَاءُ الْقِدِّيسُونَ وَوَصِيَّتَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ وَصِيَّةَ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ .

(٣ : ١ و ٢)

فى هذين العددين نلاحظ بوضوح ، مبادىء الوعظ الى اتبعها بطرس :

١ — انه آمن بضرورة التكرار . انه يعرف جيدا أنه لتثبيت اى شىء فى الذاكرة يجب تكراره كثيرا . عندما كتب بولس رسالته الى أهل فيلبى قال لهم ان كتابة هذه الأمور مرارا وتكرارا ليست ثقيلة عليه ، وأمالهم فهى مؤمنة (فيلبى ٣ : ١) . ان مبادىء المعرفة تنبت فى عقل الطفل بتكرارها . هنا شىء يجدر ملاحظته . فقد يحدث غالبا أننا نشتاق الى الأشياء الجديدة ، بينما تكون حاجتنا ماسة الى تكرار الحقائق الأبدية التى ينساها الناس بسرعة ولا يدركون اهميتها .

توجد بعض الأغذية التى لا يتضايق منها الناس ابدا ، انها لازمة للجسم ، ولذا فهى تقدم له يوميا . فنحن نتحدث عادة عن «الخبز اليومى»، وهكذا فان هناك بعض الحقائق المسيحية العظمى التى يجب تكرارها دائما والتى لا يجب ان يستعاض عنها بأشياء أخرى طلبا لما هو جديد .

٢ ـــ انه آمن بالحاجة الى مذكر ، يوضح العهد الجديد مرارا وتكرارا أن الوعظ والتعليم فى اغلب الاحيان تذكير للناس بما يعرفونه من حقائق ، ومطالبتهم بأن يسلكوا وفق ما يعرفونه من هذه الحقائق .

يستشهد موفات بما قاله دكتور جونسون : « اننا غالبا مـــا لاندرك جيدا أن الناس بحاجة الى التذكير مما هم فى حاجة الى معلومات جديدة » .

تحدث الاغريق عن زمن ياتى يمحو كل شىء فى عقول الناس ، فتصبح عقولهم بيضاء وكأن الزمن قطعـــة من الاسفنج امتصت كل ما فى عقولـــهم من معلومات . ان الناس فى حاجة ملحة لا الى تعليمهم أشياء جديدة بل الى تذكيرهم بما يعرفونه من قبل .

٣ ـــ اعتقد بطرس أيضا بتأثير الكلمة الطيبة . انه يقول ان قصـــده أن ينهض (بالتذكرة ذهنهم النقى) . والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن كلمة نقى قد تحمل معنيين مختلفين : انهـــا قد تعنى الشىء الذى قد غربل حتى لم يتبق فيه اى شىء من التبن ، أو قد يعنى الشىء الذى يظهر خاليا من العيوب فى ضوء الشمس . يستخدم افلاطون نفس هذه العبارة بمعنى (الذهن النقى) أو الذهن الحاذق النقى الصـــافى الذى لا يتأثر بمغريـــات الحواس ، اننا قد نسميـــه الذهن الذى لم تصبـــه العـــدوى بشىء . واذ يستخدم بطرس هذه العبارة ، فانه يطلب من الشعب ان لا تتأثر عقـــولهم بالهوطقات ، أو بعدم الايمان ، أو بالشهوات . ان العبارة تعنى كما لو قال لهم : « انكم أناس ممتازون ـــ لو كنتم تتذكرون » ان الواعظ يجب الا يشعر سامعيه بأنهم تعساء لا يستحقون سوى اللعنة ، بل اناس ممتازون فى حاجة الى الخلاص . انهم لا يشبهون النفـــــــاية التى يجب أن ترمى بقـــــدر ما يشبهون الجواهر التى يجب استخدامها من الطين والحماة . ان الحديث اليهم لا يصح أن يشير الى الخطية الموروثة فيهم بقـــــــدر ما يجب توجيهه لما فيهم من نبل وشهامة . يتحدث دونالد هانكى عن « القـــائد المحبوب » الذى يتبعه افراد فرقته حيثما حل . ويحكى كيف ينظر القـــائد الى رجال فرقته وهم ينظرون اليه وكلهم تصميم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم . اننا

نصل الى أفضل ما فى الناس عندما نجعلهم يشعرون بأننا نثق فيهم بدلا من أن نشعرهم بأننا نحتقرهم .

٤ ـــ لقد كان بطرس يؤمن تماما بوحدة الكتاب المقدس ، فالكتاب وحدة لا تتجزأ . فهناك أولا ، الأنبياء الذين تنبأوا بالمسيح ، وهناك المسيح نفسه الذى جاء ، ثم الرسل الذين جاءوا بأخبار المسيح السارة . فبطرس كان يعتبر المسيح مركز الكتاب . ان العهد القديم بالمسيح ، والاناجيل تتحدث عن المسيح الذى جاء ، والرسل يقدمون رسالته للناس . أن الطريقة الوحيدة لدراسة الكتاب أن نضع المسيح فى المركز . فالكتاب يبدأ بالاستعداد لمجىء المسيح ، ثم يتحدث عن مجىء المسيح كحيقة حدثت ، ثم يختم بتقديم انجيل المسيح للناس . فرسالة الكتاب من البداية الى النهاية هى تقديم المسيح للناس .

انكار المجىء الثانى

عَالِمِينَ هَـذَا أَوَّلاً أَنَّهُ سَيَأْتِى فِى آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ . وَقَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَىْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ .

(٣ : ٣ و ٤)

اشد ما كان يضايق بطرس من الهراطقة انهم كانوا ينكرون المجىء الثانى للمسيح . وكانوا يتساءلون « اين هو موعد مجيئه ؟ » ، وهذا تعبير عبرى يتضمن أن الشىء الذى يسأل عنه السائل غير موجود أبدا .

فقد كان يتسائل الناس الأشرار فى عصر ملاخى قائلين : « أين اله العدل » (ملاخى ٢ : ١٧) . وكان الوثنيون يسألون المرنم : « أين

الهك » (مزمور ٤٢ : ٣ ، ٧٩ : ١٠) ، وكان أعداء ارميا يسألونه : « أين هى كلمة الرب » (ارميا ١٧ : ١٥) ، وفى كل مرة كان السؤال يتضمن أن الشيء أو الشخص الذى يسأل عنه غير موجود . وكان الهراطقة فى عصر بطرس ينكرون أن يسوع المسيح سيأتى ثانية . ويجدر بنا هنا أن نلخص أقوالهم ، ثم نذكر رد بطرس عليها .

ان أقوال خصوم بطرس كانت ذات شقين (عدد ٤) :

لقد تساءلوا « أين هو موعد مجيئه ؟ » ، فالشق الأول من حديثهم يفترض أن موعد المسيح قد تأخر كثيرا حتى أنه يمكن القول انه لن يحدث . انهم اعتبروا أن المجيء الثانى كان يمكن أن يحدث من أمد طويل اذا كان لابد أن يحدث ، ولذا فانهم نبذوا الاعتقاد بامكانية حدوثه الآن . والشق الثانى من حديثهم هو أن آبائهم قد ماتوا ، وأن العالم يسير وكل شيء فيه على ما كان عليه بلا تغيير . انهم يدعمون الفكرة القائلة بأن هـذا الكون ثابت ، وأن التغييرات الفجائية كالمجيء الثانى لا تحدث فى عالم كهذا . ورد بطرس عليهم رد مزدوج ايضا . انه يرد على الشق الأول من حديثهم أولا فى (الأعداد من ٥ ـ ٧) . انه يقول لهم ان هذا العالم ليس ثابتا ، فقد سبق أن دمر هـذا العالم بالماء فى زمن الطوفان وأنه سيدمر مرة أخرى ، وهذه المرة بالنار . اذن فهذا العالم ليس ثابتا كما يظنون ، لقـد دمر مرة ، وسوف يدمر ثانية .

والجزء الثانى من رده فى (عددى ٨ و ٩) . أن خصومه يتحدثون عن تأخير اتمام وعد الله ، وأنه ما دام الوقت أصبح متأخرا هكذا ، فان المجيء الثانى لن يحدث أبدا . ورد بطرس على ذلك مزدوج . (أ) اننا يجب أن ننظر الى الوقت بمقياس الله . فاليوم عند الله كألف سنة ، والألف سنة كيـوم واحد ، فالأبدية بطولها وعرضها ملك لله . فعندما نفكر فى الله يجب أن نترك كل ما يتعلق بالزمـن لأن الزمن لا قيمـة له عند الله . (ب) ان تباطـؤ الله لا يعنى اخلاف الوعد . ان امهال الله هو فى الواقع من رحمة الله . انه يعطى الخطاة فرصة أخرى للتوبة وليجدوا الخـلاص . ان الله اذ يكف يده لا يعنى ذلك عدم الاكتراث أو اخلاف الوعد ، بل ليعطى الناس فرصة ثانية ليتوبوا وينجوا من العقاب .

ويختم بطرس رده في عدد (١٠) ، والخاتمة هي أن المجيء الثاني آتٍ وأن حدوثه سيكون برعب وهلاك عظيمين ، سوف ينحل فيه العالم ويحترق بلهيب مروع . ثم يطلب نظرا لذلك شيئا عمليا . فما دمنا نعيش في عالم سوف ينزل اليه يسوع المسيح ، وما دمنا نحيا في عالم يسرع فيه الأشرار نحو هلاكهم ، فان ذلك مدعاة لنا أن نسلك في التقوى والقداسة ، حتى ننجو ونخلص عند مجيء ذلك اليوم المريع . ان المجيء الثاني حافز لنا لكي نصلح أحوالنا ، وحتى نعد انفسنا لملاقاة الهنا . هذه الفكرة هي هدف هذا الأصحاح ، والآن لنحاول دراسته بالتفصيل :

الهلاك بالطوفان

لِأَنَّ هٰذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ وَٱلْأَرْضُ بِكَلِمَةِ ٱللهِ قَائِمَةً مِنَ ٱلْمَاءِ وَبِٱلْمَاءِ . ٱللَّوَاتِي بِهِنَّ ٱلْعَالَمُ ٱلْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ فَهَلَكَ .

(٣ : ٥ و ٦)

ان أول رد لبطرس أن العالم ليس ثابتا الى الأبد،وأن الأشياء التي فيه ليست كائنة الى الأبد . ان ما يريد أن يؤكده بطرس أن العالم قديما قد هلك بالماء ، كما أن العالم الحاضر سيهلك بالنار . ان التفاصيل الواردة في هذه الفقرة صعبة نوعا ما . انه يقول ان الأرض تكونت من الماء وبالماء . في قصة سفر التكوين نجد انه كان في البدء نوع من الفوضى يسودها الماء « وروح الله يرف على وجه المياه ... وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه » (تكوين ١ : ٢ — ٦) . وقد تكون العالم في البدء من هذه المياه ثم أن الماء هو اساس تكوين العالم لان المطر الذي نزل من السماء هو جوهر الحياة . ان ما يعنيه بطرس هو ان العالم خلق من الماء، وانه باق بسبب الماء ، وأن العالم قد هلك قديما بالماء .

ولتوضيح هذه الفقرة اكثر ، يجب ان نشير الى ما طرأ على قصة سفر

التكوين عن الطوفان من تطـــور . فقد أصبحت القصة لا تعني مجرد هلاك الخطاة ، بل هلاك العالم كله . فكما نرى فى رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا أن ما ورد فيهما لا يرد مباشرة من العهد القديم بل من سفر أخنوخ . ففى (أخنوخ ٨٣ : ٣ ـــ ٥) يرى أخنوخ رؤيا . انه يقول : « رأيت فى رؤيا أن السماء سقطت على الأرض ، ورأيت الأرض تبتلع فى محيط كبير » . وفى القصص التى تواترت بعـــد ذلك يذكر أن الطوفان لم يمح الخطاة فقط ، بل اهلك السماء والأرض ، ولذا فان تحذير بطرس يمكن وضعه بالصـــــورة الآتية : « إنكم تقولون ان الأشياء الكائنة ، كانت كذلك وستظل الى الأبـــد هكذا ، انكم تبنون رجاءكم على أساس أن العالم ثابت وغير متغير . انكم على خطأ ومخدوعون لأن العالم قـــد يكون قديما من المـــاء ؛ وهو محفوظ بالماء ثم أنه هلك بالماء فى الطوفان . ان آمالكم مبنية على فكرة خاطئة عمـــا حدث قديما » ونحن نقول ان هذه أسطورة قديمـــة مدفونـــة فى مخلفـــات المـــاضى .

ولكننا لا يمكن أن نقول ان هذه الفقرة لا تعنى شيئا بالنسبة لنـــــا اليوم . فبغض النظر عن هذه الفقرة وعن الأساطير اليهوديـــة القـــديمة ثم القصص الحديثة التى رواها اليهود ، فهناك حقيقة ثابتة ـــ ان الشخص الذى يقرأ التاريخ بدقة وبعين مفتوحة يمكن أن يرى فى ثناياه الناموس الادبى يؤدى دوره ، ومعاملات الله مع البشر . قال فرود المؤرخ العظيم : ان التاريخ هو الصوت الذى يدوى على مر العصور بأن الخـــير للابرار والشر للاشرار . وعندما كان «أوليفر كروميل» يدبر أمر تعليم ابنه ريتشارد قال«انى أود أنه يتعلم شيئا من التاريخ» فالواقع ، أن التاريخ يعلمنا أن العـــــالم يحكمه ناموس ادبى ، وأن من يتحدى هذا الناموس فانه يعرض نفسه للخطر .

الهـــلاك بالنـــار

وَأَمَّا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ الْكَائِنَةُ الآنَ فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا مَحْفُوظَةً لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلاَكِ النَّـــاسِ الْفُجَّارِ .

(٣ : ٧)

كان اعتقاد بطرس انه كما هلك العالم قديما بالماء ، فان العالم الحالى سيدمر بالنار . انه يقول ان ذلك يتم بواسطة كلمة الله « بتلك الكلمة عينها » ، ان ما يقصده هو ان العهد القديم يتحدث عن قصة الطوفان التى حدثت فى الماضى ويحذر من الهلاك بالنار فى المستقبل . توجد فقرات كثيرة ذكرها الأنبياء لابد انها كانت تجول بخاطر بطرس وقتئذ . فيوئيل تنبأ عن الزمن الذى فيه يظهر الله عجائبه دما ونارا واعمدة دخان . والمرنم يذكر انه عندما يأتى الله يحدث امامه لهيب يحرق (مزمور ٥٠ : ٣) ، ويتحدث اشعياء عن مجيء الرب بلهيب نار آكلة (اشعياء ٢٩ : ٦ ، ٣٠ : ٣٠) . ويقول ان الرب بالنار يأتى وبالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر (اشعياء ٦٦ :١٥و١٦). ويقول ناحوم ان التلال تذوب والارض ترفع من وجهه . غيظه ينكسب كالنار (ناحوم ١ : ٥ و ٦) .

ويصور ملاخى يوم الرب بأنه يتقد كالتنور (ملاخى ٤ : ١) .

فحين تفسر هذه النبوات حرفيا ، نجد أن بطرس يستند الى كثير منها. لقد آمن الرواقيون أيضا بتعليم هلاك العالم بالنار.ولكن التعليم الرواقى يعبر عن شيء كئيب . فالرواقيون يقولون ان الكون اكمل دورة كاملة وانه حرق بالنار ثم ابتدأ كل شيء من جديد كما كان تماما من قبل . وكانوا يعتقدون بالفكرة الغريبة القائلة انه عند نهاية الدورة تكون الكواكب فى نفس موضعها كما كانت عند ابتداء العالم . يقول كرسيبوس « ان هذا ينتج اشتعالا واحتراق كل شيء » . ثم يستمر قائلا : « ثم يستعيد العالم وضعه الأول . فيعود سقراط وأفلاطون وكل شخص من جديد ايحيا مع نفس الاصدقاء ونفس المواطنين ويمرون بنفس التجارب ويؤدون نفس المهام . وكل مدينة وقرية وحقل تعود كما كانت .ويتكرر هذا ليس مرة واحدة بل مرارا وتكرارا — طوال الأبدية بلا نهاية . . . لانه لن يكون هناك شيء جديد سوى ما كان من قبل ، ولكن كل شيء يتكرر حدوثه كما هو بالضبط بدون أدنى اختلاف » .

فالتاريخ فى نظرهم كالعجلة التى تدور دورانا لا ينقطع ، مكررا نفس الأخطاء والآلام والآثام — وتعد هذه من اكثر وجهات النظر التى تخيلها العقل البشرى غرابة وكآبة .

اننا يجب الا ننسى أن هذا العالم سوف يبلك بلهيب الهى، كما عبر عن ذلك الأنبياء وبطرس ، ولكن النهـــاية لن تكون فناء ابديـــا ولا تكراراً لمـــا حدث من قبل ، ان النتيجة ستكون سماء جديدة وارضا جديدة .

هناك حقيقة مؤكدة ــ ان الرأى الكتابى يؤيد القول انه بعـــــد دمار العالم ستبرز خليقة الله الجديدة . ان الصورة كما يراها النبى لا تحوى فقط الألم الناتج عن فناء العـــــــالم ، بل الألم النـــــاجم عن مـيـــلاد عالم جـــديد .

مراحم امهال الله

وَلَـكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْـكُمْ هٰذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ . لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْـــدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ لَـكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ .

(٣ : ٨ و ٩)

توجد فى هذا الجزء ثلاث حقائق عظمى منيرة لاذهاننـــا ، ومريحـــة لقلوبنا .

١ ــ الزمن نسبى ، فموقف الانسان منه يختلف عن موقف الله منه . انه كما عبر المرنم « الف سنة فى عينيه مثل يوم امس بعد ماعبر وكهزيع من الليل » (مزمور ٩٠ : ٤) . عندما نفكر فى وجود العالم من مئات الآلاف من السنين ، نحس بضآلتنا وعدم أهميتنا ، وعندما نفكر فى بطء التقدم الانسانى فميل عندئذ لليأس والتشاؤم ، ولـــكننا نشعر بالارتياح عندما نعتقد بأن لله الابدية كلها وان الف سنة فى عينيه كيوم واحد . اننا لا نرى الأشــــياء فى وضعها الصحيح ، ولا نقدرها حق قدرها سوى فى ظل الأبدية .

٢ — ولكننا نرى ايضا من هذه الفقرة أن الزمن ليس سوى فرصة ، وكل يوم نحياه هو هبة مجانية . فبطرس يرى أن كل يوم يحياه العالم، بمثابة فرصة أخرى للبشر لكى يتوبوا ويتجهوا الى الله . وكل يوم لنا هبة من الله ، كل يوم فرصة لنا لتنقية ذواتنا وتقديم العون للآخرين ، وللاقتراب اكثر من الله . يجدر بنا الا ننسى هذه المنحة التى وهبنا الله اياها، هبة الوقت .

٣ — واخيراً ، ترينا هذه الفقرة صدى آخر للحقيقة التى طالما ترددت فى العهد الجديد . فبطرس يقول ان الله لا يشاء أن يهلك اناس . وبولس يقول ان الله أغلق على الجميع فى العصيان لكى يرحم الجميع (رومية ١١ : ٣٢) . وفى الرسائل الرعوية يتحدث بولس بعبارته البليغة عن الله الذى يريد الكل يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢:٤) وحزقيال يستمع لصوت الله يقول له : « هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . الا برجوعه عن طرقه فيحيا ؟ » (حزقيال ١٨ : ٢٣) .

فالكتاب المقدس يشع بنور الرجاء للجميع ، وليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأنه بكيفية ما وفى الوقت الذى يريده الله ، ويمكن لله الذى احب العالم أن يرجع بالعالم كله اليه .

اليوم المريع

وَلٰكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ يَوْمُ الرَّبِّ الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمٰوَاتُ بِضَجِيجٍ وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا .

(٣ : ١٠)

يتحدث بطرس هنا عن تعليم العهد الجديد ، عن المجىء الثانى ليسوع المسيح ، ولكنه يذكر ذلك مقتبسا العبارات التى وردت فى العهد القديم عن يوم الرب . ان يوم الرب مذكور فى كل أسفار العهد القديم . فاليهود كانوا يقسمون الزمن الى قسمين . فهناك الوقت الحاضر ، الذى

يتميز بالشر والخطية وانه لا علاج له . فلا فائدة من اصلاحه فهو مستحق للدمار . ثم الزمن الآتى والذى يعد عصر الله الذهبى . ولكن كيف يتم الانتقال من الوقت الحاضر الى الزمن الآتى؟! ان التغيير لا يمكن ان يحدث نتيجة مجهودات بشرية وكذلك لا يمكن أن يحدث نتيجة عملية تطور ، لأن العالم يسير فى طريقه نحو الدمار ، ولا علاج للشرور التى فيه .

ولكن اليهود رأوا طريقا واحدا يمكن أن يحدث التغيير ، ان التغيير يحدث بتدخل الله المباشر. والوقت الذى يحدث فيه التغيير سمى «يوم الرب». وقالوا انه يأتى فجائيا وبلا مقدمات . وعندما يحدث فان حدوثه ينقض العالم من اساسه . ان حدوثه يعنى دينونة الخطاة ومحوهم من على الأرض ، انه وقت الرعب « هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضبه ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها » (اشعياء ١٣ : ٩) . « يوم الرب قادم لأنه قريب . يوم ظلام وقتام يوم غيم وضباب » (يوئيل ٢ : ١ و ٢) . « ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب » (صفنيا ١ : ١٤ ـــ ١٨) . « تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف » (يوئيل ٢ : ٣٠ و ٣١) . «فان نجوم السموات وجبابرتها لاتبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه ... لذلك ازلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط رب الجنود فى يوم حمو غضبه» (اشعياء ١٣ : ١٠ ـــ ١٣) .

ان ما قرره بطرس وغيره من كتاب العهد الجديد عن مجىء يسوع المسيح ثانية ، طبق الأصل لما اعلنه كتاب العهد القديم عن يوم الرب . والعبارات التى استخدمها بطرس للتعبير عن مجىء المسيح ثانية تتفق مع العبارات التى وردت فى العهد القديم فى يوم الرب .

ثم ان بطرس يستخدم هنا عبارة نابضة حية . انه يقول ان السموات « تزول بضجيج » ، وهذه الكلمة فى اليونانية تستخدم للتعبير عن حفيف أجنحة الطيور او صوت الحربة عندما تطير فى الهواء او الصوت الذى تحدثه النيران المشتعلة فى الغابة . ولا داعى للأخذ بالمعنى الحرفى لهذه

الكلمة ، ميكفى أن نرى ما يرمى اليه بطرس من أن المجىء الثانى هو وقت شدة ورعب على كل اعداء المسيح .

ولــكن يجب الا يفوتنا شىء هام ، فعقيدة المجىء الثانى يحوطها كثير من الغموض ، ولكن هنـــاك شىء واحد اكيد — فالله سوف يتدخل فى حياة كل انسان ، لانه لابد أن يأتى اليوم الذى نموت به ، ولذا فاننا يجب أن نتهيا له . قد نشير الى مجىء المسيح الثانى على انه حدث المستقبل ، أو قد نحس أن هذا التعليم يجب أن يترك جانبا ، ولكننا لا يمكن أن نتهرب من حقيقة تدخل الله فى حياتنا فى اى وقت وكحقيقة مؤكدة .

الحـــافز الاخلاقى

فَبِمَا أَنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا تَنْحَــــلُّ أَىَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِى سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى . مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِىءِ يَوْمِ الرَّبِّ الَّذِى بِهِ تَنْحَلُّ السَّمٰوَاتُ مُلْتَهِبَةً وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ . ولـكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمٰوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ .

لِذٰلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هٰذِهِ اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ فِى سَلاَمٍ .

(٣ : ١١ — ١٤)

ان اكثر ما يركز عليه بطرس هى الدروس التى يجب أن نتعلمهـــا من حقيقة المجىء الثانى . فبما أن هذه الأشياء سوف تحدث ، وبما أن العالم يسرع نحو الدينونة ، فواضح أن الانسان يجب أن يحيا حياة التقـــوى والقداسة . ان كنا ننتظر سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر ،

فلابد أن يستعد الانسان بكل قـواه الفكرية والروحية ليكون مؤهـلا للسكنى فى هـذا العالم الجديد الذى لا مـكان فيه للأشرار . فبطرس كان يعتقد ـ كما عبر موفات ـ « بأنه لا يمكن أن يبطل الاعتقاد بالمجىء الثانى سوى على حساب التدهور الروحى » والواقع أن بطرس على صواب من الناحية العملية . فان لم يكن فى طبيعة المجىء الثانى شيئا محفزا ، وان لم تكن النهـاية ذات هدف تسعى اليه الخليقة كلهـا ، تضحى الحياة عبثا . وهذا هو موقف الوثنى . ان لم تكن هناك نهاية ذات طابع معين أو هدف سواء بالنسبة للعالم أو للفرد ، سوى مجرد الفناء والانقراض ، فهناك اذن مواقف واتجاهات لا يمكن تجاهلها أو تجنبها . وهـذه المواقف ظاهرة من الـكتابات والنقوش على مقابر الوثنيين .

١ ـ ان لم تكن هناك نهاية ، فيحسن بالانسان أن يعب من ملذات الحياة بقدر المستطاع . وهناك كتابة على احد قبور الوثنيين تقول : « لم أكن شيئا وأنا لاشىء الآن . ولذا فيامن لازلت حيا ، كل واشرب وامرح » ، فما دام لا يوجد عالم آخر يسعى الانسان للتمتع به ، فعليه أن يغنم مـن هذا العالم الحاضر بكل ما يمكنه أن يحصل عليه .

٢ ـ ان لم يكن هناك اى هدف يسعى الانسان إليه ، فانه يبقى غير مكترث . فلا شىء يهم اذن ما دامت النهاية هى الفناء ، وما دام الانسان لا يشعر حتى بفنائه . ولذا فمن هنا عثر على هذه الكتابة على احد المقابر الوثنية : « لم يكن لى وجود سابق ، والآن لست موجودا ، انى لا أحس بوجودى . لا يهمنى شىء » . عندما تتجه الحياة والعالم نحو العدم ، تفقـد الحياة قيمتها .

٣ ـ ان لم يكن هناك ما يحيا الانسان لأجله سوى الفناء ، وان كان العـالم مصيره الزوال ، فالحياة لا تعنى سوى الضياع .

ان الانسان لا يتجه عندئذ نحو وجهة معينة لانه لا يوجد هدف يسعى نحوه . انه يتجه نحو الضياع الذى يأتى من العدم ويتجـه نحو العـدم . وهذا يذكرنا بالقول المشـهور الذى قاله كاليماكوس الوثنى : « يا كاريداس ، ماذا تجـد فى الأمكنة السفلى ؟ » فيرد عليـه كاريداس : « ظلام دامس » ويقول له ثانية « وماذا تجد فى الأماكن العليا ؟ » فيقول « لاشىء » فيسـأله

« أين بلوتو ؟ » (اله العـــالم السفلى) فيقول له « كل ما قيل عنه مجرد كلام » فيرد عليه قائلا « اذن ، لد ضاع منا كل شيء » .

فحتى الوثنى لم يكن يستسيغ وجود عالم وحياة لا هــدف لهما . فأهم ما يميز تعليم المجيء الثانى ــ بغض النظر عن التفاصيل المتعلقة به ــ الحقيقة العظمى ، وهى أن العالم والحياة يســيران نحو هدف معين ــ وبدون هــذا الاعتقاد فلا يتبقى لنا شيء نحيا لأجله .

سرعة مجيء يوم الرب

وتحوى هذه الفترة ايضاعقيدة عظمى.فبطرس يقول ان المسيحى ينتظر ويطلب سرعة مجيء يوم الرب ، وكأنه بذلك يسرع بذلك اليوم . كيف يمكن للمسيحى أن يفعل ذلك ؟ يقدم لنا العهد الجديد عدة طرق يمكن بها اسراع مجيء ذلك اليوم :

١ ــ يمكن ذلك بالصـــلاة . فالمسيح علمنا أن نصلى قائلين : « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠) . ان صــلاة قلب المسيحى الملحـــة تسرع بمجيء الملك . فكل من يصلى يفتح قلبه لدخول الملك اليها .

٢ ــ يمكن عمل ذلك بالكرازة . فمتى يقول ان يســوع ذكر أنه « يكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شـــهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى » (متى ٢٤ : ١٤) .

فجميع الناس يجب أن نقدم لهم الفرصة لمعرفة المسيح ومحبته قبل أن يأتى مشتهى الأمم وأمل الشعوب. ان رسالة الكنيسة هى أن تساهم بأسراع مجيء الملك .

٣ ــ يكون ذلك عن طريق التوبة والطـــاعة . ان ذلك أهم ما يريد أن يقوله بطرس . كان معلمو اليهود يقولون : « أن خطايا الشعب هى السبب فى تأخير المسيا. فلو تاب اليهود توبة حقيقية لمدة يوم واحدفقط لجاء المسيا» . وهناك مثل آخر فى صيغة أخرى يقول : « لو اتبع اسرائيل الناموس لمــدة يوم واحد ، لجاء المسيا » .

فبالتوبة الحقيقية والطاعة التامة ، يفتح الانسان قلبــه لمجيء الملك ، ويقرب هذا المجيء الى العالم . ويجدر بنا أن نذكر ان برود حالتنا وعدم طاعتنا تؤخر مجيء الملك .

تحريف الكتب المقدسة

وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصاً . كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ . كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هٰذِهِ الأُمُــــورِ . الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ .

(٣ : ١٥ و ١٦)

يستشهد بطرس ببولس على أنه يعلم نفس التعاليــم . قد يكون انه يستشهد ببولس على انه يوافق على ان الحيـــــاة التقوية المقدسة ضرورية ازاء قرب مجيء ربنا الثاني . والأمر الأكثر احتمالا هو أن بولس يوافق على أن الله يتأنى ليس عن تباطؤ وعــدم اكتراث بوعــده ، بل ليعطي الفرصة للناس للتوبة والايمان بالانجيل وقبول المسيح يسوع . فبولس يتحدث عن أولئك الذين يستهينون بغنى لطف الله وامهاله وطول أناته ناسين أن هــذا اللطف يقتــادهم للتوبة (رومية ٣ : ٢٥ ، ٩ : ٢٢) .فبطرس وبولس يتفقان على أن تأني الله ليس عذرا لارتكاب الشرور ، ولكنه مدعاة للتوبة وفرصة للاستعداد .

تعتبر هذه الفقرة من أكثر الفقرات صعوبة في العهد الجديد ، لأنهــا مثار لكثير من المشاكل ، اذ انها تشير الى بولس ولكن بشيء من النقد .وهذا ما دعا جون كلفن الى التأكيد بأن بطرس نفسه لم يكتب الرســالة الثانية المسماه باسمه ، لأنه يقول ان بطرس لا يمكن أن يكتب هــذا عن بولس . ما الذي يمكن أن نتعلمه من هذه الفقرة ؟ .

١ ـــ نتعلم من هذه الفقرة ان رسائل بولس كانت وقتئذ منتشرة في كل

أنحاء الكنيسة . فما كتب عنها فى هذه الفترة يوحى بأنها قد جمعت ونشرت وكانت شائعة ، وسهلة التداول فى كل مكان . اننا واثقون ان هذا لم يحدث قبل سنة ٩٠ م . ففى تلك السنة جمعت رسائل بولس ونشرت فى افسس . وهذا يعنى أن هذه الرسالة المسماة باسم رسالة بطرس الثانية لم تكتب قبل ذلك التاريخ ، ولذا فانها لا يمكن ان تكون قد كتبت بيد بطرس الذى كان قد استشهد فى حوالى سنة ٦٠ م .

٢ — نعرف من هذه الفترة ايضا أن رسائل بولس كانت معتبرة وقتئذ موحى بهـا . فبعض الناس كانوا يحرفونها كما كانـوا يحرفون الـكتب الأخرى .

وهذا يثبت أيضا ان رسالة بطرس الثانية ترجع لوقت متأخر من تاريخ الكنيسة الاولى ، لأن اعتبار رسائل بولس من الكتب الموحى بها جنبـا الى جنب مع أسفار العهد القديم كان يتطلب زمنا طويلا .

٣ — يصعب تحديد موقف الرسالة هنا من بولس . تقول الرسالة هنا ان بولس قد كتب « بحسب الحكمة المعطاة له » . يقول (بج) معلقـا على ذلك بأن هذه العبارة قد تعنى المديح أو التحذير . فالحق ان بولس كان له نقاد كما كان لعظماء الرجال . فمن يقول الحق بشـجاعة ويقره بلا تردد لابد ان يواجه نفس المصير . فهناك نفر من الناس كان يعتبر بولس عظيما ولكن بنوع من التحفظ .

٤ — تقول هذه الرسالة بأن رسائل بولس تحوى أشياء (عسرة الفهم يحرفها غير العلماء لهلاك أنفسهم) . والكلمة المستخدمة للتعبير عن عبارة « عسر الفهم » هى التى تستخدم للتعبير عن أقوال الاوريم . لقد كانت أقوال الأوريم عند اليونان غامضة . فهناك الرواية التقليدية التى تحكى عن الملك الذى كان على وشك أن يذهب للقتال .

فسأل الأوريم فى (دلفى) ، وجاءه الجواب : « ان ذهبت للحرب ، ستقضى على أمة كبرى » ، فاعتبر ذلك نبوة على أنه سيبيد أعداءه ، ولكن الذى حدث أنه هزم هزيمة منكرة فى الحرب ودمر بلده . هذا مثل للأقوال الغامضة التى كانت تقولها الأوريم قديما . والآن فان هذه هى نفس الكلمة

التى يستخدمها بطرس عن رسائل بولس ، فيقول ان فيها اشياء عسرة الفهم ، ويصعب تفسيرها كأقوال الأوريم .

ولا يقول بطرس ان فيها أشياء عسرة الفهم فقط ، بل أن بها أشياء يحرفها بعض الناس لهلاك انفسهم . ما هي الأشياء التى فى فكر بولس وتعاليمه والتى يمكن تحريفها الى أشياء مخالفة للعقيدة الدينية ؟؟ يخطر ببالنا لأول وهلة ثلاثة أشياء من هذا القبيل :

فتعليم بولس عن النعمة قد حرف كتبرير أو كسب للخطيسة ، (رومية ٦) . وتعليم بولس عن الحرية المسيحية قد فسر على أنه فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) . وتعليم بولس عن الايمان قد فسر على أن الأعمال ليست ضرورية ، كما نرى فى يعقوب (يعقوب ٢ : ١٤ — ٢٦) .

رسم شسترتون صورة مشهورة عن التعليم القويم حين قال ان التمسك بالتعليم القويم كالسير على حافة ضيقة حتى انها تشبه حد السكين ، فأى انحراف هنا وهناك يقود الى الدمار . فيسوع هو الله والانسان ، والله هو المحبة والقداسة ، والمسيحية هى النعمة والسلوك الحسن ، والمسيحى يحيا فى هذا العالم ويحيا كذلك لأجل العالم الآتى . فالمبالغة فى أى من هذه التعاليم والحقائق العظمى ينتج بدعا مهلكة . وانه لمن المحزن حقا ان يحرف المسيحى الحقائق العظمى والكتابية كتبرير أو كدفاع بل وكسب لعمل مايريد أن يفعله ، وعدم قبولها كنور يهديه لمعرفة الطريق الذى يريده الله أن يسيره فيه .

اساس متين ونمو مستمر

فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ إِذْ قَدْ سَبَقْتُمْ فَعَرَفْتُمُ احْتَرِسُوا مِنْ أَنْ تَنْقَادُوا بِضَلاَلِ الأَرْدِيَاءِ فَتَسْقُطُوا مِنْ ثَبَاتِكُمْ . وَلَكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ آمِينَ .

(٣ : ١٧ و ١٨)

ويختم بطرس هنا بايراد بعض الأشياء عن الحياة المسيحية .

١ — ان المسيحى قد سبق تحذيره . فالمسيحى لا يمكن ان يدعى الجهل ، انه يعرف الطريق الصحيح ونهايته ، ويعرف الطريق الخاطىء وأضراره . فليس له الحق فى ان يتوقع طريقا سهلا ، لانه سبق أن أخبر أن المسيحية تعنى الصليب وعرف أن هناك اناسا يحاولون مهاجمة الحق وتحريفه . ان السبق بالتحذير يعني التسلح ، ولكن هذا التحذير يعنى مسئولية خطيرة ، لأن من يعرف الصواب ويفعل الخطأ يقع تحت دينونة مضاعفة .

٢ — ان المسيحى شخص قد أعد إعدادا طيبا للحياة . انه يجب ان يتأصل ويثبت فى الايمان . هناك اشياء مؤكدة فى الحياة . قال (جيمس اجات) أن هناك اشياء أكيدة لا يمكن ان يتزحزح فكره عنها . فالحياة المسيحية تتطلب الثبات فى العقائد التى لا يمكن أن تتغير . فالمسيحى لا يمكن ان يكف عن الاعتقاد بأن « يسوع المسيح رب » (فيلبى ٢ : ١١) ، ويدرك دائما أن من واجبه ان يجعل حياته ملائمة لاعتقاده .

٣ — ان المسيحى له حياة متطورة نامية . ان ثبات الحياة المسيحية لا يعنى الجمود ، والكف عن الحركة . ان المسيحى يجب أن يختبر عجائب النعمة كل يوم ، وينمو فى مواهب النعمة باستمرار ، ان المسيحى يجب ان ينمو فى معرفة الشخص العجيب يسوع المسيح . ان البناء الشامخ لا يمكن أن يرتفع الا على أساس متين ، والشجرة لا يمكن أن ترتفع بأغصانها الى السماء الا اذا كانت ذات جذور عميقة . ان الحياة المسيحية هى حياة ذات أساس ثابت ، ونمو دائم مطرد .

وهكذا ، تنتهى الرسالة بتقديم المجد للمسيح الآن والى انقضاء الدهر .